تاريخ الشعوب الإسلامية

الحديث والمعاصر

دكتور حسّان حلاّق

دار النهضة العربية
للطباعة والنشر
بيروت . ص.ب ١١-٧٤٩

دكتور حسّان حلاّق

تاريخ الشعوب الإسلاميّة
الحديث والمعاصر

LAU Beirut campus
16 MAY 2017
Riyad Nassar Library
RECEIVED

Direct 270400

دار النهضة العربية
للطباعة والنشر
بيروت . ص.ب ١١-٧٤٩

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الأولى 2000 م .

لا يجوز طبع أو أستنساخ أو تصوير أو تسجيل أي
جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة كانت الا بعد
الحصول على الموافقة الكتابية من الناشر .

الناشر
دار النهضة العربية
للطباعة والنشر

الادارة : بيروت – شارع مدحت باشا – بناية كريدية
تلفون : 743166 / 743167 / 736093
برقيا : دانهضة – ص.ب 749-11
فاكس : 00961 1 735295

المكتبة : شارع البستاني – بناية اسكندراني رقم 3
غربي جامعة بيروت العربية
تلفون : 854161

المستودع : بئر حسن – بناية الدجى
تلفون : 833180

الإهداء

إلى روح الأخ مصطفى محيي الدين كريدية

- مؤسس وصاحب دار النهضة العربية -

لاسهاماته البارزة في نشر الثقافة والتراث

الإسلامي والعربي

حسان حلاق

Riyad Nasser

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمـــــة

إن الانتشار الحضاري للإسلام في قارات آسيا وافريقيا واوروبا، وفيما بعد في مختلف انحاء العالم، ليؤكد بصورة جلية على عظم هذا الدين، وما استتبعه من حضارة مميزة، كان لها الفضل الأول في تكوين الحضارة الإنسانية والعالمية.

لقد اسهم الإسلام اسهاماً بارزاً وواضحاً في نهضة ورقي الشعوب منذ انطلاقته الاولى، وفي فترة العصور الوسطى، وفي الفترات الاولى من التاريخ الحديث، حيث بدأت عوامل وقوى سياسية وعسكرية واقتصادية وثقافية خارجية وداخلية تؤثر في الانتشار الحضاري للإسلام وللمسلمين، وتؤثر في نهضة ويقظة الشعوب الاسلامية الامر الذي ادى الى وضع عراقيل عديدة، وسدود مصطنعة تحول دون استمرار اداء الوظيفة التاريخية للحضارة الإسلامية. واستتبع ذلك بعض الحروب من الشرق والغرب ضد المسلمين والعالم الإسلامي، وما تزال هذه الحروب مستمرة حتى اليوم ضد الشعوب الإسلامية سواء في آسيا او افريقيا او اوروبا.

وفي الوقت الذي تحاول فيه قوى عديدة القضاء على المسلمين ـ كما يحصل في الشيشان على سبيل المثال ـ فان الإسلام لم ينتشر في جميع انحاء العالم بوسائل عسكرية، بل ان مناطق عديدة شهدت

انتشاراً إسلامياً واسعاً بواسطة الدعاة والتجار، وبأساليب حضارية وسلمية بحتة.

ومما يؤكد اهمية العالم الإسلامي اليوم عظم مساحته الجغرافية التي تقدر بـ (٣١) مليون كلم^2، وبعظم عدد سكانه الذين يقدرون بـ (١٤٠٠) مليون من اصل (٦ مليار) نسمة عدد سكان العالم، لذلك فان الكتاب الذي امامنا «تاريخ الشعوب الإسلامية الحديث والمعاصر» ومهما عظم حجمه وقدره فانه لن يستطيع ان يضم بين دفتيه تاريخ الشعوب الإسلامية، بكل تفاصيله ودوله ومناطقه وشعوبه، لأن الكتابة عن جميع الشعوب الاسلامية بما فيه الدول العربية، تحتاج الى عمل موسوعي ضخم، وفريق عمل متكامل يوزع المهام على الباحثين، للوصول الى عمل اكاديمي واضح المعالم، وقد عمدت بعض الدول والجهات العلمية على التصدي لمثل هذه الأعمال الموسوعية.

والحقيقة، ففي دراستنا هذه، حاولنا تسليط الأضواء على بعض الدول والشعوب والمدن الإسلامية المنتشرة في بعض مناطق آسيا وافريقيا واوروبا، متمنين ان نكون قد اسهمنا ولو بقسط متواضع في معرفة جوانب من تاريخ الشعوب الإسلامية، في التاريخ الإسلامي الاول وفي التاريخ الحديث والمعاصر، ولعل هذه الدراسة تسد نقصاً وثغرة في المكتبة العربية والإسلامية.

حسان حلاق

بيروت المحروسة في ١٤ شوال ١٤٢٠هـ

٢١ كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٠م

الباب الأول

ملامح من تاريخ الدول والشعوب الإسلامية

- الفصل الأول: الاتراك العثمانيون (الدولة العثمانية)
- الفصل الثاني: ايران (الجمهورية الإسلامية الإيرانية)
- الفصل الثالث: افغانستان
- الفصل الرابع: اندونيسيا
- الفصل الخامس: المسلمون في الصين

الفصل الأول

الاتـراك العثمانـيون

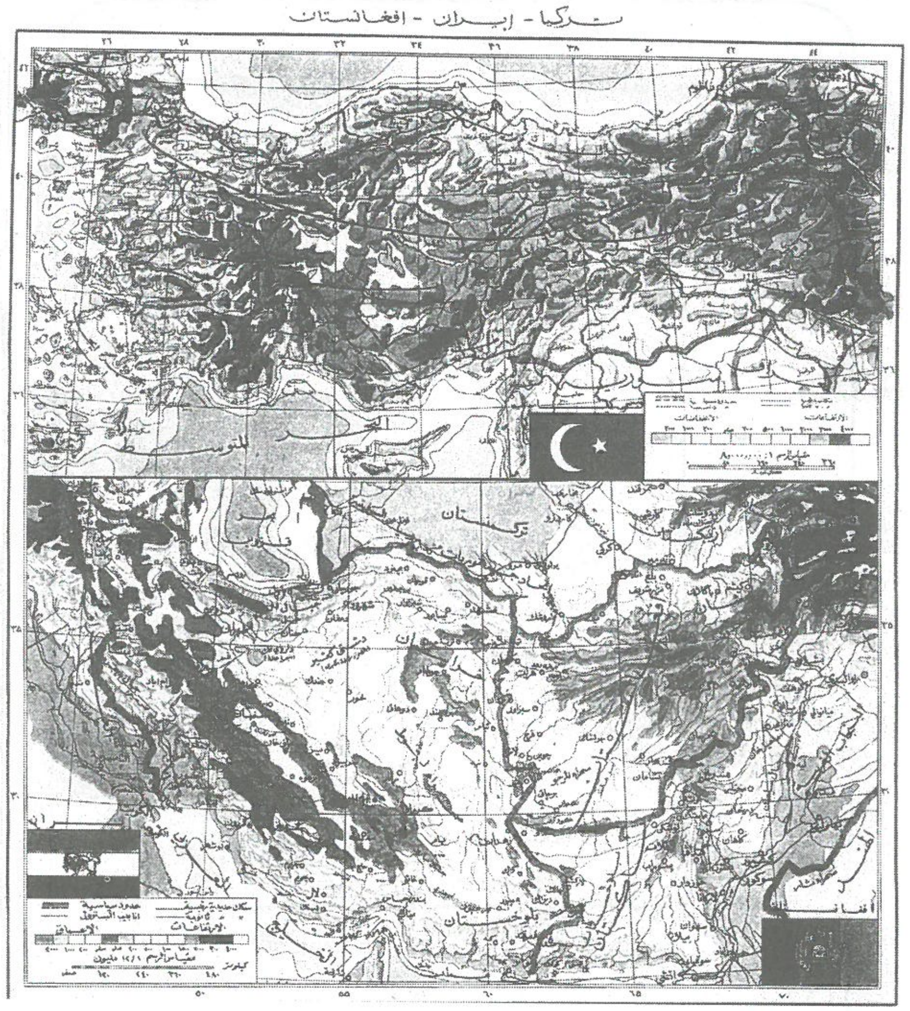

اصول الاتراك وجذورهم التاريخية

نشأ الشعب التركي بين سكان التبت والصين في الشرق، والجنس الآسيوي القديم (السيبيري) في الشمال، والشعوب الفنلاندية في الغرب فوق سهول سيبريا الشمالية الواسعة والبوادي القائمة بين بحر الخزر (قزوين) وجبال آلتاي، هذه الجماعة العرقية كانت تلتقي في العصور الأولى مع المغول وقبائل التنكت ايضاً. دخل الاتراك في طور التاريخ، وبعد ان شرعوا في الاندفاع من سفوح تيان شان الى بوادي آسية الوسطى، كانت قد تمت لهم خصائص عرقية متميزة يدعوها علماء الانتروبولوجيا بالخصائص الطورانية.

وفي القرن السادس للميلاد اصبح للاتراك دولتان قويتان امتدتا من منغوليا وتخوم الصين الشمالية حتى البحر الاسود. وكان مؤسس الدولة الشرقية «بومين» المتوفى في سنة ٥٥٢م، وكان اخوه «استمي» مؤسس الدولة الغربية وقد قضت أسرة تانغ المالكة في الصين على الدولة الشرقية حوالي سنة ٦٣٠م، وعلى الدولة الغربية حوالي سنة ٦٥٩م. بيد ان اتراك الشمال ما لبثوا ان خلعوا نير الاجنبي سنة ٦٨٢م ليحتفظوا باستقلالهم حتى سنة ٧٤٥. والواقع فان اقدم اثر حفظته الايام من آثار اللغة التركية تلك النقوش الطويلة التي اكتشفت على ضفاف نهر أورخون في منغوليا، على الضريح المشترك لاثنين من امراء هذه الدولة، بالكاقاغان واخيه الاصغر

كلتكين، والتي تعود الى سنة ٧٣١ وسنة ٧٣٤، وقد كتبت بخط شبيه بالخط «الرّوني» الذي استعملته الشعوب الجرمانية حوالي القرن الثاني للميلاد واقتبسوه عن الفرس واستنبطوه من الخط الآرامي، ولقد كانت كل من هاتين الدولتين البدويتين تنتظم في مجموعات قبلية غير محكمة التنظيم، على رأسها امراء عرفوا باسم خانات يخضعون جميعا لسلطة الامير الاعلى للحرب، ويدعى (خاقان) «قاغان» بينما ظهر «الخانات» من بين «باكوات» الاشراف. ويستدل عن تنظيم الاعمال في هاتين الدولتين، ان الاتراك القدماء خطوا خطوات اولية في سبيل وضع مجموعة من القوانين العامة استعارها خلفاؤهم في الحكم. كذلك نقل الصقالبة هذا القانون التركي القديم عن الآواريين وتميز الاتراك منذ القدم بحبهم للقتال.

أما حياتهم الدينية فكان يهيمن عليها «الشامان» (الفقير أو الكاهن) الذي كان في استطاعته عن طريق الغيبوبة المصطنعة، ان يوهم جماعته بقدرته على طرد الأرواح الشريرة الموجوْدة تحت الأرض، وان يستنزل البركة من الارض والماء الخيرتين.

والواقع ان دولة من هذا النوع لا يمكن ان تحيا الا اذا قدّر لها زعيم حازم يجمع شتاتها، فحوالي سنة ٧٠٠م كان قد تم للعرب في عهد الامويين، السيطرة على مراكز الاتراك في الغرب. وسقطت مراكزهم في الشمال سنة ٧٤٥م على يد قوة تركية اخرى، هي قبيلة أويغور، وقد سمحت قبيلة أويغور للنصارى السوريين من النساطرة وللمرسلين المانويين بالتنصير في البلاد الواقعة في حوزتها.

وكان للاتراك امارة في كاتشو كما استطاعوا السيطرة على تخوم ايران وكانت هذه البلاد قد خضعت قبل ذلك لحكم الامويين وقد بدأ الاتراك بالظهور بشكل ملموس في منطقة آسيا الوسطى، في فترة السيطرة المغولية وظهور المغول كقوة عسكرية في القرن الثالث عشر الميلادي منذ عهد جنكيزخان. وكان الاتراك قبائل تتميز بالقوة والشكيمة، ولكن لم تكن قوة كبرى مستقلة. غير انهم بدأوا يظهرون ويقومون بدور فاعل منذ ان استعان بهم الخليفة العباسي المعتصم (٨٣٣ ـ ٨٤٢ م)، وقد سيطروا تدريجياً على الخلافة العباسية وعلى مناطق غربي آسيا، وبرزوا كقوة تعرف باسم التركمان، وانتشروا في فارس وبلاد الشام خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر وكانت تحكمهم في هذه الفترة قبيلتان او قوتان عرفتا الاولى باسم قبيلة «تركمان النعجة البيضاء ـ آق قويونلو» وعرفت الثانية باسم «تركمان النعجة السوداء ـ قره قويونلو».

كما برز الاتراك كقوة مملوكية في مصر، وكقوة سلجوقية عرفت باسم سلاجقة الروم على حدود الدولة البيزنطية، وتمتعوا بنفوذ واسع في العراق في ابان السيطرة المغولية، وسيطروا على ايران وارمينيا والقوقاز وجنوبي روسيا والاناضول. وبالرغم من ان التاريخ يميز بين المماليك والاتراك في المراحل التاريخية، غير انهما يعتبران من جذور واصول واحدة.

وتشير بعض الدراسات ايضاً الى ان العثمانيين ينتسبون الى احدى قبائل الغز التركية التي دفعها تقدم المغول في اوائل القرن الثالث عشر الى الهرب غرباً صوب الاناضول تحت قيادة ارطغول (والد عثمان) بن سليمان شاه زعيم الاتراك، الذي دخل في خدمة سلاجقة

قونية التي منحته وعشيرته منطقة الثغور المواجهة للدولة البيزنطية في شمالي غربي الاناضول. اما الاتراك الذين وفدوا الى الاناضول فقد كانوا من روافد للحركة السلجوقية. ويبدو ان سلاجقة الروم كانوا في البداية معادين للمعتقدات السنية. وكانت المعتقدات السنية والشيعية على السواء قد كونتا مزيجاً واحداً اسلامياً لدى قبائل التركمان الذين احتفظوا ايضاً ببعض المعتقدات التي كانوا يدينون بها قبل اسلامهم.

وحين احتل الاتراك نيقية وجدوا فيها كثيراً من المسلمين الذين كانوا قد اقاموا في المنطقة طيلة ثلاثة اجيال. وكان اتراك الهجرات الاولى بسطاء يميلون الى التسامح وبسبب اجتياح جنكيز خان وقبائله المغولية في خلال الربع الاول من القرن الثالث عشر تقدمت هجرات تركية كبيرة صوب الاناضول وجبال ارمينيا، وهجرات اخرى الى الشام وقليقيا ومصر. وبعد وفاة جنكيزخان (١١٦٧ - ١٢٢٧) عاد عدد منهم الى مناطقهم الاولى.

وفي هذه الفترة انخرطت قبائل تركية في جيش علاء الدين كيقوباد آخر سلاطين السلاجقة لمواجهة الخوارزميين او المغول او البيزنطيين.

والحقيقة فان المصادر العثمانية والأوروبية لا يمكن الاعتماد عليها كثيراً حول اصول الشعب التركي. فلم يكن للعثمانيين سجلات مكتوبة عن الفترة السابقة على فتح القسطنطينية.

كما ان البيزنطيين لا يشيرون في كتاباتهم الى اصل العثمانيين. اما المؤرخون الاوروبيون الاوائل، فلم يهتموا بهذا الشعب التركي واصوله الا منذ ان بدأ يشكل خطراً على اوروبا. كما ان

المؤرخين العثمانيين لم يهتموا بالكتابة عن تاريخهم قبل استقرارهم في الاناضول، ولهذا فانهم لم يمدونا بمعلومات وافية عن الاتراك قبل اعتناقهم الاسلام. غير ان المتفق عليه هو ارجاع اصل الاتراك الى قبيلة قاي خان التي هي فرع من الاتراك الأوغوز (الغز التركمان) التي تشير الاساطير العثمانية بانهم من نسل يافث بن نوح. ويذكر بان لعثمان شجرة انساب تضم ٥٢ سلفا او اكثر وتنتهي عند نوح عليه السلام. وتضم هذه الشجرة جوق آلب ووالده اوغوزخان، والاوغوز (الغز) التركمان، ومنهم السلاجقة الذين احتلوا فارس والاناضول. والاتراك الذين ساعدوا السلاجقة في توطيد حكمهم في الجزء الأكبر من العالم الاسلامي خلال القرن الحادي عشر كانوا من الاوغوز. وهم الذين شاركوا في موقعة ملازكرد (منزكرت) التي اوقع فيها الاتراك السلاجقة هزيمة كبرى بالجيوش البيزنطية في عام ١٠٧١م.

والأمر الملاحظ بان الاتراك بدأوا فيما بعد يفلتون من سيطرة السلاجقة، ووجهوا نشاطاتهم العسكرية صوب شواطئ بحر ايجه وبحر مرمرة واحتلوا المناطق البيزنطية. وبازدياد توغل الاتراك في الاناضول امكن فرض الطابع التركي على المدن. وباستقرارهم وطدوا علاقاتهم مع سواهم، مما سمح لهم ببناء المساجد والمنشآت المتنوعة. فأوجدوا الطابع الاسلامي في اوساط التركمان. وبالتدريج برزت ثقافة متمازجة وحياة اجتماعية جديدة تداخلت فيها اللغات والعادات التركية والعربية والفارسية والبيزنطية. غير ان الاتراك اعتبروا انفسهم مسلمين قبل اي شيء آخر.

ونتيجة للتطورات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية

ونتيجة للاختلاط وتزاوج المسلمين بالمسيحيات واعتناق بعض المسيحيين للاسلام قامت في عام ١٢٣٩م ثورة دينية واجتماعية في اوساط التركمان بقيادة بابا اسحق وهو داعية شعبي تركماني، قام بحركته في منطقة الحدود الواقعة بين سوريا ونهر الفرات وجبال طوروس، واطلق على نفسه اسم رسول الله، واستطاع بوسائله ان يجمع اناساً حوله من مناصري الحرب والقتال، وقد نادى بالحفاظ على الاصول ومحاربة الاعداء، غير ان حركته لم تكن واضحة تماما لاغارته بعض الغارات على المناطق الاسلامية، مما دعا السلاجقة لقتله عام ١٢٤٣م ومحاربة انصاره.

ونتيجة للحروب البيزنطية والحملات الصليبية والخلافات الفاطمية ـ السلجوقية، منذ أوائل القرن الرابع عشر غربي الأناضول. وقد أدت هذه الخسائر السلجوقية بصورة او باخرى الى بروز دولة جديدة هي الدولة العثمانية كقوة اساسية وبديلة في المنطقة.

ولادة الدولة العثمانية

تنتسب الدولة العثمانية الى عثمان (١٢٨١ ـ ١٣٢٤ م) الذي أكد استقلال الدولة اثر انهيار دولة سلاجقة الروم. ولذلك فان صفة عثماني ـ لا تركي ـ هي الصفة المفضلة لدى ابناء الدولة، علما ان الاسرة الحاكمة انما هي اسرة تركية تدعي الانتساب الى قبيلة اوغوز التي انتسب اليها السلاجقة. فضلاً عن انتمائهم للاسلام واتخاذهم الاحرف العربية لكتابة وقراءة لغتهم ذات الحروف الرونية واليوجورية التي استخدموها قبل اعتناقهم للاسلام. وقد أتيح للدولة العثمانية التي قامت في غربي الاناضول اقامة تنظيم عسكري واجتماعي متحرك هيأ لها النماء والقوة. اذ ان رفاق عثمان واورخان ومراد الاول قد قاموا بدور حاسم في الفتح العثماني للبلقان والمحافظة على الاراضي المفتوحة.

ولقد اشار محمد فؤاد كوبريلي احد المؤرخين الاتراك في كتابه «قيام الدولة العثمانية» عن قيام هذه الدولة بقوله:

> «ليست هذه الدولة كيانا مستقلا، ولا هي تشكيل اتنوغرافي او سياسي مستقل عن الدولة السلجوقية المنقرضة، وعن الامارات التي خلفتها، وانما هي بالعكس تركيب من العناصر التركية تمخض عن التطور السياسي والاجتماعي في الاناضول في القرنين الثالث عشر والرابع عشر. وهذه العناصر التركية هي التي اسست من قبل دولة السلاجقة ودولة الدانشمنديين وامارات الاناضول المختلفة».

هذا وقد استغل عثمان بعد ارطغرل فترة الفتوحات وتوطيد الحكم على حساب البيزنطيين، وكان عثمان رجلاً وقائداً مميزاً ومتسامحاً مع المسيحيين، في الوقت الذي حرص فيه على تدعيم حكم الاسلام، ففي «اسكي شهر» (المدينة القديمة) بنى مسجداً وعين الائمة لاقامة شعائر الاسلام وتطبيق الشرع الاسلامي. ثم ما لبث ان وسع نفوذه الى «يني شهر» (المدينة الجديدة) التي هيأت له الوثوب نحو اليونان (نحو بروسة ونيقية) ونحو القسطنطينية، ثم اصبحت يني شهر عاصمة لملكه.

اورخـان (١٣٢٤ ـ ١٣٦٠ م)

وبالفعل ففي عام ١٣٢٦ سقطت بروسة بأيدي العثمانيين واصبحت العاصمة الجديدة للدولة الناشئة. وما ان توفي عثمان عام ١٣٢٤ في السبعين من عمره ودفن في بروسة حتى ورثه ابنه اورخان الذي حرص على تحويل جماعته الى امة ودولة. وفي عهده طبق مبدأ التسامح الديني بشكل واضح، وهو الذي يفسر الى حد كبير تحول العثمانيين الى دولة قوية في الوقت الذي انتشر فيه الاضطهاد الديني ومحاكم التفتيش ضد المسلمين في الغرب المسيحي. ولم يحاول اورخان فرض الاسلام على رعاياه غير المسلمين. ولكن شجع المسيحيين على اعتناق الاسلام بتوفير نظام المكافآت والاقطاعات الحربية لهم (ـ تيمارات ـ) بشرط ان يقوم من يشغلها بالوفاء بالخدمة العسكرية.

وكان المسيحي المتمسك بدينه يعفى من الخدمة العسكرية في مقابل دفع ضريبة كانت تكرس حصيلتها للانفاق على القوات الحربية. غير ان هذه الضريبة لم تكن مسؤولة عن اعتناق المسيحيين

للاسلام، بل ان ذلك مرجعه ما تميزت به الادارة العثمانية من كفاءة وافساحها في المجال امام رعاياها المسلمين ايا كان اصلهم لتولي مختلف المناصب. وهكذا كان المسيحي او اليهودي يصبح عثمانيا بمجرد اعتناقه الاسلام. وعلى سبيل المثال فانه في عهدي سليمان القانوني (١٥٢٠ - ١٥٦٦م) وسليم الثاني (١٥٦٦ - ١٥٧٤م) احتل بعض المسيحيين الذي اعتنقوا الاسلام منصب الصدارة العظمى، كما شغل القيادة العامة للجيش اثنا عشر منهم، وتولى اربعة منهم القيادة العامة للقوات البحرية.

وعلى اثر تزايد مسؤولية العثمانيين العسكرية، لجأوا الى وسيلة جديدة تكفل لهم ازدياد اعدادهم وتوفير فئة خاصة شديدة الولاء للدولة. وهذه الوسيلة هي تكوين فرقة «الدوشرمة» وجمع عدد معين من اطفال «دار الكفر» واعدادهم للمهام القتالية والادارية بعد اعتناقهم للاسلام ومنهم استقي نظام الجيش الانكشاري (يني - چري شرى، القوات الجديدة). الذي جرى انشاؤه في عهد اورخان.

وباتساع الدولة العثمانية كان الاتراك يشكلون الفئة المهيمنة، في حين ان اطفال الدوشرمة شكلوا قمة جهاز الحكم وسيطروا على الاتراك انفسهم.

غير ان نظام الانكشارية لم يستمر ثابتاً سوى قرابة قرن بعد سقوط القسطنطينية (١٤٥٣م)، فبعد ان كان ذلك النظام يحرم على افراده الزواج طالما يقومون بالخدمة العسكرية، ما لبث ان سمح لهم بالزواج وبادخال ابنائهم الى الوجاق (الفرق العسكرية) الذي سمح لغيرهم من أبناء المسلمين بالانخراط فيه. وفي عام ١٦٧٦ الغيت الدوشرمة او الدفشرمة والى جانب هذه الفرقة وجدت فرق «السباهية»

وهم من حرس الخيالة، وفرق «ايكنجي» او المهاجمين الذين لم يكونوا يتقاضون اجورا، انما يعتمدون على ما يحصلون عليه اثناء حروبهم.

وبمثل هذه الفرق العسكرية احتل اورخان الكثير من المناطق، فتقدم الجيش العثماني نحو مرمرة وهزم الامبراطور اندرونيكوس الثالث عام ١٣٢٨م، ومن ثم احتل معظم شبه جزيرة نيقية وسواحل خليج نيقوميديا، واستولى اورخان على ما تبقى بعد احتلاله لها عشرون عاما بدون حروب بل قضاها في تعزيز النواحي العسكرية والاجتماعية والدينية، فاقام المساجد والمدارس ورصد الاوقاف عليها واقام المنشئات الضخمة فكانت شاهدا على عظمة اورخان وتقواه وتدينه.

وفي عام ١٣٥٨ احتل العثمانيون مدن تراقيا وفي مقدمتها غاليبولي التي اصبحت اول قاعدة عثمانية في اوروبا، ومنها انطلقت الحملات الاولى التي توجت في النهاية بالاستيلاء على كل شبه جزيرة البلقان. وقد ارسل اورخان اعدادا كبيرة من الرعاة التركمان الى تراقيا بهدف «تتريكها» والحيلولة دون تمكن البيزنطيين من طرد العثمانيين من اوروبا. وكان هذا الاسلوب من الاساليب الهامة التي درج عليها العثمانيون، وهو نقل السكان بصورة جماعية من منطقة الى منطقة بهدف تتريكها واسلمتها.

مـراد (١٣٦٠ ـ ١٣٨٩)

بعد ان توفي اورخان في عام ١٣٦٠، خلفه ابنه مراد الذي قدر له قيادة الجيوش العثمانية نحو نهر الدانوب. ففي عام ١٣٦١ سقطت ادرنة ثم فليوبوليس، وبذلك تحولت مقدونيا وتراقيا اي

الروملي الى اراض عثمانية. وفي عام ١٣٦٥ وضعت راجوزا نفسها تحت حماية العثمانيين في حين وجدت شعوب اخرى محاربة في البلقان مثل سلاف الصرب والبوسنة، البلغار، الولاش، السكيبتار في البانيا، المجيار، الذين شكلوا مع جيرانهم البولنديين ولمدة ثلاثة قرون الحاجز المسيحي الرئيسي في وجه التوسع العثماني.

وفي عام ١٣٦٤ جرت المواجهة الاولى بين العثمانيين ومسيحيي الشمال بالقرب من ادرنة، وذلك بعد ان تقدم لويس ملك المجر وبولنده وامراء البوسنة والصرب وولاشيا للقضاء على الوجود العثماني في اوروبا. غير ان القائد العام للجيش العثماني (لالا شاهين) اوقع بهذا الحلف البلقاني هزيمة منكرة. وبعد ذلك قرر العثمانيون نقل الحرب الى اراضي الاعداء. فبين اعوام ١٣٧٣ - ١٣٧٥ استولى العثمانيون على قولة وسيريز ومعظم مقدونيا ونيش وقد قبل امير الصرب دفع الجزية وتزويد العثمايين بالف خيال، وبادر ملك بلغاريا الى طلب الصلح وتنازل عن ابنته للسلطان. كما اعلن الامبراطور البيزنطي تبعيته لمراد. وفي هذه الفترة ضم مراد وابنه بايزيد بعض دول التركمان: سلطانوني، قره سي، كرميان، حميد. وما لبث بايزيد ان ضم ما تبقى من الامارات التركمانية وبذلك يكون قد ضم الى ملكه اراضي سلاجقة قونية.

لقد حاول السلاف طرد العثمانيين من اوروبا، فتزعمت الصرب والبوسنة وبلغاريا حملة صليبية انضمت اليها البانيا وولاشيا والمجر وبولنده، في حين كانت اوروبا الغربية منهمكة بحروبها الخاصة. ففي عام ١٣٨٨ هاجم هؤلاء الحلفاء الدولة العثمانية، وبالرغم من ان انهم وفقوا في البدء في ضرب القوات العثمانية، غير ان مراد ارسل

قوات جديدة غيّرت من نتائج الحرب، وارغمت ملك بلغاريا على التسليم بعد ان تمت محاصرته في نيكوبوليس، وبذلك امكن ضم بلغاريا الى الدولة العثمانية.

وبالرغم من ان القوى الحليفة الاوروبية استمرت في محاولاتها لطرد العثمانيين من مناطقها، ولكن الجيش العثماني انتصر على تلك القوى انتصاراً ساحقاً، مع ان العثمانيين خسروا في الوقت نفسه سلطانهم مراد، الذي استطاع توجيه سياسة العثمانيين لمدة ثلاثين سنة.

بايزيد الاول (١٣٨٩ ـ ١٤٠٢) (يلدرم اي الصاعقة)

في هذه الفترة تولى الحكم بايزيد الابن الاصغر لمراد مرشح العناصر اليونانية التي اعتنقت الاسلام - وكانت والدته يونانية - في حين كان شقيقه يعقوب مرشح التركمان الذي جرى قتله. وتميز بايزيد بالصلابة والقسوة، فبدأ حكمه باعدام اسرى الحرب الصربيين لا سيما النبلاء منهم. مما اضطر جماعتهم من الصرب للهجرة الى البوسنة والمجر. ثم احتلت الجيوش العثمانية داخل البلاد وعرض ستيفن ابن لازار الصلح مع موافقته ان يكون تابعا للسلطان بايزيد، وان يقوم بتزويد السلطان بالفرق العسكرية وان يتولى بنفسه قيادتها تحت امرة القيادة العثمانية.

وفي عام ١٣٩٢ اكتسح بايزيد الاول ولاشيا، ثم اتجه نحو امارات آسية الصغرى فاحتلها، كما استولى على اضاليا وهي اول ميناء عثماني على البحر المتوسط. وواجه جيوش القرمان (القرم) في محاولتهم السيطرة على الاناضول، فانتصر عليهم بجيشه العثماني وباتباعه من المسيحيين البيزنطيين والصرب والبلغار والولاش.

لقد استطاع بايزيد ان يحول الدولة العثمانية من دولة شبه اقطاعية الى سلطنة اسلامية ذات نظم تقليدية، كما جرى تقوية جيش الباب العالي «قابي قولو» اداة السلطة المركزية.

وفي عام ١٣٩٣ استولى بايزيد على المدن الداخلية الواقعة بين سمسون وانقره ثم تابع حروبه في اوروبا فوصل الى المانيا، واستكمل احتلال بلغاريا، وزود مناطق اخرى اوروبية بحاميات اسلامية، وبذلك تعززت مكانة السكان المسلمين الذين ازدادت اعدادهم على الحدود الشمالية للدولة، وذلك على اثر اعتناق عدد من البلقانيين للاسلام وهجرة عدد من مسلمي الاناضول للبلقان. وفي الوقت نفسه طالب بايزيد الامبراطور البيزنطي ان يعين قاضيا في القسطنطينية للبت في شؤون المسلمين. وبالفعل فبعد محاصرة العاصمة البيزنطية قبل الامبراطور مطالب بايزيد، كما قبل بناء مسجد، وتخصيص (٧٠٠) منزل داخل المدينة للجالية الاسلامية، ثم ما لبث ان سُمع الاذان من المساجد في القسطنطينية التي حول العثمانيون اسمها فيما بعد الى اسلامبول (استانبول).

والحقيقة فقد استطاع بايزيد مواجهة الحروب الصليبية التي تزعمتها المجر وفرنسا وبافاريا وانجلترا وبولنده والنمسا والمدن الايطالية وسويسرا وبوهيما، غير ان بايزيد استطاع بجيوشه ان يهزم هذه الحملات عام ١٣٩٦ في منطقة نيكوبوليس وهي من اهم الاحداث في العصور الوسطى، في الوقت الذي ظهر خطر آخر في مواجهة العثمانيين المتمثل بظهور تيمورلنك (١٣٣٦ - ١٤٠٥) (وهو تركي الاصل) الذي سيطرت جيوشه على مناطق امتدت من دلهي الى دمشق ومن بحر آرال الى الخليج بالاضافة الى فارس وارمينيا واعالي

الفرات ودجلة ومناطق من روسيا. وبالرغم من ان بايزيد ارتفع اسمه عاليا بعد انتصاره على زعماء الحملة الصليبية، غير ان وضعه بدأ يتدهور لا سيما في عام ١٤٠٢ حيث استطاع تيمورلنك هزيمته في معركة انقره، ثم جرى اسره وزوجته الصربية، ثم ما لبث ان مات كمدا في الاسر. وعلى اثر موقعة انقره اجتاح تيمورلنك آسية الصغرى واستولى على نيقية وبروسه وازمير في محاولة منه لكسب العالم الاسلامي الى جانبه بعد ان اتهم بضرب الاسلام حين قضى على بايزيد وجيشه.

والواقع فان هزيمة العثمانيين شجعت الاوروبيين والشعوب الخاضعة للاتراك على التحرك ضدهم، ظناً منهم ان الدولة العثمانية انتهت الى غير رجعة، ولكن العثمانيين رغم هزيمتهم امكنهم لم شتاتهم منذ ان تولى الحكم محمد الاول عام ١٤١٣، فضلاً من ان مراد الثاني ساهم في المحافظة على قوة واستمرار الدولة من خلال اعماله العسكرية والسياسية.

محمد الثاني الفاتح (١٤٥١ ــ ١٤٨١)

في عام ١٤٥١ تولى محمد الثاني (الفاتح) السلطنة، وقد اعطي لقب الفاتح لفتحه القسطنطينية عام ١٤٥٣. وكان هذا الفتح مؤشراً لتمازج حضاري اسلامي - مسيحي - شرقي - غربي، وقد امر الفاتح بتحويل كنيسة آياصوفيا الى مسجد، والى بناء المدارس والمكتبات والتكايا والمؤسسات الخيرية والوقفية، واصبحت القسطنطينية تعرف منذ هذه الفترة باسم استانبول او اسلامبول او الاستانة، واصبحت عاصمة للدولة واهم مركز ثقافي في العالم الاسلامي. ولا شك بان ثقافة محمد الثاني قامت بدور بارز في

تنشيط المؤسسات ومنها الثقافية، فقد عرف عنه اتقانه التركية والعربية والفارسية والعبرية واليونانية واللاتينية.

هذا وقد ابقى السلطان الكثير من المسيحيين واليهود في العاصمة الجديدة، كما نقل اليها الكثير من المسلمين لصبغها بالصبغة الاسلامية، كما انتقل اليها تلقائياً التجار والمثقفين للاستفادة من مزاياها التجارية وانتقل اليها طلاب العلم للاستفادة من الاوقاف الاسلامية التي انشئت خصيصاً لطلاب العلم والمعرفة. كما ظهر محمد الفاتح بمظهر راعي البطريركية الاثوذكسية في استانبول، في مواجهة البابا والكنيسة الكاثوليكية.

كما تميزت هذه الفترة من حكم محمد الفاتح بدخول المزيد من الالبان في الدين الاسلامي الذين عرفوا باسم الارناؤوط والبشناق. وقد اشتهر هؤلاء بحبهم للاسلام والجهاد والقتال، كما قاموا بدور بارز في الميادين العسكرية والمدنية، وظهر منهم الكثير من الوزراء والولاة يأتي في مقدمتهم احمد باشا الجزار ووالي مصر محمد علي واسرته من بعده في اوائل القرن التاسع عشر واسرة كوبريلي. وقد انتشر الالبان في شبه جزيرة الموره، وفي بلاد الشام ومصر، حيث تعربوا وتوطنوا.

ان وفاة السلطان محمد الفاتح عام ١٤٨١ انقذ اوروبا من العثمانيين، سيما وان جيوشه كانت قد دخلت الاراضي الايطالية واحتلت برانديزى في محاولة للتقدم فيما بعد نحو روما. هذا ويعتبر محمد الفاتح المؤسس الحقيقي للامبراطورية العثمانية، فهو اول سلطان عثماني يصدر «قانون نامه» والكثير من القوانين العرفية، وفي الوقت الذي كان فيه محمد الفاتح يتمتع بمثل هذه الصفات في حكم

السلطنة، كان ابنه بايزيد الثاني بخلاف والده من حيث الطموح والجرأة والاقدام، مع ما تميز به عهده من صراعات بينه وبين اخيه «جم».

سليم الأول (١٥١٢ ـ ١٥٢٠)

في عام ١٥١٢ استطاع سليم احد ابناء بايزيد الثاني خلع والده عن الحكم بمساعدة الانكشارية. كما استطاع سليم تصفية اكثر اخوته ثم نصب سلطانا. ولقد تميز عهده فيما تميز به الصراع العثماني ـ الصفوي، بعد ان امن جانب اوروبا بتجديد المعاهدات السابقة معها. فولى السلطان سليم وجهه لمواجهة الشاه اسماعيل الصفوي بالتعاون مع المماليك الذين ضاقوا ذرعاً من الدعوة الصوفية وتخوفوا من امتدادها صوب بلاد الشام والحجاز. وكانت (جالديران) المعركة الفاصلة بين العثمانيين والصفويين في ٢٣ آب (اغسطس) ١٥١٤ وقد انتهت بانتصار السلطان سليم انتصارا باهراً بفضل اسلحته (مدافع، بنادق، بارود) المتطورة وبفضل الانكشارية والـ ١٤٠ الف مقاتل.

لقد استطاع السلطان سليم ان يضم الى املاكه ديار بكر وكردستان وتبريز، كما نقل آلافاً من تجار تبريز وعلمائها وحرفييها الى الاستانة. ولكن استرداد الصفويين لتبريز في عام ١٥١٥ اعاق مشروع العثمانيين في احتلال بقية المناطق الايرانية، بالاضافة الى تململ بعض فرق الجيش العثماني ووفاة بعضهم من جراء الشتاء القارس وعودة فرق السباهية الى اقطاعاتهم الزراعية.

لقد رأى السلطان سليم انه بالرغم من الود المملوكي، لا بد من

القضاء على دولة المماليك قبل القضاء على الصفويين. وبالفعل فقد تقدم العثمانيون عبر الاناضول في ربيع عام ١٥١٦ الى بلاد الشام، وبمعركة وحيدة في مرج دابق، في شمال حلب في ٢٤ آب (اغسطس) ١٥١٦ انتهت دولة المماليك في بلاد الشام، فقد هزم الجيش المملوكي وقتل السلطان قانصوه الغوري في المعركة، فاحتل السلطان سليم حلب وحماه ودمشق ومن ثم جبل لبنان وبيروت ومختلف المناطق الساحلية وفلسطين، وبذلك دانت بلاد الشام للعثمانيين واستمرت على هذا الوضع الى عام ١٩١٨ اي لأربعة قرون متتالية.

وفي مصر اختار المماليك سلطاناً جديداً هو طومان باي، غير ان السلطان الجديد لم يستطع مواجهة العثمانيين، فالتقى الجيشان في الريدانية قرب القاهرة في ٢٢ كانون الثاني (يناير) ١٥١٧، فانتصر السلطان العثماني وقضت الاسلحة النارية العثمانية على ٢٥ الف مملوكي، كما القي القبض على طومان باي الذي تم شنقه على باب زويلة في القاهرة. وبذلك دانت مصر وبلاد الشام والاراضي الشريفة في مكة والحجاز للحكم العثماني، واصبحت الدولة العثمانية الزعيمة الدينية والسياسية والعسكرية للعالم الاسلامي.

سليمان القانوني بن السلطان سليم (١٥٢٠ ـ ١٥٦٦)

تولى سليمان القانوني السلطة بعد وفاة والده، وكان منفتحا واسع الاطلاع على الحضارتين الشرقية والغربية، اشتهر بالتسامح نحو الطوائف غير الاسلامية، كما اتصف بالعدل والانصاف. وقد تهيأ له ما لم يتهيأ لاسلافه، حيث دانت له مناطق جديدة تتسم بالروح الاسلامية والطابع الديني، كما وفرت له موارد اقتصادية متنوعة. واهم

من ذلك كله ان حكمه شهد اصدار الكثير من القوانين والتشريعات، ولهذا لقب بالقانوني. والملاحظ بان سليمان القانوني لم يكتف بما توصل اليه اسلافه من حكم للممالك ومناطق عديدة بل قام عام ١٥٢٢ بالسيطرة على جزيرة رودوس، رداً على قراصنتها الذين كانوا يعتدون باستمرار على السفن الاسلامية بما تحمله من حجاج مسلمين او من مواد غذائية وتجارية. كما استولى سليمان على المجر عام ١٥٢١ وعلى بلغراد. ففي معركة موهاكز قتل ملك المجر و٢٠ الف مجري، ثم سقطت بودابست، ووقع في ايدي العثمانيين مائة الف اسير بيعوا في اسواق النخاسة، وكان استيلاء الجيش العثماني على المجر قد استمر لمدة ١٤٠ عاما. وفي عام ١٥٢٩ زحف سليمان بجيش قوامه ربع مليون جندي على فيينا، ففشل في محاولته التي كررها مرارا، مما دعا الى عقد الصلح بين الطرفين عام ١٥٣٣ في الاستانة.

اما في الشرق فقد انتهز سليمان عقد الصلح مع شارل الخامس في عام ١٥٣٣ لكي يتفرغ لمواجهة الصفويين ويبني اسطولاً جديداً لمواجهة البرتغاليين في المياه الشرقية ولمواجهة الهابسبورغ (ايطاليا) في غربي المتوسط. وكان الصفويون في هذه الفترة يتزعمهم الشاه طهمسب بن اسماعيل الصفوي يثيرون القلاقل في اوساط التركمان في الاناضول، كما كانوا يقومون بممارسات في بغداد والبصرة اثارت حفيظة العثمانيين الذين رأوا من واجبهم كزعماء للعالم الاسلامي التقدم صوب العراق وانهاء تلك الاوضاع. ففي تشرين الاول (اكتوبر) ١٥٣٣ بدأ السلطان سليمان زحفه نحو العراق، فاستطاع احتلال بغداد وكافة المناطق العراقية، وفي حين ان البصرة سقطت عام ١٥٣٨، ثم سيطر العثمانيون على الاحساء عام ١٥٥٥، وبذلك

اكتملت سيطرة سليمان على اراضي الخلافة القديمة.

وفي سبيل مواجهة بعض الاخطار الاوروبية واخطار القراصنة ونفوذ البابوية تحالف العثمانيون مع فرنسا وتوصلوا الى المعاهدة المعروفة باسم «الامتيازات الاجنبية» عام ١٥٣٦، كما تبودلت الرسائل بين الحكومة العثمانية وبروتستانت اوروبا، اوضح فيها العثمانيون بان هناك تشابهاً بين البروتستانتية والاسلام. وتمشياً مع هذه التحالفات اعفي التجار الفرنسيون من الخضوع للقانون الضرائبي العثماني، وطبق عليهم القانون الفرنسي، كما تمتعوا برسوم جمركية مخفضة ومنحوا حق حماية وحراسة الاماكن المقيمين فيها مقابل تمتع تجار الدولة العثمانية بالامتيازات ذاتها. وفيما بعد عقد حلف بين فرنسوا الاول وسليمان القانوني لمواجهة اسرة الهابسبورج. ونتيجة للتطورات الدولية، عقد الصلح عام ١٥٤٠ بين العثمانيين والبندقية، بعد غارات العثمانيين على سواحل ايطاليا وفرنسا واسبانيا، كما عقدت هدنة عام ١٥٤٥ مع اسرة الهابسبورغ (ايطاليا) التي تحولت الى صلح دائم عام ١٥٥٧ . ومن ثم فقد نشط العثمانيون عبر اسطولهم لمواجهة البرتغاليين في البحر الاحمر، كما جرت محاولات لغزو الحبشة المتحالفة مع البرتغال. وقد استطاع العثمانيون فعلاً عام ١٥٥٤ الانتصار على البرتغاليين وطردهم نهائياً من شواطئ البحر الاحمر، بما فيه احتلالهم لميناء مصوّع عام ١٥٥٧. وقد استمر سليمان الى حين وفاته عام ١٥٦٦ حريصاً على ان تكون دولته الاقوى بين الدول. لذا فقد اعتبر اعظم شخصية في التاريخ العثماني حيث وصلت الامبراطورية العثمانية في عهده اوج اتساعها وقوتها براً وبحراً. كما اصدر القوانين واجرى الكثير من الاصلاحات وهو لم يلقب بالقانوني

فحسب، بل وصف بانه «ناصر القوانين السلطانية» وهي العبارة التي نقشت على باب مسجده في استانبول.

الدولة بعد سليمان القانوني

خلف سليم الثاني (١٥٦٦ - ١٥٧٤) اباه سليمان القانوني، ولكن سليم الثاني لم يكن كوالده بل كان يميل بعض الشيء للترف. وبالرغم من ذلك فقد وفق بالوزير محمد صوقوللي (Sokol الباز كلمة سلافية) الذي تلقى تجاربه السياسية والحربية والقانونية منذ عهد السلطان سليمان القانوني، فكان الوزير محمد حائلاً دون انتشار المزيد من الفوضى والضعف، حيث تمت مواجهة النمسا عام ١٥٦٨ ودولة موسكو ١٥٦٨ - ١٥٦٩ . واسترجع اليمن عام ١٥٦٨ - ١٥٧٠ واستولى على جزيرة قبرص، بين عامي ١٥٧٠ - ١٥٧١ وقد تمكن العثمانيون من اعتراض التوسع الروسي وطرد الفرس من القوقاز واذربيجان واستولوا على استراخان وعلى طول طريق الفولجا وعلى قازان، وفي عام ١٥٧٠ احرق محمد صوقوللي وجنوده التتار ضواحي موسكو، غير ان العثمانيين لم يستمروا في سيطرتهم على الاراضي الروسية كثيراً في هذه الفترة.

ومن البحر الاسود تحول العثمانيون الى البحر المتوسط وبالتحديد صوب قبرص حيث تم الاستيلاء عليها عام ١٥٧١، وكعادة الاتراك، فقد نقلوا اليها عدداً كبيراً من اتراك الاناضول الذين لا يزال احفادهم يقيمون في الشطر التركي من الجزيرة القبرصية. وقد رحب القبارصة الارثوذكس بالحكم العثماني لتخلصهم من نير الاضطهاد الكاثوليكي الذي مارسته عليهم البندقية، غير ان الاتراك بدأوا يواجهون تحالف الدول الكاثوليكية بزعامة البابا. وقد استطاع

هذا الحلف انزال بعض الهزائم بالعثمانيين سيما في معركة لبانتو (١٥٧١)، ولكن البندقية وبسبب مصالحها الاقليمية والدولية سرعان ما عقدت معاهدة مع الاتراك تخلت بموجبها عن بقية قبرص، مما شجع الاتراك على مهاجمة صقلية وجنوبي ايطاليا. وفي عام ١٥٧٤ استطاعوا انتزاع تونس من الحفصيين.

والأمر اللافت للنظر انه في الوقت الذي ظهرت فيه الدولة العثمانية بمظهر الدولة العسكرية المحاربة، كانت القصور الملكية الاميرية تتميز بتدخل نساء القصر في شؤون الدولة، وكان القائد محمد صوقوللي قد حافظ على هيبة الدولة، وتولى الصدارة العظمى لمدة خمس سنوات من حكم مراد الثالث الى ان قتل عام ١٥٧٩ نتيجة الخلافات مع القصر.

لقد حاول السلطان عثمان الثاني - الذي قتل على ايدي الانكشارية عام ١٦٢٢ - القيام ببعض الاصلاحات، وحينما تولى مراد الرابع الحكم (١٦٢٣ - ١٦٤٠) قام ببعض الاصلاحات الهامشية في الدولة كتحريم الدخان وشرب القهوة وبعض التنظيمات الادارية والمالية. وفي هذه الفترة وقفت الدولة العثمانية باسره كوبريللي (١٦٥٦ - ١٦٨٣) في عهد السلطان محمد الرابع والسلطان سليمان الثاني، فعلى غرار القائد محمد صوقوللي قامت اسرة كوبريللي بالحفاظ على هيبة الدولة والقيام باصلاحات هامة في مختلف الميادين.

وبعد حركة الاستقرار النسبي توجهت الدولة العثمانية نحو الخارج فاحتلت جزيرة كريت التابعة للبندقية ١٦٦٩ وحاربت النمسا واحتلت اوكرانيا وحاصرت فيينا ١٦٨٣، ونتيجة لكثرة الحروب العثمانية - الاوروبية وما نجم عنها من خسائر اقتصادية وعسكرية، وما

نجم عنها من معاهدات واحتكاكات، رأى السلطان احمد الثالث (١٧٠٣ - ١٧٣٠) اهمية الانفتاح على اوروبا. وللمرة الاولى ارسل سفراء من العثمانيين الى فيينا وباريس، كما اتصل بالسفراء الاوروبيين في الاستانة. وفي هذا العهد بالذات بدأت حركة التمازج ونقل العادات والتقاليد الاوروبية على اوسع نطاق، حيث استعين بالمهندسين الاوروبيين لبناء القصور العثمانية، واصبحت الدور والقصور تزدان بالاثاث الأوروبي. وبدأت حركة الترجمة من اللغات الاوروبية والعربية والفارسية الى التركية. وانتقلت بعض الافكار الاوروبية الفلسفية والاجتماعية والسياسية الى الاتراك سيما الفرنسية منها. كما استخدمت في هذه الفترة المطابع، رغم وجودها واستعمالها قبل القرن السادس عشر في بعض اراضي الدولة العثمانية حيث جرى طبع المؤلفات الدينية لا سيما المؤلفات العبرية والسريانية والارمنية. ففي عام ١٧٢٦ اصدر السلطان احمد الثالث فرماناً امر فيه بانشاء مكتب للطباعة في الاستانة بعد اصدار فتوى شيخ الاسلام، وكان قد تأخر دخول الطباعة الى البلدان الاسلامية مدة ثلاثة قرون، وقد اشترط رجال الدين عدم السماح بطبع القرآن الكريم والمؤلفات الدينية الاسلامية خوفاً من التحريف، في حين سمح بطبع كافة المخطوطات الاخرى. وبذلك بدأت حركة الانفتاح العثماني نحو الغرب الاوروبي.

وفي الوقت نفسه استقدم السلطان محمود الاول (١٧٣٠ - ١٧٥٤) مستشاراً اوروبياً للشؤون العسكرية هو الخبير الفرنسي كلود الكسندر الكونت دي بونفال الذي شهر اسلامه ولقب باسم احمد خمبرجي باشا (المدفعجي خمبره فارسية تعني مدفع صغير) الذي قام

بتنظيم فرقة الخمبرجية وتنظيم الخدمة العسكرية، وقام بانشاء الثكن العسكرية، وبنى مصنعاً خاصاً للمدافع. وبعد تكاثر العمل استعان خمبرجي باشا ببعض الخبراء الفرنسيين والايرلنديين والاسكوتلنديين، فادخل اسلحة جديدة وافتتح مدرسة للهندسة العسكرية (هندسخانة) خصصت للهندسة والعلوم الاخرى، غير ان هذه الاصلاحات والمنجزات تأثرت كثيراً خلال فترة السلم التي حظيت بها الدولة العثمانية بين ١٧٤٧ - ١٧٦٨.

وقد اثر ذلك على وقائع الحرب الروسية - العثمانية التي نشبت عام ١٧٦٨ والتي ادت الى معاهدة كوجك قينارجه (النافورة الصغيرة) (قرية بلغارية جنوب الدانوب) في عام ١٧٧٤، ولما تولى السلطان سليم الثالث الحكم عام ١٧٨٩ حرص على القيام باصلاحات تعيد للدولة قوتها وهيبتها، وبدأت اتصالاته قبل توليه العرش مع الاوساط الفرنسية منذ عهد والده السلطان مصطفى الثالث وعمه السلطان عبد الحميد الاول، وظل على اتصال مع لويس السادس عشر الى ان قامت الثورة الفرنسية ١٧٨٩ وهو العام الذي تولى فيه سليم الحكم، غير ان فرنسا لم تكن مؤهلة كثيراً لاقامة علاقات وطيدة مع السلطان سليم الثالث وقد برز ذلك بوضوح عند محاولة نابوليون احتلال مصر وبلاد الشام في محاولة منه لضرب الانجليز ومصالحهم في المنطقة. ومهما يكن من امر فقد استطاع السلطان سليم الثالث ادخال اصلاحات هامة في الدولة العثمانية مقتبسة من الغرب وذلك في مختلف الميادين العسكرية والقانونية والسياسية الا ان اهم اعماله تكمن في انشاء «الجيش الجديد» الذي عمل فيما بعد الى عزله وكانت من بين العوائق التي واجهت الخبراء

الفرنسيين رفض الانكشارية والسباهية استعمال الاسلحة الجديدة او القيام بتدريبات حديثه ورفض ارتداء الازياء العسكرية المستحدثة.

والحقيقة فقد كانت الانكشارية على الدوام مصدر مقاومة الاصلاحات في الدولة العثمانية ومصدر اغتيال السلاطين العثمانيين. لهذا آثر السلطان سليم الثالث انشاء الجيش البديل الذي عرف باسم فرق «النظام الجديد» وعمل على تدريبه تدريباً حديثاً وليكون البديل عن الانكشارية. وقد تلقى الطوبجية تدريباً جيداً بواسطة الضباط الفرنسيين، وبلغ تعداد قوات الجيش الجديد ٦٠ الف مقاتل تفوقوا على الانكشارية في القوة والتدريب، وكان لهم الفضل في افشال مخططات نابليون في محاولاته احتلال عكا، واخراجه من مصر، ولهم الفضل في القضاء على الكثير من الفوضى واللصوص وقطاع الطرق. وبالرغم من ذلك فقد تآمرت الانكشارية واتفقت مع بعض رجال الدين على قاعدة انه لا يجوز شرعاً اخذ العلوم العسكرية من الاجانب والكفار، وان فرق «النظام الجديد» يعتبر بدعة، وان الاسلام حرم البدع. ومن ثم فقد استمرت الانكشارية ضد الاصلاحات، فخضع السلطان لضغوطهم وعين آغا الانكشارية صدرا اعظم. وفي عام ١٨٠٧ تحررت القوى العسكرية ونشبت ثورة شعبية غوغائية ضد الاصلاح وسادت الفوضى في البلاد، مما اضطر السلطان سليم الثالث للاعتزال، فيما تولى الحكم من بعده السلطان مصطفى الرابع عام ١٨٠٨ الذي قتل عام ١٨٠٧ على يد اعدائه الداخليين.

محمود الثاني (١٨٠٨ ـ ١٨٣٩)

تولى الحكم بعد مقتل، مصطفى الرابع آخر من تبقى على قيد الحياة من آل عثمان هو محمود الثاني (١٨٠٨ ـ ١٨٣٩) الذي سبق

له ان اطلع من السلطان سليم الثالث على خطط الاصلاح، غير ان عهده كان مليئاً بالمشكلات الدولية مثل حروب نابليون والحركة الوهابية والثورة اليونانية، وتوسعات محمد علي باشا في بلاد الشام، وحركات التمرد الداخلية. وبالرغم من هذه المشكلات التي واجهت السلطان محمود الثاني، غير انه استطاع الصمود في وجهها، واستطاع فيما بعد مواجهة الانكشارية والقضاء عليهم عام ١٨٢٦ في العاصمة والاقاليم، على غرار ما فعل محمد علي بالمماليك في مذبحة القلعة ١٨١١، وقد عرفت تلك المعركة التي قضى فيها محمود الثاني على الانكشارية باسم «الوقعة الخيرية».

وقد قضى السلطان علي حوالي ٤ آلاف انكشاري في العاصمة وعلى عدة آلاف في الاقاليم. وبعد القضاء على الانكشارية انشئت قوات جديدة اطلق عليها اسم «العساكر المحمدية المنصورة» التي كانت مهمتها كما اعلن السلطان محمود الثاني هي «حماية الدين والامبراطورية». كما منع السلطان استعمال اسم الانكشارية وحطم اعلامهم، كما حل الطريقة البكتاشية التي ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالانكشارية ولعدة قرون. وبمؤازرة من شيخ الاسلام وكبار رجال الدين اعلن السلطان خروج البكتاشية على القانون، فدمر زواياهم وشنق علنا ثلاثة من زعمائهم ونفى الباقين. كما قضى السلطان على السباهية الاقطاعية وما تبقى من الاقطاعات العسكرية. ومن اصلاحات محمود الثاني تنظيم الاوقاف الاسلامية والقضاء على ما دخلها من مساوئ. وفي عام ١٨٣٤ الغى الضرائب عن السكان الذين كانوا يمرون في الولايات، ونظم جباية الجزية وحسّن مداخيل وثروات الدولة. ومن اصلاحاته تكوين جيش جديد مؤلف من (١٢)

الف جندي مستعيناً بالخبراء الالمان لتنظيم الامور العسكرية وتحسين وسائل الدفاع وتحصين القلاع، ورسم خرائط الحدود. وعلى غرار محمد علي والي مصر، ارسل السلطان محمود الثاني بعثات علمية الى الخارج لتلقي العلوم العسكرية. ثم انشأ مدرستين عاليتين لتعليم القواعد اللغوية، والتاريخ والرياضيات. وانشأ مدرسة اخرى لتعليم القوانين والادب واللغتين العربية والفرنسية والجغرافيا والتاريخ والعلوم السياسية والرياضيات. كما انشأ السلطان مدرسة المعرفة (مكتبي عرفانية) في الباب العالي لتعليم الموظفين اساليب حديثة ليصار الى ترقيتهم.

كما انشأ السلطان محمود الثاني مدرسة لتعليم الطب ومدرسة لتعليم الهندسة العسكرية والبحرية، وانشأ مدرسة للترجمة بعد ان كانت الدولة تعتمد في مراسلاتها على الموظفين المسيحيين العاملين في السفارات الاجنبية. وكانت الدولة قد اهتمت في هذه الفترة باللغة الفرنسية اكثر من سواها من اللغات.

وفي عام ١٨٣١ جرى في عهد السلطان محمود الثاني اول احصاء ومسح للاراضي بهدف تنظيم الضرائب وتنظيم التجنيد كما نظمت عمليات تسجيل الاراضي لاصحابها وهو ما عرف باسم «الطابو» في مقابل اعطاء صاحب الارض «سند خاقاني». وانشأ وزاة للاوقاف لتنظيم الاوقاف والاشراف عليها لما لها من اهمية اجتماعية واقتصادية ومالية وسياسية وعسكرية. ثم ادخل السلطان محمود الثاني البرق الى البلاد وانشأ السكك الحديدية، وانشأ جريدة رسمية هي (تقويم وقائع). واصبح مجلس الوزراء العثماني على نمط مجالس الوزراء الاوروبية من حيث توزيع التخصصات وترتيب الامور الخاصة

بعمل مجلس الوزراء. وكان محمود الثاني من المتأثرين بالحضارة الاوروبية ومظاهرها، فأمر الموظفين الاتراك بارتداء البنطلونات عوضاً عن الزي التركي وفوقها البزات الطويلة الاسلامبولية والطربوش الذي حل محل العمامة. وقد جرى ادخال الطربوش الى الدولة العثمانية عام ١٨٢٧ على يد القبطان باشا خسرو محمد باشا، وفي عام ١٨٢٩ اصبح لبسه اجبارياً لكافة الموظفين، ولم يعد يسمح بلبس العمائم والملابس التقليدية الا لرجال العلم والموظفين الدينيين.

وبكلمة موجزة فقد افسح محمود الثاني في المجال للاقتباس عن الغرب، وما يعتبره البعض اقتباس المؤثرات العلمانية عن الغرب غير ان من الاخطاء الجسيمة التي ارتكبها محمود الثاني انما تتمثل في مماشاته للسياسة الاوروبية للقضاء على الحكم المصري في بلاد الشام ١٨٤٠، لان ذلك ادى الى القضاء على اول وحدة اسلامية عربية بين مصر وبلاد الشام في التاريخ الحديث، غير ان قوات محمد علي استطاعت في ٢٤ حزيران (يونيه) ١٨٣٩ الانتصار في معركة نزيب على الفرات على القوات العثمانية انتصاراً باهراً. وبعد ستة ايام قضى السلطان محمود نحبه قبل ان تصله انباء الكارثة. في وقت اعتبر فيه بعض الاتراك ان وفاة السلطان هي وفاة لسلطان كافر، ومن هنا ندرك لماذا وقف بعض الاتراك الى جانب محمد علي نصير الاسلام، ولماذا التحقت بعض القوات بجيشه. وكان اول رد فعل على تلك الهزيمة اصدار السلطان عبد المجيد خط شريف كلخانة في ٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٣٩ في محاولة لتقوية الدولة وارضاء للدول الأروبية وفي طليعتها انجلترا ولارضاء الاقليات والملل غير الاسلامية، وذلك للوقوف ضد تطلعات محمد علي باشا، وضد التطلعات الروسية في المنطقة

وللحفاظ على الدولة العثمانية. وكما تمخضت حرب ١٨٣٩ عن صدور خط شريف كلخانة، فقد تمخضت حرب القرم بين الدولة العثمانية والحلفاء من جهة وبين روسيا من جهة ثانية عن صدور الخط الهمايوني في ١٨ شباط (فبراير) ١٨٥٦ الذي كانت بنوده متشابهة مع خط كلخانة، باستثناء بند جديد يسمح فيه للمسيحيين بالانضمام للجيش العثماني رغم معارضة المسلمين لذلك. علما ان المسيحيين كانوا بدورهم لا يرغبون بالانضمام لمقاتلة مسيحيين اخرين او للقتال تحت راية الاسلام.

وقد جاءت المساواة القانونية بين مسلمي الدولة العثمانية ومسيحييها في الوقت غير المناسب، وذلك بعد اشتداد ساعد القوميات وانتشارها في القرن التاسع عشر بين الاقليات الدينية التي آثرت الانفصال عن الدولة لا سيما الصرب والبلغار واليونان والارمن ومسيحي بلاد الشام في حين ان المسلمين العرب كانوا آخر من مستهم القومية، وذلك كردة فعل على القومية الطورانية التركية.

عبد العزيز (١٨٦٠ ـ ١٨٧٦)

وفي اطار هذه التطورات ظهرت فئات مثقفة تركية لا سيما منذ ان تولى السلطنة السلطان عبد العزيز عام ١٨٦٠ مكان السلطان عبد المجيد. وقد اطلقت تلك الفئات عام ١٨٦٥ على تجمعها اسم «العثمانيون الجدد او شباب العثمانيين ـ يني عثمان ليلر» وكان هؤلاء ممن سنحت لهم الفرص بتلقي العلم في اوروبا والاغتراف من علومها لا سيما في فرنسا ومن بين هؤلاء: شناسي وضياء ونامق كمال وهو اشهرهم، فاهتموا بالادب السياسي والشعر وباصدار الصحف ومنها: حوادث، ترجمان احوال، مرآة، مخبر، عين وطن وسواها. ونظراً

للمضايقات الحكومية، هاجرت الصحافة التركية الى الخارج لا سيما الى باريس ولندن وجنيف، لممارسة الصحافة والنقد بحرية تامة. وقد ادت التطورات المحلية الى صراعات بين الاتراك انفسهم حول الاصلاحات، وحول ما يجب ان يؤخذ او يترك من الغرب الاوروبي، غير ان حكم السلطان عبد العزيز وافلاس الخزينة عام ١٨٧٥، وآراء ابو الدستور مدحت باشا، والثورات المحلية في البوسنة والهرسك وبلغاريا، وفرض الضرائب الاعتباطية، كل ذلك مهد لاسقاط السلطان عبد العزيز في انقلاب ابيض ايده شيخ الاسلام في ٣٠ أيار (مايو) ١٨٧٦. فتولى الحكم مكانه السلطان مراد الخامس الذي لم يلبث في الحكم الا قليلاً بسبب اضطرابات عقلية وجسدية اصابته. فتولى الحكم من بعده شقيقه السلطان عبد الحميد الثاني ١٨٧٦ ـ ١٩٠٩ الذي يعتبر عصره عصر محاربة الصهيونية والقوى الدولية الطامعة بالاراضي المقدسة وبالدولة العثمانية[1].

والحقيقة فانه من الناحية العملية يعتبر سقوط السلطان عبد الحميد الثاني من الحكم هو النهاية الحقيقية للدولة العثمانية، لا سيما بعد ان تولى الحكم شقيقه السلطان محمد رشاد الخامس (١٩٠٩ ـ ١٩١٨) الذي كان العوبة بيد رجال جمعية الاتحاد والترقي (تركيا الفتاة) العلمانية الموالية للصهيونية، وللقوى الدولية. كما ان نتائج الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) وتولي السلطنة السلطان محمد السادس (١٩١٨ ـ ١٩٢٢) كان بمثابة الاعلان القانوني عن نهاية الدولة العثمانية، ونشؤ تركيا الحديثة عام ١٩٢٣ على يد

(١) للمزيد من التفاصيل الوافية حول هذا الموضوع راجع كتابنا: دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش ١٩٠٨ ـ ١٩٠٩.

مصطفى كمال (اتاتورك ـ ابو الاتراك) (١٩٢٣ ـ ١٩٣٨) الذي كان له اليد الطولى في تعميق العلمانية في تركيا الإسلامية، وفي ضرب الإسلام والحضارة الإسلامية، والقضاء على اللغة والحروف العربية في تركيا واستبدالها بالحروف اللاتينية، ومنع الآذان في المساجد، وتحويل جامع آيا صوفيا الى متحف وطني، وقطع العلاقات التاريخية والدينية بين العرب المسلمين والاتراك المسلمين. وبكلمة اخرى فان ما تعاني منه تركيا الإسلامية اليوم انما بفضل ما أقدم عليه اتاتورك ومن جاء من بعده من علمنة للدولة أكثر تطرفاً من علمنة الدول الأوروبية.

الجذور التاريخية للعلمانية في تركيا والمشرق

تعتبر العلمانية من الظواهر المتأصلة في الغرب الاوروبي، وذلك منذ ما قبل الميلاد، ذلك ان الفكر اليوناني القديم ينطوي على صراع بين الانسان والآلهة، ويظهر ذلك جلياً في ملحمتي الشاعر اليوناني هوميروس «الآلياذة» و«الاوديسة» حيث تظهران الصراع العميق بين الانسان اليوناني والآلهة اليونانية. كما تظهر كراهية الآلهة وتحجيم دورها في آراء ارسطو الذي جعل الاله منعزلاً قاصراً عمله على عملية الخلق، دون اهتمامه وعنايته وتنظيمه للعالم، كما رأى الفيلسوف «زينون» مؤسس المدرسة الرواقية ان الله نزل عن عرشه ودمج في الطبيعة ولا وجود له خارج هذه الطبيعة. اما المدرسة الابيقورية لمؤسسها الفيلسوف «ابيقوروس» فانه يرى ان لا مبرر لاحترام الآلهة او الخوف منها، وان ليس هناك حياة بعد الموت.

ومن هنا نرى ان الغرب الاوروبي وجد تربة خصبة للالحاد وللعلمانية في العصور المسيحية الاولى وفي العصور الوسطى وفي العصور الحديثة. ومما شجع في تكريس هذه التيارات والاتجاهات

العلمانية الاوضاع الدينية والاقطاعية والسياسية في اوروبا، من بينها انتشار الحكومات الدينية وسيطرة الكنيسة ورجال الدين الذين ادعوا ان مفاتيح السماء والجنة حكراً عليهم، لذا فرضوا على الرعايا الطاعة العمياء التي ادت الى نفور الشعب من هذا الظلم وهذه السياسة التي فرضت ايضاً السيطرة على العقول، ووقفت ضد كل ابداع علمي وفكري. ومما شجع الشعوب الغربية على النفور من الدين المحاولات المستمرة من الحكام ورجال الدين في إثارة الفتن الدينية والطائفية والمذهبية بين المسيحيين انفسهم لا سيما الحروب المدمرة بين الكاثوليك والبروتستانت.

وفي الوقت الذي كانت فيه اوروبا تعاني من استغلال الدين، وتعاني من الحكام الذين استغلوا الدين لتحقيق مآربهم وتجميد عقول الناس، مما مهد لغالبية الاوروبيين من التوجه نحو العلمانية، في هذا الوقت نرى ان العرب والمسلمين لا سيما في العصور الوسطى يبدعون ويؤلفون ويخترعون ويبتكرون ويترجمون، الأمر الذي ادى الى بروز حضارة عربية اسلامية مستنيرة تشع على العالم، وبرزت الحرية العلمية والفكرية الامر الذي ادى الى بروز علماء في ميادين الطب والهندسة والكيمياء والفيزياء والرياضيات والموسيقى والفلسفة وسواها. ومما يؤكد على الحرية العلمية والفكرية في الدولة العربية والاسلامية الندوات العلمية التي كانت تعقد بين علماء من مختلف المذاهب والتيارات السياسية والمذهبية. ففي احد المرات اجتمع في البصرة عشرة علماء هم: الخليل بن أحمد صاحب النحو (وهو سني) والحميري الشاعر (وهو شيعي) وصالح بن عبد القدوس (وهو ثنوي) وسفيان بن مجاشع (وهو خارجي صفري) وبشار بن برد (وهو

شعوبي) وحماد عجرد (وهو زنديق شعوبي) وابن رأس الجالوت (وهو يهودي) وابن نظير (وهو نصراني) وعمر بن المؤيد (وهو مجوسي) وابن سنان الحراني (وهو صائبي) وكان هؤلاء يتحاورون ويتجادلون بكل حرية وعلانية رأي دون حساسية، ودون الشعور في الاختلاف في ديانتهم ومذاهبهم وعقائدهم، وينتهون الى اهم الآراء والافكار.

لا شك بان الاوروبيين الذين كانوا يعانون من وطأة الجهل والتعصب والفقر والمرض احتكوا بالحضارة الإسلامية عبر معابر حضارية ثلاثة: الاندلس، بلاد الشام في فترة الحروب الصليبية، صقلية. وبواسطة هذه المعابر الثلاثة انتقلت الحضارة العربية الاسلامية الى اوروبا، ومنذ ذلك الحين بدأت اوروبا تشهد نهضة علمية وحضارة بفضل احتكاكها بالعرب والمسلمين.

ومن الأهمية بمكان القول، ان الاختراقات الغربية للولايات العربية في العهد العثماني ادت الى تسرب بعض الافكار العلمانية. ونتيجة للامتيازات الاوروبية، ونتيجة لضعف الدولة العثمانية، بدأت بعض الافكار الغربية تنتقل الى تلك الولايات والى علمائها الذين تأثروا «بالأوربة» (اي الفكر الاوروبي) ومن بين هؤلاء رفاعة رافع الطهطاوي وعلي مبارك وعبد الله النديم ومحمد عبده وسعد زغلول وطه حسين وسواهم.

وكان انفتاح والي مصر محمد علي باشا على اوروبا وتحديداً على فرنسا منذ بداية القرن التاسع عشر مؤشراً هاماً لتأثير الفكر الغربي على مصر والشرق العربي وسار على نهج «التغريب» ابناء محمد علي من بعده الذين اعجبوا بالحضارة الغربية ومظاهرها. ومما يلاحظ بان السلطان العثماني محمد الثاني قد تأثر كثيراً بالغرب، واجرى

اصلاحات في الدولة العثمانية على النمط الاوروبي.

وفي عهد السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ - ١٩٠٩) شهدت البلاد بروز حركة علمانية وقومية تركية في آن واحد، تمثلت بجمعية الاتحاد والترقي وجناحها السياسي «تركيا الفتاة». وهذه الحركة كانت تؤمن بضرورة الاعتماد على العنصر التركي اعتماداً رئيسياً، وفصل الدين عن الدولة، وإضعاف العنصر العربي خاصة والإسلامي عامة، بتشجيع واضح من اليهود الاتراك والحركة الماسونية وجماعة الدونمة وهم اليهود الذين اعتنقوا الإسلام ظاهراً وبقوا على يهوديتهم سراً.

لذا نرى ان الحركة العلمانية في تركيا بالتعاون مع جمعية الاتحاد والترقي والحركة الصهيونية والدونمة والقوى الدولية عملوا على خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش عام ١٩٠٩ لأنه رفض انشاء وطن قومي يهودي في فلسطين، ورفض جميع عروض واغراءات الزعيم الصهيوني تيودور هرتزل الذي نصح قبل وفاته عام ١٩٠٤ بضرورة التآمر على السلطان العثماني وخلعه عن العرش.

وبالفعل فقد استطاعت القيادات العلمانية في استانبول من تولي القيادة السياسية والعسكرية، وابقت على السلطان كدمية يستخدمونها في مآربهم الخاصة، وكان السلطان محمد رشاد الخامس من بين هؤلاء. ولما نشبت الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ - ١٩١٨) وانفصلت الولايات العربية عن الدولة العثمانية المنهارة، فمن جهتها خضعت الولايات العربية لكل من فرنسا وبريطانيا، في حين اصبحت تركيا دولة قائمة بذاتها ليس لها ولايات تابعة لها سواء في الشرق أو الغرب، وبدأت تتخذ العلمانية مبدأ وعقيدة وشعاراً لها لا سيما بعد

اعلان انهاء الخلافة الإسلامية فيها في عام ١٩٢٤ تأكيداً للسيادة العلمانية على جميع المناطق التركية. ولهذا فعندما تسلم مصطفى كمال (اتاتورك اي ابو الاتراك) السلطة عمل على فصل الاتراك فصلاً تاماً عن الإسلام والحضارة الإسلامية، ومن بين ممارساته وقراراته العلمانية:

١ ـ الغاء الخلافة الإسلامية.

٢ ـ الغاء الحجاب بالقوة وفرض السفور.

٣ ـ الغاء اللغة العربية والحرف العربي واستبداله بالحروف اللاتينية.

٤ ـ منع لبس الطربوش.

٥ ـ منع تلاوة القرآن الكريم ومنع رفع الاذان من على المساجد.

٦ ـ اقصاء الشريعة الإسلامية عن الدولة ومؤسساتها.

٧ ـ تبني الانظمة والقوانين المدنية.

٨ ـ تبني واعتماد انظمة التعليم العلمانية.

٩ ـ الغاء التقويم الهجري واعتماد التقويم الجريجوري منفرداً.

١٠ ـ جعل العطلة الاسبوعية يوم الأحد بدلاً من يوم الجمعة.

١١ ـ تحويل جامع آيا صوفيا وجامع السلطان محمد الفاتح الى متحفين ومنع الصلاة فيهما.

١٢ ـ إذلال رجال الدين والفئات المعممة.

١٣ ـ تقريب اليهود والقوى الاجنبية لا سيما البريطانية.

١٤ ـ اغلاق المدارس الدينية.

والحقيقة فان اتاتورك عمل ما بوسعه للقضاء على الإسلام ومظاهره في تركيا، والتقرب ما استطاع نحو الغرب. وهذا الرجل ما زال حتى الآن له الكثير من المؤيدين والمعجبين من الاتراك لا سيما في صفوف الجيش الذي تربى تربية علمانية. وكان خليفته «عصمت اينونو» مخلصاً لأتاتورك ولعلمانيته ولآرائه ومبادئه المناهضة للاسلام وللعرب الى ان جاء رئيس الوزراء «عدنان مندريس» الذي حاول تخفيف الاحتقان فأعاد السماح بتلاوة القرآن الكريم والآذان باللغة العربية، وأعاد فتح المدارس الدينية، غير ان ذلك لا يعني الغاء العلمانية والانفتاح التام نحو الإسلام. بل استمرت تركيا دولة علمانية مؤمنة بالمبادئ الكمالية، متحالفة مع الغرب واسرائيل معاً.

استمر هذا الواقع بين أخذ ورد الى ان بدأ الاسلاميون في تركيا بالنهوض تباعاً، فقد تمكن نجم الدين اربكان (رئيس حزب الرفاه الإسلامي فيما بعد) وكتائب مسلم من الوصول الى منصب الرجل الثاني في الحكومة بتحالفه مع حزب الشعب عام ١٩٧٧، غير ان العسكريين العلمانيين لم يتحملوا وصول المسلمين الى الحكم، فقاموا بانقلاب عام ١٩٨٠، وتم حل البرلمان والغاء الاحزاب السياسية. وقد حاكم العسكريون اربكان واعضاء حزب «السلامة» بتهمة العمل على اقامة دولة اسلامية وتطبيق الشريعة وافتتاح مدارس للقرآن الكريم، واعادة فتح جامع آيا صوفيا امام المصلين، وتحويل العطلة الرسمية الى يوم الجمعة، واعادة العمل بالحروف العربية.

ومن الاهمية بمكان القول ان الصراع بين الاسلام والعلمانية في تركيا ما يزال مستمراً، فبالرغم من ولاء العسكر لمبادئ اتاتورك،

غير ان وصول اربكان لرئاسة الوزراء بين ١٩٩٦ - ١٩٩٧، يبشر بالتقدم في مجال النهضة الإسلامية. وبالرغم من اقصائه عن الحكم، غير ان بعض القيادات العسكرية بدأت تظهر ميلها نحو الإسلام، وهي الفئة التي اقصيت عن الجيش وقيادته. وبالرغم من ان العلمانيين في تركيا يقومون اليوم باغلاق المدارس الدينية وقاموا ايضاً بحل حزب الرفاه في ١٦ كانون الثاني (يناير) ١٩٩٨، ومنع اربكان وبعض النواب المسلمين من العمل السياسي لمدة خمس سنين، فضلاً عن فصل السيدة قاووقجي من المجلس النيابي عام ١٩٩٩، بسبب ارتدائها للحجاب، فبالرغم من ذلك فان فئات واسعة من الشعب التركي بدأت تميل ميلاً واضحاً نحو الاسلام ونحو الشريعة الإسلامية. ولا شك بان الصراع سيستمر بين الإسلام والعلمانية في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية والاعلامية والثقافية، غير ان الاسلاميين الاتراك يجدون في جذورهم الإسلامية وفي القطاعات الشعبية مجالاً رحباً للانتصار على العلمانيين متخذين في ذلك سياسة العمل الدؤوب، والصبر والتأني، واعادة الانتماء الى الاسلام منهاجاً، ونشر الفكر الإسلامي في مواجهة الفكر العلماني.

الفصل الثاني

ايـــران
(الجمهورية الاسلامية الايرانية)

ايــران

جغرافية وسكان إيران

تقع إيران في قارة آسيا في منطقة من أهم المناطق الاستراتيجية والجغرافية عاصمتها طهران. يحد إيران من الشمال بلاد القوقاز وبحر الخزر والتركستان الروسية، ويحدها من الشرق أفغانستان وباكستان، ومن الجنوب، بحر عُمان ومضيق هرمز، ومن الغرب العراق وتركيا. يحيط بإيران روسيا والمناطق السوفياتية السابقة التي تمتد حدودها في شمال إيران أكثر من ألفي كيلومتر، وأفغانسان، والعراق وتركيا في الغرب، ومعنى ذلك أن تلك الدول المحيطة بها هي بمثابة بؤر للتوتر والخلافات التاريخية منذ القدم.

تبلغ مساحة الجمهورية الإسلامية في إيران ١,٧٠٠,٠٠٠ كيلومتر مربع، أما عدد سكانها حسب إحصاء أجري قبل الثورة الإسلامية، فقد بلغ عدد السكان حسب إحصاء عام ١٩٧٧ ما مجموعه ٣٣,٥٩١,٨٧٥ نسمة، بينهم نحو مليون ونصف مليون كردي يقطنون كردستان الإيرانية، ونحو نصف مليون في مقاطعة بلوخستان، ونحو نصف مليون تركماني يسكنون صحراء التركمان. وبين الأكراد السنة عدد كبير من الشيعة يقطنون منطقة كرمنشاه. كما

أن فيهم عدداً من العلويين الذين يطلقون على أنفسهم اسم «أهل الحق» وهم جزء من نحو مليون ونصف مليون علوي يسكنون ضواحي كرمنشاه وكرند وذهاب وزنجان وقزوين وفي طهران ذاتها وضواحيها. كما أن في إيران عدداً من الإسماعيليين الأغاخانيين أكثرهم في مناطق خراسان وكرمان[1].

ويوجد في إيران طوائف غير إسلامية من الزرادشتيين والمسيحيين الأرمن والأشوريين والبهائيين واليهود. وتنتشر هذه الطوائف في طهران ويزد وكرمان وشيراز وأصفهان وتبريز ومراغة ومناطق أخرى.

أما المناخ في إيران فيعتبر معتدل نسبياً، يشبه مناخ البحر المتوسط، غير أن البرودة تشتد شتاءً لا سيما في الأقاليم الشمالية والغربية التي تشهد تساقط الثلوج في المناطق المرتفعة. كما أن سواحل الخليج تشهد الحر الشديد. ويبلغ معدل ارتفاع هضبة إيران نحو ألف وتسعمائة قدم.

وتعتبر الزراعة في إيران من أهم القطاعات الاقتصادية نتيجة لخصوبة تربتها واهتمام السكان بهذا القطاع، ذلك أن أكثر سكان إيران يعملون في الزراعة أو في المهن أو القطاعات المتصلة بها. يوجد في إيران أكثر من ٣٣,٠٠٠,٠٠٠ هكتار من الأراضي الزراعية يزرع فيها مختلف أنواع الزراعات لا سيما القمح والقطن والأرز والشمندر والعنب والبندق والجوز واللوز والفستق وأنواع

---

(١) السيد حسن الأمين: ثورة إيران في جذورها الإسلامية الشيعية، ص ٥، ملف النهار ـ بيروت ١٩٧٩.

الطرق الرئيسية في الولايات الشرقية .. في عهد الخلافة العباسية.

(هذه الخريطة وبقية الخرائط اللاحقة نقلا عن: بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية).

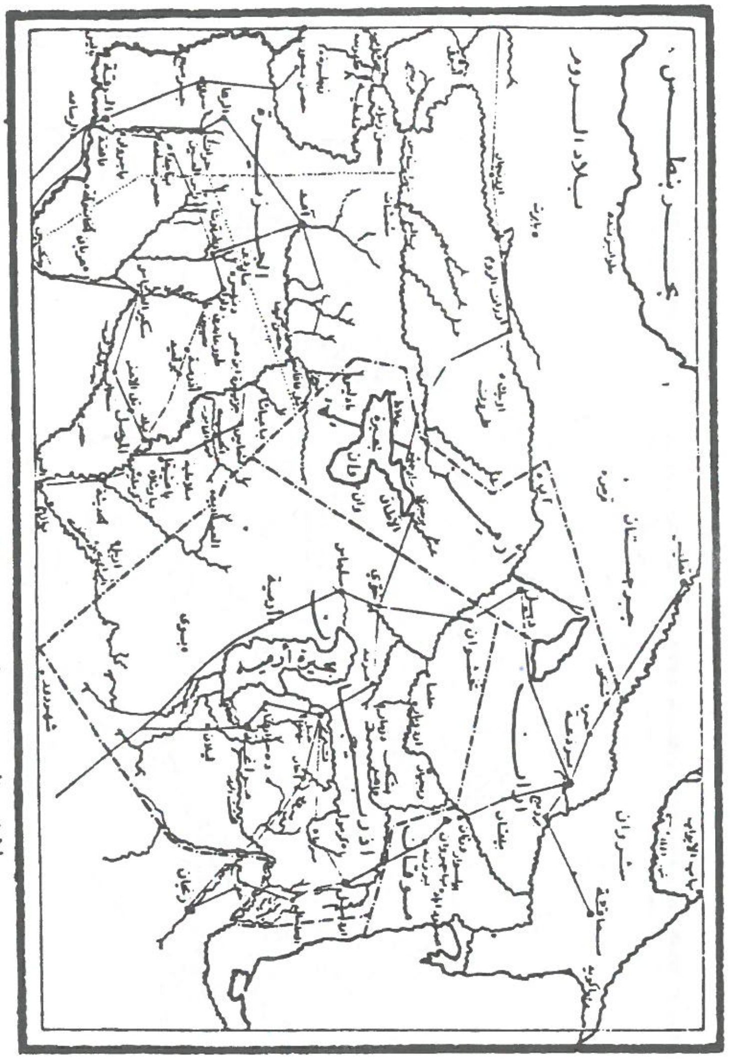

ولايات الثغور في الشمال الغربي.. مع قسم من الجزيرة وأذربيجان.

البطيخ والجوت والليمون والخضراوات والفواكه. أما التمر فيعتبر من أهم المنتجات الإيرانية. وتواجه إيران مناطق صحراوية كبيرة تصعب فيها الزراعة بشكل جيد منها صحراء «لوت» وصحراء «كوبر» وصحراء «التركمان». فالصحراء واسعة في إيران لا سيما في المناطق الوسطى والشرقية[١].

أما فيما يختص بالصناعة في إيران، فإنها ارتبطت منذ سنين بعيدة بالزراعة وبالحرف والمهن، ثم بدأت تتطور تباعاً مع اكتشاف البترول منذ عام ١٩٠٨، بحيث نشأت صناعات بترولية. كما تهتم إيران بالصناعات الكيمائية والصناعية والمنسوجات والألبسة والصناعات الحريرية والقطنية والصوفية بالإضافة إلى صناعة الأثاث والأخشاب والصناعات الذهبية والفضية والنحاسية والحلي وسواها من صناعات متنوعة[٢].

هذا وقد كان للشعب الإيراني دور فاعل في الحياة العلمية الإسلامية، وبات جزءاً حيوياً في ميدان العلوم عند العرب والمسلمين.

دور إيران في الحياة العلمية في العالمين الإسلامي والعربي

أفرزت فارس الإسلامية عدداً وفيراً من الأئمة والعلماء والأدباء والمفكرين، قاموا بدور بارز في نهضة العلوم عند العرب والمسلمين. ولا شك بأن الإسلام هيأ للفرس (للإيرانيين) عملية البحث والتنقيب والتأليف. ولهذا لا يمكن أن ينكر ما للمسلين الإيرانيين من دور في الحياة العلمية في العالمين الإسلامي

(١) السيد حسن الأمين، المرجع السابق، ص ٦.
(٢) اهتمت إيران بإقامة معارض لمصنوعاتها المتنوعة منها معارض بيروت في عامي ١٩٩١-١٩٩٢ والتي شهدت إقبالاً شديداً من الجمهور اللبناني.

والعربي. فابتدأ دورهم يظهر في العهد الأموي، غير أن دورهم الفاعل كان في العصور العباسية. فقد سبق لإبراهيم الفزاري أن ترجم للمنصور كتاب الفلك الهندي المعروف باسم «السند هند» ثم جاء محمد الخوارزمي (من خوارزم) فلخصه للمأمون. والخوارزمي هو الذي اقتبس كتاب بطليموس في صورة الأرض وأضاف إليه، ووضع أول كتاب مستقل في الجبر. ومن هنا فإن اسمه لا يزال خالداً إلى اليوم في كلمة (Algorithm)(١). وقد اخترع الخوارزمي نظريات وطرقاً جبرية لتسهيل عمليات الجبر، لا سيما المتعلقة منها بعلم الميراث (علم الفرائض) فألف كتاباً مشهوراً باسم «الكتاب المختصر في حساب الجبر والمقابلة»(٢). وقد ساهم في تطور الرياضيات مع الخوارزمي كل من العلماء: الكرخي، الطوسي، البيروني وعلماء من المناطق والمدن العربية والإسلامية الأخرى.

ويعتبر صحيح بخاري ومسلم من أهم الأسانيد المعتمدة في مجال الحديث الشريف. وكان خلف بن أحمد أمير سجستان وإسماعيل الساماني أمير بخارى كانا يرويان الحديث تبركاً واعتزازاً. ونهض الإمام أبو حنيفة بعلم الفقه فأدخل فيه الرأي والقياس، واستطاع بذلك أن يجعله علماً له أسس وقواعد كسائر العلوم(٣). وكانت نيسابور أول مركز علمي هام في خراسان ظل محتفظاً بمكانته حتى زمن السلجوقيين الذين اتخذوا مرو عاصمة

---

(١) كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٢٠٣-٢٠٤.
(٢) للمزيد من التفصيلات أنظر: د. ماهر عبد القادر، د. حسان حلاق: تاريخ العلوم عند العرب، ص ١٩٦-١٩٩.
(٣) السيد حسن الأمين: ثورة إيران، ص ٢٢.

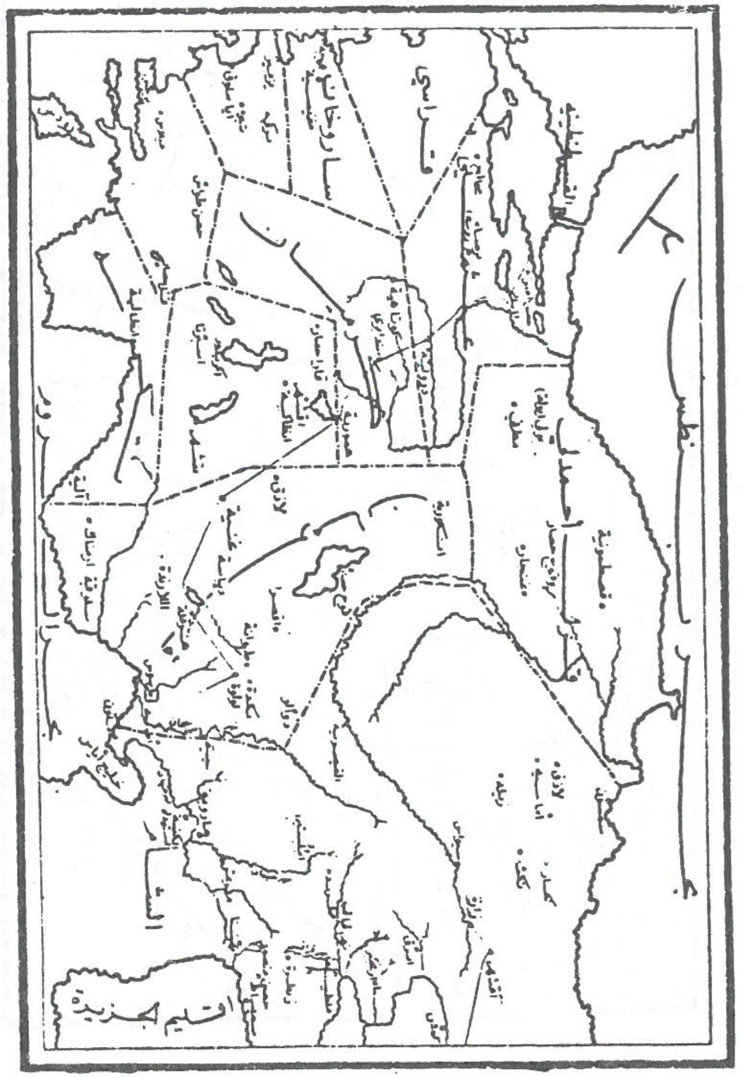

ولاية «بلاد الروم»

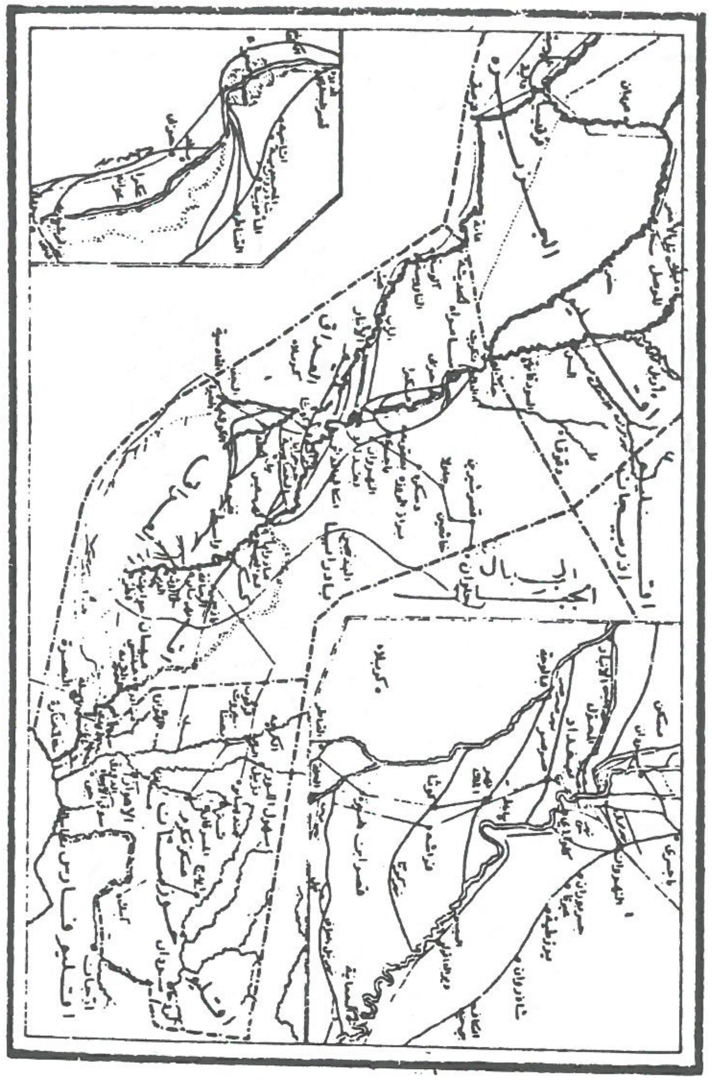

ولايتا العراق وخوزستان وقسم من ولاية الجزيرة.

لهم، وانتقلوا بعد ذلك إلى أصبهان. ومن الأئمة العلماء المشهورين الفقيه النيسابوري (من نيسابور) الذي ترجم له ابن خلكان.

وكانت في بخارى عاصمة السامانيين مكتبة هامة ورد ذكرها في أخبار ابن سينا، وابن سينا نفسه حصل على علومه ومعارفه كلها في بخارى، وبرز في الفلسفة أيضاً البلخي والرازي. وكان من الصعب تصنيف العلماء المسلمين في علم واحد قائم بحد ذاته، لأن أكثرهم عملوا في أكثر من علم.

هذا وقد أنجبت خوارزم شخصيتين من أعظم الشخصيات العلمية في الإسلام هما: الزمخشري في العلوم النقلية وأبو الريحان البيروني أستاذ العلوم العقلية وأول من أدخل منهج المقارنة في العلم. ومن الأطباء المسلمين الفرس البارزين إسماعيل الجرجاني ومن العلماء الفلاسفة الإمام الرازي والإمام الغزالي. ومن علماء الرياضيات الشهير عمر الخيام الذي بنى الزيج المعروف باسم الزيج الملكشاهي، وهو الذي أدخل إصلاحاً جديداً في التقويم الفارسي - التقويم الجلالي[1]. كما برز في الأدب ابن المقفع وبرز الكثير من الشعراء بالفارسية والعربية.

وممن برز في العلوم العقلية بعد ابن سينا العالم نصير الدين الطوسي الذي ساهم مساهمة فاعلة في إنقاذ التراث الإسلامي في فترة حكم المغول. وكان أبو زيد البلخي قد وضع مصوراً جغرافياً، وجعله ذيلاً لأطلس إسلامي سبق أن وضعه الخوارزمي.

(١) السيد حسن الأمين، المرجع السابق، ص ٢٥، بروكلمان، المرجع السابق، ص ٢٧٦.

ومن الأعلام الذين عرفوا بكتاباتهم التاريخية أبو جعفر محمد بن جرير بن كثير الطبري (٢٢٤-٣١٠ هـ) من طبرستان في قزوين، الذي اشتهر في تفسيره الجامع للسنن وفي تاريخه الموسوعي «تاريخ الرسل والملوك» أو «تاريخ الأمم والملوك» وهو موسوعة شاملة للتاريخ[1]. وكذلك أبو الفضل محمد بن حسين البيهقي (من بيهق في خراسان)(٣٨٥-٤٧٠هـ، ٩٩٥ - ١٠٧٧م) الذي اشتهر بالسنن وكتاب تاريخ البيهقي[2]. ومن الأعلام الذين عرفوا بكتاباتهم التاريخية في عهد سلاطين المغول المسلمين حمد الله المستوفى القزويني (ت ٧٥٠ هـ) وفي علم الهيئة والمراصد بزر نصير الدين الطوسي صاحب مرصد مراغة، ومنهم العالم قطب الدين الشيرازي. ومن أطباء العهد المغولي الإسلامي رشيد الدين فضل الله الهمداني الذي اشتغل بعدة علوم غير الطب[1].

وبما أننا لسنا هنا بصدد فهرسة شاملة للعلماء المسلمين الفرس ولمصنفاتهم العلمية فإن بإمكان الباحث أو الدارس أو القارىء الاطلاع على كتاب الفهرست لابن النديم، والفهرست للطوسي وعلى كتاب ابن أبي أصيبعة «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» وعلى مصنفات الفهارس العلمية القديمة حتى يتبين مدى مساهمة العلماء المسلمين الفرس إلى جانب أخوانهم من العلماء المسلمين العرب

(١) أنظر: حسان حلاق: مناهج الفكر والبحث التاريخي، ص ٣٥١-٣٥٧.

(٢) حسان حلاق، المرجع نفسه، ص ٣٥٨-٣٦٦.

(١) للمزيد من التفصيلات عن دور الفرس في الحياة العلمية وعن الحياة الثقافية عند الايلخانيين ومظاهرها الإسلامية أنظر: د. محمد أحمد محمد: إسلام الايلخانيين، ص ١٠٦-١٢٩، شركة الصفا - القاهرة ١٩٨٩.

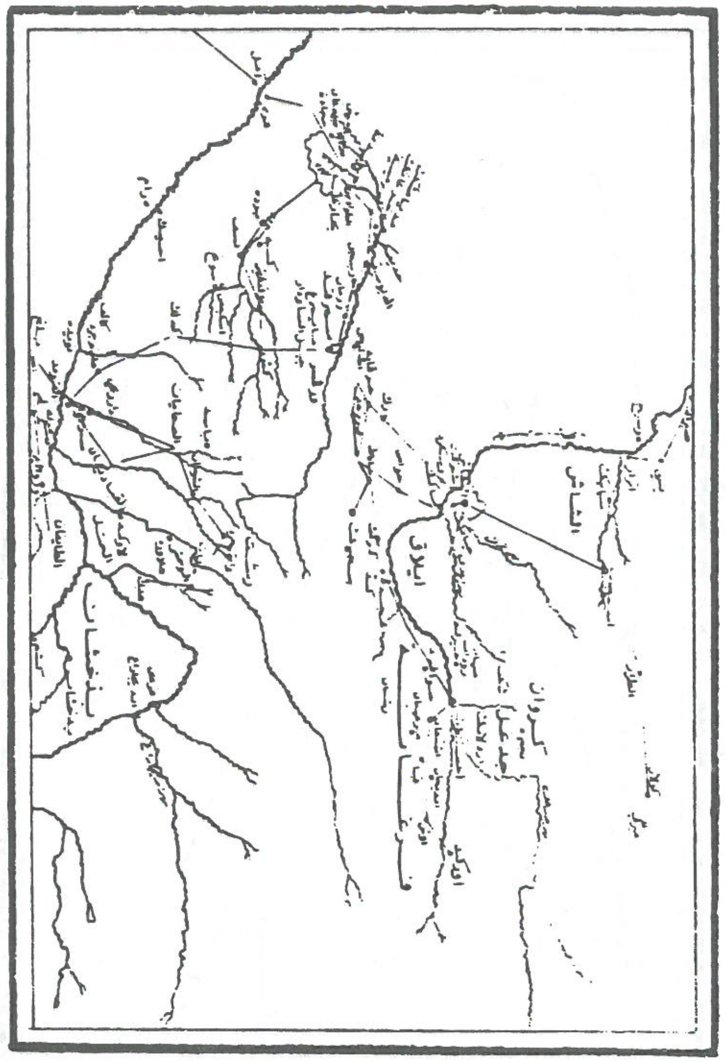

ولايتا سيحون وجيحون.

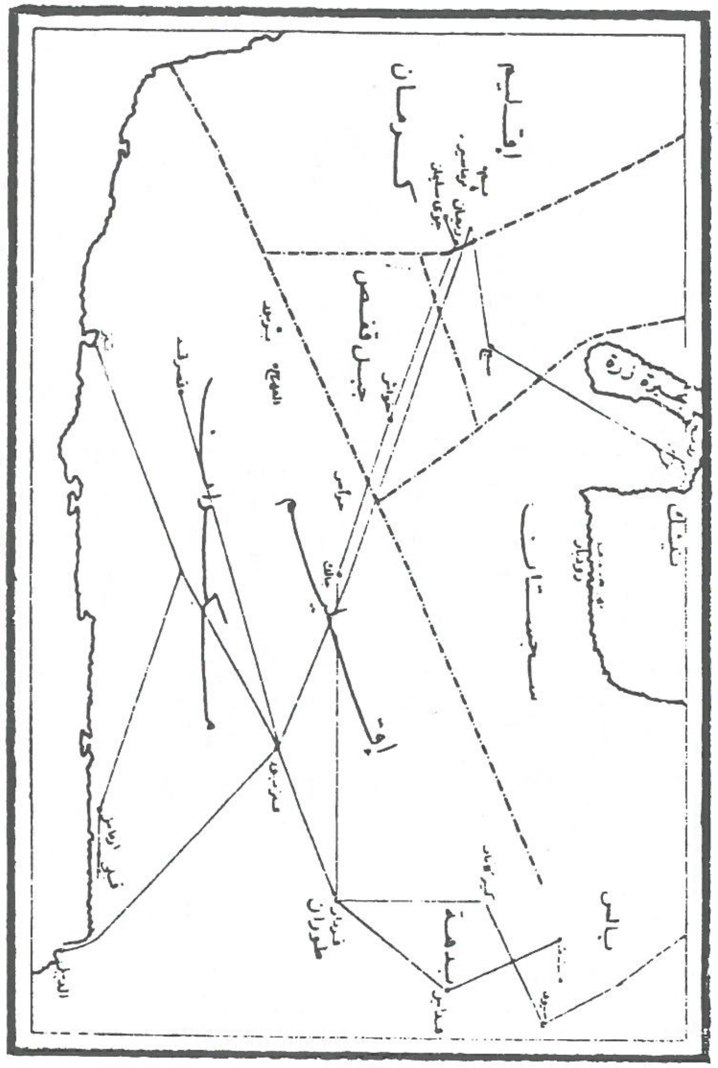

ولاية مكران مع جزء من ولاية سجستان

في تطور العلـوم: في الطب والهندسة والعمارة والرياضيات والفلك والتقويم والفيزياء والكيمياء والفلسفـة والأدب والشعر والمـوسيقى والصيدلة والعلوم كافة.

لمحة تاريخية

تعتبر البلاد الفارسية موطن الآريين القدماء وموطن لحضارات قديمة حيث تعـرضت هذه البـلاد لموجـات يونـانية وروما‌نية كمـا تعـرضت البلاد لمـوجات مجـوسية وتـأسست في تلك البلاد دول عديدة منها الدولة الميدية غير أن أهم هذه الدول في التاريخ القديم مـا أسسه «كـورش» عـام ١١٨١ ق.م. وعـرفت دولتـه بـالـدولـة الأخمينية وهو الذي اعتنق الديانة الزُرداشتية وتـوسعت الدولـة في عهده مسافات عديدة وفي عهد ابنه «قمبيز» ثم فتح مصر وفينيقيـا (البلاد السورية) وخضعت له مناطق عديدة في الشرق والغرب[1]. وكانت الامبراطورية الفارسية قد أصبحت الدولة الأولى في المنطقة وكانت دولة الفرس ودولة الروم تتنازعان على مناطق النفوذ إلى أن ظهر الإسلام وبدأ يتسع نفوذه وسيطرته وبدأت بالمقابـل قوة دولـة الفـرس ودولة الـروم تتضاءل في المنـطقة وانتصـر المسلمـون في

(١) للمزيد من التفصيلات عن الحضارة الفارسية أنظر كتابنا: ملامح من تاريخ الحضارات، ص ١٠١ ـ ١٠٧، أنظر أيضاً:

Dicks, B; The Ancient Persians, London 1979.

- Browne, E.G; A Literary History of persia, Cambridge 1964.

- Olmstead, A.T.e; History of the Persian Empire, Chicago 1948.

وللمزيد من التفصيلات عن تاريـخ إيران انـظر: د. عبد العـزيز نـوار: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٢٢٠ وما يليها من صفحات.

معارك عديدة خاضوها ضد الفرس مما سهل انتشار الإسلام في الامبراطورية الفارسية واعتبر كسباً للمسلمين الذين ازداد عددهم[1]. وفي عهود الخلفاء الراشدين وفي العهود الأموية والعباسية والفاطمية وسواها من العهود الإسلامية تبين بأن المسلمين الإيرانيين قاموا بدور بارز في الميادين السياسية والعسكرية والاقتصادية والعلمية حيث اندمجوا في المجتمعات العربية والإسلامية وقد تعرضت إيران والمنطقة إلى غزوات في العهود الإسلامية منها غزوات المغول واجتياح تيمورلنك للمنطقة بقيادة جنكيزخان وقد أزال حفيد جنكيزخان القائد هولاكو الدولة العباسية في بغداد واستمر في تقدمه نحو الغرب، غير أن المغول هزموا فيما بعد في معركة عين جالوت في فلسطين عام ٦٥٨ هـ ١٢٦٠ م أمام المماليك الذين حلت دولتهم مكان الدولة الأيوبية. ومن استقر من المغول في أرض الإسلام اعتنق الدين الإسلامي وأصبح جزءاً من المسلمين وبعد هذه الفترة برزت الأسرة الصفوية نسبة إلى «الورع التقي صفي الدين المتوفى عام ١٣٢٨ م» ثم برز الشاه إسماعيل الصفوي بين جوٍ من النزاعات الداخلية فاعتمد على القوى العسكرية التركية ويقال إن أصله تركي واعتمد إسماعيل على القبائل الفارسية الأفغانية مثل قبائل شاملو وذو القدر وقاجار وأفشار وسواها. وكان أول هجوم شنه الشاه إسماعيل الصفوي ضد منطقة باكو في أذربيجان واحتل تبريز وأعلن نفسه رسمياً شاهاً على فارس فأصبح بذلك زعيماً روحياً ودنيوياً في آن واحد ورائداً للمذهب الاثني عشري في إيران. واجهت الشاه إسماعيل عدة قوى منافسة له تمثلت بالقوى التالية:

(١) أنظر: Girshman, A; L'Iran des Origines à L'Islam Paris 1951.

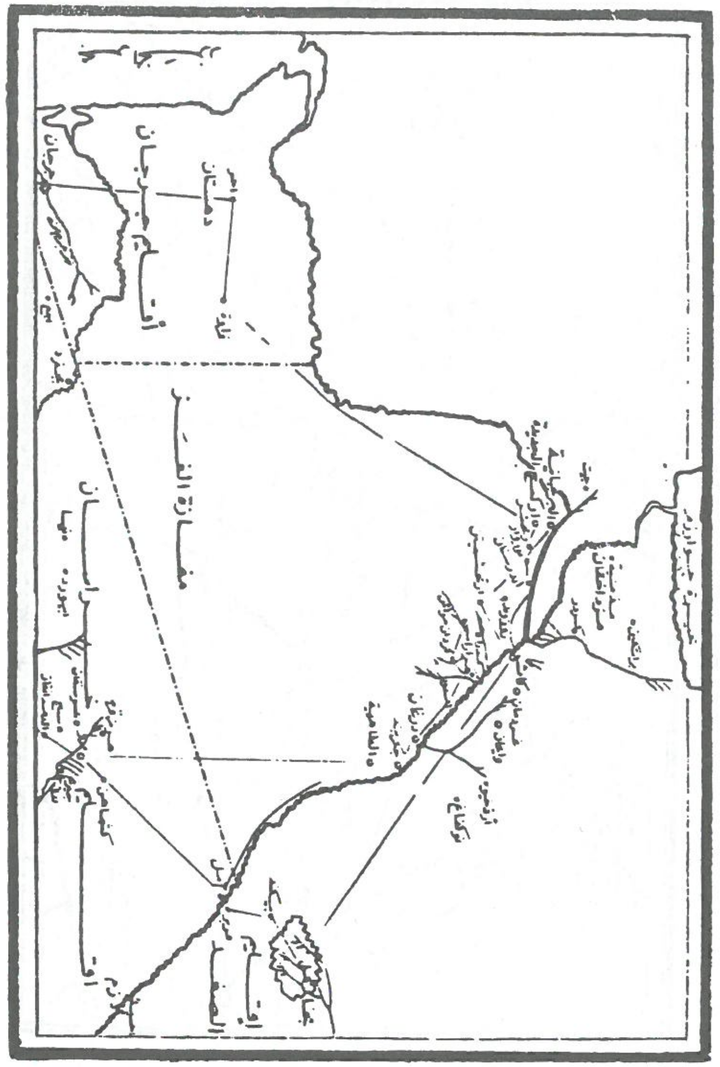

ولاية «خوارزم»

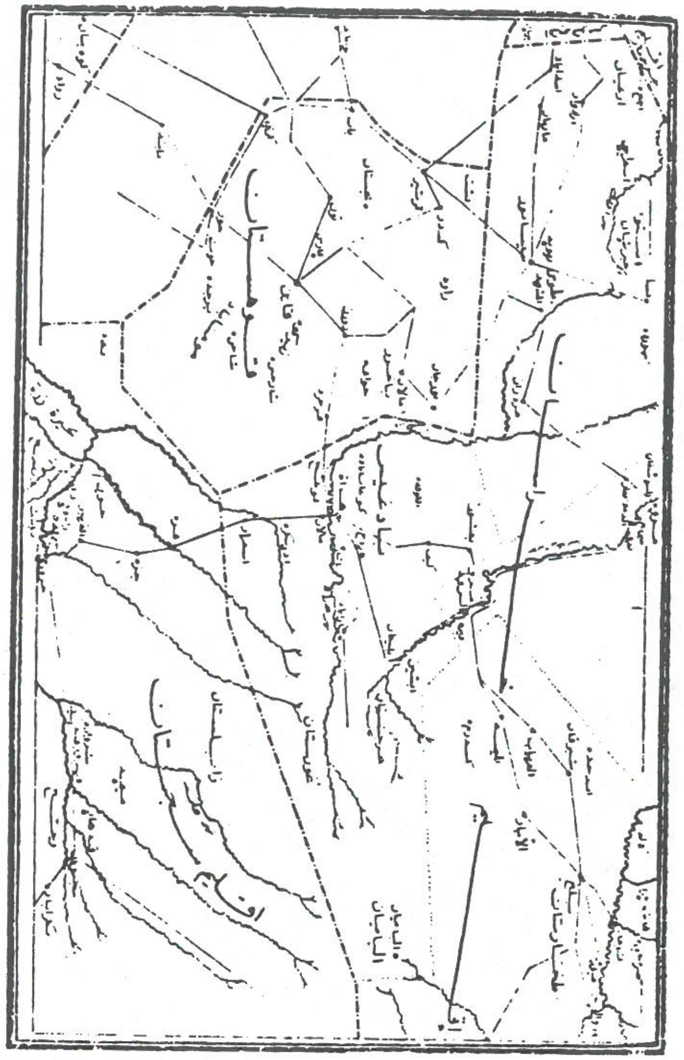

اقليم قوهستان وخراسان وجزء من سجستان

١ ـ الدولة العثمانية في العراق والزعيم مراد بن يعقوب زعيم قبائل آلاق قوينلو.
٢ ـ إمارة آلاق قوينلو في إمارة البستان في شمالي البلاد.
٣ ـ الأسطول البرتغالي في الخليج.
٤ ـ مناطق خراسان وشمالي شرق فارس وفيها الزعيم محمد الشيباني رئيس قبائل الأوزبك.
٥ ـ الأفغان في الشرق.

غير أن الشاه إسماعيل استطاع القضاء عام ١٥٠٠ على إمارة البستان كما أنه حاول التوجه نحو العراق لأسباب اقتصادية وسياسية ودينية بسبب وجود العتبات المقدسة فيها وقد تخوف العراق وطلب مساعدة القوى المملوكية في فترة ثم اعتمد في فترات أخرى بعد عام ١٥١٧ على القوى العثمانية.

العلاقات الإيرانية العثمانية

ظهرت الدولة العثمانية كقوة جديدة في المنطقة فبدأت في منافسة إيران والبرتغال في الخليج والقوى الأوروبية المتنافسة للسيطرة على المنطقة وبدأ السلطان سليم بشن غزواته ضد الإيرانيين فانتصر على الشاه إسماعيل عام ١٥١٤ م وهذا أحدث انقلاباً في ولاءات الإمارات والدويلات القائمة في المنطقة واستتبع ذلك انتصار الأتراك على المماليك في معركة مرج دابق عام١٥١٦م وفي معركة الريدانية عام ١٥١٧ م فدانت لهم بلاد الشام ومصر. واستمرت قوى القبائل والقوى العثمانية تشكل خطراً على

إيران إلى أن تولى الحكم الشاه «طهمسب» عام ١٥٢٤ م بعد وفاة والده الشاه إسماعيل وكان عليه مواجهة العثمانيين في الغرب وقبائل الأوزبك في الشرق وزعيمهم في هذه الفترة عبيد الله خان الموجود في العراق الذي سبق له اجتياح خراسان(١)، غير أن استخدام الجيش الإيراني للأسلحة النارية الحديثة أخلَّ الميزان العسكري وجعل هزيمة الأوزبك ممكنة وقد انتصروا فعلاً عليهم وبدأ التنافس واضحاً بين إيران والدولة العثمانية للسيطرة على العراق الأمر الذي أفرز تحالفات جديدة في كلا الطرفين فقد تحالفت إيران مع المجر في حين تحالفت الدولة العثمانية مع فرنسا. ولما توترت الأوضاع بين الجانبين سارعت الدولة العثمانية إلى احتلال العراق وتبريز وشيراون وجيلان وسلطانية واستمرت الحروب بين الطرفين في هذه الفترة إلى عام ١٥٤٨ م ولكن نتيجة للتسويات السياسية بينهما فقد تم الصلح بين الجانبين وعرف باسم صلح أماسيا عام ١٥٥٤ م الذي نص على ما يلي:

١ - تترك ولاية قارص وقلعتها للدولة العثمانية.

٢ - تحديد حدود ولاية شهرزول منعاً لوقوع الحوادث المعكرة لصفو الأمن بين الدولتين.

٣ - تأمين سلامة الحجاج الإيرانيين الذاهبين لزيارة العتبات المقدسة في العراق والأماكن المقدسة في الحجاز.

(١) أنظر: كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٤٩٩، د. عبد العزيز نوار: تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٢٣٦ - ٢٣٧.

في هذه الأثناء تردت الأوضاع الاقتصادية في إيران وابتدأت العداوة بين الشاه وأولاده فانتهى الأمر بدس السُم له فصرع عام ١٥٧٦ م فتولى الحكم من بعده ابنه إسماعيل الثاني ولكن لم يتسنَ له الحكم كثيراً فانتهى الأمر بمقتله بعد سنتين من توليه الحكم عام ١٥٧٨م. وبعد وفاته وقعت الحرب الأهلية بين أخوته في سبيل الصراع على السلطة وكان ذلك مقدمة لبروز شخصية إيرانية قوية هو الشاه عباس الكبير (١٥٨٨-١٦٢٩) الذي حكم ما يقارب ٤٠ عاماً وقد وجد الشاه عباس الأعداء التقليديين لإيران ما زالوا كما هم ولكنه استطاع أن يخفف من حدة التوتر بعقد معاهدة مع العثمانيين عام ١٥٩٠ م(١). وبالرغم من توقيع هذه المعاهدة وتجميد المناوشات العثمانية غير أن خطر الأوزبك كان لا يزال ماثلاً على البلاد حيث امتدت سيطرتهم على هراة وخراسان وعلى مشهد وفي ضريح الإمام الرضا وعلى سرخس ومرو وكانت الخلافات بين قبائل الأوزبك ووفاة زعيمهم عبد الله خان مقدمة لضرب الشاه لهم. ولما انتهى الشاه من الخطر الداخلي الممثل بالأوزبك نقض المعاهدة التي وقعها مع العثمانيين فبدأ في عام ١٦٠٣ بمهاجمة العثمانيين فاسترد منهم قارص وتبريز وشيروان كما نقل عباس عاصمته من قزوين إلى أصفهان ثم حاول الشاه التمدد نحو العراق منتهزاً تمرد الضابط الانكشاري بكر صوباشي في بغداد عام ١٦٢١ م. غير أن العثمانيين استطاعوا استيعاب تمرد بكر

(١) بمقتضى هذه المعاهدة تنازل الشاه عباس الكبير للعثمانيين عن أذربيجان والكرج (جورجيا) وجزء من لورستان. بروكلمان، المصدر السابق، ص ٥٠٣.

صوباشي ثم القضاء عليه. ثم رأى الشاه ضرورة العمل لاحتلال البصرة لأسباب اقتصادية ومنها ضرب البرتغاليين الذين يسيطرون على التجارة في المنطقة، وفي هذه الأثناء توفي الشاه عباس الكبير عام ١٦٢٩م. خلف الشاه عباس الكبير حفيده سام ميرزا[1] الذي تسمى باسم أبيه «صفي» عند ارتقائه العرش. وكان عهد ميرزا من أسوأ العهود الفارسية باعتباره طاغية، غير أنه على الصعيد الخارجي وفق في صد غارات التركمان في خراسان، ولكنه أضاع قندهار وبغداد.

في عام ١٦٤٢ تولى الحكم عباس الثاني الذي استرد قندهار وأخمد ثورة الكرج عام ١٦٥٩، وأقام العدل بين رعاياه، غير أنه تورط في الإدمان والمسكرات. ثم خلفه في الحكم صفي الذي سمي بسليمان عند ارتقائه العرش عام ١٦٦٧. ثم جاء من بعده ابنه حسين عام ١٦٩٤ الذي أوكل شؤون الدولة إلى رجال الدين وفي مقدمتهم الملا محمد باقر مجلسي[2].

وكان السلطان العثماني مراد الرابع قد تولى الحكم وبدأ حملته العسكرية ضد إيران ابتداء من عام ١٦٣٨ م وانتهى الأمر كالعادة إلى تسوية سياسية بين الجانبين وإلى عقد معاهدة عام ١٦٣٩ م التي يمكن اعتبارها من الأسس التي قامت عليها معاهدات الحدود بين إيران والعراق فيما بعد وقد تضمنت المعاهدة:

---

(٢) سبق لعباس أن قضى على ابنه البكر صفي ميرزا، لذلك خلفه حفيده.

(٢) كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٥٠٦. لا بد من التنبه إلى منهج بروكلمان في كتابه الذي اعتمد في بعضٍ فصوله وصفحاته على إثارة النعرات بين السنة والشيعة كما ورد مثلاً في صفحات ٤٩٩، ٥٠٦...

١ ـ تحديد موقع الحدود بين إيران والعراق على اعتبار أن بدرة وجيسان ومندله ودرتنك والسهول الواقعة بين تلك المدن وعشائر الجاف وعشائر قطور تابعة للدولة العثمانية.

٢ ـ إن الممر المؤدي إلى شهرزور هو الحد الفاصل بين الدولتين.

٣ ـ يتم الاتفاق لاحقاً حول منطقة عربستان (المنطقة الجنوبية).

العلاقات الإيرانية ـ الأفغانية[1]

تعتبر أفغانستان من المناطق الأكثر أهمية في العالم الآسيوي نظراً لأهميتها الاستراتيجية وسكان أفغانستان هم شعب «الباثان» ولهجته هي الباشتو بينما اللغة الرسمية هي اللغة الفارسية ويتكلمها كل الأفغانيين ويتكون الشعب الأفغاني من قبائل العبدلي ـ غيلزاي ـ الأوزبك ـ المغول تيماني وطاجيق. وكانت أفغانستان تتجاذبها قوتان عملاقتان هما امبراطورية المغول في الهند والأسرة الصفوية في إيران وقد احتل الفرس فترة منطقة قندهار وأسندوا حكمها إلى أمير جورجيا جوركين الذي كان تابعاً للشاه وقد كانت معاملة أمير جورجيا للأفغانيين معاملة سيئة مما حدا بالأفغانيين للقيام بالثورة ضد هذه الممارسات وجرت معارك بين إيران وقندهار انتصر فيها الأفغانيون وكان ذلك مقدمة لغزو الأفغانيين لخراسان.

بدأت الحملة العسكرية الأفغانية ضد إيران بقيادة القائد أسد الله زعيم قبيلة العبدلي وبقيادة حاكم هراة مع خمسة آلاف مقاتل وتحالف قبائل الأوزبك الأفغانية، وقد واجهت هذه القوى

---

(١) أنظر: د. عبد العزيز نوار: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٢٧٣ وما يليها من صفحات.

القوات الفارسية وانتهت المعارك بانتصار الأفغان وبذلك ظهرت إمارة أفغانية جديدة على حدود فارس الشرقية من هراة ثم شرعت قوات العبدلي في اجتياح خراسان وشيروان واستمرت الحملات الأفغانية باتجاه المدن الإيرانية التي تساقطت الواحدة تلو الأخرى. وفي هذه الأثناء تولى الأمير محمود الأفغاني مهمة اجتياح إيران فعرض عليه الإيرانيون التوقف عن الزحف لقاء مبلغ كبير من المال غير أنه رفض العرض وصمم على الاستمرار في التقدم نحو أصفهان مستقوياً بالمدفعية الأفغانية وكان لا بد من لقاء بين القونين في معركة جلنباد في عام ١٧٢٨ م.

وكانت نتيجتها لمصلحة الأفغان وتقدم الأفغان نحو أصفهان وكان سقوطها يعني حدثاً هاماً بالنسبة للإيرانيين وللأفغانيين أنفسهم فاستسلمت مدينة أصفهان عام ١٧٢٨ م وبذلك سقطت عاصمة الصفويين وكانت مؤشراً لانتهاء الأسرة الصفوية ذاتها.

تسلم الأمير محمود الأفغاني سلطة البلاد وبدأ الأفغان يراقبون سير الأعمال فعاملوا الفرس والأوروبيين معاملة جيدة ومما يلفت النظر في الأمير أو الشاه محمود بأنه كافأ زعماء إيران الذين استمروا في ولائهم لبلادهم وأنزل العقوبة بأولئك الذين خانوا بلادهم والشاه حسين. غير أن الشاه محمود وجد أن القوى التقليدية لا تزال تشكل خطراً على إيران وهي:

١ ـ العثمانيون من جهة الغرب.

٢ ـ الروس من جهة الشمال.

٣ ـ بقايا الأسرة الصفوية.

٤ ـ العشائر الكردية والفارسية.

حاول الشاه الجديد تدعيم حكمه بالوقوف قدر الإمكان ضد هذه القوى فبدأ أولاً بحملة للقضاء على ولي العهد الشرعي «طهمسب ميرزا» ولكنه فشل في حملته تلك، في حين وفق في احتلال مدن قم، قزوين، قاشان، وبدأت تواجه الشاه محمود مشكلة إعداد الجيش الأفغاني القليل نسبياً إذ ما قيس بالأخطار والقوى التي يمكن أن يواجهها، فحاول الشاه تجييش الفرس في جيشه ففشل في ذلك ثم حاول تجييش وحدات من أفغانستان ذاتها ولكنه لم يوفق لأنه سبق له أن استغل طاقة أفغانستان البشرية عسكرياً. من جهة ثانية واجه الشاه محمود بعض الثورات الجديدة ضد حكمه وأهمها ثورة قزوين وتحركات معادية في مناطق أخرى وقد أسهم ذلك في تناقص عدد أفراد جيشه ولم يجد وسيلة لزيادته إلا بواسطة تقريب الأكراد إليه فعمل على تجنيدهم في الجيش الأفغاني وبواسطة هذا الجيش الجديد شن الشاه محمود الأفغاني حملات على المدن الثائرة. وفي الوقت نفسه كان على الشاه محمود أن يواجه الشركات الأجنبية المسلحة وأيضاً كان عليه أن يواجه الروس الذين احتلوا بعض المناطق الأفغانية والذين ضايقوا الشاه محمود باتفاقهم مع العثمانيين عام ١٧٢٤ م.

والحقيقة فإن المشكلات المحلية والإقليمية والدولية أرهقت الشاه محمود الأفغاني وضغطت عليه لتغيير سياسته العادلة بارتكاب بعض المذابح ضد الفرس وضد بقايا الأسرة الصفوية وقتل الآلاف من أفراد الشعب الأمر الذي أدى إلى اتفاق القادة الأفغان على عزله بعد أن أصيب بالجنون فعلاً عام ١٧٢٥ م ونصبوا مكانه الأمير أشرف من أفغانستان، ولكن الشاه الجديد لم يستطع في الواقع أن

يواجه المشكلات ذاتها التي سبق أن واجهت الشاه محمود الأفغاني وهكذا يلاحظ بأن فارس كانت تتنازعها عدة قوى في هذه الفترة هي :

١ ـ الشاه أشرف الأفغاني .

٢ ـ ولي العهد السابق طهمسب الصفوي .

٣ ـ السلطان العثماني .

٤ ـ القيصر الروسي .

ويمكن القول بأن الفترة المقبلة أدت إلى تغير الأوضاع الداخلية ومن ثم تولى الحكم نادر شاه الذي حكم فترة في إطار من الصراع الفرنسي والبريطاني والروسي والعثماني .

مشكلة الحدود الإيرانية ـ العراقية وإبعادها المحلية والدولية

تعتبر مشكلة الحدود بين إيران والدولة العثمانية من المشكلات المعقدة، ففي هذه الفترة طرحت قضية عربستان التي كانت موضع خلاف بين إيران والدولة العثمانية وقد تزايد الخلاف لا سيما بعد تولية نجيب باشا ولاية بغداد (١٨٤٢-١٨٤٧) وتزايد الخلاف حول السليمانية في كردستان التي كان الإيرانيون يطالبون بها أيضاً على غرار مطالبتهم عربستان وقد هددت السلطات الإيرانية بإرسال جيش لاحتلال البحرين والكويت وطالبت بلواء السليمانية وعربستان حتى القرفة وبإبعاد الأمراء الفرس عن بغداد الذين كانوا يتآمرون ضد الشاه، فما كان من العثمانيين إلا أن جهزوا أنفسهم عسكرياً للرد على هذه التهديدات وبدأت المناوشات فعلاً بين الجانبين غير أن التدخل الروسي والبريطاني لدى الدولتين جمد العمليات العسكرية. وكان أول مشروع للحدود بين الدولتين هو مشروع بريطاني من

وضع الانكليزي لايارد وفي هذا المشروع جعل لايارد المحمرة تابعة للدولة العثمانية وجعل نهر «بهماشير» المنفذ المائي الوحيد لفارس في عربستان مؤكداً أن الحفار قناة صناعية وليس للدولة الإيرانية أي حق للملاحة في شط العرب لأن نهر «بهماشير» يسد حاجات إيران كمنفذ لها إلى الخليج .

اتخذت لجنة الحدود مدينة «أرضروم» مقراً لها وأخذت تجمع الوثائق المتعلقة بالحدود في عام ١٨٤٣ م غير أن اللجنة لم تستكمل أعمالها بسبب العمليات الحربية التي قام بها نجيب باشا ضد كربلاء مما سبب انزعاجاً لدى الإيرانيين فقدموا مطالب شديدة اللهجة إلى الحكومة العثمانية منها إقالة والي بغداد ودفع تعويضات لمنكوبي كربلاء، غير أن الدولة العثمانية لم تقبل بهذه المطالب ولكن وساطة انكلترا وروسيا نجحت في تسوية واستيعاب هذه الأزمة وبالرغم من هذه التسوية غير أن كل من إيران والدولة العثمانية كانت لها مطالب ومطالب مضادة .

غير أنه في عام ١٨٤٧ تم الاتفاق بين الدولتين على اقتسام منطقة «زهاب» على أن تتنازل إيران عن أية مطالب لها في السليمانية مقابل تنازل الدولة العثمانية عن المحمرة وجزيرة الخضر وأن تحدد الضرائب على التجار الإيرانيين ٤٪ . ثم شكلت لجنة لتسوية مشكلات الحدود كلها من مصب شط العرب حتى الحدود المشتركة عند الأناضول وقد انتهى الأمر بأن حصلت إيران بموجب معاهدة ١٨٤٧ على عربستان بينما تخلت عن جميع مطالبها في السليمانية وكردستان وفي عام ١٨٦٩ وقعت الدول الأربع : العثمانية والإيرانية والبريطانية والروسية على بروتوكول يضمن

اعتراف الدولتين المتنازعتين «العثمانية ـ الإيرانية» بخط الحدود المبين على الخريطة التي وضعتها لجنة الحدود.

غير أن المشكلات كانت تبرز بين الحين والآخر مما أدى إلى عودة مشكلة الحدود إلى الظهور عام ١٨٧٦ واجتمع الجانبان أكثر من مرة ولكن دون التوصل إلى أية نتيجة. ونتيجة لبعض التطورات الداخلية في الدولة العثمانية وقيام ثورة جمعية الاتحاد والترقي عام ١٩٠٨ وتنامي حركة التتريك المناهضة للعرب بعد خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش عام ١٩٠٩[1] انعكست هذه الأحداث على الأوضاع في العراق وعلى العلاقات مع إيران وتم التوصل إلى بروتوكول بين الدولتين عام ١٩١٣ تم فيه الاتفاق على موضوع الحدود بين الدولتين واستمرت هذه المشكلات عالقة رغم الاتفاقيات المتكررة ورغم سيطرة بريطانية بعد الحرب العالمية الأولى على العراق.

تفاقم التدخلات الأوروبية وظروف نشأة الثورة الإسلامية[2]

لما عاد حكم إيران للإيرانيين بدأت إيران تتطلع إلى أفغانستان فهاجمتها عام ١٨٣٣ فما كان من حاكم أفغانستان إلا أن تحالف مع البريطانيين لرد الهجمات المحتملة ضد مملكته واعتبرت بريطانيا

(١) للمزيد من التفصيلات الوافية أنظر كتابنا: موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ١٨٩٧-١٩٠٩، وكتابنا: دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد عن العرش ١٩٠٨-١٩٠٩.

(٢) أنظر: كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، د. عبد العزيز نوار: تاريخ الشعوب الإسلامية، صاحب حسين الصادق: قصة الانتصار الكبير (تاريخ الثورة الإسلامية في إيران).

أن التحرك الإيراني ضد أفغانستان كان بإيعاز من الروس ولكن الشاه احتوى الموقف بالاتفاق مع البريطانيين وذلك في هذا العهد وفي عهد الشاه ناصر الدين عام ١٨٤٨. وبالمقابل استطاعت بريطانيا أن تمسك بسياسة أفغانستان وأن يكون لها نفوذ في إيران ولكن روسيا لم تترك بريطانيا تتصرف منفردة في إيران بل كانت لها بالمرصاد حيث بدأ الصراع والتنافس واضحاً بين الدولتين على إيران وكان الشعب الإيراني ينظر إلى الشاه وإلى القوى الأجنبية على أنها مستغلة وتتصرف بالبلاد وفق إرادتها ومصالحها.

لقد أثارت التصرفات الاستعمارية الأوروبية في البلاد الإسلامية حفيظة الشعوب في المشرق والمغرب على السواء فقد ضاعت امبراطورية المسلمين في الهند في النصف الثاني من القرن التاسع عشر على أيدي البريطانيين وضربت بريطانياوروسياوالنمسا عام ١٨٤٠. عبر تسوية لندن أول محاولة في التاريخ الحديث لإقامة وحدة إسلامية بين مصر وبلاد الشام بزعامة والي مصر محمد علي باشا كما احتلت بريطانيا مصر عام ١٨٨٢ واحتلت فرنسا تونس والجزائر ومناطق في غرب ووسط أفريقيا...

لقد كانت هذه المعاناة للشعوب الإسلامية قد أثارت حفيظة المصلحين والمفكرين المسلمين وفي مقدمتهم السيد جمال الدين الأفغاني والإمام محمد عبده[1] والسيد محمد رشيد رضا الذين

(١) أنظر كتاب جمال الدين الأفغاني، محمد عبده: العروة الوثقى.

طالبوا بتحقيق الجامعة الإسلامية. لقد كان جمال الدين الأفغاني في مصر في عهد الخديوي توفيق. وفي عام ١٨٨٦ وبعد أن سمع الشاه ناصر الدين عن أفكار الأفغاني دعاه إلى زيارة طهران وبعد أن شعر الشاه أن الأفغاني يمكن أن يكون خطراً على النظام حاول طرده من البلاد، غير أن أفكار الأفغاني شكلت تياراً إسلامياً في إيران. ومن بين المشكلات التي أثارها الأفغاني مشكلة احتكار التنباك بواسطة البريطانيين. فرأى في هذا الاحتكار ضياع لثروات المسلمين في إيران فاتفق مع المجتهد الأكبر على إصدار فتوى في تحريم شرب التنباك وتحريم بيعه للبلاد الأجنبية. وقد تجاوب الشعب تجاوباً تاماً مع هذه الفتوى مما اضطر الحكومة الإيرانية إلى العدول عن ذلك الامتياز للشركة البريطانية وبعد أن قام الشاه بطرد الأفغاني من البلاد تخوفاً من استفحال خطره على النظام شن جمال الدين الأفغاني من على صفحات جريدة القانون الانكليزية[1] هجوماً شديداً على الشاه وكانت هذه الصحيفة تصل من لندن إلى إيران خلسة ومما زاد في تدهور الأوضاع وتزايد النقمة الشعبية الإسراف الباهظ في وقت كان الناس يتقاتلون للحصول على الخبز في طهران. ونتيجة لأفكار الأفغاني فقد سقط الشاه ناصر الدين صريعاً عام ١٨٩٦ أي قبل سنة من وفاة الأفغاني على يد رجل إيراني من المؤمنين بأفكار الأفغاني الإصلاحية الذي قال له عندما نفذ عملية القتل «خذها من يدي جمال الدين» وقد تولى الحكم مكانه مظفر الدين الشاه ١٨٩٦-١٩٠٧ وفي عهده سارت

(١) تأسست صحيفة «القانون» في لندن عام ١٨٩٠ بواسطة الأمير «ملكوم خان» الأرمني بالاشتراك مع السيد جمال الدين الأفغاني.

إيران شوطاً بعيداً في سياسة عقد القروض مع بريطانيا وروسيا وقدرت هذه القروض عام ١٨٩٨ بمليون جنيه استرليني. وفي عام ١٩٠٠ وقعت إيران على قرض مع بنك روسي قدره مليونان وأربعمئة ألف جنيه استرليني وهذه القروض أدت إلى الهيمنة البريطانية والروسية على إيران في وقت كانت تتزايد فيه مظاهر الإسراف والتبذير فبدأت حركة علماء الدين ١٩٠٥ الذين اعتصموا في المساجد منددين بالشاه وبقواته التي كانت تحاصر المساجد والمعتصمين. وقد رأى المجتهدون العلماء أن يغادروا طهران والتوجه إلى قم وكانت مطالبهم تتضمن أن يصدر الشاه دستوراً جديداً وأن تؤلف حكومة برلمانية يمثل فيها الشعب وإلا فإن العلماء والمجتهدين سيغادرون إيران وكان معنى ذلك ترك البلاد معطلة دينياً حيث يتوقف فيها تنفيذ أحكام الشرع فانتهى الأمر برضوخ الشاه إلى مطالب العلماء والشعب. غير أن الدستور الجديد الذي أصدره الشاه كان ألعوبة بيده ولكن حاول الشاه إرضاء علماء الدين بمنحهم حق الاعتراض على القوانين التي يصدرها المجلس الوطني في حال تعارضها مع الشريعة الإسلامية[1].

(١) كانت شرارة الثورة الأولى عام ١٩٠٥ بسبب الطغيان الذي مارسه الشاه ضد الإيرانيين وأساليب الجلد بحق التجار، ثم أعقبتها حركة العلماء الثانية عام ١٩٠٦ وهجرتهم إلى مدينة «قم» المقدسة، ثم ثورة عام ١٩٠٩، ثم الاستياء الشعبي عام ١٩١٢ من جراء حصار تبريز وقصف الروس لضريح الإمام الرضا وخلال أعوام الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨) كانت الحركة الإسلامية المسلحة في شمال البلاد بقيادة «ميرزا كوجك خان» مستمرة في النضال، وفي آذربيجان كان الجهاد الإسلامي الشعبي يتصاعد وينمو. وفي خراسان كان يقود النضال الكولونيل «محمد تقي خان». وفي

في كانون الثاني (يناير) عام ١٩٠٧ تولى العرش محمد علي شاه بعد وفاة مظفر الدين ولكن عهده لم يكن عهداً موفقاً نتيجة ازدياد تدخل بريطانيا وروسيا في البلاد بل وتقسيم فارس إلى منطقتي نفوذ بينهما ونتيجة لازدياد الفقر والتبذير في مختلف القطاعات، ابتدأت الثورة من تبريز وامتدت إلى رشت وأصفهان وطرد الثوار القوات الملكية. وكانت الثورة بقيادة سبه دار وقيادة زعيم عشائر البختيار سردار أسعد. لقد تقدم الثوار الإيرانيون نحو طهران وفر الشاه لاجئاً إلى السفارة الروسية ثم أبعد عن البلاد ورفع إلى العرش ابنه القاصر الأمير أحمد الذي كان تحت الوصاية وكان عهده بداية النفوذ الأميركي حينما استعان بالخبراء الأميركيين لتنظيم أوضاع إيران[1].

وبالرغم من حياد إيران في الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨ غير أنها تأثرت بهذه الحرب بشكل أو بآخر وتعرضت إيران لعمليات عسكرية ولم تتوقف هذه العمليات إلا بعد هزيمة الأتراك في العراق عام ١٩١٧ وبعد قيام الثورة البلشفية في روسيا في العام ذاته.

= كل نواحي إيران كانت الثورة الشعبية الإسلامية في تفاقم وتصاعد. واستمرت الثورات الشعبية حتى استقالة حكومة «مصدق» الوطنية عام ١٩٥٣ ثم تكررت تلك الحركات والثورات حتى عام ١٩٧٩ أنظر: صاحب حسين الصادق: قصة الانتصار الكبير (تاريخ الثورة الإسلامية في إيران) ص ١٧-٢٠ دار المنهل ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

(١) بناء على اقتراح ناظر الخارجية الأميركية عين أحد موظفي بنك (Union Trust) في واشنطن «مورفان شوستر» (Morgan Shuster) أميناً عاماً للخزانة الفارسية، يعاونه أربعة مساعدين من مواطنيه الأميركيين.

في عام ١٩٢٠ تخلت روسيا عن مطامعها في الأراضي الإيرانية بعد معاهدة (Brest-Litovsk) بينما بريطانيا تثبتت بالأراضي الإيرانية المحتلة. إن المعاهدة الإيرانية البريطانية عام ١٩١٩ كبلت الشعب الإيراني ووضعته تحت الحماية البريطانية مما أثار نقمة الشعب الذي طالب هذه المرة المؤازرة من الثورة الروسية باعتبارها ثورة ضد القيصرية وضد الفساد. في وقت تهيأ لإيران ضابط من ضباط فرق القوزاق هو رضا بهلوي الذي تحالف مع الزعيم ضياء الدين طباطباني فزحف بقواته إلى طهران وسيطر عليها في شباط (فبراير) عام ١٩٢١ فخضع الشاه لإرادة الشعب وأحدث تغييراً وزارياً عين رضا بهلوي بموجبه وزيراً للحربية. وفي الفترة «١٩٢١-١٩٢٥» أثبت رضا بهلوي قدرة على التحرك وتثبيت النظام فأصبح الرجل الأول في إيران في الوقت الذي كان فيه الشاه أحمد القاجاري في أوروبا قد تزايدت النقمة عليه وقرر الشعب خلعه وأعلن المجلس النيابي التمثيلي رضا بهلوي شاهاً على إيران في نيسان (أبريل) عام ١٩٢٦ وبذلك انتهت الأسرة القاجارية وحل محلها رضا بهلوي الذي استمر في الحكم حتى عام ١٩٤١ وتوفي عام ١٩٤٤ فحل مكانه ابنه عام ١٩٤١ محمد رضا شاه الذي حكم لغاية عام ١٩٧٩ عهد قيام الثورة الإسلامية في إيران بقيادة الإمام آية الله الخميني[1] وهو الذي قاد الثورة أولاً من العراق ثم واصل

(١) للمزيد من التفصيلات عن حياة وسيرة الإمام آية الله الخميني (١٩٠٢-١٩٨٩) أنظر كتاب: عبرات وعبارات الصادر بمناسبة وفاة الإمام الخميني في شوال ١٤١٠ هـ - أيار (مايو) ١٩٩٠ عن المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية في بيروت. أنظر أيضاً كتاب: صاحب حسين الصادق المذكور سابقاً، ص ٢٣-٢٦ وصفحات متفرقة من الكتاب.

قيادتها من باريس وانتهت برحيل الشاه ونفيه خارج البلاد متنقلاً بين دونة وأخرى إلى أن توفي ودفن في القاهرة حيث كان الرئيس أنور السادات قد استضافه فيها وبعد عودة الإمام آية الله الخميني وإجراء التعديلات اللازمة ألغي النظام القديم وأقام مكانه النظام الجمهوري الإسلامي.

الجمهورية الإسلامية في التاريخ المعاصر

بعد إنتصار الثورة الإسلامية في إيران (٥٧/١١/٢٢ ش = ١٩٧٩/١/١٠م) والذي تحقق بعد سنوات من الكفاح المستمر بقيادة الإمام الخميني، وبناء على استفتاء عام تقرب نتيجته من الاجماع (٩٨,٢٪) اعلنت الجمهورية الاسلامية، وبذلك ابتدأ عهد جديد من تاريخ ايران.

وفي دستور الجمهورية الاسلامية هذه، يُنتخب رئيس الجمهورية بالاقتراع السري من قبل الشعب لمدة اربع سنوات. وبما ان الثورة الايرانية هي اسلامية تماماً، فإن قوانين البلاد ومقرراتها قد نظمت على اساس الدين الاسلامي الحنيف، وعهد الى لجنة من إثني عشر عضواً نصفهم من الحقوقيين البارزين والنصف الآخر من الفقهاء من علماء الشريعة تدعى «شوراي نگهبان» (لجنة المحافظة على الدستور) بالاشراف على سن قوانين الدولة وفق احكام الدين الاسلامي ووفق الدستور المستقاة بنوده من الإسلام[1].

ان الثورة الاسلامية الايرانية، بسبب عدم تبعيتها لأي من الدول او القوى، وبسبب استنادها الى التعاليم الاسلامية السامية،، ورغم المؤامرات الأجنبية، ورغم الحصار والقيود الإقتصادية والسياسية فانها تجاوزت غالبية هذه الصعوبات باحثة عن المستقبل الزاهر.

---

(١) للمزيد من التفاصيل عن الجمهورية الإسلامية انظر: نظرة على الجمهورية الإسلامية الإيرانية الصادر عن وزارة الخارجية - ايران - طهران، ص ٩ - ١٣.

ان الثورة التي لم يكن المراقبون الأجانب في بادئ الأمر، يتصورون أن تكمل حتى سنة واحدة من عمرها، ها هي في سنتها العشرين، وهي بعد أن حلت خلال هذه المدة القسم الأعظم من المشكلات المتخلفة من النظام السابق، تسلك اليوم طريق الإكتفاء الذاتي في كل الميادين. فعلى سبيل المثال نذكر أن إنتاج القمح خلال السنة (١٣٦٥ ش) ١٩٨٦م. قد سجّل فائضاً بحيث عجزت مساحة جميع العنابر الموجودة في البلاد عن إستيعابه؛ ومن ناحية الدروس التخصصية العسكرية، وبخاصة في ميدان تدريس العلوم البحرية، وإعداد القوى الفنية والربابنة ذوي الخبرة، قد بلغت البلاد مرحلة الإكتفاء، وقريباً سيبدأ العمل في كلية علوم الفضاء في إيران. كما أن إنتشار الجامعات، وإزدياد فروع العلوم الجامعية، أدّياالى أن تعد داخل الوطن مختلف القدرات التخصصية التي تحتاج اليها البلاد، حتى في الميادين العلمية والصناعية المعقدة مثل هندسة الكمبيوتر.

ثم إن بناء المرافئ الكبرى، والأحواض المتعددة في السواحل الجنوبية من ايران، مثل «مرفأ الشهيد رجائي» في منطقة الخليج[1]، و«مرفأ الشهيد بهشتي» في بحر عمان، وعدة مرافئ اخرى، وكذلك إنشاء المجمعات الصناعية البحرية، ومعمل صناعة السفن في «بندر عباس»، وتوسيع طاقة نقل الاسطول التجاري الايراني، التي تبلغ في الوقت الحاضر أربعة أضعاف طاقتها ما قبل الثورة الإسلامية من جهة، ومضاعفة الصناعات الأم، واعتماد الاساليب الزراعية الحديثة، وزيادة المشتقات الصناعية الزراعية من جهة اخرى، هذه كلها تبشر بإقتصاد

(١) يطلق العرب على هذا الخليج مصطلح «الخليج العربي» بينما تطلق ايران عليه مصطلح «الخليج الفارسي».

مكتفٍ، كما ان زيادة حجم الصادرات غير النفطية، تؤيد هذا الأمر وتؤكده.

وبما ان الجمهورية الإسلامية الإيرانية تحتل في ميدان الغاز الطبيعي المقام الثاني في العالم، لذا فإن مضاعفة شبكة توزيع الغاز الى المدن والمصانع تحتل اولوية خاصة في الدولة، بحيث انها توصلت خلال العام ١٩٨٦ الى مد أكثر من ٤٠٠,٠٠٠ أنبوب تظهر نمواً يبلغ عشرة أضعاف. وتدل البرامج التي هي الآن قيد التنفيذ، على ان المدن التي ستغطيها شبكة تمديدات الغاز في السنوات القليلة القادمة ستبلغ ٦٠ مدينة، وان تمديدات أنابيب الغاز ستصل بها الى ٥٥٠,٠٠٠ أنبوب.

وقد أدى إنشاء «الجهاد الجامعي» الى الإستفادة في الوقت الحاضر من طاقات الجامعات العلمية لبناء المواد والأجهزة التي تحتاج اليها البلاد، حتى ليشمل مجموع البرامج التي هي قيد التنفيذ، أو تلك التي بلغت مرحلة الانتاج، مئات من المشاريع.

من ناحية ثانية، وفي مجال مكافحة الفساد والانحراف في كل القطاعات، حدثت تغييرات في ميدان زيادة المكتبات والمدارس على مستوى الوطن ككل، وحوربت الأمية بصورة شديدة، وانضوى الملايين من الناس، حتى في القرى الصغيرة والدساكر البعيدة، تحت لواء القراءة والتعلم. إن نسبة الأميين التي كانت قبل الثورة الإسلامية ٥٣٪، هي الآن ـ رغم النمو السكاني الذي ارتفع حوالي ٣٥٪ ـ قد تدنت الى ٣٧٪.

إن مئات البرامج الكبرى، الثقافية والصناعية والزراعية والعمرانية بمستوى الوطن كله، قد تم تنفيذها في وضع نقصت فيه

صادرات نفط الوطن الى ١/٣ ما كانت عليه قبل الثورة الإسلامية، وفي ظروف كان مؤشر أسعار النفط فيها يتخذ خطاً إنحدارياً.

السياسة الخارجية

إن مبدأ «لا شرقية ولا غربية» يشكل اساس السياسة الخارجية للجمهورية الإسلامية الإيرانية، ويدل على إستقلال الوطن الكامل في اتخاذ كل قراراته، وبموازاة هذا المسيرة لسياسة الدولة، ومع رفض اي نوع من انواع التسلط من قبل الجمهورية او عليها، تتابع الجمهورية الإسلامية الإيرانية سياستها القائمة على تعميم الروابط وتوسعتها في كل الميادين مع دول العالم، وقطعها مع الدول التي تحكمها الأنظمة العنصرية من جهة أخرى. وتنفيذاً لهذه السياسة، أضيف بعد الثورة الإسلامية ٢٢ دولة الى الدول التي كانت لها روابط سياسية مع إيران، ١١ منها في افريقيا؛ وعملاً بالمبدأ المشار اليه أيضاً قطعت كل الروابط مع نظامي افريقيا الجنوبية واسرائيل.

وفي الوقت الحاضر يتولى خبراء النفط الإيرانيون، واختصاصيو جهاد البناء، الاشراف على البرامج الصناعية والزراعية الكبرى في عدة دول افريقية، وتتطلع الجمهورية الإسلامية الإيرانية، الى تمتين الروابط في كل الميادين مع الدول المجاورة على الأسس التي تقدم ذكرها، وعلى مبدأ حسن الجوار والإحترام المتبادل.

وقد أُلغيت بعد الثورة الإسلامية، عملاً بدستور البلاد، جميع المراكز المرتبطة بالدول الأجنبية في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وأُبعد عشرات الألوف من المستشارين العسكريين والخبراء الأجانب، الذين كان لهم سابقاً دور في جميع المراكز الحساسة والمهمة في

البلاد. وذلك حفاظاً على سلامة مسيرة الثورة من أن تتلاعب بها أهواء القوى الخارجية المعادية بواسطة أمثال هؤلاء من صنائع الإستكبار العالمي، غير ان الاحداث الأخيرة في صيف عام ١٩٩٩، واضراب الطلاب الايرانيين في الجامعات الايرانية مؤشر سياسي ينبغي التنبه اليه بشدة، لأن الشورى والديموقراطية عنصر اساسي في الدولة الاسلامية، وقد طالبت التظاهرات بتعميق هذه المفاهيم وارساء الديمقراطية، اما فيما يختص بالمؤامرات التي تحاك ضد العالم العربي والاسلامي من قبل اسرائيل والدول الغربية فهذا امر مفروغ منه، غير انه ينبغي ان يؤخذ بعين الاعتبار سد الثغرات في كل دولة اسلامية او عربية حرصاً على المصالح الوطنية العليا.

الأوضاع الإقتصادية والسياسية والاجتماعية والعلمية المعاصرة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية[1]

عموميات حول إيران

إن الجمهورية الإسلامية الإيرانية، التي كانت تعرف قبلاً بإسم «برشيا» دولة جبلية تقع في الشرق الأوسط، في النصف الشمالي من الكرة الأرضية، بين الدرجتين ٢٥ و٤٠ من خط العرض الشمالي، والدرجتين ٤٤ و٦٣ من خط الطول الشمالي من منتصف النهار بتوقيت غرينتش، وتبلغ مساحتها ١,٦٤٨,١٩٥ كيلومتر مربع، وهي بذلك تُعَدُّ من حيث المساحة الدولة السادسة عشرة في العالم.

ويشتهر الشعب الإيراني بالألفة وبحب الضيف، وأفراده هم بصورة عامة متوسطو القامة وذوو عيون وحواجب سوداء. وتسمى وحدة النقد الإيراني «ريال»، وهو يقسم الى ١٠٠ دينار، وعاصمة البلاد مدينة طهران.

الجغرافيا الطبيعية

١ ـ الطقس

إن الموقع الطبيعي لدولة إيران قد جعل في النقاط المختلفة منها كلاً من أنواع الطقس الثلاثة: فالطقس الخزري في محيط بحر الخزر المعروف في العربية بإسم بحر قزوين (رطب). والطقس الجبلي

(١) هذه المعلومات وما يتبعها مستقاة من كتاب: نظرة على الجمهورية الإسلامية الإيرانية الصادر عن وزارة الخارجية الإيرانية ـ طهران.

(نصف جاف). والطقس الصحراوي (جاف).

والمعدل السنوي للأمطار على طول سواحل بحر الخزر (بحر قزوين) في شمالي البلاد، يبلغ نسبة مرتفعة تسببت في إيجاد غابات خضراء شاملة، وجعلت الطقس رطباً في تلك النواحي، بينما يتدنى المعدل السنوي للأمطار في المناطق المركزية الوسطى والصحراوية الى الحد الأدنى. أما المعدل السنوي للأمطار في البلاد كلها فهو بين ٢٥ و٣٠ سنتيمتراً.

٢ ـ الجبال

إن حوالي ٩٠٪ من مساحة الجمهورية الإسلامية الإيرانية أرض صحراوية، وإن أكثر من نصف مساحة البلاد مغطاة بالجبال، ولذا تعد الجمهورية الإسلامية الإيرانية دولة جبلية. وتقسم هذه الجبال الى أربع سلاسل: سلسلة شمالية، وسلسلة جنوبية غربية، وسلسلة مركزية، وسلسلة شرقية. وإن أعلى نقطة في إيران هي قمة جبل «دَماوَنْد» المشهور البالغ إرتفاعه ٥٦٧١ متراً والذي تغطي الثلوج غالباً قمته الجميلة في كل الفصول؛ ويلي دماوند جبل «سَبَلان» في «اردبيل» بإرتفاع ٤٨١١ متراً. وجبل «تخت سليمان» في «كلار دشت» بإرتفاع ٤٦٤٣ متراً.

٣ ـ الأنهار

عدا نهر «كارون» في الجنوب الذي تمكن ملاحة السفن فيه، فإن أنهار إيران هي في معظمها قليلة المياه وتنتهي غالباً الى ثلاثة مصبات هي: بحر الخزر (بحر قزوين) في الشمال، بحر عمان والخليج في الجنوب، والمصبات الداخلية التي تشمل بحيرة قم،

وبحيرة أرومية، والمستنقعات الداخلية. أما أكبر نهر في إيران فهو نهر «كارون» الذي يبلغ طوله ٨٩٠ كيلومتراً، يليه نهر «أرس» الواقع في شمالي البلاد على الحدود بين إيران والإتحاد السوفييتي (سابقاً) وطوله ٨٠٠ كيلومتر، ثم نهر «سفيد رود» البالغ طوله ٧٦٥ كيلومتراً.

٤ ـ البحار والبحيرات

إن بحر الخزر (بحر قزوين) الواقع في شمالي البلاد والذي تبلغ مساحته ٤٢٤,٢٠٠ كم^2، هو أكبر بحيرة في العالم. والقسم الشمالي من هذه البحيرة الكبيرة ـ التي تسمى غالباً «بحراً» بسبب إتساعها ـ يقع في الإتحاد السوفييتي السابق، والقسم الجنوبي منه الذي يحوي مياهاً أعمق وثروة سمكية أكثر يقع في الجمهورية الإسلامية الإيرانية؛ وإن افضل انواع الكافيار المرغوب عالمياً يُستخرج من هذا القسم الجنوبي من بحر الخزر بواسطة شركة «شيلات».

إن إتصال إيران بحراً بأوروبا، يتم عن طريق الممرات البحرية السوفييتية، وعن طريق بحر الخزر، الذي يبلغ طوله حوالي ١٢٦٠ كيلومتراً، ومتوسط عرضه أكثر من ٣٠٠ كيلومتر، أما الخليج الذي يقع في جنوبي إيران، فتبلغ مساحته حوالي ٢٤٠,٠٠٠ كيلومتر مربع، ويصل طوله الى ٩٠٠ كيلومتر، أما عرضه فيتفاوت بين ١٨٠ و٣٠٠ كيلومتر، وهو يرتبط ببحر عمان، والمحيط الهندي بواسطة مضيق هرمز الإستراتيجي ذي الموقع الجيوبوليتيك (الجغرافي السياسي) والذي يبلغ عرضه من رأس «مسندم» في دولة عمان حتى جزيرة «هنكَام» الإيرانية ٥٠ كيلومتراً. ولأن ارض الخليج تحوي كنوزاً عظيمة من ذخائر النفط، فإن الجمهورية الإسلاميا الإيرانية والدولة المحيطة بالخليج، تقيم جزراً صناعية عائمة تستخرج بها النفط من أعماقه.

أما بحيرات إيران فهي غالباً ذات مياه مالحة، وأكبر بحيرة داخلية في إيران هي «أرومية» الواقعة في الشمال الغربي من البلاد، والتي هي صالحة لملاحة السفن البحرية. وثمة بحيرات اخرى ذات مساحة وأهمية أقل من أرومية، يمكن أن نشير منها الى بحيرات «قم» و«بريشان» و«هامون» و«بختكَان».

جزر الجمهورية الإسلامية الإيرانية

إن معظم جزر إيران تقع في منطقة الخليج، وفي منطقة مضيق هرمز، والكثير منها مأهول بالسكان، وهي غالباً ذات أهمية إستراتيجية؛ فعلى سبيل المثال إن مواقع جزر «هنكَام» و«قشم» و«طُنب الصغرى» و«طُنب الكبرى» و«أبو موسى»[1] في منطقة مضيق هرمز هي التي تتم بمحاذاتها تحركات السفن الكبرى التجارية وحاملات النفط التابعة لجميع الدول القائمة على حوض الخليج؛ فيما تتمتع كل من الجزر الإيرانية الأخرى في الخليج ايضاً بأهمية خاصة بها؛ فجزيرة «هرمز»، علاوة على موقعها الإستراتيجي، هي ذات معادن مهمة من التراب الأحمر، كما ان جزيرة «خارك» (خَرْج) تتمتع بسبب إمكاناتها الواسعة في تصدير النفط بشهرة عالمية. بعد الجزر التي تقدم ذكرها تمكن الإشارة الى الجزر الإيرانية الأشهر في الخليج منها جزائر «سيري» و«لاوان» و«لارك» و«كيش»؛ وتتضمن جزيرة «قشم» الإيرانية التي هي كبرى جزر الخليج عدة مرافئ للسفر ولصيد الأسماك.

(١) ما يزال الخلاف قائماً بين إيران ودولة الامارات العربية المتحدة على عروبة او فارسية هذه الجزر التي تم السيطرة عليها من قبل ايران في عهد الشاه.

الأوضاع الإقتصادية

إن الميادين الإقتصادية للجمهورية الإسلامية الإيرانية متنوعة وكثيرة، لذا سنشير الى أهمها بصورة مختصرة:

١ ـ الزراعة

إن الجمهورية الإسلامية الإيرانية دولة زراعية، يعود تاريخ زراعة بعض محصولاتها الى ألوف السنين. واليوم يحتل القمح والشعير فيها كل الزراعة التي تعتمد على مياه الأمطار، و٨٠٪ من الزراعة التي تعتمد على السقي والري، ولقد جرت بعد الثورة الإسلامية محاولات هامة وواسعة في المجمعات الزراعية ومراكز الأبحاث المختلفة في ايران، لتأمين المحاصيل الزراعية الستراتيجية والتي تؤمن الإكتفاء الذاتي، كان من نتيجتها الحصول على أنواع جديدة من هذه المحاصيل، تؤمن أكبر كمية في الأوضاع الطقسية والجغرافية للتربة الإيرانية. وقد اقتربت الجمهورية الإسلامية، في كثير من أنواع هذه المحصولات من حد الإكتفاء الذاتي، بفضل الإستفادة من أساليب «الزراعة الأفضل» وتعليم المزارعين، وتوزيع الآلات والمعدات الزراعية المصنوعة في الغالب داخل ايران توزيعاً واسعاً، بينما كان حوالي النصف من هذه الأنواع من المحصولات قبل الثورة يستورد من الخارج.

إن المحصولات الزراعية الأساسية في إيران هي القمح، والشعير، والأرز الذي يُنتَج منه سنوياً أكثر من مليون ونصف مليون طن، والبطاطا، والقطن، والشاي، والحمضيات، والأثمار الصيفية، والتمر، والذرة، والشمندر السكري، والخضار، والقِنَّب، والفستق

والبندق، واللوز، والفاكهة بمقادير مهمة.

٢ ـ تربية المواشي

إن تربية المواشي شائعة في مختلف نقاط البلاد، سواء كانت بصورة فردية في البيوت، او بصورة جماعية في المجمعات والمزارع؛ والحيوانات التي تُرَبَّى وتُستَوْلَد بهدف الإستفادة من لحومها وجلودها وتأمين الخدمات الصناعية، او للنقل والمواصلات في المناطق المختلفة وفقاً لمتطلبات المواقع الجغرافية، هي الأبقار والأغنام والماعز والجمال والبغال والخيل، كذلك يتم إنشاء مزارع الدجاج غالباً على أيدي العاملين بالثروة الحيوانية، وقد نمت مزارع الدجاج الممكننة في السنوات الأخيرة بصورة تلفت النظر. وتروج في النواحي الشمالية من البلاد تربية دود القز. وقد نُفِذَّت بعد الثورة الإسلامية على يد جهاد البناء والفروع المرتبطة به برامج متعددة لحل مشكلات أصحاب المواشي والعشائر التي تشكل أكبر مربي الماشية في ايران، وتمت على مدى واسع أعمال التلقيح الوقائي للحيوانات، وإعطاء القروض المناسبة لمربيها، وتأصيل أنواعها، وهذه الأعمال ما تزال تَحظَى بمتابعة المسؤولين وإهتمامهم بتوسيعها. إن توسعة رقعة المراعي، وتشجيع الثروة الحيوانية في كل جوانبها، وزيادة أعداد الماشية في ايران، هي من برامج الدولة الاساسية.

٣ ـ صيد الأسماك:

تشرف شركة «شيلات إيران» الحكومية، على صيد الأسماك في الأنهار الداخلية وفي مياه بحر الخزر «بحر قزوين»، وفي منطقة الخليج وبحر عمان، وهي تؤمن مهام الصيد بالإستفادة من مئات

Riyad Nassar

السباحين والسفن الصغيرة والكبيرة التي تم مؤخراً شراء عدد منها. وقد عقدت هذه الشركة مع تعاونيات الصيد إتفاقيات لشراء السمك، كما أن معظم صيادي الأسماك في القطاع الخاص أيضاً يبيعون أسماكهم المصيدة الى فروع شركة شيلات، او الى سفنها الكبيرة ذات البرادات. والشركة المشار إليها، تنفذ كل سنة مشاريع عديدة لإغناء المياه الداخلية والأنهار بالأسماك، فتُطلِق سنوياً ملايين من أفراخ السمك الصغيرة في المياه الداخلية، او الاحواض المعدة لتربية الأسماك، أما الأسماك المصيدة، فتعرض في الاسواق الداخلية للإستهلاك المحلي، ويعرض قسم منها بصورة سردين وكونسروة، كما يُصدَّر قسم منها أيضاً، ويستفاد من انواع الاسماك التي لا تؤكل لإعداد حبوب لطعام الدجاج، وقد انشئت لصناعة كونسروة السمك والسردين مصانع كبرى في «بندر عباس»، وجزيرة «كيش»، وشمالي البلاد.

أما كافيار إيران ـ الذي هو من افضل انواع الكافيار المرغوبة في العالم ـ فيصدر معظم محصوله مع الجراد البحري (القريدس) المصيد الى خارج ايران، ويباع قسم منه ايضاً في الأسواق الداخلية.

ويتم صيد السمك في الأنهار الداخلية، خلال الفصول المناسبة، وتحت إشراف الأجهزة المختصة على شكل رياضة من رياضات البحر، وله عشاق خاصّون.

٤ ـ الغابات والمراعي

تغطي الغابات حوالي ١٨٠,٢٠٠ كيلومتر مربع من التربة الإيرانية، وهي غالباً ما تكون غابات بلوط في الشمال وفي الساحل

الجنوبي لبحر الخزر «بحر قزوين» وفي غربي البلاد، أو غابات فستق (حلبي) متفرقة في الجنوب وفي الشرق، وغابات جبلية في رأس (في الحدود الشمالية الغربية)، وغابات قارية صحراوية. ولهذه الغابات دور قيم في اقتصاد البلاد، فهي لا يستفاد منها لإنتاج الاخشاب فقط، بل انها تؤمن المواد الخام لصناعات الورق. ويشكل الصفصاف والقبقبيات والبلوط والمغث والحور أهم الاشجار الصناعية في غابات إيران.

وبعد الأضرار الفادحة التي حلت في السنوات السابقة بمراعي إيران، بسبب فقدان التخطيط الصحيح، وبسبب استغلالها دونما منهجية في العمل، تقلصت الآن بعد غرس الشجيرات المتناسبة مع كل تربة، وبعد زراعة شتلات المراعي، وتنظيم الرعي والإشراف عليه، وأُحييت مساحات واسعة من الأراضي وزرعت بالاعشاب والنبات، وشمل التخطيط إنشاء غابات مزروعة الى جوار كثير من مدن الوطن، وفي الأراضي الصالحة للتحريج، وهذه الغابات المنشأة تشكل اليوم نسبة مهمة من مساحة اراضي الغابات في البلاد.

٥ ـ الطرق والمواصلات

إن جميع مدن الفئة الأولى في إيران تقريباً، متصلة بعضها ببعض بالطرق المغطاة بالقار (الأسفلت)، او بالطرق الترابية المعبدة. وتتم المواصلات والإرتباط بين مدن ايران، بواسطة الطرق البرية بالدرجة الأولى، ثم بواسطة السكك الحديدية او الخطوط الجوية الداخلية. وللسكك الحديدية في إيران أهمية كبيرة، وقد مد خط عام شامل من «جُلفا» في شمالي البلاد الى «خرّمشهر» في الجنوب، يمتد فرع منه في الشمال الى «كَركان» و«مشهد»، وفرع آخر في الوسط

أيضاً يصل الى «أصفهان» و«يزد» و«كرمان»، ويستمر العمل فيه حتى يصل الى «بندر عباس».

وتتصل الجمهورية الإسلامية الإيرانية عن طريق السكة الحديدية في جلفا، بسكة الحديد في الإتحاد السوفييتي السابق التي تتابع بدورها الى أوروبا، إلا أن الحافلات تستبدل في الحدود بسبب اختلاف العرض بين السكتين.

وبسبب اتساع مساحة أراضي الجمهورية الإسلامية الإيرانية، يجري الآن تنفيذ برامج شاملة لمضاعفة طاقة سكك الحديد وتوسيع خطوطها؛ كما أنشيء بهدف تصنيع الحافلات المتنوعة، والقاطرات التي تحتاج إليها هذه السكك، مصنع ضخم في «أراك».

إن طول السكك الحديدية في إيران يزيد في الوقت الحاضر عن ٥٠٠٠ كيلومتر.

أما المواصلات الجوية في الجمهورية الإسلامية، فتتم عن طريق ثلاثين مطاراً في البلاد، بعضها ـ مثل مطارات طهران وآبادان وشيراز وزاهدان ـ هي مطارات دولية. وجرى في السنوات الماضية، تنفيذ مشروع مطار طهران الجديد، الذي سيكون واحداً من أكبر وأكمل مطارات العالم. ويتم أكثر الرحلات الجوية الداخلية، وتقريباً جميع الرحلات الخارجية، بواسطة شركة طيران الجمهورية الإسلامية الإيرانية «إيران إير»، كما أن شركة الطيران «آسمان» (السماء) أيضاً، تؤمن بواسطة طائراتها النفاثة الصغيرة والكبيرة، رحلات على الخطوط الداخلية للشحن وللركاب.

وكان يعتمد قبل انتصار الثورة الإسلامية، إعتماداً كبيراً على شركات الطيران الأجنبية، لنقل الحجاج الإيرانيين الى المملكة العربية

السعودية، ولكن بعد الثورة الإسلامية، تم نقل جميع الحجاج الإيرانيين بواسطة طيران الجمهورية الإسلامية الإيرانية، رغم الزيادة الكبيرة اللافتة للنظر في عدد الحجاج الإيرانيين، الذين بلغ تعدادهم سنة ١٩٨٥ مئة وخمسين ألف شخص. إن عدد المسافرين على طائرات شركة الخطوط الجوية الإسلامية الإيرانية بلغ سنة ١٩٨١ (١,٨٦٣,٠٠٠) شخص.

* * *

أما الخطوط البحرية للجمهورية الإسلامية الإيرانية، التي تصل ما بين الجزر والمرافئ الإيرانية في الخليج وبحر عمان، ومرافئ دول العالم، فلها دور رئيسي في صادرات البلاد ووارداتها.

لقد اتسعت طاقة الملاحة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية بعد الثورة الإسلامية، الى اربعة اضعاف ما كانت عليه، وبلغ تعداد سفنها ٨٨ قطعة، بحمولة تزيد عن ٢,١٠٠,٠٠٠ طن. يشار هنا بصورة خاصة الى سفن اسطول «إيران هرمز» التجاري، التي تستعمل لنقل الركاب وشحن البضائع بين الجمهورية الإسلامية الإيرانية ومرافئ الدولة المحيطة بالخليج والجزر الإيرانية فيه، والى شركة إيران والهند للملاحة أيضاً، التي تملك الجمهورية الإسلامية الإيرانية ٥١٪ من أسهمها، والتي تضم عدداً يلفت النظر من السفن، تعمل بصورة عامة في شحن البضائع بين الجمهورية الإسلامية الإيرانية ودول شبه القارة الهندية.

كذلك للزوارق البخارية (اللنشات)، وللمراكب الخاصة الكبيرة ايضاً، دور مهم في نقل المسافرين وشحن البضائع في الخليج.

٦ ـ مرافئ إيران

لقد كانت حركة بناء المرافئ قبل الثورة الإسلامية، منصبة في غالبها على توسعة طاقات المرافئ الواقعة على شواطئ الخليج. ولكن بعد الثورة الإسلامية، انشئت مرافئ جديدة في بحر عمان، يمكن أن يشير من بينها الى مرفأ ومرسى «الشهيد بهشتي» في منطقة «جابهار»، والى مرسى مرفأ «جاسك». وقد انشئ في مرافئ الخليج ايضاً وفي جزره، عدد لا يستهان به من المراسي الجديدة، تمكن الإشارة من بينها الى مرفأ «الشهيد رجائي» في «بندر عباس»، الذي قد يكون أضخم عمل على صعيد إنشاء المرافئ في الجمهورية الإسلامية الإيرانية. إن هذا المرفأ الذي يبعد بضعة كيلومترات عن مرفأ «الشهيد باهُنَرْ» الأقدم زمناً، يتضمن أرصفة لبضائع الشحن وللركاب ولتصدير النفط، كما يتضمن رصيفاً خاصاً لتحميل الحاويات (الكونتينرات) وتفريغها، وسيتمتع هذا المرسى قريباً، بإمكانات ضخمة للتحميل والتفريغ، بعد تنفيذ برنامج إنشاء سكة الحديد بين «بافق» وبندر عباس. كما نفذ برنامج توسعة وتنويع المرافئ البحرية للصادرات والواردات في ايران، وزيادة المراسي المعدة لصيد الأسماك، وعدة مرافئ اخرى خُطِّط لإنشائها.

وبين المرافئ المهمة الأخرى في الخليج، تمكن الإشارة الى مرافئ «بوشهر» و«الإمام الخميني» و«ماهشهر»؛ كما نذكر ان الجمهورية الإسلامية الإيرانية، تتصل بواسطة مرفَأي «نوشهر» و«انزلي» في بحر الخزر «بحر قزوين» بالإتحاد السوفييتي السابق، وعن طريق ممراته المائية بأوروبا.

تاريخ تطور التجارة البحرية الايرانية
من عام ١٩٦٨ حتى ١٩٨٥

السنة	عدد البواخر	الحمولة (١٠٠٠ طن)	حمل مثقل (١٠٠٠ طن)
١٩٦٨	٦	١٥٨	٤٣
١٩٦٩	٦	٣١٩	٤٣
١٩٧٠	٦	٣٠١	٥٤
١٩٧١	١٠	٢٧٣	١٢١
١٩٧٢	١٠	٥١٣	١٢١
١٩٧٣	١٨	٦٩٠	٢٤٠
١٩٧٤	٢٨	٩٢٦	٣٣٥
١٩٧٥	٣٨	١٩٨٣	٤٨٩
١٩٧٦	٣١	٣٠٨٥	٤٢٠
١٩٧٧	٤٢	٢٧٣٣	٥٢٥
١٩٧٨	٤٢	٢٢١٧	٥٢٥
١٩٧٩	٤٢	٢١٣٣	٥٢٥
١٩٨٠	٣٨	٢٥٦٤	٤٩٦
١٩٨١	٤٠	٣٥٣٢	٦٧٨
١٩٨٢	٤٢	٧٧٤٩	٧٩٩
١٩٨٣	٦٠	١٢٠٧٢	١١٠٣
١٩٨٤	٧٠	١٤٠٠٠	١٤٥٠
١٩٨٥	٩٠	١٤٠٠٠	٢٤٠٠

وقد توصل الخبراء الإيرانيون مؤخراً، الى تقنية جديدة لبناء المراسي العائمة، وفرت إمكانية إنشاء مَراسٍ في معظم المناطق الساحلية الإيرانية. وهذه التقنية في صناعة المراسي البحرية، هي مئة بالمئة إيرانية، وهي من حيث المتانة والتكاليف والسرعة في نصبها وتنفيذها، تفوق بصورة واضحة حداً جميع الطرق والأساليب الحديثة المطبقة اليوم في العالم لبناء المراسي.

وأخيراً، تبلغ طاقة تفريغ البضائع حالياً في مرافئ إيران قريباً من ١٥,٠٠٠,٠٠٠ طن.

٧ ـ الصادرات والواردات

يشكل النفط أهم مادة في صادرات إيران، وهو يُصدِّر في الغالب عن طريق المصبات النفطية في الخليج، وتشكل الأحجار المعدنية، وسبائك النحاس، والكافيار، والسمك المجفف، والبزورات والنقل، والسجاد، بقية الأنواع المهمة من الصادرات الإيرانية.

وقد صُدِّرت الى الخارج في السنوات الأخيرة الخضراوات، ومختلف انواع الفاكهة الطازجة، وبعض البضائع الصناعية ايضاً، وإن وضع ايران يجعل السياسة الحالية للجمهورية الإسلامية، القائمة على أساس عدم الإعتماد على صادرات النفط، على أساس تنويع بضائع الصادرات، سياسة ممكنة ومستطاعة تماماً، وقد اثبتت التجربة القصيرة خلال السنوات الماضية، إيجابية هذا البرنامج.

أما أهم واردات البلاد في الوقت الحاضر المصنوعات المعدنية، قطع التبديل لوسائل النقل، الأدوات الكهربائية، الآلات الصناعية المختلفة، وبعض المواد الغذائية.

٨ ـ الثروات المعدنية

إن من أهم الثروات المعدنية التي تمكن الإشارة إليها في إيران: النفط، والغاز، واليورانيوم، والفحم الحجري، وحجر الحديد، وحجر النحاس، والرصاص، والذهب، والفضة، والفيروز، والتراب غير القابل للإحتراق... إن تعدد أنواع المعادن الإيرانية وكيفياتها يجعل تصدير الكثير منها ممكناً.

والأرجح، بناء على المكتشفات الجديدة، والدراسات التحقيقية الإحصائية التي تمت، أن إيران هي الدولة الثانية في الدول ذات الغاز الطبيعي، كما أنها في ميدان النحاس، الذي يوجد أهمه في قصبة «سرجشمه» التابعة لمحافظة «كرمان» ـ أصبحت إيران واحدة من الدول الرئيسية القليلة المنتجة للنحاس في العالم، وقد بدأ بعد الثورة الإسلامية تصدير سبائك النحاس.

إن المؤسسات الضخمة لإستخراج النحاس في سرجشمه، كانت قبل الثورة الإسلامية تدار وتُسيَّر بواسطة الخبراء الأجانب، ولكنها بعد الثورة غدت كل مراحل الإستخراج فيها تدار وتسير بواسطة الإختصاصيين الإيرانيين، وزادت عائداتها. ويجري الآن، بهدف الإستفادة الى الحد الأقصى من العائدات الإقتصادية لمعدن النحاس في الوطن، تنفيذ برامج إيجاد صناعات جانبية تعتمد على محصولات معادن النحاس.

ولقد قلَّ بعد الثورة الإسلامية إنتاج النفط الإيراني وتصديره، وذلك بهدف منع هدر هذه الثروة الوطنية، وهو يُصَدَّر في الوقت الحاضر بدرجة معتدلة. أما أهم مراكز إستخراج النفط في إيران فهي

في آغا جاري، ومسجد سليمان، وكجساران وقم، وصحراء الخليج القارية.

٩ ـ الصناعات اليدوية

إن لصناعة السجاد تاريخاً عريقاً في إيران؛ والسجاد الإيراني يحظى بسبب ثبات لونه وجمال تصاميمه الفريدة وتنوعها بشهرة عالمية، ويعرض منه سنوياً مقادير تلفت النظر في أسواق العالم. وأهم مراكز صنع السجاد في إيران هي في كرمان وكاشان وقم وخراسان.

ولصناعات أصفهان أيضاً من «الخاتم» (الخشب المطعم)، و«المينا» (النحاس المطلي بالرسوم الملونة، المثبتة بالنار)، والمنبَّت (الرسوم المشجرة)، عشاق كثيرون في العالم. وثمة صناعات يدوية أخرى كثيرة في إيران مثل صناعة الكِليم (الجليم، البُسُط القماشية)، وأدوات النيكل، والتماثيل، والرسوم، والحفر على الخشب، وصناعات الخزف، والسيراميك، والموزاييك.

١٠ ـ جر المياه وصناعة السدود

بما أن إيران بلد جبلي ذو معدل سنوي محدود للأمطار، فإن الإستفادة حتى الحد الأقصى من الإمكانات المائية في البلاد أمر ضروري وحياتي. ولقد كان الإيرانيون يواجهون نقصان المياه عندهم، بحفر القنوات التي كانوا ينقلون المياه بواسطتها من سفوح الجبال الى الأراضي المزروعة، والتي كان يصل طول بعضها الى عدة كيلومترات أحياناً. وتوجد في الوقت الحاضر ألوف القنوات في مختلف نواحي ايران، ويستفاد اليوم من أساليب الجر الحديثة لمنع هدر المياه وضياعها سدى.

ولقد حظيت صناعة السدود ايضاً بالاهتمام، فأُنشيء في مختلف نقاط ايران ١٣ سداً كبيراً، في ٨ منها توربينات ومولدات كهربائية. أما أهم سدود إيران فهي: سد «كارون»، وسد «دز» (دِج)، وسد «سفيد رود»، وسد «أرس».

وقد نُفذت بعد الثورة الإسلامية ايضاً، عدة مشاريع لإحداث سدود ترابية، وجرى في السنوات الماضية بناء سدود كبيرة، مثل سد «جيرفت» وسد «ساوه»...

الأوضاع السياسية والاجتماعية والعلمية في الجمهورية الإسلامية الإيرانية

١ ـ الحدود

للجمهورية الإسلامية الإيرانية ٥١٧٠ كيلومتراً من الحدود البرية، و٢٥١٠ كيلومترات من الحدود المائية مع جيرانها. ويُشكل حدُّها مع الإتحاد السوفييتي السابق في شمال البلاد - ١٧٤٠ كيلومتراً (منها ٦٣٠ كيلومتراً كحد مائي) - أطول حد مشترك لها مع دولة مجاورة. أما حدها المشترك مع العراق - في الجنوب الغربي من البلاد - فيبلغ ١٢٨٠ كيلومتراً، وحدُّها مع تركيا - في الشمال الغربي منها - ٤٧٠ كيلومتراً. وتشترك الجمهورية الإسلامية الإيرانية مع دولة افغانستان ـ في الشمال الشرقي ـ بحد طوله ٨٥٠ كيلومتراً، ومع باكستان - في الجنوب الشرقي منها - بـ ٨٣٠ كيلومتراً. ويقع الخليج وبحر عمان في الجنوب الغربي من البلاد، ويبلغ حدها المائي معهما ١٨٨٠ كيلومتراً.

٢ ـ التقسيمات الإدارية

تشكل دولة إيران من ٢٤ محافظة، و٢٩٥ قائم مقامية، و٤٩٨ ناحية، يديرها محافظون وقائم مقامون وآمرو نواحٍ تعينهم حكومة الجمهورية الإسلامية الإيرانية. وطهران عاصمة إيران - التي كانت تضم حسب إحصاء ١٩٩٩، قريباً من ٧,٠٠٠,٠٠٠ نسمة - هي مركز محافظة تحمل أسمها، وفيها جميع وزارات الدولة، ومجلس الشورى الإسلامي (مجلس النواب).

٣ ـ الشعب الإيراني

إن ما يقرب من ٦٦٪ من الشعب الإيراني هم من الجنس الفارسي، و٢٥٪ من الترك، و٥٪ من الأكراد، و٤٪ من العرب. ويبلغ عدد السكان في إيران - وفقاً لتقديرات ١٩٩٩م ٥٠,٠٠٠,٠٠٠ نسمة، والكثافة السكنية ٣٠ شخصاً في الكيلومتر المربع. ويعيش ٥١,٨٪ من الشعب في المدن، والباقون في النواحي الريفية.

أما من ناحية توزيع الأعمار، فإن ٤٣,٦٪ من الإيرانيين هم في أقل من الرابعة عشرة من العمر، و٥٢٪ منهم بين الـ ١٥ والـ ٥٩، ويشكل الذين هم فوق الستين من العمر ٤,٤٪ من مجموع المواطنين، وهذا التحديد يظهر إرتفاع النسبة المئوية لشبان إيران.

٤ ـ عشائر إيران

إن عشائر إيران، هي في معظمها رحّالة تسكن الخيام، وتنتقل كل سنة الى المناطق ذات الطقس المعتدل والخصب طلباً لمراعٍ جديدة، وهي بصورة عامة تؤمن معيشتها عن طريق تملك المواشي وتربية الأغنام والماعز.

وأفراد العشائر - بسبب عيشهم في أحضان الطبيعة - هم بصورة عامة شعب شجاع ومضياف، بل وهم - بسبب تمركزهم في المناطق الحدودية - يشكلون الحرس والحماة لثغور الدولة الإسلامية الإيرانية. ولقد عملت الدولة كثيراً على تأمين حاجاتهم الأساسية، بل أنها، بتأسيس المدارس بين ظهرانهيم، قد عملت على تعميم التعليم والتربية في أوساط أطفال العشائر.

إن العشائر المعروفة في إيران، هي عبارة عن العشائر «البختيارية»، و«القشقائية»، وقبائل «قاجار»، و«شاهسون»، والقبائل «التركمانية»، و«الكردية»، وقبائل «أفشار»، و«كيلك»، والقبائل «السنجابية»، و«البلوشية»، و«البوير أحمدية»، و«الآقائية»، و«آل كثير»، و«الطوائف الممسنية».

٥ ـ دور المرأة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية

نظراً الى حساسية وأهمية دور المرأة في الأسرة؛ خلية المجتمع الأولى، والوحدة الأساسية لتطور الإنسان ورقيه، فإن الدستور في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، أولى المرأة التي هي نصف المجتمع أهمية كبيرة، فأخرجها من حالة كونها أداة أو «شيئاً» ما، وجعل لمقامها قدراً وسمواً. إن للنساء في الجمهورية الإسلامية الإيرانية الحق في العمل، والدراسة في جميع مراحلها، وممارسة الفعاليات الإجتماعية والسياسية، ويمنعن عن أداء الأعمال المخالفة فقط لروح الأنوثة ولشخصية المرأة الشفافة، والتي لا تتوافق أساساً مع الشرع الإسلامي الحنيف.

ان النساء يشكلن في الوقت الحاضر نصف الجسم التعليمي تقريباً في إيران، وحضورهن الفعال في الأمور الإجتماعية والإدارية والجامعية، وفي مراكز الأبحاث، ومشاركتهن في أعمال التنمية في الجمهورية محسوسة وبارزة.

إن في مجلس الشورى الإسلامي (البرلمان) نائبات ممثلات للشعب، وهن يشتركن غالباً في المحافل والمؤتمرات الدولية المتعلقة بالمرأة، في جميع أنحاء العالم بصورة فعالة.

والجامعات في إيران هي مختلطة بصورة عامة، ولكن حضور

الطلاب ـ شبان وشابات ـ في الصفوف، يتم مع رعاية الموازين الإسلامية، وبصورة منفصلة، وقد انشيء ايضاً عدد من الجامعات والمعاهد العليا الخاصة بالإناث.

إن دور المرأة الإيرانية في صنع تاريخ بلادها، مشهود لها به وواضح تماماً في احداث منها: الدستور، والثورة الإسلامية؛ وهي ـ المربية للأجيال القادمة ـ تحظى في المجتمع الإيراني اليوم بإحترام وافر، ولها منشوراتها الخاصة بها.

وقد أُقِرَّ مؤخراً قانون، أجيز بموجبه للسيدات بالعمل مدة نصف الوقت المقرر في الدوائر، حتى يمكن بذلك إتاحة الفرصة لهن لممارسة مختلف الفعاليات الدراسية والإجتماعية.

٦ ـ الأطفال والفتيان، صانعو مستقبل الوطن

لقد أعدت، لتحقيق أهداف الثورة الإسلامية، برامج متنوعة لتنمية الأفكار والأرواح عند الأطفال والفتيان، فوضعت الفروع المختلفة لِـ «مركز التربية الفكرية للأطفال والفتيان» أفضل الكتب والأفلام التي تناسبهم في جميع أنحاء الوطن مجاناً، تحت تصرف هذه الفئة من المجتمع؛ بل لقد خطط لوضع برامج قراءة قصص وأفلام حتى للأطفال الذين هم دون سن الدخول الى المدرسة الإبتدائية، وتوجد برامج للفتيان المتفوقين، ذوي الإستعداد الخاص، على صعيد علم الفلك وصناعة الافلام وغيرها.

لقد طُبع ووُزع بعد الثورة الإسلامية المئات من الكتب الخاصة بالأطفال، وثمة منظمات ومؤسسات عديدة لها فعاليات على هذا الصعيد. وقد اشتركت رسوم الأطفال الإيرانيين ولوحاتهم حتى الآن،

في معارض دولية متنوعة للرسم، ونالوا بها الكثير من المداليات الذهبية.

وتنتشر في ايران عدة مجلات أسبوعية خاصة بالأطفال والفتيان، ويُعِد «الصوت والصورة» (الراديو والتلفزيون) في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، برامج خاصة بالأطفال يبثها على مدار السنة بشكل منتظم، وقد انشيء في كل حدائق الوطن تقريباً، أقسام منها خاصة بالأطفال.

٧ ـ نوع الحكومة، والسلطات الحاكمة في ايران

إن حكومة إيران جمهورية إسلامية، والشعب الإيراني، بعد ثورته المجيدة بقيادة سماحة الإمام الخميني، صوّت في الإستفتاء الذي جرى في ١ نيسان ١٩٧٩ بأكثرية ٩٨,٢٪ من الذين كان لهم حق التصويت، مؤيداً قيام الجمهورية الإسلامية، فتبدلت منذ ذلك التاريخ، دولة إيران التي كانت امبراطورية، الى جمهورية إسلامية.

إن السلطات الحاكمة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، هي ثلاث سلطات: تشريعية وقضائية وتنفيذية:

تتألف السلطة التشريعية من مجلس بإسم «مجلس الشورى الإسلامي»، يضم ٢٧٠ نائباً ينتخبهم الشعب مباشرة وبصورة سرية لمدة أربع سنوات، إن مقررات مجلس الشورى الإسلامي تُعد صالحة للتنفيذ، بعد أن تؤيد «هيئة المحافظة على الدستور» (المؤلفة من أقدر الحقوقيين في الوطن، ومن الفقهاء المعيَّنين من قِبل قائد الأمة)، أن هذه المقررات غير مخالفة للدستور وللدين الإسلامي. إن عدد الحقوقيين والفقهاء في هذه «الهيئة» ١٢ شخصاً (ستة حقوقيين وستة فقهاء)؛

ومن الأعمال الأخرى لهيئة المحافظة على الدستور، تعديل مواد من الدستور عند الحاجة، والإشراف على الإنتخابات في الوطن. وللأقليات الدينية الإيرانية: الزرادشتيين واليهود، والمسيحيين الأرمن، والآشوريين، والكلدانيين، نواب في مجلس الشورى الإسلامي.

أما السلطة القضائية ـ التي تشكل «الهيئة العليا للقضاء» فيها أعلى مقام قضائي ـ فهي كسائر السلطات في البلاد، تعمل وفقاً للتعاليم والموازين الإسلامية؛ وتتألف الهيئة المشار إليها من خمسة أشخاص هم: رئيس الديوان الأعلى للقضاء، ورئيس النيابة العامة في البلاد، وثلاثة قضاة مجتهدين عادلين. ولقد انشيء من أجل تنفيذ القوانين في الأجهزة الإدارية تنفيذاً صالحاً، مجلس تشرف عليه الهيئة العليا للقضاء بإسم: «مجلس التفتيش العام».

رئاسة الجمهورية

إن منصب رئيس الجمهورية، هو أعلى منصب رسمي في البلاد بعد منصب «قيادة الأمة»، فهو المسؤول عن تنفيذ الدستور، وتنظيم الروابط بين السلطات الثلاث؛ وهو يتولى رئاسة القوة التنفيذية إلا في الأمور المرتبطة مباشرة بالقيادة، ورئيس الجمهورية ينتخب من الشعب مباشرة بالتصويت السري لمدة أربع سنوات، ولا يمكن إنتخابه لأكثر من دورتين.

أما رئيس الوزراء، الذي يختاره رئيس الجمهورية، ويتقدم به الى مجلس الشورى الإسلامي لنيل ثقته، فيتولى رئاسة مجلس الوزراء، وهو مسؤول أمام مجلس الشورى عن أعمال مجلس الوزراء، الذي يتألف من ٢٤ وزيراً، يتولون الوزارات المتنوعة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

القائد والقيادة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية

بناء على دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية، يتولى قيادة الأمة في زمان غيبة ولي العصر (عج)، فقيه عادل، تقي، مطلع على شؤون العصر، حسن الإدارة والتدبير، اشتهر لدى أكثرية الشعب بالقيادة الحكيمة. وأقرت له بها، كما حدث بشأن الإمام الخميني. وفي غير هذه الحالة، يتخذ «مجلس الخبراء» المنتخب من قبل الشعب، القرار المناسب بشأن إنتخاب قائد او مجلس قيادة، أما واجبات القائد وصلاحياته فمنها: تعيين فقهاء «هيئة المحافظة على الدستور»، تسمية وتثبيت صاحب أعلى مقام قضائي في البلاد، مسؤولية الحاكم العام لكل القوى المسلحة (مشتملة على تعيين وعزل رئيس الأركان المشتركة، والقائد العام لجيش حرس الثورة الإسلامية، تأليف مجلس الدفاع الأعلى، تعيين الحكام الأعلين للقوى الثلاث، بناء على إقتراح مجلس الدفاع الأعلى، إعلان الحرب والصلح وتعبئة القوى، بناء على إقتراح مجلس الدفاع الأعلى)، تثبيت رئيس الجمهورية بعد «إنتخاب الشعب له، وعزله بعد حكم الديوان العالي للقضاء بتقصيره في واجباته القانونية، أو بعد قرار مجلس الشورى الإسلامي بعدم كفاءته السياسية، العفو عن المحكومين او تخفيف عقوباتهم، بناء على إقتراح الديوان العالي للقضاء...

٨ ـ اللغة والخط

إن لغة إيران الرسمية هي اللغة الفارسية، ويروج فيها الخطان الفارسي والعربي، ويُتحدَث ايضاً في النواحي المختلفة من البلاد بالتركية، والكردية، والعربية، واللُرية، والكَيلكية، والمازندرانية، والبلوشية، كلغات او لهجات محلية.

٩ ـ الأديان والمذاهب

يشكل المسلمون ٩٨,٨٪ من الشعب الإيراني. ويعتنق ٩١٪ من الشعب المذهب الشيعي الأثني عشري، و٨٪ من أهل السنة والجماعة، و٠,٧٪ الديانة المسيحية، و٠,٣٪ اليهودية، و٠,١ الزرادشتية، و٠,١٪ يتبعون أدياناً او مذاهب أخرى.

١٠ ـ العَلَم والشعار الرسمي للوطن

يتألف العلم الإيراني من ثلاثة ألوان أفقية متساوية، الأخضر والأبيض والأحمر، تطوقه حاشية من شعار «الله أكبر» مكرراً. يحتل اللون الأخضر القسم الأعلى، والأبيض القسم الأوسط. والأحمر القسم الأسفل من العلم. أما شعار الجمهورية الإسلامية الإيرانية الذي هو أحمر اللون، فيتوسط القسم الأبيض من العلم؛ وهذا الشعار في نفس الوقت الذي يصور إسم الجلالة: «الله»، تؤلف اجزاؤه شعارَ التوحيد ايضاً: «لا إله إلا الله».

١١ ـ دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية

إن «مجلس الخبراء» المؤلف من ممثلي الشعب، قد انجز تدوين الدستور، على أساس المشروع المقترح من قبل الحكومة، وسائر الإقتراحات المختلفة من أفراد الشعب، في إثني عشر فصلاً تشتمل على ١٧٥ مادة، وكان ذلك في مطلع القرن الخامس عشر للهجرية النبوية. إن هذا الدستور، الذي دُوِّن على أساس التعاليم الإسلامية السامية، هو واحد من الدساتير الأكثر تقدماً في العالم اليوم.

أسس النظام الإقتصادي في الجمهورية الإسلامية الإيرانية

يقوم النظام الإقتصادي في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، على ثلاثة انواع من الفعاليات الإقتصادية: حكومية وتعاونية وخاصة:

أما النشاطات الإقتصادية الحكومية، فتشمل تلك النشاطات التي لها دور استراتيجي في اقتصاد الوطن، والتي تكون إدارتها أفضل إذا تمت بواسطة الدولة، مثل جميع الصناعات الكبرى والصناعات الأم، التجارة الخارجية، المعادن الكبرى، شؤون المصارف وشركات التأمين، توفير الطاقة، السدود والشبكات الكبرى لجر المياه، الراديو والتلفزيون، البريد والبرق والهاتف، النقل الجوي والبحري، والسكك الحديدية، صناعات الأسلحة، وأمثالها.

أما النشاطات الإقتصادية التعاونية، فتتمثل بالشركات وتعاونيات الإنتاج والتوزيع، التي تدار وفقاً لضوابط وأسس مقررة.

وأما النشاطات الإقتصادية الخاصة، فتمارس نشاطها في ميادين الزراعة وتربية الحيوانات، والصناعة، والتجارة، والخدمات المكملة للنشاطات الإقتصادية الحكومية والتعاونية.

إن الملكية في القطاعات الثلاثة المتقدمة، ما دامت لا تخرج عن حدود الموازين والقوانين الإسلامية، وما دامت تنمّي وتوسّع إقتصاد الوطن، تحميها قوانين الجمهورية الإسلامية حماية تامة.

نبذة موجزة حول صناعات إيران

إن إيران هي في الأصل دولة زراعية، إلا أن عجلة الإقتصاد تديرها في الوقت الحاضر صناعات عظيمة نشير في ما يلي الى أهمها:

لقد كان لمصنع صهر الحديد في أصفهان، ولمعمل صناعة

الفولاذ في الأهواز ـ اللذين هما من أهم مصانع ايران ـ دور رئيسي في تأمين الأحتياجات الداخلية، وسيبدأ قريباً مجمع «مباركه» الضخم للفولاذ بإنتاج انواع الورق الفولاذ. وينتج ايضاً مصنع الاسطوانيات والأنابيب في الأهواز، بدرجة وافية، الأنابيب المعدنية التي تحتاج إليها صناعات النفط والغاز وجر المياه. وفي مدينة «أراك» الصناعية، يُعِد الآن «معمل باريس لصناعة الحافلات» ـ الذي بدأ بعد الثورة الإسلامية بإنتاج الأنواع المتعددة من الحافلات ـ برامج لإنتاج القاطرات، وحافلات المترو. وتتولى مصانع «هبكو» أيضاً، إنتاج مختلف انواع المداحل والغريدرات والبولدوزرات والرفوش الميكانيكية والونشات، ويصنع داخل البلاد حوالي ٧٠٪ من قطع الغيار لهذه الآلات، أما ما لايُنتج في الداخل منها، فإن انتاجه داخلياً يكلف ـ وفقاً للدراسات التي أجريت ـ أكثر من المستورد، وبالتالي فإن إنتاجه في الداخل ليس في مصلحة إقتصاد البلاد.

ويقوم «معمل بوشهر لصناعة السفن» في الوقت الحاضر ـ اضافة الى اصلاح السفن الصغيرة ـ ببناء القوارب وجرارات الزوارق، أما «معمل بندر عباس لصناعة السفن» الضخم، الذي شهد اخيراً المراحل الأخيرة لإكماله، فإنه سيتمكن قريباً من صنع ما تحتاج اليه البلاد من السفن الكبيرة، التي تصل سعتها الى ٢٠,٠٠٠ طن، ومن إصلاح وترميم أكثر من مئتين وأربعين سفينة سنوياً من عابرات المحيطات، وبذلك فهو لا يعفي ايران فقط من إرسال سفنه الى الخارج لأصلاحها، بل انه سيؤمن حاجات دول الخليج من صنع السفن او إصلاحها.

وبما أن ايران دولة زراعية، وبما أن مساع شاملة تبذل الآن

لتعميم الزراعة المكننة في البلاد، فإن مصانع التراكتورات والآليات. ستلعب دوراً مهماً في تأمين قسم من احتياجات ايران، وقد كانت الجهود المبذولة لتأمين الأكتفاء الذاتي الكامل من إنتاج الآلات الزراعية، مرفقة حتى الآن بنتائج إيجابية.

ونظراً الى اهمية قطاع النقل والشحن الجويين، بدأت صناعات الطيران الإيرانية بعد الثورة، وبعد خروج الخبراء الأجانب، إصلاحات لم تعرف مثيلاً لها في السابق، وهي تقوم الآن بالإصلاحات والترميمات الأساسية لطائرات النقل والشحن الضخمة.

ولإيران خبرة عشرين سنة في صناعة الكميونات الكبيرة، والأوتوبوسات، الميني بوسات، وسيارات الركاب، وقد وُقعت مؤخراً إتفاقية نقل التكنولوجيا لصناعة نوع من السيارات والبيك آب من حاملات ٢ طن.

وتصنع في داخل البلاد الأنواع المختلفة من قطع غيار الآلات، ومضخات المياه، والكابلات المتعددة، وأجهزة الراديو والتلفزيون، وينتج «معمل أراك لصنع الماكينات» قطع التبديل للمعامل الصناعية، ولمعمل الترابة «الأسمنت»، والمخازن تحت الضغط.

ولا بد من الإشارة الى المنتجات الأخرى للصناعات الإيرانية وأنواع مختلفة من البرادات والثلاجات (الفريزر)، وماكينات الكي والتنظيف، والمصابيح (اللامبات)، والبطاريات، والمحطات الالكترونية، وصناعات الكمبوت...

النفط والغاز والبتروكيماويات

إن صناعات النفط والغاز، نظراً لمنابعها الكثيرة والغنية، عرفت توسعاً كبيراً في ايران، ومصافي النفط الضخمة في طهران، وتبريز، وباختران، وشيراز، وأصفهان، تؤمن معظم المتطلبات الداخلية من منتجات المشتقات النفطية، وتجدر الإشارة هنا، الى أن بعضاً من أهم انواع الزيوت والمستحضرات النفطية، قد أُنتِجت داخل البلاد بعد الثورة الإسلامية، بناء على تجارب الخبراء الإيرانيين.

ولقد عرفت ايران تقدماً كبيراً يلفت النظر في ميدان تمديدات الغاز، فقد بلغ طول شبكة الغاز الطبيعي المنشأة خلال السنوات ١٩٧٩ - ١٩٨٤، في البلاد ٣٥٠٠ كيلومتراً، يستفيد منها ٢٣ مدينة، بينما كان يستفيد من الغاز الطبيعي قبل الثورة الإسلامية ٥ مدن فقط؛ والعمل جارٍ في الوقت الحاضر، لإيصال الغاز الى ١٥ مدينة أخرى، كما أن الدراسات مستمرة لإحداث شبكة غاز طبيعي تغطي أكثر من ٧٠ مدينة، هذا مع الإشارة الى أن ٥٠ مزرعة ريفية ايضاً في البلاد، تستفيد من الغاز الطبيعي. لقد وضع في خدمة ابناء الوطن ٤٠٠,٠٠٠ راس أنبوب غاز خلال السنوات ١٩٧٨ - ١٩٨٥، وهو رقم لا يقارن قط بما كان عليه قبل الثورة، كما يُطبَّق حالياً في عدد من المدن ايضاً بصورة تجريبية، برنامج تسيير وسائل النقل العامة بالغاز، وهو برنامج سيعمم بسرعة إذا كانت نتائج التجربة إيجابية.

إن عدد الوحدات الصناعية التي تستفيد في الوقت الحاضر من الغاز الطبيعي، يبلغ ٧٣٢ وحدة، اي تقريباً ثلاثة اضعاف ما كان عليه قبل الثورة؛ وتبلغ كمية الغاز الطبيعي المستعمل حالياً في صناعات

الوطن، ٧,٥ مليون متر كعب، أي أكثر من ضعفي الكمية المستعملة سنة ١٩٧٨.

ويجري الآن، من أجل الوصول الى إطالة العمر الصالح لمنابع النفط في البلاد، تنفيذ برنامج تلقيح آبار النفط بالغاز، الذي هو احد المشاريع المهمة لصناعة النفط في البلاد؛ كما أن العمل جارٍ في الوقت الحاضر، في مجمعات بتروكيمائية عديدة تنتج مواد كيمائية مختلفة، مثل السماد الكيماوي بمختلف انواعه، تمكن الإشارة من بينها الى مجمع شيراز البتروكيماوي.

ونظراً الى الإنتشار السريع لشبكة تمديد الغاز في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، انشيء معمل لإنتاج عدادات الغاز، سينتج في المرحلة الأولى ١٠٠,٠٠٠ عداد، يرتفع بعدها هذا الرقم خلال بضع سنوات قادمة، الى ٢٥٠,٠٠٠ عداد؛ كما يُنتَج في الجمهورية الإسلامية أجهزة تنظيم (ركلاتور) طاقتها ٥ أمتار مكعبة.

أما عمليات حفر آبار البترول والغاز، التي كانت تتم سابقاً على أيدي الخبراء الأجانب، فتتم جميعها في الوقت الحاضر على أيدي إيرانيين متخصصين. وقد أصلحت وشُغِلت مؤخراً على أيدي الخبراء الإيرانيين أيضاً، عدة أجهزة ضخمة للحفر، وعدة محطات عائمة للتنقيب عن البترول في الخليج.

الماء والكهرباء

إن شبكات أنابيب مياه الشرب، تغطي في الوقت الحاضر جميع المدن ومعظم القرى في الأرياف، بفضل الإستفادة من السدود الموجودة، وحفر الآبار العميقة، واستغلال القنوات وينابيع المياه،

ويزداد في كل سنة زيادة ملحوظة، عدد القرى والمزارع الريفية، التي تمد اليها شبكات مياه الشفه وتتمتع بالمياه الصحية، بحيث يبلغ عددها في الوقت الحاضر ٥٣٦٠ بلدة وقرية، وهذا التوسع الذي يرفع المستوى الصحي في الأرياف، يسبب تخفيضاً كبيراً للأمراض الناتجة عن تلوث المياه.

ولقد أُنشيء من أجل تعميم شبكة الكهرباء في ايران، إضافة الى محطات الطاقة والخطوط الجديدة لنقلها، معمل لصناعة اعمدة الكهرباء ذات التوتر العالي، ومصانع لإنتاج العدادات والكابلات، ومحولات (ترانسفورماتورات) التقوية والطاقة؛ كما يُولَى إهتمام خاص بتأمين الكهرباء التي تحتاج اليها القرى والأرياف، بحيث أوصلت الطاقة الكهربائية، بعد إنتصار الثورة الإسلامية، الى أكثر من ١٠,٠٠٠ بلدة وقرية، وما يجدر ذكره أخيراً، أن إنتاج الطاقة الكهربائية، قد ارتفع من ١٧,٤ مليار كيلووات سنة ١٩٧٧ الى ٣٠ مليار كيلووات.

الراديو والتلفزيون

إن موضوع مضاعفة الإمكانات الإذاعية والتلفزيونية في ايران ـ بسبب ما للراديو والتلفزيون من دور قيم في المجتمعات الراقية ـ يحظى اليوم بإهتمام خاص، ولذا انشيء في البلاد منذ السنة ١٩٧٨ عدة أجهزة إرسال إذاعية وتلفزنية قوية، وأجهزة موجية صوتية وتصويرية، بحيث أصبح صوت الجمهورية الإسلامية الإيرانية يُسمع في أكثر نقاط العالم. إن البرامج بالكردية والعربية والإنكليزية والتركية، في «صوت وصورة» (راديو وتلفزيون) الجمهورية الإسلامية الإيرانية، لها مستمعون كثيرون في جميع أنحاء العالم. ولقد توافرت مؤخراً ـ

بفضل برامج الأقمار الصناعية - إمكانية بث البرامج التلفزيونية في معظم نقاط الوطن وقراه ودساكره البعيدة. إن «تلفزيون الجمهورية الإسلامية الإيرانية» ذو قناتين، وهو عادة يبث برامج قريباً من ١٨ ساعة كل يوم، كما أن برنامج الشبكة الشاملة في «صوت الجمهورية الإسلامية الإيرانية» (الراديو)، أيضاً يبث ٢٤ ساعة يومياً، وفي معظم مراكز المحافظات ايضاً اجهزة إرسال إذاعية وتلفزيونية مستقلة.

وبما أن لبرامج «الصوت والصورة» دوراً كبيراً جداً في نشر كل أنواع الثقافات، لذا لوحظ دائماً، أن يكون إعداد جميع البرامج الإذاعية والتلفزيونية، على أساس الثقافة الإسلامية الغنية بالتراث الحضاري السامي.

الثورة الثقافية

لقد اعتمِدت بعد الثورة الإسلامية، الأساليب المتطورة في التدريس وفي تدوين الكتب المناسبة، سعياً الى جعل الدروس والجو التعليمي في المراكز الثقافية في البلاد منسجمة مع الثورة الإسلامية، والى حذف الدروس غير المفيدة، وزيادة الدروس الأساسية، ورفع المستوى العلمي في المراكز التعليمية، فتولدت من ذلك حركة ثقافية وأساس لبناء ثقافي جديد، سمي في ما بعد: الثورة الثقافية.

ونظراً الى دور الثقافة الحساس في المجتمعات البشرية، ووجوب حفظ القيم الأصيلة للثورة، التي تمتد جذورها في الثقافة الإسلامية الثرية، تَشكَّلَ المجلس الأعلى للثورة الثقافية من ذوي أعلى المناصب في البلاد، وأرفع المسؤولين عن إتخاذ القرارات؛ فرئيس الجمهورية، ورئيس مجلس الشورى الإسلامي (البرلمان)، ورئيس الوزراء، ورئيس

مجلس القضاء الأعلى، ووزير الإرشاد الإسلامي، ووزير الثقافة والتعليم العالي، ووزير التربية والتعليم، هم من الأعضاء الأصيلين في المجلس الأعلى للثقافة، الى جانب عدد من الاساتذة البارزين، الذين هم اعضاء ايضاً في هذا المجلس.

الأوضاع والنظام التعليمي في الجمهورية الإسلامية الإيرانية

لقد تضمن دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية، إهتماماً خاصاً بأمر التعليم والتربية. فمن واجب الدولة توفير المتطلبات اللازمة لتعليم جميع الأحداث والفتيان مجاناً حتى نهاية مرحلة التعليم الثانوي، وهي مهمة منوطة بوزارة التربية والتعليم. وقد حدثت بعد الثورة الإسلامية إصلاحات كثيرة في الوضع التعليمي، وفي ما يلي تعريف بالنظام التعليمي في إيران.

البنيـة التعليمية

إن بنية النظام التعليمي قبل الجامعي في إيران، تتألف من المراحل التالية: المرحلة التمهيدية - المرحلة الإبتدائية - المرحلة الإرشادية (التكميلية) - المرحلة النظرية (الثانوية)؛ تضم حالياً أكثر من ٩,٢٩٠,٠٠٠ تلميذ.

١ ـ المرحلة التمهيدية

يتوصل التلاميذ الصغار في هذه المرحلة، من خلال تلقيهم دروساً تعليمية، الى أهلية التحصيل في المرحلة الإبتدائية؛ أما الصغار في المناطق التي لا تكون الفارسية فيها اللغة الأم، أو تلك التي يكون الحديث فيها بلهجات مختلفة، فإنهم - علاوة على ذلك - يتعلمون اللغة الفارسية أيضاً.

٢ ـ المرحلة الإبتدائية

هي المرحلة الأولى من مراحل التعليم، وتستغرق خمس سنوات والأولاد يلتحقون بهذه المرحلة بعد إنهائهم السنة السادسة من أعمارهم.

٣ ـ المرحلة الإرشادية (التكميلية)

تستغرق هذه المرحلة ثلاث سنوات، وهي تلي المرحلة الإبتدائية، والهدف من هذا المفصل التعليمي، أن يطلع التلاميذ على العلوم والمعارف، وأن يُحَضَّروا تحضيراً أفضل لدراسة المواد التي يميلون إليها في المراحل التالية.

٤ ـ المرحلة النظرية (الثانوية)

هي المرحلة النهائية من مراحل التحصيل المتوسطة، والتلاميذ الأحداث يلتحقون بها بعد نجاحهم في إكمال المرحلة الإرشادية (التكميلية)، في هذه المرحلة يواجه التلاميذ فروعاً مختلفة، يختار كل منهم واحداً منها لمتابعة تحصيله، تبعاً لإستعداده، وبناء على العلامات التي ينالها.

تشتمل هذه المرحلة على قسمين: نظري وعملي.

٥ ـ الدروس الفنية والحرفية

تستغرق هذه الدروس ـ كالمرحلة النظرية (الثانوية) ـ أربع سنوات، وبعدها ينتسب إليها التلاميذ الميالون الى الدروس الفنية بدلاً من الدروس النظرية.

٦ ـ تعليم الأولاد «المعوّقين»

توجد للأولاد ذوي العاهات او النواقص العضوية او الذهنية، مدارس خاصة، يتعلم فيها العمي والصم والمتخلفون عقلياً والمرضى بعلل دائمة، بوسائل وطرق تعليمية خاصة بهم؛ ويوجد في طهران مركزان لإعداد معلمين لهذا النوع من التلاميذ.

إعداد المعلمين والمدرسين

إن الأشخاص الذين يرغبون في تعاطي التدريس كحرفة لهم، يستطيعون بعد إكمالهم دراسة المرحلة المتوسطة، ونيل الشهادة الثانوية أن يلتحقوا بأحد مراكز اعداد المعلمين التابعة لوزارة التربية والتعليم، حيث يمضون فترة سنتين، يلتحقون بعدها بسلك التعليم. وطبعاً، لا بد للراغبين في الإلتحاق بهذا الفرع، من الإشتراك في إمتحان دخول، يبدأون دروسهم بعد إجتيازهم له بنجاح.

كما انشيء حتى الآن ٣٢ مركزاً ايضاً لاعداد معلمي الأرياف.

ويشترط في معلمي المدارس الثانوية، أن يكونوا قد حصلوا على إجازة: (ليسانس) على الأقل، وأن يكونوا قد اجتازوا دورة تدريبية في الجامعة.

أما الإنتساب الى مراكز إعداد «المدرسين» (الجامعيين)، فيشترط فيه حصول طالب الإنتساب على إجازة الليسانس على الأقل. والمتخرجون من هذه المراكز يعملون مستقبلاً في التدريس في الجامعات.

التعليم العالي

إن الراغبين في متابعة تحصيلهم العالي بعد إنهاء المرحلة الثانوية، يجب أن يشتركوا في إمتحان دخول الى الجامعات، ويتابعون تحصيلهم فيها في حالة نجاحهم في ذلك الإمتحان.

أما الفروع التي تُدرَّس في الوقت الحاضر في جامعات إيران فهي: العلوم الطبيعية، العلوم الإنسانية، الطب، الهندسة بفروعها المختلفة، الزراعة، الفنون والآداب، وينقسم كل واحد من هذه الفروع الى عدة شعب تخصصية.

أما الشهادات التي ينالها الطالب بعد إكماله دراسة المراحل المختلفة فهي: الديبلوم الجامعية (بين الثانوية والإجازة) - الإجازة (الليسانس) - فوق الإجازة (الماجستير) - الدكتوراه.

وقد أسست بعد الثورة الإسلامية كليات حديثة ذات إختصاصات جديدة، مثل كلية صناعة السفن.

أما عدد الطلاب الجامعيين في ايران، الذين كانوا عام ١٩٧٨ ميلادية ١٧٥,٦٧٥ طالباً، فقد بلغ خلال العام ١٩٨٦ أكثر من ١٩٠,٠٠٠ طالب، منهم في فروع الطب وحدها ٦,٠٠٠ طالب. وما يجدر ذكره هنا، أن عدد كليات الطب في ايران، سيرتفع بناء على البرامج التي هي الآن في مرحلة التنفيذ، من ٢٥ الى ٤٠ كلية.

الإصلاحات في النظام التعليمي

١ ـ التعديل في الكتب المدرسية

إن الكتب المدرسية، التي كانت بصورة عامة متأثرة بالثقافة الأجنبية، تطورت بعد الثورة الإسلامية، فأصبح القرآن الكريم والتعاليم الإسلامية، والعلوم والفنون الجديدة والمتطورة، هي الأساس في الدروس؛ وتعرَّفَ المعلمون الى الأساليب الجديدة، وأقبلوا على التدريس برغبة وعطاء، وَوُضِعَت الكتب بأساليبها وصياغاتها الجديدة بين أيدي طلاب المعرفة. لقد تبدلت كتب العلوم الإجتماعية، والعلوم الإنسانية، وعلم النفس، والإقتصاد، والتاريخ، والجغرافيا، والفنون، والآداب الفارسية والعربية، وسائر اللغات الأجنبية، فغدت ذات طابع مقبول في مجتمع الثورة الإسلامية.

٢ ـ التعديل في مراحل الدراسة

إن حوالي عشرين فريقاً للابحاث والبرمجة، يدرسون اليوم مواد التدريس والكتب المدرسية ومراحل الدراسة، سعياً الى خطة تجعل مواد التدريس منسجمة مع المفاهيم الإسلامية، وتعتمد في النظام التعليمي أحدث الأساليب التعليمية في العالم. ويشترك في هذه المهمة فريق من رجال الحوزة العلمية الدينيين ايضاً.

٣ ـ النشرات التعليمية

تصدر في البلاد من أجل توسعة الآفاق الفكرية والذهنية للتلامذة والفتيان، مجموعة مجلات دورية شهرية بعنوان: منشورات «رشد»، تبلغ أعدادها ٨٠٠,٠٠٠ نسخة كل شهر، كما أن

لمنشورات رشد نشرات لرفع مستوى المعلمين أيضاً.

٤ ـ برنامج «كـاد»

إن «كاد» ـ الذي يشكل اسمه إختصاراً لكلمتي «كار» و«دانش»، (أي: العلم والعمل) ـ هو برنامج لتعريف التلاميذ بالصنائع والحرف. إن كل تلميذ يشترك يوماً في كل أسبوع في هذا البرنامج، كما أنه خلال السنة الدراسية، يصرف من سنته شهراً في تعليم الفنون المختلفة في المعامل والورش؛ وبذلك يتعلم التلاميذ بعد إنهاء دروسهم فناً او حرفة، لهما تأثير في مستقبلهم، وفي الإكتفاء الذاتي للجمهورية.

٥ ـ محو الأمية

لقد كانت الوسائل والتسهيلات التعليمية قبل الثورة، موفرة في الغالب لأبناء المدن، قلما كان ابناء الأرياف يتمتعون او يستفيدون من هذه النعمة، أما في عهد ما بعد الثورة الإسلامية، فإن عدداً لا يستهان به قد تعلم القراءة والكتابة، نتيجة إنشاء مراكز للتعليم في أقصى نقاط الوطن ومعظمها في المناطق الريفية.

إن حركة تعليم القراءة، بدأت عملها منذ السنة ١٩٧٩، واستوعبت حتى الآن أكثر من ثلاثة ملايين شخص. أما الصفوف التي انشئت حتى اليوم في هذا الميدان، فيزيد عددها عن ١٦٧,٠٠٠ صف.

٦ ـ الجامعة الإسلامية الحرة

أنشئت بعد الثورة «الجامعة الإسلامية الحرة»، من أجل توفير

إمكانية تعلم الدروس العالية لجميع الأفراد الموهوبين او الراغبين في التعلم، وسرعان ما توسعت الى مستوى تغطية الدولة كلها، بحيث أن ألوفاً من الطلاب، يدرسون اليوم العلوم والفنون المختلفة في هذه الجامعة، بمستويات علمية عالية. إن شرط القبول للدراسة في هذه الجامعة، هو النجاح في إمتحان الدخول، وليس ثمة تحديد للسن، او إشتراط لحيازة اية شهادة علمية خاصة للإنتساب، ان ميزانية الدراسة في هذا المركز التعليمي العالي يتحملها ويدفعها الطلاب؛ ومستوى الدروس فيها مساوٍ لمستواها في جامعات سائر الدول.

٧ ـ المدارس الدينية

نظراً الى أن الثورة الإسلامية ترتكز في أساسها على الأصول وعلى الأهداف الإسلامية، فقد تأسست في البلاد، بهدف تعميم الثقافة الإسلامية، مدارس دينية متعددة في المدن المختلفة، تهتم بتعليم التلاميذ الشبان. إن الشرط الأول للقبول في هذه المدارس، هو خلوص النية والتقوى، والرغبة الصادقة في إكتساب العلوم الإسلامية، وهذه المدارس ـ التي يقع الأهم والأبرز منها في طهران وقم ومشهد ـ تضم في الوقت الحاضرة آلافاً من الطلبة الإيرانيين، وعدداً بارزاً من الطلبة الأجانب.

ولأهل السنة والجماعة أيضاً، مدارس دينية خاصة بمذاهبهم، تحظى بحماية الدولة، ومراكزها غالباً في النواحي التي يقيمون فيها.

المزارات المعروفة في الوطن

في الجمهورية الإسلامية عدة مزارات، هي في الغالب أضرحة عددٍ من آل النبي محمد (ص)، تستقبل طوال السنة الملايين من الزوار

المسلمين، الإيرانيين وغير الإيرانيين.

وأبرز المزارات الرئيسية عتبات: الإمام علي بن موسى الرضا (ع)، الإمام الثامن للشيعة الأثني عشرية في مدينة «مشهد»، والسيدة المعصومة (عليها السلام) أخت الإمام الرضا (ع) في قم، وأحمد بن موسى (ع) المقلب «شاهجراغ»، أخي الإمام الرضا (ع) قرب شيراز.

إن ما في مزارات إيران، من تزجيج بالمرايا وتلبيس بالقاشي الجميل، مستوحى من الثقافة الإسلامية الإيرانية، الغنية، يندر وجود مثيل له في الدنيا، بل إن بعضها ليس له نظير في العالم كله.

الفنون والآداب

إن للفنون والآداب في إيران، تاريخاً قديماً يمتد الى بضعة آلاف من السنين، وما تزال نماذجها قائمة في النقوش والكتابات الحجرية في جبل «بيستون» قرب مدينة «باختران»، وفي [أطلال] «تخت جمشيد» قرب مدينة «شيراز».

وبما أن أعداد الشعراء والفلاسفة والكتّاب الإيرانيين كبيرة، لذا سنكتفي في هذا الموجز بالإشارة فقط الى بعضٍ منهم.

إن أقدم أثر أدبي إيراني موجود اليوم، وهو كتاب «خداينامه»، يعود الى العهد (الكسروي) الساساني. والآثار المتبقية من الأدب الفارسي، يعود معظمها بصورة عامة، الى أواخر القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي). وقد ترجمت آثار عدد من الشعراء الإيرانيين الى اللغات الأخرى، نشير من بينها الى رباعيات الخيام.

و«الشاهنامه»، رائعة الشاعر الإيراني الملحمي «الفردوسي»، التي جهد الشاعر ثلاثين سنة حتى أكملها، هي إحدى الروائع الأدبية

العالمية المعترف بعظمتها.

وكتابا الشاعر سعدي الشيرازي: «بوستان» و«گلستان»، ونظراً، لما فيهما من فصاحة وبلاغة، ولما تتضمن أشعارهما وحكاياتهما من عظات ونصائح يحظيان بشهرة عالمية.

وأشعار «الجامعي» الغزلية في مجموعة «هفت أونگ» هي من الآثار البارزة في الأدب الفارسي، كما أن ديوان «حافظ»، و«مثنوي» جلال الدين المولوي (الرومي)، هما من البدائع الرائعة في هذا الأدب.

وكتابا «القانون» و«الشفاء»، هما للفيلسوف الطبيب الإيراني المعروف ابن سينا، وكتاب «الحاوي» أيضاً - الذي عُرف بعنوان «كاشف الكل» - هو للفيلسوف الطبيب الإيراني الكبير زكريا الرازي.

١ ـ الكتّاب

في إستعراض الكتّاب الإيرانيين المشهورين، يستوقف نظرنا في أواسط القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، إسم «الدينَوَري»، أول مؤرخ إيراني، وهو المؤرخ الذي تابع الطبري بعده عمله؛ ثم المؤرخ الإيراني المعروف، الآخر «عطا ملك الجويني» صاحب كتاب «تاريخ جهانگشا»، ويجب ان نذكر من الكتّاب المعاصرين «علي أكبر دِهْخُدا» وموسوعته الخالدة «لغتنامه»؛ كما يجب أن نذكر الدكتور هشترودي، والدكتور برويز ناتل خانلري في جملة كتّاب العصر المعروفين.

٢ ـ الشعراء

من بين الشعراء الإيرانيين المعاصرين يمكن الإشارة الى «شهريار»، و«بزوين اعتصامي»، و«ملك الشعراء، بَهار». وقد كان

لشهريار شاعر الفارسية المرموق آثار باللغة «الآذرية» ايضاً، أما اشعار بروين اعتصامي، وملك الشعراء بهار التي تتميز بلطف وظرف خاصين، فهي موفورة لمن يشاء في دواوينهما.

٣ ـ الرسّامون

على صعيد فن الرسم، تمكن الإشارة الى بعض الرسامين الكبار مثل «رضا عباسي»، و«كمال الملك»، كما يجدر ذكر «حسين بهزاد» الذي كان فناناً حاذقاً كبيراً؛ وآثار هؤلاء الرسامين الإيرانيين، موجودة في كثير من المتاحف الأجنبية.

٤ ـ الخطّاطون

يبرز بين الخطاطين الإيرانيين ايضاً إسما: «أبي الفضل الساوَجي»، و«مير عماد»، اللذين كان مشهوداً لهما بالإبداع والتفوق. كذلك يشار الى «نور الدين محمد اللاهيجي» الخطاط الإيراني الآخر اشهير، الذي كان معروفاً بإسم «نورا» وبلقب «خوشنويس» (أي: الحسن الخط)، والذي كان من تلامذة «مير عماد» الممتازين؛ وقد بقي قسم من كتاب «جوامع الحكايات» للعوفي بخط «نورا» ذكرى منه.

الفصل الثالث

افغانستان

أفغانستان

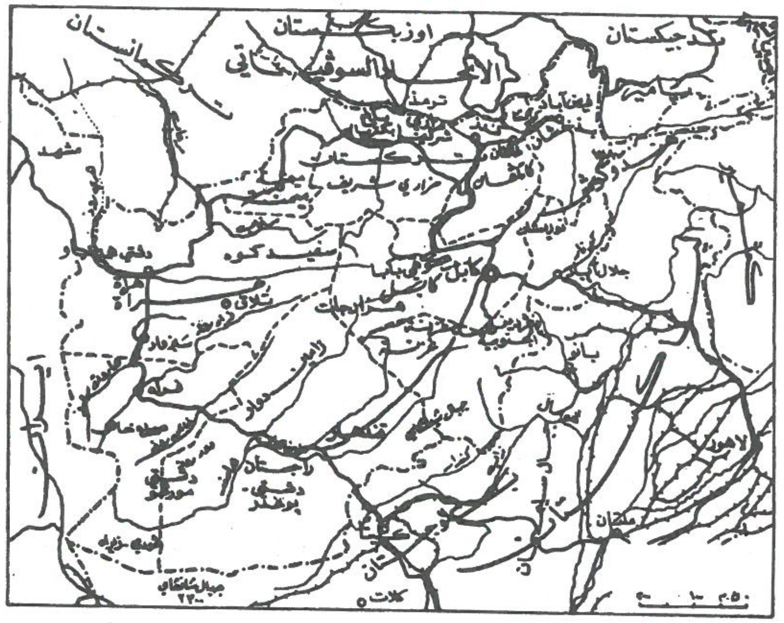

أفغانستان

جغرافية أفغانستان

تقع أفغانستان في قلب قارة آسية تحيط بها اليابسة من جميع الجهات، فهي إذن بعيدة عن البحار. يحدها من الشمال الجمهوريات الإسلامية التابعة للإتحاد السوڤيتي السابق، ومن الجنوب والشرق باكستان ومناطق بشتونستان، ومن الغرب إيران. ولها حدود مشتركة مع جمهورية الصين تبلغ مائة ميل من الجهة الشمالية الشرقية.

تبلغ مساحة أفغانستان (٦٥٠,٠٠٠) كلم[٢] نحو (٢٧٠,٠٠٠) مائتين وسبعين ألف ميل مربع. ويبلغ عدد سكانها حوالي ١٩ مليون نسمة. وعاصمتها مدينة كابل (كابول).

أما سطح أفغانستان فغالبيته يتكون من السفوح والجبال والمرتفعات باستثناء بعض المساحات الغربية. وهذا السطح ينحدر من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي، وتقسمها «جبال هندكوش» والسلاسل المتفرعة منها الى قسمين، أما «جبال سليمان» فتمتد من «هضبة بامير» وتتجه جنوباً في سلاسل متقاربة، هي في غالبيتها تكون الحد الفاصل الطبيعي والسياسي بين أفغانستان وباكستان. ويوجد في هذه الجبال والمرتفعات عدة

ممرات أهمها «ممر خيبر» و«ممر بولان» وهضبة بامير الثلجية. وهذه الهضبة تشكل عقدة تتفرع منها السلاسل الجبلية، ويبلغ متوسط ارتفاعها بين ٣٠٠٠ ـ ٣٦٠٠م، ولكنها تصل في بعض قممها إلى ٦٠٥٤م داخل أراضي أفغانستان، وهي تشكل مناطق الحدود بين أفغانستان وطادجكستان وكشمير وباكستان والتيبت.

أما السهول فتمتد في مناطق الشمال، وهي تكون ضيقة قريبة من مجرى نهر جيحون الذي يشكل الحد الفاصل بين تركستان التابعة للإتحاد السوفيتي السابق وبين أفغانستان. وتصب في هذه السهول المياه المنحدرة من جبال هندكوش، ويصل بعضها إلى نهر جيحون، ويصل أكثرها إلى رمال المنطقة. وكذلك توجد سهول في الغرب حول مدينة «هَراة» وعلى مجرى نهر «هاري رد» في مجراه الأوسط، كما توجد بعض السهول والمناطق الصحراوية الأخرى في الشرق والغرب.

أما ثروتها المائية، فإن أفغانستان تتميز بقلة الأمطار، وهذا يسبب ضحالة مياه الأنهار، غير أن ذوبان الثلوج من على بعض قممها يغطي بعض النقص في المياه. أما أهم أنهارها فهي[1]:

* نهر جيحون: ويجري في الشمال، وينبع من هضبة بامير ويصب في بحر أورال. ويشكل هذا النهر الحد الفاصل بين أفغانستان وتركستان الروسية. ويستمد مياهه من ثلوج بامير والجبال المشرفة على واديه سواء من جبال هندكوش من الجنوب أم

(١) انظر: محمود شاكر: أفغانستان، ص ٢٤ ـ ٣١، انظر أيضاً: أم القعقاع: أفغانستان مقبرة الغزاة، ص ١٩ ـ ٢٠.

مرتفعات تركستان من الشمال. ويصب نهر جيحون في بحيرة خوارزم (بحر آرال)، وكان فيما مضى يصب في بحر الخزر (قزوين). ويبلغ طوله ٢٢٤٠ كلم، ونظراً لأهميته بالنسبة لأفغانستان والإتحاد السوفيتي السابق فقد اتفق البلدان على استثماره في مشروعات الري والزراعة وإقامة السدود لتوليد الطاقة الكهربائية.

من المدن الهامة التي تقع على هذا النهر مدينة «تِرْمذ» التي ينسب إليها الإمام الترمذي (٢٠٩ ـ ٢٧٩هـ، ٨٢٤ ـ ٨٩٢م)، علماً أن جميع البلاد الواقعة وراء هذا النهر سبق أن أطلق عليها المسلمون بلاد ما وراء النهر.

* نهر كابل: ويعتبر هذا النهر من أهم أنهار المنطقة الشرقية، فهو ينبع من وسط أفغانستان، ويتجه شرقاً، فيمر بالعاصمة كابل، ويستمد مياهه من مياه لوغار ومياه نهر علينكار ونهر كونار الذي يمتد إلى باكستان، فيمر في مدينة بيشاور، وبعدها يرفد نهر السند عند مدينة أوتوك. ونهر كابل يتسع مجراه عادةً عندما يصل إلى مدينة جلال آباد. يبلغ طوله ٦٠٠ كلم من منبعه غرب العاصمة حتى مدينة «أوتوك».

* نهر هلمند: وهو ينبع من جبال «كوه بابا» إحدى سلاسل جبال «هندكوش» غرب العاصمة كابل، ويتجه نحو الجنوب الغربي، ويصب في صحراء «سيستان» على الحدود الأفغانية الإيرانية وينبع أيضاً من «باندي بايان» ومن مختلف السفوح الجنوبية لجبال هندكوش. يبلغ طوله نحو ١١٢٠ كلم، وهو يروي المناطق

الجنوبية الغربية التي تزيد مساحتها على ثلث المساحة العامة لأفغانستان.

* **نهر هاري**: المعروف باسم هاري رد، وهو يجري في الغرب حتى أواسط البلاد، وتقع في حوضه مدينة هراة، ويستمر في انحداره غرباً حتى يصل إلى حدود إيران، ثم بين بلاد التركمان وإيران، ويأتيه رافد من إيران هو نهر مشهد، من المدن التاريخية الهامة الواقعة على هذا النهر مدينة سرخس ومدينة بيهق. طول هذا النهر (١٠٠٠) ألف كلم تقريباً، يجري في أفغانستان (٦٥٠) كلم والباقي في بلاد التركمان. أقيم على نهر هاري رد مشروع لتوليد الطاقة الكهربائية عند غريشك، كما أن عليه سدين آخرين للري.

ومن الأنهار الأخرى في أفغانستان:

* **نهر خاش** (كاش رد) الذي تنحدر مياهه من جبال تيماني.

* **نهر فرح** (فرح رد) وتنحدر مياهه أيضاً من جبال تيماني ويمر بمدينة فرح ويبلغ طوله (٦٤٠) كلم.

* **نهر هاروت**: وهو يقع في غرب البلاد وتفيض مياهه في منخفض سيستان كسواه من الأنهار الأفغانية.

* **نهر مورغاب**: وينبع من شمال جبال «هندكوش» ثم يرفد إلى مناطق عديدة، ويستمر في اتجاهه حتى يصل بلدة مرو عاصمة خراسان زمن الدولة الإسلامية. وتصله اليوم قناة بنهر جيحون باتجاه الشرق، وأخرى بنهر هاري باتجاه الغرب.

أما فيما يختص بمناخ أفغانستان، فالبلاد تمتد بين خطي عرض ٢٩ ـ ٣٨ شمالاً، وهي تقع ضمن المنطقة المعتدلة الدفيئة الشمالية باستثناء بعض المناطق القليلة التي تقع ضمن منطقة الصحارى الحارة. وباعتبار أن أفغانستان منطقة بعيدة عن البحار، لذا فمناخها قاري شديد الحرارة صيفاً شديد البرودة شتاءً. وفي الجبال تعتدل الحرارة في الصيف، أما في الشتاء فشديد البرد. وتتعرض مناطق أفغانستان لأقصى التقلبات المناخية، فتشهد الحرارة الشديدة كل من «سجستان» و«كوره» و«وادي جيحون» في الصيف، بينما تهب العواصف الثلجية والبرودة القاسية في كثير من المناطق شتاءً، حيث تصل درجة الحرارة إلى ٣٠ درجة مئوية تحت الصفر. وتعتدل الحرارة في الخريف، بينما يميل الجو للبرودة في الربيع.

وتقوم الغابات الموجودة في منحدرات جبال «هندكوش» و«سليمان» و«بامير» بتلطيف الجو وإعطاء صفة جمالية لهذه الجبال. وتتنوع أشجارها بتنوع مناطقها حيث توجد أشجار: الصنوبر، البندق، الشربين، الفستق، اللوز، الخوخ، الجوز، وسواها من الأشجار المثمرة والنباتات والأعشاب المتنوعة، كالنباتات العطرية والخشخاش البري، كما ينمو الزيتون البري على ارتفاع ٧٥٠ ـ ١٥٠٠م. وتعيش في هذه الغابات الأفغانية أنواع من الحيوانات مثل الثعالب والخنازير والدببة والكلاب والهرر البرية وابن آوى، بالإضافة إلى الأغنام والماعز الجبلية.

لمحة تاريخية

لم تتفق المصادر على كيفية إطلاق إسم أفغانستان على بلاد الأفغان، فهناك عدة روايات حول هذه التسمية يمكن الإشارة إليها على النحو التالي:

١ ـ يعتقد البعض أن اسم أفغان نسبة إلى «أفغانا» وهو حفيد بنيامين بن يعقوب عليه السلام الذي سافر مع أبنائه الأربعين بعد أن حلت كارثة بني إسرائيل بهم، واتجه إلى تلك البلاد التي عرفت باسمه فيما بعد.

٢ ـ يعتقد البعض الآخر أن «أفغان» إسم لحفيد شاؤول جد الأفغانيين. وأن بعض قبائل الأفغانيين كالمقيمين في قندهار وقزن يسمون أنفسهم «بشتو» وبعضهم كساكني خوست وكورم وباجور يسمون أنفسهم «بختو» وهذه الألفاظ تعد من أصل واحد.

٣ ـ يرى البعض الآخر أن لفظ «أفغان» يمكن أن يكون مأخوذاً من «باشتان» وهي قرية من قرى «نيسابور» أو يكون مأخوذاً من «بشت» وهو إسم مدينة من مدن خراسان. ويحتمل أن يكون مأخوذاً من «بشيت» وهو اسم قرية من قرى فلسطين على احتمال كونهم من بني إسرائيل على رأي السيد جمال الدين الأفغاني(١).

٤ ـ وهناك رأي رابع، وهو أن الفرس هم الذين أطلقوا على الافغان هذا الإسم، ذلك أن هذا الشعب عندما وقع أسيراً عند «بخت نصر» كان له أنين، والأنين بالفارسية تعني «أفغان».

---

(١) انظر: جمال الدين الأفغاني: تتمة البيان في تاريخ الأفغان، ص ١٣ ـ ١٤، أم القعقاع: أفغانستان مقبرة الغزاة، ص ١٣.

٥ ـ ويمكن أن ينسب الأفغان إلى مدينة «أفكان» الواقعة بين تلمسان وتنس، وهي مدينة قديمة دمر سورها القديم إثر الحروب، ولها واد يشقها إلى نصفين ويمضي فيها إلى تيهرت على ما جاء في الادريسي «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» وفي الحميري «الروض المعطار في خبر الأقطار». وقد يكون العكس صحيح، فقد تكون مدينة «أفكان» سميت نسبة إلى الأفغان الذي هاجر قسم كبير منهم إلى أوروبا.

وتعتبر أفغانستان مهد الشعوب الآرية التي وصلت إليها من مناطق تركستان الغربية، حيث وطدوا أركانهم، فأقاموا مدينة «بَلْخ» وجعلوها عاصمة لدولتهم، وكانت تسمى «باكتريا». ولما تكاثر الأفغان هاجرت بعض قبائلهم إلى شمال الهند، وهاجرت قبائل أخرى إلى فارس وشمالي العراق، ووصل بعضها الآخر إلى أوروبا. وقد انتشرت في أفغانستان الديانة الهندوسية ومنها انطلقت إلى الهند. كما انتشرت الديانة البوذية، واستمرت سائدة حتى دخول الإسلام إليها.

وكان الإسكندر المقدوني قد غزا البلاد عام ٦٥٢ق. هـ، وأقام مدينتي «قُندهار» و«هراة». وفي القرن السابع قبل الهجرة أقامت قبائل الكوشان التركستانية الأمبراطورية الكوشانية في أفغانستان. وعندما قويت الدولة الساسانية تقلصت قوة الكوشان. وكان القسم الشمالي من أفغانستان يخضع لهذه القوى الأجنبية، وهو القسم الذي عُرف باسم خراسان ومعناه «أرض الشمس».

ولا بد من الإشارة إلى أن إسم «أفغانستان» لم يرد إلا منذ منتصف القرن الثامن عشر الميلادي ١٧٤٧م في عهد «أحمد

شاه»، وذلك بعد أن توطدت السيادة والقوة للشعب الأفغاني. في حين أن كلمة «أفغان» وردت منذ القدم، وأول من أشار إليها هو «فارها ميهرا» الفلكي الهندي في أوائل القرن السادس الميلادي في كتابه «برهات - سمهينا» وقد عبّر عنها بكلمة «أفاغانا».

هذا وقد أشار بعض الرحالة والجغرافيين والمؤرخين المسلمين إلى مناطق أفغانية قاموا بزيارتها، ومنهم على سبيل المثال البيهقي (تاريخ البيهقي) وابن بطوطة الذي أورد لنا شيئاً من تاريخ الأفغان وأحوالهم وذلك في أوائل القرن الثامن الهجري - الرابع عشر الميلادي. ومن قوله في كتابه «تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار».

«... ثم وصلنا إلى مدينة ترمذ التي ينسب إليها الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى ابن سورة الترمذي، مؤلف «الجامع الكبير في السنن» وهي مدينة كبيرة حسنة العمارة والأسواق، تخترقها الأنهار، وبها البساتين الكثيرة، والعنب والسفرجل بها متناهي الطيب... وكانت مدينة ترمذ القديمة مبنية على شاطىء جيحون، فلما خربها تنكيز بنيت هذه الحديثة على ميلين من النهر. وكان نزولنا بها بزاوية الشيخ الصالح عزيزان من كبار المشايخ وكرمائهم... واجتمعت قبل وصولي إلى هذه المدينة بصاحبها علاء الملك خداوند زاده...»

وعن زيارة إبن بطوطة لمدينة «بلخ» - وهي تسمى اليوم وزير باد بأفغانستان - قال: «... مدينة بلخ، وهي خاوية على عروشها غير عامرة، ومن رآها ظنها عامرة لاتقان بنائها، وكانت ضخمة

فسيحة، ومساجدها بأصبغة اللازورد... [ومسجدها] من أحسن مساجد الدنيا وأفسحها، ومسجد رباط الفتح بالمغرب يشبهه في عظم سواريه، ومسجد بلخ أجمل منه في سوى ذلك...».

ثم وصف إبن بطوطة زيارته لجبال «قوه استان» وهي قرى كثيرة عامرة، بها المياه الجارية والأشجار المورقة، وأكثرها شجر التين، «وبها زوايا كثيرة فيها الصالحون المنقطعون إلى الله تعالى». وعن مدينة «هراة» قال إبن بطوطة: «... هي أكبر المدن العامرة بخراسان... ولأهلها صلاح وعفاف وديانة، وهم على مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، وبلدهم طاهر من الفساد. وسلطان هراة هو السلطان المعظم حسين بن السلطان غياث الدين الغوري...» ووصف إبن بطوطة الكثير من القرى والمدن الأفغانية إلى أن وصل إلى كابل فوصفها قائلاً: «ثم سافرنا إلى كابل، وكانت فيما سلف مدينة عظيمة، وبها الآن قرية يسكنها طائفة من الأعاجم يقال لهم الأفغان. ولهم جبال وشعاب وشوكة قوية وأكثرهم قطاع الطريق. وجبلهم الكبير يسمى «كوه سليمان» يذكر أن نبي الله سليمان عليه السلام صعد ذلك الجبل فنظر إلى أرض الهند وهي مظلمة فرجع ولم يدخلها فسمي الجبل به، وفيه يسكن ملك الأفغان. وبكابل زاوية الشيخ إسماعيل الأفغاني تلميذ الشيخ عباس من الأولياء...».

ويبدو أن مدينة «قندهار» لم تكن على دين الإسلام زمن إبن بطوطة لقوله: «... وسافرنا منها إلى مدينة قندهار، وهي مدينة كبيرة للكفار، على خور من البحر. وسلطان قندهار كافر اسمه

جالنسي، وهو تحت حكم الإسلام، ويعطي لملك الهند هدية كل عام. ولما وصلنا إلى قندهار خرج إلى استقبالنا، وعظمنا أشد التعظيم، وخرج عن قصره فأنزلنا به. وجاء إلينا من عنده من كبار المسلمين، كأولاد خواجة بُهرة، ومنهم الناخوذة إبراهيم له ستة من المراكب مختصة له...».

أما عن كيفية دخول الإسلام إلى أفغانستان، فيبدأ من تاريخ الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عندما أمر القائد النعمان بن مُقرِّن بمحاربة الفرس، وكان أن انتصر المسلمون في معركة نهاوند (فتح الفتوح) عام ٢١ هـ. وبعد هذا الإنتصار زحفت القوات الإسلامية إلى جميع أنحاء بلاد فارس. وكان من بين هذه الجيوش جيشان اتجها نحو المنطقة التي عرفت فيما بعد باسم «أفغانستان» والتي كانت تحكم باسم حكام الفرس، الأول منها سار نحو منطقة سجستان وعلى رأسه عاصم بن عمرو التميمي (المتوفى عام ٢٤ هـ)، وهي تضم مدن قندهار وزرنج ويقع قسم منها اليوم في إيران.

إستسلم حاكم سجستان للمسلمين طالباً الصلح، على أن تكون مزارع سجستان لحاكمها وذلك عام ٢٣ هـ. غير أن سجستان نقضت العهد بعد الخليفة عمر بن الخطاب. فاستعاد عبد الله بن عامر فتحها في زمن الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

أما الجيش الثاني الذي اتجه إلى مناطق أفغانستان، فكان بقيادة الأحنف بن قيس، فافتتح هراة وبلخ ووصل إلى طخارستان

شرقي مدينة بلخ. غير أن سكان هذه المناطق نقضوا العهد مع المسلمين، فما كان من الأحنف إلا أن أعاد السيطرة عليها عام ٣٣ هـ. أما هراة فقد تولى إعادتها أوس بن ثعلبة عام ٣٢ هـ.

أما مدينة «كابل» فقد توجه إليها عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي عام ٨٠ هـ (المقتول عام ٨٥ هـ) زمن خلافة عبد الملك بن مروان. ثم أعاد قتيبة بن مسلم الباهلي (٤٩ - ٩٦ هـ) فتح مدينة بلخ. وشهدت أفغانستان في العهد الأموي غزوات إسلامية، حتى بلغت آسيا الوسطى، وتخطت حدود الهند بفضل القائد الحجاج بن يوسف الثقفي، وقد استقرت الكثير من القبائل العربية في البلاد المفتوحة، مما أدى إلى انتشار الإسلام بين سكانها، كما ظهر من أبناء هذه البلاد فئة أجادت اللغة العربية، واشتغلت بعلوم القرآن الكريم واللغة والحديث الشريف. وقد أشار الرحالة «بزرك بن شهريار» في كتابه «عجايب الهند» إلى كيفية انتشار الإسلام في تلك المناطق.

وفي العهد العباسي توالت الفتوحات الإسلامية في مناطق أفغانستان ولم يأت منتصف القرن الثاني للهجرة إلا وأصبحت المنطقة إسلامية وبدأت اللغة العربية لغة القرآن الكريم بالإنتشار على حساب اللغة الفارسية ولهجة البشتو (Pashtu) الأفغانية. غير أن قيام العصبيات والدويلات الإسلامية نتيجة الإنقسامات في المنطقة أثّر على الوجود الإسلامي فيها. ومن تلك الدويلات التي قامت وقتذاك: الدولة الطاهرية في مرو ونيسابور، الدولة الصفارية، الدولة السامانية، الدولة الغزنوية، الدولة الغورية، الدولة

السلجوقية، الدولة الخوارزمية، الدولة المغولية، دولة الأوزبك، الدولة الصفوية، الدولة الفارسية الإفشارية.

قبائل أفغانستان وأهم مدنها وآثارها الإسلامية

إن تاريخ أفغانستان هو تاريخ القبائل الأفغانية التي قامت بدور بارز في تكوين الأمة الأفغانية وفي تكوين تسع وعشرين ولاية. أما أهم القبائل الأفغانية فهي[1]:

* **الدوراني (العبدلي)**: وهي تتمركز في الأجزاء الشرقية من أفغانستان، وهي القبيلة التي أطلق عليها فيما بعد إسم العبدلي. والعبدلي تتكوّن بدورها من بطون وأفخاذ «باركزائي» و«علي كوزائي» و«علي زائي» و«باميزائي».

* **غليزاي**: وتتمركز هذه القبيلة في الأجزاء الجنوبية من أفغانستان، وهم عشائر مختلطة الجنس، وكانوا أقوى عشائر قندهار.

* **الأوزبك**: وهي قبائل المناطق الواقعة إلى الشمال من الهند.

* **المغول**: وهي قبائل تسكن في قلب أفغانستان وأهمها قبائل: هازار، تيماني، شهر أيماك.

ومن القبائل والبطون الأخرى: قبيلة طاجق (الطاجيك) (Tajik) وهي قبيلة آرية تسكن منطقة هراة. وتوجد قبائل آرية أخرى تسكن إلى الشرق من كابول في واخان وروشان، وكافرستان، إلى

(١) انظر: محمود شاكر: أفغانستان، ص ٦٤ ـ ٦٥.

جانب القبائل التي لجأت إلى جبال أفغانستان. ومنها قبائل: غلجائي، يوسف زائي، مهمند، فريدي، بنكش، هتك، توخي، سليمان خيل وسواها.

والغالبية العظمى من هذه القبائل، وخاصة الآرية منها والأوزبك، يدينون بالإسلام على مذهب السُنة. فيما نجد العناصر الفارسية في قبيلة هازار تدين بالإسلام على مذهب الشيعة. وعبر التاريخ كانت هناك علاقات بين السنة الأفغان وأباطرة الهند من السنة، وعلاقات بين الشيعة الأفغان وحكام الفرس الشيعة.

والأفغانيون بشكل عام نتاج عناصر بشرية متعددة قدمت إلى أفغانستان على فترات متعاقبة. ويعتبر الجنس القوقازي من أقدم العناصر البشرية التي جاءت إلى أفغانستان، كما يوجد عناصر بشرية أخرى مثل العناصر: العربية، التركية، المغولية، التترية، الإيرانية، التاجيك (وهم الإيرانيون الشرقيون) ومجموعات قليلة من الهنود والصينيين.

ومن القبائل والمجموعات البشرية التي لا تزال قائمة إلى اليوم في أفغانستان:

* **البوشتن**: ويطلق عليهم أيضاً «الباتان» أو «البوختن» ويشكلون ٦٠٪ من مجموع السكان، وهم في جذورهم من عناصر إيرانية وتركية. ويمتازون بطول القامة والبشرة السمراء والشعر الأسود المموّج، وقدرة على تحمل المشاق والمتاعب بسبب صعوبة ووعورة بلادهم. وهم يتجمعون عادةً في جنوب وشمال جبال هندكوش، كما أن قبائل منهم وهم «الباتان» تقيم في باكستان.

وعلى العموم فإن قبائل البوشتن تعمل في الزراعة والرعي.

ومن أشهر بطون البوشتن في أفغانستان هم «الغلزة» أو غيلزاي» يتميزون ببياض البشرة، ولهذا فقد كان بعض المؤرخين يحسبونهم أنهم من مجموعات أخرى غير مجموعة البوشتن.

* **الطاجيق**: وهي من المجموعات والقبائل الآرية الإيرانية، ويشكّلون ٣٠٪ من مجموع السكان. ويمتازون بالقامة المتوسطة، ولون البشرة السمراء، ويقطنون السهول الغربية حول مدينة هراة، وفي الوديان العليا من إقليم «باداخشان» وفي السهول العليا في وسط البلاد حتى الغرب. وقبيلة الطاجيق ممن يعمل عناصرها في الزراعة والرعي والصناعة والتجارة.

* **هازارا (هزارة)**: وهي عناصر من جذور مغولية، يقطنون في قلب أفغانستان وفي المرتفعات الوسطى. ويبلغ عددهم مليون ونصف مليون نسمة، وهم على المذهب الشيعي. ويعملون في الزراعة والرعي.

* **البلوش (البالوخ)**: وهم من أصول عربية، والقليل منهم يعيش في جنوب أفغانستان، في حين أن أكثرهم يقيم في إقليم بلوشستان في باكستان والمجاور لأفغانستان.

* **الكافير**: وهم من القبائل القديمة التي كانت تتبع البوذية، ثم تحولوا إلى الإسلام وقد عرفوا أيضاً باسم «النوريين» ولعلهم سمّوا بذلك لتقديسهم نور الشمس والقمر. ومكان إقامتهم في شمالي شرقي أفغانستان.

* **الأتراك**: وهم العناصر التركية، الذين يشكّلون امتداداً لسكان تركستان الغربية حيث توجد قبائل الأوزبك الذين يشكلون ٥٪ من مجموع سكان أفغانستان. ومن بطونها التركمان الذين يقيمون على الضفة الجنوبية لنهر جيحون، والقيرغيز الذين يتنقلون بين هضبة بامير، ويشتغلون عادةً برعي الأغنام والماعز والياك. ومن العناصر التركية أيضاً قبائل القوزاق.

وهذه القبائل مجتمعة تدين بالإسلام. أما أهم ولايات أفغانستان ومدنها فهي التالية حسب الأحرف الأبجدية(*):

أسعد أباد	تلخان	طالقان	لغمان
بادخش	جروز	غزني	لوكر
باميان	جلال أباد	غور	مزار شريف
بجرام	جوزجان	فارياب	ميمنه
بدخشان	خان أباد	فايز أباد	ننكرهار
بغلان	روز كان	فراه	نمروز
بكيتا	زابول	قندهار	هلمند
بلخ	زراني	كابل	هراة
بنجاب	سمنكان	كلات	وردك
تخار	شبرغان	كندوز	
ترمز	شنداد	كنر	

(*) لا بد من الإشارة إلى أن بعض أسماء هذه المدن التاريخية لا تزال تحتفظ بأسمائها القديمة، والبعض الآخر يحتفظ بأسمائه القديمة مع أسمائه الجديدة، فمثلاً مدينة بلخ تعرف اليوم أيضاً باسم مدينة وزير أباد وهكذا.

وسنختار بعض هذه المدن للتحدث عنها منها[١]:

* **كابُل (كابول)**: وهي عاصمة أفغانستان. يزيد عدد سكانها على (٣٥٠) ألف نسمة، ويجري فيها نهر كابول الذي يضفي عليها جمالاً. أقيم في وسط العاصمة العمود التذكاري الذي أقيم بمناسبة الإنتصار على الجيوش البريطانية في ٢٨ أيار (مايو) ١٩١٩ - ١٣٣٨ هـ، وهو اليوم الذي اتخذته أفغانستان ذكرى لاستقلالها. وبالقرب من هذا العمود شيد ضريح محمد نادرخان الذي اغتيل عام ١٣٥٢ هـ. وفي العاصمة متحف كبير.

* **هَراة**: وهي من المدن الأفغانية الهامة الواقعة في غربي البلاد حيث تنتشر السهول. يزيد عدد سكانها على (٢٠٠) ألف نسمة. تتميز بكثرة مساجدها، منها المسجد الجامع الأثري الذي يعود بناؤه إلى القرن التاسع الهجري، وكان يعتبر من أهم جوامع آسيا الوسطى.

* **قُنْدُهار**: وهي أيضاً من المدن الأفغانية والتي زادت شهرتها في السنوات الأخيرة. وموقعها على ضفة نهر هلمند في الجنوب قريباً من الحدود الباكستانية. يزيد عدد سكانها على (١٤٠) ألف نسمة. تضم المدينة آثار عديدة منها ضريح الشاه أحمد خان مؤسس الأسرة الدردانية (١١٦٠ - ١٢٥٠هـ، ١٧٤٧ - ١٨٣٥م) وعلى الضريح قبة مغطاة بصفائح الذهب، وتحيط بها المآذن المحلاة بالقيشاني.

* **بَلْخ**: وهي مدينة تاريخية أثرية، كانت تحمل إسم «باكتريا»

(١) انظر: محمود شاكر: أفغانستان، ص ٨١ - ٨٥، أم القعقاع: أفغانستان مقبرة الغزاة، ص ٥٦ - ٥٨.

تقع إلى الغرب من مدينة مزار شريف. سبق أن هدمها جنكيز خان، تعرف اليوم باسم وزير أباد.

* **غزنة**: وهي من المدن التاريخية التي شهدت أهم الأحداث السياسية والعسكرية. تقع جنوب غربي كابُل على بعد (١٥٠) كلم منها، وهي على طريق المواصلات بين كابل وقندهار. وكانت مركز الدولة الغزنوية (٣٨٤هـ - ٤٢٧، ٩٩٤ - ١٠٣٥م) والتي أشار إليها البيهقي في تاريخه. من أشهر ملوكها محمود بن سبكتكين الغزنوي وفيها قبره.

* **جوزجان**: وهي من المدن التاريخية التي افتتحها المسلمون عام ٣٣هـ، وبها قتل يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عام ١٢٥هـ. وهي من مدن بلخ بخراسان موقعها بين مرو الروز وبلخ ومن مدنها فارياب. فيها أضرحة ومساجد أثرية.

أما فيما يختص بآثارها الإسلامية فهي عديدة نذكر منها على سبيل المثال:

* **متحف كابل**: ويضم الآثار الغزنوية والدواوين العربية الشعرية، والمؤلفات التاريخية والعلمية والفلسفية والطبية... وتوجد في المتحف قاعة خاصة لنسخ القرآن الكريم والتفسير والحديث الشريف، ومنها نسخ نادرة من القرآن الكريم تعود إلى أيام الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

* **المسجد الجامع**: وهو من أعظم المساجد التاريخية في هراة وأقدمها وكان قبل الإسلام معبداً للمجوس. فلما دخل

المسلمون المدينة في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، تحوّل هذا المعبد إلى مسجد عام ٢٣هـ. وقد احترق هذا المسجد، فشيد السلطان غياث الدين الغوري عام ٥٩٨هـ - ١٢٠١م مسجداً آخر مكانه على مستوى معماري فخم ولائق.

* **مسجد هراة**: وهو من روائع الآثار الإسلامية في أفغانستان. أنشيء منذ القرن التاسع الهجري - الخامس عشر الميلادي، يتكوّن من ثلاثة أقسام منفصلة، يبلغ طولها ١٨٠٠ قدماً، لم يبقَ منه سوى أطلاله ومنائره الثلاث والقبة.

* **مسجد ومئذنة «منارجام»**: وهي من أروع الآثار الإسلامية الباقية وتقع على نهر «هري رود». وينسب هذا المسجد - المئذنة إلى السلطان غياث الدين الغوري (٥٤٥ - ٥٨٨هـ).

* **ضريح أثري**: ينسب هذا الضريح إلى الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه في المنطقة التي عرفت فيما بعد باسم مزار شريف. وأقيم حول الضريح مسجد كبير يعرف باسم المسجد الأزرق.

* **مسجد سنكي**: وموقعه في العاصمة كابل، وهو من أعظم آثار «شاه جيهان» من ذرية «بابر». توجد بالقرب من المسجد مقبرة «ظهير الدين بابر».

* **مسجد عروس الفلك**: أسسه السلطان محمود الغزنوي، ويعتبر آية في فن البناء ومن روائع الفن المعماري والزخرفي الإسلامي.

* **مدرسة جوهر شاه الأثرية**: وقد بناها زوجها السلطان «شاه رخ». ومدرسة حسين بايقرا ومدارس إسلامية عديدة كانت بمثابة كليات وجامعات لتدريس العلوم الدينية والمدنية التي استطاعت إنجاب العديد من العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء. كما وجد في أفغانستان الكثير من القصور والدور التاريخية التي تمثلت فيها العمارة الإسلامية المتأثرة بالبيئة الأفغانية، ووجدت العديد من المسكوكات والنقود والمخطوطات التاريخية والأسلحة والأدوات الذهبية والأواني الفضية وسواها.

الأوضاع الاقتصادية في أفغانستان[1]

تعتبر أفغانستان بلداً زراعياً في الدرجة الأولى، وتعتبر الزراعة المصدر الأساسي لدخل السكان، إذ يعمل في هذا القطاع أكثر من ٨٠٪ من السكان، رغم ضيق الأرض الزراعية التي لا تزيد على ١٩٪ من مساحة البلاد، غير أنها تشتهر بخصوبة تربتها ووفرة خيراتها.

والفلاح الأفغاني لم يتعرف بعد بشكل عام على الأدوات الحديثة المستعملة في الزراعة، بل لا يزال يستخدم الأدوات التقليدية والأساليب الزراعية القديمة المتوارثة. وبالرغم من ذلك فإن الفلاح الأفغاني يحرص على استثمار الأرض الزراعية في مختلف فصول السنة، فهناك الزراعات الشتوية والزراعات الصيفية أيضاً، التي تؤدي إلى منتجات زراعية يستهلك قسماً منها محلياً، ويصدر القسم الآخر لا سيما الفواكه المجففة إلى باكستان والهند ومناطق آسيا الوسطى السوفيتية.

---

(١) محمود شاكر: أفغانستان، ص ١٠٦ - ١١٠، أم القعقاع: أفغانستان مقبرة الغزاة، ص ٣٠ - ٣٤.

تقع ثلاثة أرباع (٣/٤) الأراضي الزراعية المستثمرة في شمالي جبال هندكوش في حوض نهر جيحون، أما أهم المزروعات فهي:

* **القمح**: يشغل (١/٦) الأراضي الزراعية، ويزرع في وادي كابل وغزنة وقندهار ومزار شريف وميمنة وهراة.

* **الذرة**: وهي من المحاصيل الزراعية الهامة أيضاً في أفغانستان، إذ أن المساحة المزروعة به تمثل (٣٥٠,٠٠٠) هكتاراً.

* **الشعير**: وهو من المحاصيل الزراعية الهامة التي يعتمد عليها الفلاح الأفغاني لإعطائها علفاً للحيوان، كما يستخدم في بعض المأكولات والصناعات. وتقدر مساحته المزروعة بمساحة زراعة الذرة أي حوالى (٣٥٠,٠٠٠) هكتاراً، غير أن مناطقه أقل خصوبة وأكثر ارتفاعاً.

* **الأرز**: يزرع في المناطق الزراعية التي تمتاز بخصوبة أرضها وتوفر المياه فيها. وتقدر الأراضي المزروعة أرزاً بـ (١٨٠,٠٠٠) هكتاراً.

* **القطن**: يزرع في أفغانستان النوع الجيد من القطن، وهو طويل التيلة، كما يزرع قصير التيلة ومتوسط التيلة. وقد نجحت تجارب زراعة القطن المصري والقطن الأميركي.

* **قصب السكر**: ويزرع في مناطق عديدة من البلاد. أما الشمندر السكري فهو يزرع في مناطق عديدة، وقد أولته الحكومة الأفغانية اهتماماً وأولوية على زراعات أخرى. ويمتاز الشمندر

السكري الأفغاني بنسبة مرتفعة من المواد السكرية.

* **الزيتون**: يزرع الزيتون في مناطق متفرقة في أفغانستان، لا سيما في باكتيا جنوب كابل، غير أن إنتاجه لا يمثل مصدراً تجارياً.

* **العنب**: ويزرع بكثرة في البلاد، ويوجد منه أكثر من سبعين نوعاً.

بالإضافة إلى ذلك، فهناك مزروعات أخرى مثل: العدس والفول والبقول والخضراوات والدخن والباقلاء، والتنباك والتبغ والمشمش والتفاح والخوخ والإجاص والكرز والتين والرمان والسفرجل والجوز واللوز والعناب والفستق والصنوبر والجميز وسواه. ويلاحظ بأن أفغانستان تشتهر بجودة منتجاتها من الفواكه المتنوعة. والأرض الزراعية في أفغانستان (٢/٣) تعتمد على الري، بينما الباقي يعتمد على المطر.

وترتبط بالزراعة بشكل أو بآخر الثروة الحيوانية، حيث تغطي المراعي ٥٪ من مساحة البلاد. وتربى الحيوانات بكثرة وفي طليعتها الخيول والأغنام العادية وأغنام الكراكول والماعز والجمال والبغال والحمير. كما تربى دودة القز في مقاطعات بغلان وبلخ وهراة بشكل خاص. كما تربى النحل لإنتاج العسل، بالإضافة إلى وجود الأسماك النهرية، أما الصناعة في أفغانستان، فهي غير متطورة ولا تزال في مراحلها الأولى. وكانت تعتمد على بعض الزراعات الصناعية ولا تزال، مثل نسج وصناعة الأقمشة القطنية، وتوجد صناعة الأقمشة الحريرية والكشمير والصناعة الجلدية من الفراء وجلود الحيوانات، كما توجد صناعة البسط والسجاجيد الملونة.

وكان يوجد منذ أواخر القرن التاسع عشر مصانع متواضعة لصنع المدافع والبنادق والسيوف.

وتوجد في أفغانستان مصانع للمنسوجات الصوفية ومحالج القطن ومصانع للسكر ومصانع للصابون والعطور والزيوت النباتية ومصانع لدبغ الجلود. كما وجدت مصانع للإسمنت والزجاج والقرميد والكبريت وتجفيف الفواكه وحفظها. هذا وقد قامت مصانع جديدة لتطوير المنتجات الصناعية بالتعاون مع الدول الأجنبية، غير أن الحروب التي عصفت بالبلاد منذ عام ١٩٧٩ أثرت كثيراً على التطور الصناعي في البلاد.

أما فيما يختص بالثروة المعدنية، فهي عامل مهم في إمكانية تطور الصناعة المعدنية، إذ أن المعادن تكثر في أفغانستان وأهمها:

الذهب: ويوجد بالقرب من قندهار وفي بادخشان.

الفضة: وتوجد في وادي بانجشير.

الفيروز: ويوجد في قندهار وجاجيديلك.

اللازورد: ويوجد في شمالي أفغانستان، وهو من أجود الأنواع في العالم.

الكبريت: ويوجد في هزاراجات.

الملح: ويوجد في قاتجان.

الرصاص والمنغنيز والقصدير والنحاس: وتوجد بكثرة في جبال هندكوش.

بالإضافة إلى هذه المعادن، فهناك معادن وثروات معدنية ومنجمية أخرى مثل الفحم والمرمر، كما يوجد البترول والغاز

الطبيعي. ولعل وجود مثل هذه المعادن يؤدي إلى إيجاد المزيد من المصانع والأدوات الصناعية.

أما التجارة في أفغانستان فهي محدودة النطاق على وجه الإجمال تبعاً لقلة منتجاتها الصناعية، وهي تستورد أكثر مما تصدر في مختلف المجالات. وهي تتعامل عادةً مع الدول المحيطة بها أو القريبة منها مثل الهند وإيران وباكستان وبخارى والجمهوريات الروسية. فهي تصدّر بالدرجة الأولى جلود الكراكول وبعض المنتجات الصوفية والقطنية والفواكه والفراء والنعال والكشمير وتنقل هذه المنتجات إما على الإبل أو في عربات وسيارات متواضعة وقديمة، بينما كانت تستورد منذ زمن قديم من بخارى والهند بعض أنواع من الأقمشة مثل الجوخ والكتان والشاي والسكر والزجاج والخزف الصيني والقرطاس والفولاذ والحديد والنحاس. وكانت تستورد من الإتحاد السوفيتي الأسلحة والأدوات الإلكترونية وبعض أنواع من السيارات وما سمحت به الإتفاقيات التجارية المعقودة بين البلدين. وبالإجمال فإن قيمة الصادرات تتوازى تقريباً مع قيمة الواردات. ولا يدخل في هذا المجال الأسلحة والمعدات العسكرية المقدمة لأفغانستان من بعض الدول الحليفة لها.

أما طرق المواصلات الأفغانية الداخلية أو الخارجية فإنها لا تزال متأخرة، وقد ساعدت الطبيعة الجبلية في البلاد وعدم وجود الإمكانيات المادية واستمرار الحروب على عدم شقها وإيجاد طرق مواصلات حديثة. إذ لا يوجد في داخل البلاد أية خطوط للسكك الحديدية، علماً أن خطوط السكك الحديدية الباكستانية أو

التركستانية ـ السوفيتية تصل إلى الحدود الأفغانية. كما أن الطرق البرية المعبدة لا تزال قليلة ومتأخرة. ولا يزال الحيوان هو الأداة الأولى في عملية النقل والتجارة والانتقال من مكان إلى آخر.

وتوجد في البلاد شركة «أريانا» للنقل الجوي، ويوجد مطاران دوليان أحدهما في العاصمة كابل والآخر في قندهار، إضافة إلى وجود ثمانية مطارات محلية وإقليمية أهمها مطارات مزار شريف وميمنة وهراة وفرح ووسط جبال هندكوش، ومطار جلال أباد عاصمة إقليم نانغارهار الشرقي الذي دارت المعارك حوله بين الثوار الأفغان والقوات الحكومية الأفغانية في آذار (مارس) من عام ١٩٨٩.

هذا وإن معظم النقل والمواصلات يتم عن طريق باكستان في الجنوب أو عن طريق تركستان في الشمال. إضافةً إلى الطرق البرية التي تصلها مع إيران، والمناطق الجبلية التي تصلها مع كشمير في الهند والتبت في الصين.

الأوضاع الاجتماعية[1]

ترتبط الأوضاع الإجتماعية في أفغانستان بالجذور التاريخية للعادات والتقاليد والأديان وما يرتبط بها من ممارسات في شتى المجالات الاجتماعية. وبالرغم من أن البوذية كانت هي الديانة السائدة في البلاد قبل دخول الإسلام، غير أن اعتناق ٩٩٪ من السكان الدين الإسلامي، بدّل الكثير من العادات والتقاليد القديمة، أو بالأحرى فإن تلك العادات والتقاليد والممارسات قد «تأسلمت» مع إنتشار الإسلام.

---

(١) انظر: السيد جمال الدين الأفغاني: تتم. البيان في تاريخ الأفغان، ص ١٣٨ ـ ١٨٠.

ومعظم السكان في أفغانستان من أهل السنة والجماعة على مذهب الإمام أبي حنيفة، والبقية من إخوانهم على مذهب الشيعة. علماً أن هناك أقلية من الهندوس والسيخ. وينص الدستور الأفغاني قبل الإنقلابات الأخيرة على أن الدين الإسلامي هو مصدر التشريع، وإن أي قانون يتناقض مع أصول الدين الإسلامي يعتبر باطلاً ولا يجوز العمل به.

ويرى السيد جمال الدين الأفغاني، أن للأفغان شخصية مميزة تتصف بالصلابة واحترام النفس وتقديس الدين والمحافظة على التقاليد والعرف وشظف العيش، والشجاعة التي هي من أهم الصفات التي يتحلى بها، ولدى الأفغانيين الخبرة في ترتيب وتنظيم جيوشهم. والجندي الأفغاني مطيع وينفذ أوامر رؤسائه بكل دقة واحترام. ومن عاداتهم قتل الجندي الفار من المعركة. ويورد السيد جمال الدين الأفغاني الواقعة التالية للإستدلال على عادة القتال والحرب من ذلك ما وقع في معركة أصفهان، وهو أن ضابطاً أفغانياً هم بقتل أحد العساكر الأفغان عندما رآه متقهقراً، فأراه العسكري يده اليمنى مقطوعة تخلصاً من العقاب القانوني، غير أن الضابط عاتبه وقال له: يا مخنث ألم تكن يدك اليسرى موجودة، فإن قطعت أيضاً، فعندك أسنان تنهش بها أعداءك فاذهب وقاتل الأعداء إلى آخر رمق من حياتك.

وعلى وجه الإجمال فإن الطبيعة القاسية هيأت المناخ لأن يكون الأفغاني خشناً ومحارباً صبوراً سواء أكان من سكان المدن أم من سكان القرى، إذ لا فرق بين المدينة والقرية كثيراً. فبيوت القرى

تبنى عادةً بالطين والآجر لتوفرها في الأودية، كما تبنى بعض البيوت بالحجارة، أما الأسقف فهي تبنى بالطين وفوقها أغصان الأشجار. أما البدو فمساكنهم الخيام المصنوعة من الصوف أو الوبر أو الشعر. ولا يعني ذلك أنه لا يوجد في أفغانستان أبنية حديثة، فبعض مدنها مليئة بالقصور والدور الأنيقة رغم قلتها، والمنازل عامةً تفرش بالسجاد والبسطِ والحصير، وبعض الأثاث والأدوات اللازمة. ويحرص الأفغاني على اقتناء نسخة أو أكثر من القرآن الكريم لتلاوته وللتبرك به. كما يحرص أكثر الأفغان على تربية المواشي والحيوانات اللبونة والدواجن للإستفادة من لحمها ولبنها.

أما لباس الأفغان، فإنه يتميز عادةً بالقماش الخشن أو اللباد، ويلبسون السروال الفضفاض القطني والصدرية فوق لباسه الداخلي أو القميص الطويل، وعلى الرأس توضع العمامة التي تتدلى أطرافها على جانب صاحبها، وهذه العمامة يختلف شكلها ولونها باختلاف القبيلة أو الفئة التي ينتمي إليها. ويرتدي الأفغاني في الشتاء ألبسة صوفية ثقيلة وعباءات ومعاطف وجلود. وأما المدن فقد بدأت الألبسة الإفرنجية بغزوها وغزو البيوتات الأفغانية لا سيما الفئات المثقفة.

أما النساء في القرى والبوادي، فإنهن يلبسن ألبسة طويلة، ومن عوائدهن قطع الشعر المتدلى من أذناب الخيل، ووصلها بشعورهن. كما يعلقن في آذانهن حلقات غليظة من الفضة والحديد والنحاس والبلور. أما نساء المدن فإنهن انطلقن في موكب الحضارة أكثر من نساء القرى والبوادي، مع الإشارة إلى محافظتهن على

التقاليد الإسلامية. والمرأة الأفغانية ترتدي الحجاب الشعبي الأفغاني الذي يسمى «الشودري».

أما أمراء الأفغان فكانت عاداتهم الإبتعاد عن الأبهة والعظمة، فهم يجلسون على الأرض بدلاً من الجلوس على الآرائك والكراسي، كما يتناولون الطعام مع خدمهم والفئات الشعبية من الأفغان. والأفغانيون لا يجوزون بيع الأسرى وإن كانوا من غير المسلمين، كما إنهم يكرمون الغريب وأبناء السبيل ويستقبحون السرقة. ومن عاداتهم وتقاليدهم أيضاً الكرم وإغاثة الملهوف وحماية من يلوذ بالفرد أو القبيلة، وهذا الأمر صفة عامة عند الأفغانيين ذلك لأن أكثر الحياة في أفغانستان قبلية وريفية. ولهذا نرى أن الأفغاني يتميز بالجدية وقلة المزاح، وفي الوقت نفسه فهو إنسان لبق مهذب حيي في تعامله مع الآخرين، وهو صبور يتحمل المشاق والمتاعب والحروب.

ومن عاداتهم صيد الطيور وقنص الحيوان وركوب الخيل والقيام بألعاب التسلية والرقص الفلكلوري لا سيما في حفلات الأعراس.

وبالمناسبة فإن من عادات الأفغان في الزواج، إصرار الآباء على اختيار الزوجة أو الزوج المناسب أو المتدين أو الذي يتحلى بصفات قبلية أو مالية أوثقافية معينة. كما تفضل المرأة المحافظة والمتدينة والمهذبة وهي صفات عامة في النساء الأفغانيات. ويفضل الأفغانيون الزواج المبكر، لا سيما بعد اتفاق القبائل والعشائر على تخفيض قيمة المهور التي كانت مرتفعة والتي سبق أن سببت أزمات

اجتماعية في المجتمع الأفغاني.

وقد أشار السيد جمال الدين الأفغاني إلى بعض عادات وتقاليد الأفغان أثناء حفلات الأعراس والزفاف، وأثناء المآتم والأحزان. كما أشار إلى تقاليدهم بزيارة القبور والأضرحة الخاصة بالأولياء والصالحين.

ويتم الزواج عادةً بين أفراد القبيلة الواحدة أو العشيرة الواحدة، كما يمكن التصاهر والتقارب بين القبائل والعشائر الأخرى. وعندما ترزق الأسرة مولوداً تعم القبيلة البهجة والفرحة، لا سيما إذا كان المولود ذكراً حيث تطلق العيارات النارية احتفاءً بمقدمه. وأتباعاً للسنة النبوية المطهرة فإن أحد الأتقياء يؤذن في أذن المولود اليمنى ثم اليسرى، ويكون الختان مبكراً وله حفل خاص.

ومن عادات الأفغان أن الأغنياء منهم يتكفّل بتعليم الفقراء وطلبة العلم مدة تحصيلهم العلمي. وللعلماء في أفغانستان شأن كبير ونفوذ وهيبة وكلمة مسموعة. ويتبعون بين قبائلهم وعشائرهم نظام الألقاب لا سيما بين العلماء والشيوخ والقادة والأمراء، ومن بين هذه الألقاب:

المتوكل على الله: لقب الملك.

خان: ويطلق على كبار القادة وكبار الملاك وأعضاء البرلمان، وهذا اللقب لم يعد مستخدماً الآن كثيراً.

مير أو أمير: ويطلق على شخص ذي مكانة دينية، كانتسابه مثلاً إلى أهل البيت أو إلى الإمام علي بن أبي طالب (رضي

الله عنه)، وهذا اللقب أصبح جزءاً من الإسم كأن يقال مير أحمد، مير محمد علي...

دوش: وتطلق على الأخ الصديق.

حضرت: وتطلق على كبار رجال الدين.

صاحب: وتطلق على كبار رجال الدولة.

خوجه: وتطلق على العلماء لا سيما على من ينتسبون للخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه).

سيد: وتطلق على من ينتسب للرسول محمد (ﷺ) أو للإمام علي (رضي الله عنه).

أما أهم الأعياد التي يحتفل بها الأفغان فهي عيدي الأضحى المبارك والفطر السعيد وتؤدى صلاتهما في ملعب أو باحة كبرى أو خارج حدود المسجد إحياءً للسنة. كما يحتفل بذكرى المولد النبوي الشريف وبذكرى رأس السنة الهجرية، وبالنصف من شعبان، ويكون لشهر رمضان المبارك احتفالات خاصة ومميزة في استقباله وأثناء الصيام وعند وداعه، لا سيما احتفالهم بليلة القدر، حيث تقام الاحتفالات الدينية في المساجد والزوايا لا سيما في العاصمة كابل. كما يحتفل الشيعة بالإضافة إلى تلك الأعياد والليالي، بذكرى عاشوراء.

الأوضاع العلمية والثقافية

تنتشر في أفغانستان ثلاث لغات هي: البشتو، والفارسية والعربية. وتعتبر البشتو لغة قبائل البوشتن هي اللغة الرسمية في البلاد، وتليها اللغة الفارسية وهي لغة قبائل الطاجيق الذين يحتلون

المرتبة العددية الثانية بعد البوشتن، غير أن الفارسية هي المستخدمة في الإدارات وفي الميادين التجارية والثقافية بسبب جذورها التاريخية في البلاد. ولا بد من الإشارة إلى أن ٤٠٪ من كلمات اللغتين الفارسية والبشتوية هي من أصل عربي، علماً أن اللغتين تكتبان بأحرف عربية.

وتحتل اللغة العربية مركزاً ممتازاً في المدارس والدراسة في أفغانستان، لأن الأفغانيين يحرصون على تعليم أبنائهم لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والفقه والتفسير. وبما أن حرف اللغات الأفغانية الأخرى هو حرف عربي، فقد سهّل ذلك تعلم اللغة العربية واستيعابها إلى حد كبير. علماً أن بعض المدارس تقوم بتدريس مادة اللغة العربية فحسب مثل: دار العلوم في كابل، وفخر المدارس في هراة، ونجم المدارس في جلال أباد، ومدرسة لمخارستان في فيض أباد. بالإضافة إلى ذلك فقد أنشأت الحكومة الأفغانية «مدرسة العلوم الشرعية» في منطقة نعمان على مقربة من كابل، وهذه المدرسة تعتمد تدريس اللغة العربية فحسب.

بالإضافة إلى اللغات الأساسية الثلاث، فإن اللغة التركية تنتشر في خراسان وبين القبائل التي تنتمي إلى أصل تركي. كما أن في أفغانستان لغات محلية مثل لغات الهزارة والبالوش (البالوخ).

والحقيقة فإن المعاهد الدينية كانت تتولى في السابق شؤون التعليم في مدارس المساجد، فتقوم بتعليم القرآن الكريم والحساب ومبادىء القراءة. ثم تحولت مسؤولية التعليم إبتداءً من عام ١٩٠٦ إلى دائرة المعارف الرسمية، ثم إلى وزارة التعليم

إبتداءً من عام ١٩٣٠، واعتبرت أن كل مدارس المساجد والأحياء مدارس تابعة لها، وأخذت على عاتقها التعليم الإبتدائي والإعدادي والثانوي وفيما بعد الجامعي، غير أن نسبة المتعلمين لا تزال متدنية إذ لا تزيد على ٢٠٪ بين الذكور، وهي أقل من ذلك بين الإناث. وقد أدى ذلك إلى وجود مشكلة تكمن في تدني عدد المدرسين والأساتذة. وتقوم الجمعيات الخيرية بدورها في ميدان التعليم، فالمؤسسة الخيرية النسائية في كابل تقوم بدور مكافحة الأمية، كما افتتحت عدة صفوف لتعليم تفصيل وفن الخياطة والحياكة والأشغال اليدوية والتدبير المنزلي.

أما فيما يختص بالتعليم الجامعي، فأن أكثر القادرين على التعلم اتجهوا إلى الدول الغربية أو الشرقية أو إلى باكستان. غير أن أفغانستان شهدت منذ عام ١٩٣٦ تأسيس مدرسة للتمريض. كما يوجد في كابل «مدرسة طبية» تخرج سنوياً ما يقرب من (٣٠) ثلاثين طبيباً ومدة الدراسة فيها خمس سنوات. ويوجد في أفغانستان حوالي (٦٠) مستشفى يعمل فيها (٣٠٠) طبيب. أما الصيدليات فتوجد في المدن والمقاطعات، بينما تفتقر القرى والأرياف إلى وسائل الطب والتطبيب كالمستشفيات والصيدليات والأطباء، وهذا ينعكس سلباً على الواقع الصحي في تلك المناطق. بالإضافة إلى وجود جامعة كابول التي تستقطب اليوم الطلاب والطالبات معاً. وبالمقارنة بين ماضي أفغانستان الثقافي والعلمي وبين حاضرها. يدرك الدارس كم كان للأفغانيين مآثر في المجال العلمي والثقافي والحضاري الإسلامي، فقد قام الأفغانيون عبر تاريخهم الطويل بدور بارز في نشر الإسلام والحضارة الإسلامية ليس في شبه القارة

الهندية فحسب، وإنما في ديار المسلمين والعرب أنفسهم، نظراً لما أفرزته مناطق أفغانستان من علماء وفقهاء وفلاسفة انتشرت علومهم في مختلف أرجاء العالم بما فيه أوروبا.

ولا يخفى في هذا المجال دور وجهود السلطان محمود الغزنوي، الذي غزا الهند وضمها لدولته، ولم تكن أهدافه سياسية فحسب، وإنما كان يهدف أيضاً إلى نشر الدين الإسلامي في تلك البلاد، وإلى نشر الحضارة الإسلامية. وفي هذا المجال لا بد من أن نشير إلى بعض العلماء والفقهاء والمحدثين والفلاسفة والمؤرخين والجغرافيين والأطباء والأدباء والشعراء الذين أنجبتهم أفغانستان ومناطقها ومنهم على سبيل المثال[1]:

* **الإمام أبو حنيفة (النعمان بن ثابت)**: صاحب أحد المذاهب الفقهية الأربعة، فهو أفغاني الأصل من ضواحي «كابل». ولسنا هنا في مجال عرض ما كان لفقهه ومذهبه من آثار على المجتمعات الإسلامية.

* **إبن سينا**: وهو العالم الفيلسوف الطبيب، الذي اشتغل بالرياضيات والفلك والمنطق والفلسفة والطب، وبلغت مؤلفاته أكثر من مائة كتاب ومقالة. وكان كتابه «القانون» في الطب مصدراً أساسياً في العصور الوسطى للعرب وللمسلمين وللأوروبين على السواء. وقد ترجم إلى اللاتينية، وظل يدرّس في الجامعات الأوروبية حتى القرن السابع عشر الميلادي.

* **البيروني**: وهو صاحب الفضل في نقل التراث العلمي الهندي في الرياضيات والفلسفة والدين إلى اللغة العربية.

---

(١) انظر: فاروق حامد بدر: تاريخ أفغانستان، ص ٤١ ـ ٤٤.

* **مكحول بن أبي مسلم الكابلي**: كان فقيهاً وقد اعتمد فقهه لفترة طويلة أهل الشام.

* **أبو سليمان الجوزجاني**: راوية كتاب «السير الكبير» للشيباني.

* **أبو سليمان محمد بن معشر**: وهو من أصل بلخي أو بستي، فقد كان أحد المفكرين الأحرار في القرن الرابع الهجري، المعروفين باسم «إخوان الصفا».

* **أبو علي الجوزجاني**: وهو صاحب التصانيف في الرياضة النفسية والمجاهدات والمعارف.

* **أبو القاسم الكعبي البلخي**: وكان من قادة المعتزلة وصاحب مذهب الكعبية.

* **أبو زيد البلخي**: وهو من كبار المفسرين والمتكلمين والجغرافيين له مؤلفات كثيرة منها: كتاب «أقسام العلوم» وكتاب «أخلاق الأمم» وكتاب «نظم القرآن».

* **أبو معشر جعفر البلخي**: وهو من العلماء البارزين في ميدان علوم الفلك والنجوم والأزياج، له تصانيف فيها منها: كتاب «هيئة الفلك واختلاف طلوعه».

* **التميمي (أبو حاتم محمد بن حيان البُسْتي)**: وهو من علماء الفقه واللغة والحديث والوعظ والإرشاد، وله مآثر في الإجتهاد.

* **عبد الله الأنصاري**: كان عالماً من علماء هراة، له مصنفات عديدة منها كتاب «تراجم الصوفية».

بالإضافة إلى ذلك فقد أنجبت أفغانستان عدداً كبيراً من شعراء العربية وكتابها منهم على سبيل المثال: بشار بن برد من «طخارستان» في شمال أفغانستان، ورشيد الدين الوطواط من «بلخ»، محمد بن موسى الحدادي من «بلخ»، أبو القاسم أحمد بن حسن الميمندي وزير السلطان الغزنوي من «ميمند» وهو الذي أمر الكتّاب في بلاد «غزنة» بكتابة الرسائل باللغة العربية. ومن يطلع على كتاب أبي الفضل البيهقي «تاريخ البيهقي» يدرك كم هم العلماء والفقهاء الذين أنجبتهم تلك المنطقة. ومن أئمة «هراة» في اللغة العربية عالمان كبيران هما:

* **الأزهري (محمد بن محمد بن الأزهر بن طلحة بن نوح الأزهري ٢٨٢ - ٣٧٠هـ)**: أشار إليه السيوطي على أنه كان رأساً في اللغة، وله تصانيف ومؤلفات عديدة منها كتاب «التهذيب».

* **عبد الرحمن الجامي (عماد الدين عبد الرحمن بن أحمد ٨١٧ - ٨٩٨هـ)**: ولد ببلدة «جام» من أعمال خراسان وتوفي في «هراة». إشتغل بعلوم الظاهر حتى تقدم على أهل عصره. له مؤلفات كثيرة في اللغة والتفسير على ما ذكره المناوي في الطبقات الصغرى والنبهاني في جامع الكرامات.

إن هؤلاء العلماء الأفغان سبق أن أثروا الفكر الإسلامي والعربي والأوروبي بمختلف العلوم البحتة والعلوم النظرية والعلوم

العقلية والعلوم النقلية. ولا تزال أمهات المخطوطات والكتب تزهر بآرائهم وأفكارهم إلى اليوم. ولا يمكن أن ننسى في هذا المجال ما قدمه السيد جمال الدين الأفغاني من آراء في مختلف المجالات.

تاريخ أفغانستان السياسي والعسكري

أجمع المؤرخون على أن أول دولة أفغانية قامت في التاريخ هي الدولة الغزنوية (٣٥١ - ٥٧٩هـ، ٩٦٢ - ١١٨٣م) وقد قامت على يد الأمير «سبكتكين» حاكم ولاية غزنة الأفغانية. وقد استطاع هذا الأمير - السلطان أن يوسع نفوذه باتجاه الشرق والغرب، وأسس دولة كبيرة، وسيطر على «خراسان» وعلى «بُست» و«هراة» وعمل على غزو أطراف الهند لمد سيطرة الإسلام وسيطرته السياسية. غير أن الدولة الغزنوية قويت وسيطرت على مناطق جديدة في عهد سلطانها القوي «محمود بن سبكتكين» الذي وُلّيَ الدولة بعد وفاة أبيه وبعد إبعاد أخيه إسماعيل عن السلطة. فقد استطاع السلطان محمود السيطرة على أملاك السامانيين في خراسان وبلاد ما وراء النهر، كما فتح بلاد الغور في أفغانستان ونشر الإسلام في تلك البلاد. وأكمل السلطان محمود السيطرة على أفغانستان، ثم استولى على أجزاء من إيران وضم إقليم «خوارزم» و«طبرستان» و«جرجان» و«بلاد الجبل» وخضعت له البلاد الواقعة شمال شبه القارة الهندية.

وبذلك إمتدت دولته من شرق الهند حتى فارس، وصارت عاصمته مدينة «غزنة» الأفغانية مركزاً للعلوم والآداب والفنون. وقد

أقام فيها في عهده ما يزيد على (٤٠٠) من الشعراء المشهورين منهم: الأنصاري، البيروني، والفردوسي.

إستمر حكم خلفاء السلطان محمود الغزنوي نحو قرنين من الزمان، حتى ضعفت دولتهم واضمحلت تحت ضغط الأتراك السلاجقة، وقبائل الغور في أفغانستان، فقد سقطت خراسان وشمال أفغانستان في أيدي السلاجقة، واستولى الغوريون على غزنة عام (٥٥٣هـ - ١١٦١م)، فنقل الغزنويين عاصمتهم من «غزنة» إلى «لاهور». واستمر الضعف يصيب الدولة الغزنوية إلى أن وقع آخر الغزنويين وهو «تاج الدولة خسروملك» أسيراً في أيدي الغوريين عام (٥٧٩هـ - ١١٨٣م). وبذلك انتهت الدولة الغزنوية وأعدم تاج الدولة هو وولده بهرام شاه عام (٥٨٧هـ - ١١٩١م). وقد ذكر بأن موطن الغور كان في مناطق أفغانستان الحالية، وقد كوّنوا دولة مستقلة في المنطقة الجبلية الواقعة بين «هراة» و«غزنة» وكانت عاصمتها قلعة «فيروزكوه».

هذا وقد توالى على دولة الغور العديد من الأمراء والسلاطين منهم: عز الدين محمد ومحمد الغوري وفخر الدين بن مسعود وجلال الدين الغوري، غير أن هذه الدولة انقرضت عام (٦١٢هـ - ١٢١٥م). بعد أن توسعت في الهند وولايتي «السند» و«الملتان» و«لاهور» وغيرها من المناطق.

فيما بعد خضعت أفغانستان للدولة الخوارزمية التي كانت تمتد من «تركستان» شرقاً إلى حدود العراق غرباً في عهد سلطانها «علاء الدين خوارزمشاه»، الذي اتجه لاحتلال بغداد عام

(٦١٦هـ - ١٢١٩م) وما أن وصل بغداد حتى علم بغزو «جنكيز خان» خان المغول لبلاده. فأسرع السلطان علاء الدين لمواجهة المغول غير أن جنكيز خان هزمه، ثم ما لبث أن توفي عام (٦١٥هـ - ١٢٢٠م). في هذه الأثناء تحالف جلال الدين بن علاء الدين مع القبائل الأفغانية الذي تمكنوا من إيقاع الهزيمة بقوات جنكيز خان قرب «كابل». فما كان من جنكيز خان إلا أن توجه من هراة للإنتقام من الأفغان، فحاصر «باميان» ودمرها وقتل كل من فيها انتقاماً لحفيده الذي سبق أن قتل في معركة كابل. ثم تقدم نحو «غزنة» وهزم جلال الدين الذي فر لاجئاً إلى الهند. ولما عاد جنكيز خان إلى أفغانستان عن طريق «بيشاور» واجهه الأفغانيون وأبدوا مقاومة باسلة ضد قواته، فكان جزاؤهم ذبح مئات الألوف منهم، وعمل على تدمير المدن والقرى مثل «غزنة» و«قندهار» و«بلخ» و«هراة» وسواها من المناطق.

وقضى المغول ودمروا المساجد والمدارس والمكتبات وأحرقوا المخطوطات والكتب ومعالم الحضارة الإسلامية والتراث العلمي والفكري للمسلمين الأفغان.

ولما حاول الزعيم التركي «سيف الدين حسن» إستعادة بعض المناطق الأفغانية عام (٦٢٣هـ - ١٢٢٥م) واجهه القائد المغولي «أكتاي» وتمكن من إخضاعه وطرده إلى الهند عام (٦٣٦هـ - ١٢٣٨م) ثم ما لبث المغول أن اتخذوا من «غزنة» وسواها قاعدة شنوا منها غاراتهم على الهند. وعندما توفي «اكتاي» قسمت الأمبراطورية المغولية، وكانت أفغانستان من نصيب

«ايلخانية فارس» تحت ظل الأسرة الكرتية التي حكمت البلاد ما يقارب مئتي عام.

وبعد ذلك، ظهر «تيمورلنك» الذي قضى على دولة «الكرت»، وتمكن من القضاء على حكم المغول في أفغانستان، واستولى على «هراة» و«كابل» و«قندهار» وأصبحت أفغانستان كلها جزءاً من أمبراطوريته. ولما يمم تيمورلنك وجهه عام (٨٠٠هـ - ١٣٩٧م) نحو الشرق، ولى حفيده «بير محمد» والياً على كابل وغزنة وقندهار. ثم بعد مجيء تيمورلنك لغزو الهند، وبعد وفاته عام (٨٠٧هـ - ١٤٠٥م) إستطاع إبن عم «بير محمد» وهو «شاه خليل» السيطرة على أفغانستان وعرش الأمبراطورية وقتل بير محمد.

والواقع فإن أسرة تيمورلنك وأحفاده وأقاربه سرعان ما تصارعوا على الحكم الواحد تلو الآخر إلى أن بدا الصراع واضحاً بين المغول والفرس، ذلك أن «بابر ظهير الدين» الذي ينتمي من جهة أبيه إلى «تيمورلنك» قد استطاع السيطرة على كابل وقندهار ثم غزا الهند. في هذه الأثناء ظهر له خطر من الغرب هو «الشاه إسماعيل الصفوي» مؤسس الدولة الصفوية في فارس، في الوقت الذي تمردت عليه القبائل الأفغانية.

وبسبب المنافسات والصراعات الداخلية قسمت أفغانستان بين أمبراطورية المغول في الهند وبين الدولة الصفوية في فارس، فكانت هراة وسجستان من نصيب فارس، بينما بقيت كابل جزءاً من الأمبراطورية المغولية في الهند، في حين كانت قندهار مرة مع المغول ومرة أخرى مع فارس.

في عام (٩٣٠هـ - ١٥٢٤م) توفي الشاه إسماعيل الصفوي، فتولى الحكم مكانه «طهمسب». وفي عام (٩٣٧هـ - ١٥٣٠م) توفي بابر، فخلفه على الحكم إبنه «همايون». وبالرغم من هذه التغيرات في الحكم، غير أن ذلك لم يمنع قوى الصراع والتنافس من الاستمرار في صراعها وقد استمر الخلفاء فعلاً في صراعهم كما كان الأباء. وكان ذلك سبباً من أسباب تزايد التدهور والانقسامات في أفغانستان ذاتها وبين مختلف قبائلها.

العلاقات الأفغانية - الفارسية (١)

كانت أفغانستان قد وجدت نفسها بين دولتين كبيرتين: الأمبراطورية المغولية في الهند، والأسرة الصفوية في فارس، وقد توزعت مناطق أفغانستان بين هاتين القوتين. وقد أسند الفرس حكم «قندهار» إلى أمير جورجيا المسيحي الأمير «جوركين» الذي كان تابعاً للشاه الفارسي. وكانت معاملته قاسية للأفغانيين، مما حرّك الأهالي والزعامات المحلية ضده بزعامة قائد محلي هو «ميرويس» فما كان من الأمير جوركين إلا أن اعتقله وأبعده إلى أصفهان. ولكن الرجل استطاع إقامة علاقات وطيدة مع الشاه الصفوي، فسمح له بمغادرة البلاد باتجاه مكة المكرمة، وهناك استحصل على فتوى من رجال الدين بأحقيته وحق شعبه بالدفاع عن بلاده ومحاربة الفرس. وفي هذه الأثناء عاد «ميرويس» إلى قندهار، وأقام علاقات مع القيصر الروسي بطرس الأكبر، واستطاع بحنكته وسياسته إبعاد

(١) للمزيد من التفصيلات انظر: د. عبد العزيز نوار: تاريخ الشعوب الإسلامية.

جوركين عن الحكم، وأن يحل محله في عام (١١٢٠هـ - ١٧٠٨م)، بل استخدم الحيلة لقتله.

ولما شعر «ميرويس» بقوته في قندهار وبلاد الأفغان، بدأ يواجه التهديدات الفارسية، غير أن الفرس لم يواجهوه مباشرة هذه المرة، بل كانوا يوعزون لأنصارهم بمحاربته. فكلفّوا حاكم خراسان بإخضاع الأفغانيين، غير أنهم واجهوه أكثر من مرة. كما أوعز الفرس لخسروخان حاكم جورجيا - إبن شقيق جوركين - لمهاجمة الأفغان في قندهار.

في هذه الفترة قرر سكان قندهار مواجهة حصار «خسروخان» والإستماتة في سبيل الدفاع عن مدينتهم. ثم انتقلوا من مرحلة الدفاع إلى مرحلة الهجوم، فاستطاعوا إبادة (٢٤) ألفاً من جيش خسروخان المكوّن من (٢٥) ألف محارب، ثم أن خسرو نفسه سقط صريعاً في المعركة عام ١٧١١ م.

بعد هذه الإنتصارات الأفغانية شعر الفرس بخطورة قندهار، فأرسلوا حملة عسكرية منظمة بقيادة «محمد رستم»، ولكن لم يستطع المواجهة بل فشلت هذه الحملة فشلاً ذريعاً. وهذه المعارك مجتمعة عوضاً من أن تؤدي إلى إضعاف ميرويس، عملت على تقويته وترسيخ حكمه في قندهار إلى وفاته عام ١٧١٥م.

تولى الحكم من بعده شقيقه عبد الله، لأن ابن ميرويس الوريث الشرعي الأمير محمود لم يكن قد بلغ الثانية عشر من عمره. وكان عبد الله ميالاً لعقد الصلح مع فارس حتى يتمكن من توطيد عرشه وحكمه. وقد عقد الصلح فعلاً بين فارس وقندهار،

وكانت في مصلحة الأفغان حيث اتفق على ما يلي:

١ - أن يكون الحكم وراثياً في أسرة الأمير عبد الله.
٢ - عدم إرسال قوات فارسية أو مناصرة لها ضد قندهار.
٣ - إلغاء الجزية المفروضة على قندهار لفارس.

إزاء هذه المعاهدة التي اعتبرها الأفغان أقل مما يجب الإتفاق عليه مع الفرس، وإزاء أطماع عبد الله بأن يكون الحكم وراثياً في أسرته، تحالف الأمير محمود مع أنصار والده السابقين، فتآمروا عليه وقتلوه.

وأمام انتصارات الأفغان المتتالية، ثارت بعض العشائر والقبائل الأفغانية ضد الحكم الفارسي، فأعلنت عشائر «العبدلي» الثورة واتفقت مع قبائل «الأوزبك» على غزو خراسان. وقد تجمع الثوار تحت قيادة أسد الله - زعيم العبدلي - وتحت قيادة حاكم هراة، وبلغ عددهم خمسة آلاف مقاتل. كما كان لدى الأوزبك (١٢) ألف مقاتل. وبالرغم من أن الجيش الفارسي كان كبيراً ويملك أسلحة متطورة مثل المدافع، غير أن الأفغانيين إنتصروا على الفرس وأوقعوا فيهم الهزيمة، وسيطر الأفغان على مدفعية الجيش الفارسي. وكانت نتيجة المعركة استقلال جديد لمنطقة هراة عن الفرس، بالإضافة إلى استقلال قندهار.

وبعد هذه الإنتصارات الجديدة قامت عشائر العبدلي في اجتياح خراسان، وقامت عشائر الليجيان (Lesgian) بمهاجمة شيروان (١١٣٤هـ - ١٧٢١م). وعبر الأمير محمود بجيشه الصحراء وأخذ يستولي على المدن الفارسية والواحدة تلو الأخرى

متابعاً سيره نحو أصفهان. وفي هذه الأثناء عرض الفرس الصلح على محمود ولكنه رفض لأنه شعر بضعف الفرس عن المواجهة العسكرية، ثم أنه بات في داخل الأمبراطورية الفارسية.

وفي الإطار العسكري كان عدد الجيش الفارسي مضاعفاً عن عدد الجيش الأفغاني، بالإضافة إلى أن الفرس يملكون أسلحة ومدفعية أكثر تطوراً من أسلحة ومدفعية الأفغان. وبالرغم من ذلك فقد قرر الأمير محمود الأفغاني الإستمرار بالزحف، فلاقى الجيش الفارسي في معركة «جلناباد» (Gulnabad) في عام (١١٣٥هـ - ١٧٢٢م). وبعد مواجهة عنيفة بين الجانبين تم الإنتصار للجيش الأفغاني في هذه المعركة. وساد الإرتباك الرسمي والشعبي في العاصمة أصفهان لوصول أخبار ونتائج الحرب.

بعد هذه المعركة تابع الأمير محمود إتجاهه لاحتلال بعض المناطق الفارسية، فسيطر على مدينة «فرح أباد» وقلعتها، ومدينة «جِلفا» الواقعة عى الضفة الغربية لنهر «زندارود» التي كان يدافع عنها الأرمن والفرس. وكان الصراع الداخلي بينهما قد أثر في وقوعها بيد الأفغان بسرعة.

ونتيجة لهذه الإنتصارات الأفغانية طالب الأمير محمود فارس بتنفيذ شروطه ومطالبه منها:

١ - تدفع فارس غرامة حربية.

٢ - يتنازل الشاه له عن قندهار وخراسان وكرمان.

٣ - زواج الأمير محمود من أميرة فارسية.

رفض الشاه حسين هذه المطالب، ولم يقدم بديلاً سياسياً أو

عسكرياً لمواجهة الوضع القائم، في الوقت الذي كان فيه الشعب يفر من المدن والقرى والدساكر باتجاه أصفهان. وفي وقت لم يستطع الشاه الإستفادة من عرض قدمه له أمير جورجيا لمساعدته ضد الأفغان. كما أن ولي العهد في فارس الأمير «طهمسب ميرزا» لم يستطع مواجهة الأفغان رغم محاولاته تجميع جيش فارسي جديد.

وفي خضم هذا الوضع العسكري، قامت بعض القوى الفارسية في المقاطعات والأقاليم بإعلان استقلالها عن الحكم المركزي في أصفهان. وبسبب عدم قدرة الجيش الفارسي على مواصلة القتال، وبسبب الأوضاع السياسية والاقتصادية الصعبة، وبسبب المجاعة التي ضربت أصفهان، قرر الشاه حسين التنازل عن العرش للأمير محمود الأفغاني وتسليم العاصمة في عام (١١٣٥هـ - ١٧٢٢م) وهكذا سقطت عاصمة الصفويين، وكانت إيذاناً بانتهاء الأسرة الصفوية كأسرة حاكمة.

أعلن الأمير محمود نفسه شاهاً على البلاد، وأبقى الفرس في أعمالهم ووظائفهم، وأشرك معهم في المسؤولية عناصر أفغانية، وكافأ الزعماء الفرس الذين كانوا أوفياء للشاه حسين، وأنزل العقاب بالذين خانوا بلادهم وخانوا الشاه. كما أبقى على امتيازات الأوروبيين وأعمالهم وتجارتهم وأوضاعهم التي كانوا يتمتعون بها زمن الحكم الصفوي.

صحيح أن الأمر استتب للشاه محمود الأفغاني في البلاد، ولكن الدارس لحقيقة الأمر، يتبين له أن الشاه محمود كان لا يزال

يواجه بعض الأخطار الحقيقية الداخلية والخارجية منها:

- الخطر العثماني من الغرب.
- الخطر الروسي من الشمال.
- أطماع ولي العهد الأمير «طهمسب ميرزا» بإعادة الحكم لأسرته.
- زعماء القبائل والعصبيات المستقلة في مناطقها.

وكان على الشاه محمود مواجهة كل هذه القوى للمحافظة على عرشه في فارس، وهذا ما لم يكن متوفراً له، لأنه في زحفه على فارس استخدم كل الطاقات الأفغانية، ولم يكن بمقدوره تجييش المزيد من الأفغان، علماً أن الفرس لم يقبلوا على التجنيد في عهده لأنهم لم يكونوا ليرضوا بالعمل تحت قيادة أفغانية.

لقد أرسل الشاه محمود حملة إلى شمالي فارس للقضاء على «طهمسب» ولكنه لم ينجح في ذلك، بينما نجح في الاستيلاء على مدن «قزوين» و«قم» و«كاشان»، وكانت هذه السيطرة مقدمة لثورات المدن على الأفغانيين. وبالفعل فقد ثارت قزوين وطردت الحامية الأفغانية منها، وهذه الحامية لم تلجأ مجدداً إلى الحكم المركزي، بل أنها توجهت إلى قندهار، الأمر الذي أثر على قوى ومعنويات الشاه محمود الأفغاني الذي حاول التعويض عن تلك الحاميات بـاستقطاب الأكراد السُّنة الذي استطاع فعلاً ضمهم إلى قواته واستخدامهم في معارك عديدة بالتعاون مع الجيش الأفغاني.

وباتت قضية الوجود الأفغاني في فارس قضية دولية، فبعد حملات الأفغان على المدن الثائرة في «خونسان» و«كاشان» و«شيراز» و«بندر عباس» و«يزد» و«بهبهان» تدخلت الوكالات

الإنجليزية والهولندية ودافعت عن «بندر عباس» بما كانت تملكه من مدافع متطورة. بالإضافة إلى أن القيصر الروسي بطرس الأكبر عزم على مواجهة الأفغان في إيران، وأعلن تمسكه بالشاه حسين المتنازل عن العرش. كما أجرى الروس مفاوضات مع الشاه حسين ومع الشاه محمود الأفغاني في وقت واحد. وكانت حصيلة تحركاتهم بعد أن علموا أن الأفغان غير قادرين على الإمساك بمناطق شمال فارس، إلا أن وجهوا جيوشهم من «الفولجا» إلى «دربند» ثم اتجهوا إلى «شماكا» التي تبيّن لهم أن العثمانيين وصلوا إليها واحتلوها محذرين من تقدم الروس. لهذا آثر القيصر الروسي عدم المواجهة مع العثمانيين والبقاء في «دربند». وكان ذلك مقدمة لاتفاق عثماني - روسي على تقسيم فارس بينهما وذلك في عام ١٧٢٤م.

إن التطورات المحلية والإقليمية والدولية أرهقت الشاه محمود الأفغاني، وبالتالي أثرت على قواه الصحية والعقلية، فعمد إلى ممارسات القتل والتدمير في الأسر الفارسية وفي أصفهان، وأمر بقتل أفراد الأسرة الصفوية باستثناء الشاه حسين، وعمد إلى المذابح التي استمرت زهاء أسبوعين، مما أفقده عقله وصوابه تماماً، فأصيب بالجنون الواضح عام (١١٣٧هـ - ١٧٢٥م) وعلى اثر ذلك استدعي الأمير أشرف من أفغانستان، وأسند إليه ولاية العهد، ثم رفع إلى العرش. ولكن الشاه أشرف واجه أيضاً القوى ذاتها التي كانت تواجه سلفه الشاه محمود، فاحتج على العثمانيين لعقدهم معاهدة مع دولة مسيحية هي روسيا القيصرية، وطالبهم بالوقوف إلى جانب المسلمين، وأرسل إلى بغداد كبار علماء الأفغان السنة

للإجتماع بوالي بغداد أحمد باشا وبعدد من كبار علماء العراق، للوصول إلى فتوى بعدم جواز مقاتلة المسلم للمسلم. غير أن هذه الإجتماعات لم تسفر عن نتائج تذكر، بل دارت الحرب فيما بعد بين الأفغانيين والعثمانيين، وفيها أحرز «أشرف» إنتصاراً ساحقاً على قوات أحمد باشا. غير أن المعاملة الطيبة التي لقيها أسرى القوات العثمانية قرّبت بين السلطان العثماني وبين الشاه أشرف، بالإضافة إلى تزايد خطر الطامع بالعرش «طهمسب ميرزا» الذي بدأ يتعاون مع نادرخان (نادر شاه فيما بعد).

كل ذلك أدى إلى مفاوضات للصلح بين أشرف والعثمانيين، إتفق الطرفان على عقد معاهدة في (١١٤٠هـ - ١٧٢٧م) قضت بأن يعمل العثمانيون على حماية قوافل الحجاج إلى العتبات المقدسة في العراق والحجاز، وعدم قبول المجرمين أو الفارين من دولة لأخرى، واعترف أشرف بأن السلطان العثماني هو خليفة للمسلمين، كما اعترف السلطان بأشرف شاهاً على فارس.

وهكذا ظلت فارس منقسمة بين القوى التالية:

- الشاه أشرف.
- السلطان العثماني.
- القيصرة الروسية.
- طهمسب.

واستمرت كذلك إلى أن برز القائد نادرخان (نادرشاه - طهمسب قولي خان) - وهو في الأصل من منطقة محمد أباد، إستطاع البروز في الميادين العسكرية، ما لبث أن

أصبح قائداً كبيراً - فاستطاع القضاء على منافسيه، وولى طهمسب شاهاً على فارس، ثم ما لبث أن قوي وقضى على الجيش الأفغاني، ولم يلبث الشاه أشرف إلا أن سقط صريعاً وأرسلت رأسه إلى الشاه طهمسب (١١٤٢هـ - ١٧٣٠م). وبعد تواصل انتصارات نادرشاه عمل ضد الشاه طهمسب نفسه، فزحف إلى أصفهان، وقبض على الشاه ورفع ابنه الطفل إلى العرش، وفرض نادر نفسه وصياً على الشاه الطفل (١١٤٥هـ - ١٧٣٢م). وبذلك انتهى الحكم الأفغاني في فارس، ولكن لم يكن يعني ذلك انتهاء العلاقات الأفغانية - الفارسية. إذ أن نادر شاه إحتج ضد شاه الهند محمد شاه لسماحه للاجئين الأفغان بالوصول إلى الهند، وأرسل محذراً من خطورة قضية اللاجئين الأفغان في الهند على مستقبل العلاقات الفارسية - الهندية. ولكن حكومة الشاه محمد لم تهتم بالتهديدات، فكان أن قامت القوات اللاجئة الأفغانية بعبور الحدود إلى كابول وغزنة في حرية تامة، الأمر الذي أدى فيما بعد إلى توجه نادر شاه لاحتلال الهند والأنقضاض على كابول وبيشاور واستولى على دلهي، غير أنه لم يعلن نفسه شاهاً على الهند، بل وضع يده على ولايات شمالي السند (١١٥١ - ١١٥٢هـ، ١٧٣٩م)، ثم ما لبث أن عاد إلى فارس. وبذلك انتهت حقبة هامة من حقب التاريخ المشترك الأفغاني - الفارسي، وحقبة من حقب سيطرة أفغانستان على فارس.

بعد ذلك توالى على حكم أفغانستان بعض القيادات، حكمت بشكل مستقل أو شبه مستقل نتيجة التدخلات الخارجية وهي:

* أحمد خان: ١١٦٠ - ١١٨٧هـ، ١٧٤٧ - ١٧٧٣م.

* تيمور شاه: ١١٨٧ - ١٢٠٧هـ، ١٧٧٣ - ١٧٩٣م.

* زمان شاه: ١٢٠٧ - ١٢١٥هـ، ١٧٩٣ - ١٨٠١م.

* شاه محمود بن تيمور: ١٢١٦ - ١٢١٨هـ، ١٨٠١ - ١٨٠٣م.

* شجاع الملك: ١٢١٨ - ١٢٢٤هـ، ١٨٠٣ - ١٨٠٩م.

* شاه محمود بن تيمور (للمرة الثانية): ١٢٢٤ - ١٢٤٥هـ، ١٨٠٩ - ١٨٢٩م.

* شجاع الملك (للمرة الثانية): * قتل ١٢٥٨هـ، * قتل ١٨٤٢م.

* دوست محمد: ١٢٥٨ - ١٢٨٠هـ، ١٨٤٢ - ١٨٦٣م.

* شير علي: ١٢٨٠ - ١٢٩٦هـ، ١٨٦٣ - ١٨٧٩م.

* يعقوب خان: ١٢٩٦ - ١٢٩٧هـ، ١٨٧٩ - ١٨٨٠م.

* عبد الرحمن خان: ١٢٩٧ - ١٣١٩هـ، ١٨٨٠ - ١٩٠١م.

* حبيب الله خان: ١٣١٩ - ١٣٣٧هـ، ١٩٠١ - ١٩١٩م.

* أمان الله خان: ١٣٣٧ - ١٣٤٨هـ، ١٩١٩ - ١٩٢٩م.

* باتشه سقا: ١٣٤٨ - ١٣٤٨هـ، ١٩٢٩ - ١٩٢٩م (تسعة أشهر).

* نادر خان: ١٣٤٨ - ١٣٥٢هـ، ١٩٢٩ - ١٩٣٣م.

* محمد ظاهر شاه: ١٣٥٢ - ١٣٩١هـ، ١٩٣٣ - ١٩٧٣.

* إنقلاب الجنرال محمد داوود عام ١٩٥٣ ضد حكومة شاه محمود.

* الإنقلاب الثاني للجنرال محمد داوود عام ١٩٧٣ ضد الملك محمد ظاهر شاه وإعلان الجمهورية.

* إنقلاب نور محمد تراقي عام ١٩٧٨ ضد الرئيس محمد داوود وتوليه رئاسة الدولة.

* إنقلاب حفيظ الله أمين في ١٦ أيلول (سبتمبر) عام ١٩٧٩ ضد الرئيس نور محمد تراقي الذي قتل، وتوليه رئاسة الدولة.

* إنقلاب ٢٧ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٩ ضد حفيظ الله أمين ومقتله، وتعيين بابراك كارمل زعيم حزب بوتشام الشيوعي رئيساً للدولة، والذي طلب في حينه تدخل الجيش الروسي[1].

وبعد تولي نجيب الله الحكم لم تهدأ الأحوال السياسية والعسكرية، ولا تزال أفغانستان تعاني من الانقسامات الداخلية.

---

(١) انظر: محمود شاكر: أفغانستان، ص ١٠٣.

العلاقات الأفغانية ـ البريطانية

إن الأطماع البريطانية التاريخية بشبه القارة الهندية وبمناطق أخرى في العالم، وبسبب المنازعات والعصبيات المستمرة في أفغانستان، وبسبب موقعها الاستراتيجي المميز؛ كل ذلك دعت أنظار الإنجليز تتجه نحو أفغانستان من خلال الهند. وكانت أفغانستان قد شكلت في بعض مراحل تاريخها تهديداً لملوك الهند، فقد حدث أن حاول حاكم أفغانستان «زمان شاه» (١٧٩٣ ـ ١٨٠١) غزو الهند، وتظاهر بمظهر المدافع عن الإسلام ضد السيخ، مما أدى إلى مواجهة الإنجليز لمطامعه، وهم الذين كان نفوذهم يقوى باستمرار في الهند، حتى باتوا القوة الفاعلة في شمال البلاد. وقام الإنجليز في الوقت نفسه بتحريض شاه فارس لمناوأة أفغانستان لتوقف تهديدها ضد الهند. وبالفعل فقد عاد «زمان شاه» من الهند ليواجه القوات الفارسية. كما أن بريطانيا كانت تتدخل أحياناً في شؤون أفغانستان بطلب من زعمائها للوقوف مع زعيم ضد آخر، على غرار ما فعل «شجاع الملك» الذي طلب المساعدة البريطانية ضد منافسة أسرة جديدة تزعمها «محمد زائي» وهي المعروفة باسم «البيت الباركزائي».

والحقيقة فقد شعر الإنجليز بتزايد القوة الأفغانية في عهد الأسرة الباركزائية، ورأوا أن ذلك يشكل خطراً على وجودهم في الهند، فبدأت إنجلترا باتباع كافة الأساليب لإضعاف أفغانستان بتدبير الفتن والحروب الداخلية، ففي كانون الأول (ديسمبر) ١٨٣٨ قام جيش إنجليزي بغزو أفغانستان، وتمكن من

احتلال «قندهار» و«كابل» و«غزنة» وعمد الإنجليز إلى تنصيب «الشاه شجاع» في كابل. غير أن الشعب الأفغاني رفض هذا التدخل الإنجليزي، وبدأ يقاوم وشاركه في المقاومة «الشاه دوست محمد». وحدثت معركة أخرى بين الأفغان والإنجليز في «براون» عام ١٨٤٠، وقد انتصر فيها الأفغان، واضطر الإنجليز إلى الإنسحاب من أفغانستان عام ١٨٤١.

إن المعارك التي خاضها الإنجليز ضد الأفغان، أدت إلى خسائر كبيرة بالإنجليز لا سيما في الفترة الممتدة بين أعوام ١٨٣٨ ـ ١٨٤٢. وقد خسرت بريطانيا جيشاً كاملاً عندما انقض محمد زائي على الجيش البريطاني المنسحب عند حدود البلاد. وبالرغم من عقد الصلح بين بريطانيا والأفغان، غير أن بريطانيا نقضت الصلح، ودخلت مدينة قندهار عام (١٢٧٢هـ ـ ١٨٥٥م) ومدينة هراة عام (١٢٨٠هـ ـ ١٨٦٣م). وفي الوقت نفسه كانت روسيا قد نالت جزءاً من خراسان عام (١٢٩٠هـ ـ ١٨٧٣م)، وعقدت إتفاقية مع الإنجليز لجعل نهر جيحون حداً للتوسع الروسي. وهذا ما جعل بدوره النفوذ الإنجليزي يتوسع مما حدا بالسيد «شير علي بن محمد زائي» إلى طلب المساعدة الروسية، غير أن الروس كانوا بدورهم قد أحكموا سيطرتهم على تركستان الغربية كلها. ونتيجة للصراع الإنجليزي ـ الروسي على أفغانستان، فقد اندلعت حرب بين (١٢٩٥ ـ ١٢٩٦هـ، ١٨٧٨ ـ ١٨٧٩م) بين الأفغان والإنجليز، الذين تمكنت قواتهم من احتلال كابل وجلال أباد وقندهار وبعض الأماكن الاستراتيجية.

إن سياسة القضم والهضم التي كانت تتبعها بريطانيا في أفغانستان، قد نجحت في توطيد نفوذها السياسي والعسكري على السواء في المنطقة، بدليل أنه عندما تولى الحكم يعقوب خان (١٨٧٩ - ١٨٨٠) بادر على الفور إلى التوقيع على معاهدة مع بريطانيا في ٢٦ أيار (مايو) ١٨٧٩، تنازل بموجبها عن بعض الأراضي بالقرب من ممر «بولان» و«وادي كرم» كما وافق على إشراف بريطانيا على السياسة الخارجية لأفغانستان، واستقبال بعثة دبلوماسية دائمة في كابل. ولكن بعد أشهر قليلة قام الأفغانيون بقتل أعضاء البعثة البريطانية، فأرسلت إنجلترا على الفور قوات أخرى احتلت كابل وأجبرت يعقوب خان على التنازل عن العرش في العام نفسه، ونفته إلى الهند.

بقي الإنجليز في كابل حتى ظهر في أفغانستان الأمير عبد الرحمن خان (١٨٨٠ - ١٩٠١) حفيد دوست محمد، فاعترفت بريطانيا بإمارته على كابل ووعدته على ألا تطلب إدخال بعثات بريطانية إلى أية منطقة في أفغانستان ولما بدأت الحامية البريطانية بالإنسحاب من كابل، وصلت الأخبار من أن «أيوب خان» شقيق «يعقوب خان» قد أباد حامية بريطانية قرب قندهار، مما دعا الإنجليز للتوجه نحو قندهار، فهزموا أيوب خان وبعد تحقيقهم هذا النصر إنسحبوا من أفغانستان.

لقد حاول الأمير عبد الرحمن خان إقامة حكم مركزي قوي، ولكن تداخل السياسات المحلية والإقليمية والدولية، كان يمنعه من تحقيق أهدافه. ففي عام ١٨٨٧ وقعت بريطانيا مع روسيا بروتوكولاً

تحدد فيها الحدود الفاصلة بين روسيا وأفغانستان. وفي عام ١٨٨٨ تم الإتفاق على الحدود بين إيران وأفغانستان. وفي عام ١٨٩٣ إجتمع الإنجليز مع الأمير عبد الرحمن لتحديد الحدود الشرقية والجنوبية التي تفصل بين أفغانستان والهند.

وفي عهد الأمير حبيب الله خان (١٩٠١ - ١٩١٩) عقدت معاهدة بين الروس والبريطانيين تضمنت على ألا تعمل أية دولة منهما على ضم أراضي أفغانستان أو تتدخل في شؤونها الداخلية. والأمر الملاحظ أن حبيب الله خان إتخذ موقف الحياد في فترة الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) في الصراع الدائر بين دول الحلفاء ودول المحور. وإن كانت أفغانستان تتعاطف دينياً مع الدولة العثمانية.

ولما تولى الحكم في أفغانستان «أمان الله خان» (١٩١٩ - ١٩٢٩) بعد مقتل أبيه حبيب الله خان، تباحث مع الإنجليز وأرسل إلى نائب الملك في الهند يبلغه بالإستقلال التام لأفغانستان. وقد أجابت حكومة الهند البريطانية بضرورة استمرار العلاقات والصلات بين الحكومتين، وقد فسر هذا الرد بأنه رفض بريطاني لاستقلال أفغانستان، الأمر الذي أسفر عن حدوث نزاع مسلح بين الإنجليز والأفغان في ٦ أيار (مايو) ١٩١٩، وتمكنت القوات الأفغانية بقيادة السردار محمد نادر خان من إلحاق الهزيمة بالقوات الإنجليزية، واضطرت إنجلترا للدخول في مفاوضات مع أفغانستان، واعترفت في إتفاقية «روالبندي» في باكستان باستقلال أفغانستان التام. وبذلك حقق أمان الله خان للشعب الأفغاني حلمه

بالاستقلال الناجز. غير أن نهاية أمان الله خان لم تكن مشرفة بسبب ممارساته الشخصية ومحاولاته تغريب وأوربة أفغانستان وسلخها عن محيطها الإسلامي. وكانت إنجلترا تعمل جاهدة للإنتقام منه، فنشرت صوره وصور نسائه وهن سافرات مما أثار ضده رجال الدين والعلماء وحتى بعض السياسيين.

واستمرت العلاقات البريطانية - الأفغانية بين مد وجزر إلى بداية الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) حيث رفضت أفغانستان الإنحياز إلى أي من المعسكرين المتحاربين (الحلفاء أو المحور)، وهذا وبعد إنتهاء الحرب العالمية الثانية بدأ النفوذ البريطاني يتلاشى ويتضاءل في المنطقة حيث نالت الهند استقلالها وانقسمت عنها باكستان فنالت استقلالها عام ١٩٤٧. كما أن أفغانستان المستقلة منذ عام ١٩١٩ إنضمت إلى هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٤٦.

العلاقات الأفغانية - الروسية

إن العلاقات الأفغانية - الروسية هي علاقات قديمة، وهي جزء من العلاقات الفارسية - الروسية ومن العلاقات البريطانية - الروسية، فالتداخل في السياسة المحلية والإقليمية والدولية، جعلت تلك العلاقات الأفغانية - الروسية علاقات قديمة، وهي كانت مرات علاقات مباشرة ومرات أخرى علاقات غير مباشرة، وتبعاً لتبعية بعض المناطق الأفغانية لفارس، أو لاستقلالها عن أي من الدول.

ففي التاريخ الحديث كانت مدينة «قندهار» الأفغانية في فترة من الفترات تابعة لإيران، غير أنهم أسندوا حكمها إلى أمير جورجيا «جوركين» الذي كان بدوره تابعاً للشاه، فعامل المدينة معاملة قاسية ودمر قسماً منها واضطهد أهلها. فما كان من الأهالي إلا أن بدأوا بالتصدي لأمير جورجيا بقيادة قائد من «قندهار» هو «ميرويس» الذي تميز بالذكاء والدهاء والجرأة، فاجتمع ببعثة أرسلها القيصر الروسي بطرس الأكبر، واستطاع من خلال ذلك إقامة علاقات ودية مع أعضاء البعثة، واستطاع بمهارته إبعاد جوركين عن حكم قندهار، وأن يحل محله وذلك عام (١١٢٠هـ - ١٧٠٨م).

وبسبب الصراع الأفغاني - الإنجليزي، كان الروس يحاولون في بعض الأحيان التقرب من الأفغان لمناوئة الإنجليز، ففي عهد الأمير شير علي (١٨٦٣ - ١٨٧٩) جرت إتصالات بين الروس والأفغان، ووصلت في عهده بعثة روسية إلى كابل للتشاور في كيفية تنسيق المواقف ضد الإنجليز، الذين ردوا على ذلك باحتلال كابل وجلال أباد وقندهار وسواها.

وفي عام ١٨٨٧ وقعت بريطانيا وروسيا بروتوكولاً يختص بأفغانستان، تم بموجبه تحديد الحدود الفاصلة بين روسيا القيصرية وأفغانستان. وفي عهد الأمير حبيب الله خان (١٩٠١ - ١٩١٩) عقدت معاهدة بين روسيا وبريطانيا اتفقتا فيها على ألا تعمل أية دولة منهما على ضم أراضي أفغانستان أو أن تتدخل في شؤونها الداخلية.

وبعد قيام الثورة البلشفية الشيوعية في روسيا عام ١٩١٧،

عمل الروس على توطيد علاقاتهم بأفغانستان لضمان سلامة الحدود بين الجانبين. ثم وقّع الطرفان عام ١٩٢١ معاهدة صداقة، كان من بنودها إعتراف روسيا باستقلال «بخارى» غير أن الروس عادوا عام ١٩٢٣ وأعادوا احتلالها.

ولما اندلعت الثورة أواخر عام ١٩٢٨ في أفغانستان ضد أمان الله خان، تولى الحكم مكانه «باتشه سقا» (١٩٢٩) ولقب نفسه بالملك «حبيب الله غازي» وكان وصوله للحكم بمعاونة الإتحاد السوفيتي في عهد ستالين. وقد وقعت أفغانستان مع الإتحاد السوفيتي معاهدة أخرى عام ١٩٣١، هي معاهدة تعاون وصداقة. وفي عهد محمد ظاهر شاه (١٩٣٣ - ١٩٧٣) دخلت أفغانستان في مفاوضات مع الإتحاد السوفيتي، وعقدت معه إتفاقية تجارية في عام ١٩٣٦. وبعد استقرار الأوضاع في الإتحاد السوفيتي بعد أحداث الثورة، تبيّن له أنه هو القادر على منافسة الوجود البريطاني في أفغانستان والمنطقة.

وبدأت بوادر الشيوعية تظهر في أفغانستان بشكل منظم، فسعت إلى تأسيس حزب شيوعي في البلاد، حمل إسم «الحزب الديمقراطي في أفغانستان» وذلك في عام ١٩٣٢، غير أن نفوذه والمنضوين تحت لوائه كانوا أقلية تبعاً لواقع البلاد الإسلامي. ولما نشبت الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) حرصت أفغانستان على الوقوف موقف الحياد، ومما ساعدها على ذلك أن الإتحاد السوفيتي وبريطانيا كانتا معاً في عداد دول الحلفاء ضد ألمانيا ودول المحور الأخرى إيطاليا واليابان.

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، لجأت حكومة أفغانستان إلى الإتحاد السوفيتي لمساعدتها في مختلف المجالات لا سيما المجالات الاقتصادية والتنموية والعسكرية. وفي عام ١٩٥٠ وقعت أفغانستان إتفاقية تجارية مع الإتحاد السوفيتي، وكانت كلما مرت الأعوام ازداد اعتماد الأفغان على السوفيت، بما فيه الخبراء، فقد أخذ السوفيت على عاتقهم مسؤولية التنقيب عن النفط في شمال أفغانستان.

وفي أيلول (سبتمبر) عام ١٩٥٣ عندما وصل الجنرال محمد داوود إلى السلطة بانقلاب ضد رئيس الحكومة، طالب الإتحاد السوفيتي بمساعدات اقتصادية وعسكرية كبيرة. وتوالت الإتفاقيات مع السوفيت، ووقعت حكومة أفغانستان عام ١٩٥٦ إتفاقاً تشتري أفغانستان بموجبه معدات عسكرية من الروس بنحو ٢٥ مليون دولاراً. ومنذ أن آل الوضع في الإتحاد السوفيتي إلى الزعيم «خروتشوف» بدأ نوع من التعاون الودي بين الدولتين، وقدمت المساعدات الروسية والصينية على السواء لأفغانستان في الميادين الاقتصادية والإعمارية والعسكرية. وفي عام ١٩٥٨ تم التوقيع على إتفاقية جديدة للحدود بين أفغانستان والإتحاد السوفيتي. وقد ساعد السوفيت أفغانستان في بناء وتوسيع المؤسسة العسكرية وتدريب أفراد الجيش الأفغاني على أساليب القتال وعلى كيفية استخدام الأسلحة الروسية.

وفي الوقت الذي كانت فيه أفغانستان تقوى عسكرياً بواسطة السلاح والعتاد السوفيتي، كانت السياسة السوفيتية تقوى بالمقابل

في داخل أفغانستان نتيجة لمساعداتها ولوجوها العملي على الأرض. فبدأت القوى الشيوعية تظهر وتقوى في أفغانستان وكثرت الأحزاب الشيوعية واليسارية، وباتت قوة سياسية واضحة ليست على مستوى الفئات الشعبية، ولكن على مستوى الفئات العسكرية وبعض الفئات المثقفة. وقد صدرت أول صحيفة يسارية في أفغانستان في ١١ نيسان (أبريل) ١٩٦٦، أصدرها «نور محمد تراقي» رئيس منظمة خلق «الشعب» غير أنها ما لبثت أن أوقفت بسرعة في ٢٣ أيار (مايو) ١٩٦٦.

وكانت المساعدات السوڤيتية لأفغانستان قد هيأت تربة خصبة لتزايد النفوذ السوڤيتي فيها، ففي الخطة الخمسية ١٩٦٢ - ١٩٦٧ تلقت أفغانستان من الإتحاد السوڤيتي (٦٣٢) مليون دولاراً، وهذا المبلغ يشكل ٦٥٪ من مجموع المساعدات التي تدفقت على البلاد، بينما شكلت المساعدات الأميركية ٢٣٪ فحسب من تلك المساعدات. فوجود النفوذ السوڤيتي وتزايد قوته بات أمراً واضحاً ومنطقياً أمام هذه المقارنة السريعة. وفي عام ١٩٦٥ وقّعت أفغانستان مع الصين إتفاقية مدتها عشرة أعوام نالت بموجبها (٢٨٠) مليون دولاراً والحقيقة فإن المساعدات والديون السوڤيتية لأفغانستان كانت تزداد تباعاً حتى بلغت عام ١٩٧٨ نحو (١٣٠٠) مليون دولاراً. وازداد النفوذ السوڤيتي في أفغانستان بعد انقلاب وقع ضد حكومة محمد داوود في ٢٧ نيسان (أبريل) ١٩٧٨. وقد قامت بالإنقلاب جماعتان سياسيتان ماركسيتان هما: «جماعة خلق» (الشعب) بقيادة نور محمد تراقي وحفيظ الله أمين، وجماعة «بارتشام» (الراية) بقيادة بابراك كارمل. وتزعم الدولة نور محمد تراقي واتخذ حفيظ الله أمين رئيساً للحكومة.

وفي عهد الرئيس نور محمد تراقي ازداد النفوذ السوڤيتي في أفغانستان، بسبب كثرة القروض والمساعدات الروسية، وأخذ عدد المستشارين العسكريين السوڤيت في أفغانستان يتضاعف، وساعد هؤلاء المستشارون والخبراء على إدارة وزارة الدفاع وتدريب قوات الجيش الأفغاني. غير أن ذلك لم يمنع من الإنقسامات بين الشيوعيين الأفغان أنفسهم لا سيما أركان السلطة، فقد بدأت المنازعات بين جماعة «خلق» وجماعة «بارتشام» ووصل الأمر إلى إقصاء بابراك كارمل وإبعاده وتعيينه سفيراً لأفغانستان في تشيكوسلوفاكيا، ولكن كارمل استمر من بعيد يعمل ضد نور محمد تراقي لإعداد العدة لخلعه عن سدة الرئاسة. وأمام هذه الأخطار والإنقسامات وتخوفاً من الحركة الإسلامية المتصاعدة، قرر «نظام خلق» الإنحياز إلى السوڤيت بشكل واضح وأوثق، ففي ٥ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٨ وقّعت معاهدة صداقة في موسكو بين الجانبين، وقد وقّع عن الإتحاد السوڤيتي ليونيد بريجينيف ووقع عن أفغانستان محمد تراقي، ومما جاء في بعض حيثياتها وبنودها «إن اتحاد الجمهوريات السوڤيتية الإشتراكية وجمهورية أفغانستان الديمقراطية، إذ يعيدان تأكيد التزامهما بمقاصد ومبادىء المعاهدتين السوڤياتيين - الأفغانيين لعامي ١٩٢١ و١٩٣١ اللتين وضعتا الأساس لعلاقات صداقة وحسن جوار بين الشعبين السوڤيتي والأفغاني، واللتين تلبيان مصالحهما الوطنية الأساسية. وإذ يرغبان... سيعزز الفريقان المتعاقدان الساميان تنمية التعاون وتبادل الخبرة في حقول: العلم، والثقافة والفن، والأدب، والتعليم، والخدمات الصحية، والصحافة، والراديو، والتلفزيون،

والسينما، والسياحة والرياضة والحقول الأخرى. وسيسهل الجانبان توسيع التعاون بين أجهزة سلطة الدولة والمنظمات العامة، والهيئات التجارية والمؤسسات الثقافية والعلمية، بغية التعرف بصورة أعمق على حياة شعبي البلدين وخبرتهما في العمل وإنجازاتهما... ويتشاور الفريقان المتعاقدان الساميان مع بعضهما حول جميع القضايا الدولية الكبرى التي تؤثر على مصالح البلدين...».

في هذه الأثناء كانت الأوضاع الداخلية في أفغانستان غير مستقرة، وبدت ملامح حركة المعارضة الإسلامية، ثم حدثت خلافات بين محمد نور تراقي وحفيظ الله أمين. وفي أيلول (سبتمبر) ١٩٧٩ قام تراقي بزيارة موسكو وذكر بأنه تباحث مع الروس بتطعيم الحكومة بعناصر جديدة أو استبدال رئيس الوزراء، ولكن أمين رفض هذه التوجهات، وقاد في ١٦ أيلول (سبتمبر) ١٩٧٩ حركة إنقلاب ضد تراقي الذي قتل في قصر الشعب، ثم عيّن أمين نفسه رئيساً للدولة، ولم يعلن عن مصرع تراقي إلا في ٩ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٩، غير أن حفيظ الله أمين نفسه قتل نتيجة لحركة إنقلابية قامت ضده في ٢٧ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٩ بقيادة بابراك كارمل.

ولا بد من ربط الأحداث الإقليمية والدولية بعضها بالبعض الآخر، إذ أن التطورات السياسية التي كانت قائمة في إيران وتحركات الثورة الإسلامية بقيادة الإمام آية الله الخميني وانتصارها، أعطى دفعاً للحركة الإسلامية في أفغانستان، وأثار ذلك مخاوف القوى الدولية وفي مقدمتها الإتحاد السوڤيتي من أن يمتد أثر تلك

الثورة إلى أفغانستان مما يؤثر على أوضاع السوڤيت في المنطقة، لذا سارع السوڤيت إلى إرسال فرق كثيرة من الجيش السوڤيتي إبتداء من عام ١٩٧٩ إلى أفغانستان واستمرت هذه السياسة لسنين طويلة امتدت لعشر سنوات (١٩٧٩ - ١٩٨٩). ونقل السوڤيت في ٢٥ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٩ طلائع القوات السوڤيتية إلى أفغانستان وإقامة جسر جوي سوڤيتي ضخم، وتم نقل آلاف من الجنود وتم توزيعها في «كابل» وفي قاعدة «باجرام» الجوية القريبة من كابل.

في ٢٧ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٩ قامت فرق أفغانية مدعومة من السوڤيت بانقلاب ضد حفيظ الله أمين الذي قتل أثناء المعارك التي دارت حول القصر الجمهوري. وقد اتهم بأنه عميل أميركي. في الوقت نفسه استدعي بابراك كارمل من تشكوسلوفاكيا وتم تعيينه رئيساً للدولة. وفي ٢٩ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٩ سيطرت القوات السوڤيتية المنقولة جواً سيطرة تامة على كابل. وصرحت حكومة «بابراك كارمل» بأن أفغانستان قدمت طلباً مستعجلاً لموسكو بشأن المعونة العسكرية العاجلة بمقتضى معاهدة الصداقة الموقعة في ٥ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٨، وإن هذه المساعدة ستتوقف تلقائياً منذ اللحظة التي تتوقف فيها التدخلات الأميركية.

وكان للتدخل السوڤيتي السريع في أفغانستان ردود فعل محلية وإقليمية ودولية، وانتقلت المسألة الأفغانية من مرحلة إلى مرحلة، وباتت قضية دولية، واتخذت وجوهاً من الصراع الأميركي - السوڤيتي، ومن الصراع الهندي - الباكستاني، مع تداخل إيراني في هذه المعضلة، ومع تداخل عربي أيضاً.

الحركة الإسلامية وحركة المعارضة في أفغانستان [1]

تعتبر أفغانستان من البلدان الإسلامية المحافظة إلى حد كبير على تراثها وعراقتها وتقاليدها. ولدى الشعب الأفغاني في الوقت نفسه استعداد للتطور والرقي والنماء. فالجذور التاريخية للحركة الإسلامية قديمة جداً في أفغانستان، أما فيما يختص بتنظيمها ووضع هيكلية سياسية لها فإنها تبدأ مع مطلع القرن العشرين عندما قامت مجموعة من الشباب بالدعوة لتنظيم أوضاع المسلمين السياسية في مواجهة التحديات الداخلية والخارجية. وبدأت تنشط هذه المجموعات مع تزايد نفوذ الحركات غير الإسلامية والحركات المتأوربة والغربية.

في عام ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧ تعاون الشباب المسلم الأفغاني مع العلماء المسلمين الأفغان، وشكّلوا حركة إسلامية أساسها الدين الإسلامي وقواعدها التربية والتعليم الإسلاميين، ومكافحة القوى الأجنبية في الشرق والغرب. وكان من قادة هذه الحركة العلماء: محمد يونس خالص، الملا بن وزير، عبد الرزاق باريس، وخدايا نورا، وكان هؤلاء يتعاونون مع منهاج الدين جاهز مدير تحرير صحيفة «الفجر» الأسبوعية التي تصدر في كابل. وكثيراً ما جرت مواجهات بين الحركة الإسلامية وبين الحركات اليسارية على غرار ما وقع من مواجهة عنيفة في عام ١٣٩٠هـ ـ ٣٠ حزيران (يونيه) ١٩٧٠، وعلى غرار حادث اغتيال منهاج الدين جاهز وابنه

(١) أنظر: جمال الدين الأفغاني: تتمة البيان في تاريخ الأفغان، فاروق حامد بدر: تاريخ أفغانستان، بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، د. عبد العزيز نوار: تاريخ الشعوب الإسلامية، محمود شاكر: أفغانستان، د. عبد الله عزام: آيات الرحمن في جهاد الأفغان.

في عام ١٣٩٢هـ ـ ٨ اب (أغسطس) ١٩٧٢. وفي عام ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م جرت انتخابات مجلس طلبة الجامعة في كابل، فاستطاع المسلمون الحصول على (٤٤) مقعداً من أصل (٥٤) مقعداً. وهذه النتيجة أثارت الحساسيات بين مختلف التيارات الطلابية في الجامعة، كما أسفر عن توحيد الطلبة المسلمين لجهودهم مع بقية الحركات الإسلامية الممثلة بالجمعيات والتجمعات التالية:

- جمعية العلماء المحمدية.
- جمعية خدام الفرقان.
- تجمع الشباب المسلم في جامعة كابل.

واستمرت المواجهات الإسلامية ـ اليسارية بأسلوب أو بآخر، ومرة عن طريق الحكومات ومرات عن طريق الحركات، ففي ١٥ جمادي الأولى ١٣٧٨هـ ـ ٢٦ نيسان (أبريل) ١٩٧٨ قُتل أحد زعماء حزب برشام الشيوعي وهو «مير أكبر»، كما قُتِل وزير المشروعات أمام باب وزارته، وقُتِل في الوقت نفسه ضابط طيار أفغاني. وتبيّن بأن هذه الأحداث نتيجة خلافات يسارية ـ يسارية، وبالذات بين حزب «خلق» وحزب «برشام» فما كان من الحكومة إلا أن اعتقلت قياداتهم ومنها: محمد تراقي وحفيظ الله أمين وبابراك كارمل وأودعتهم السجن.

لم تنتظر القيادات المعارضة للحكومة كثيراً، إذ قام الجنرال الشيوعي عبد القادر بانقلاب ضد رئيس الجمهورية محمد داوود خان، وسلم السلطة إلى زعيم حزب «خلق» محمد تراقي الذي قام

بدوره بإبعاد العناصر الشيوعية المعارضة له وفي مقدمتهم زعيم حزب برشام بابراك كارمل - كما سبق وفصلنا -.

وأمام هذه التطورات الداخلية قامت الثورة في شرقي البلاد في مقاطعة «نورستان»، ونشطت المعارضة الإسلامية ضد حكومة حفيظ الله أمين، وبرز «الحزب الإسلامي» برئاسة غلب الله حكمتيار مع أحزاب وجمعيات إسلامية أخرى. ولما تولى رئاسة الجمهورية حفيظ الله أمين إستمرت المعارضة الإسلامية لحكمه وهكذا كان موقفها عندما تولى الحكم بابراك كارمل، وكانت الحركة الإسلامية بدأت تنشط منذ سنوات وتزداد في جمعياتها وحركاتها وقد تجمعت في اتحادين يحملان الإسم نفسه هو «الإتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان» أحدهما يحمل الفكرة القومية والآخر يحمل الفكرة الإسلامية.

أما الإتجاه القومي فهو يضم ثلاث حركات هي[1]:

١ - حركة الثورة الإسلامية، ويتزعمها محمد بني محمدي.
٢ - الجبهة القومية الإسلامية أو (مجاهدي الثورة الإسلامية) ويتزعمها سيد أحمد جيلاني.
٣ - جبهة الإنقاذ القومي، ويتزعمها صبغة الله مجددي.

أما الإتجاه الإسلامي فيضم سبع جمعيات وحركات وهي:

١ - الجمعية الإسلامية الأفغانية (جمعية إسلامي أفغانستان)، ويتزعمها برهان الدين الرباني (ورد في بعض المصادر على أنه عبد اللطيف رباني) وهو أستاذ الشريعة في جامعة كابل.

(١) انظر: محمود شاكر: أفغانستان، ص ١٠٤.

٢ - الحزب الإسلامي، ورئيسه المهندس غلب الدين حكمتيار.
٣ - الحزب الإسلامي (حزب إسلامي)، ورئيسه محمد يونس خالص، وهو منشق عن حركة الثورة الإسلامية بزعامة محمد بني محمدي.
٤ - الحركة الإنقلابية الإسلامية الأفغانية (حركة إنقلابي إسلامي أفغانستان)، ورئيسها نصر الله منصور.
٥ - الحركة الإنقلابية (حركة إنقلابي)، ويتزعمها رفيع الله مؤذن.
٦ - حركة محمد مير.
٧ - منظمة محمد رسول السيّاف.

وهذا الإتجاه الإسلامي قد اتفق على زعامة محمد رسول السيّاف، غير أن الخلاف لا يزال قائماً بين أعضاء الإتحاد، وتقع معارك تصل إلى مرحلة الإقتتال أحياناً بين الحركات الداخلة فيه.

وأشارت بعض المصادر إلى وجود حركة هي «الجبهة الوطنية لتحرير أفغانستان»، برزت قيادات إسلامية كثيرة في ميدان الحركة الإسلامية تتمثل في:

* أحمد مسعود في وادي بنجير.
* ذبيح الله في مزار شريف.
* رحمة الله صافي وكان قائد القوات الخاصة في الجيش الأفغاني في أيام محمد ظاهر شاه، وسجن في أيام محمد داوود شاه، وهو من أمهر العسكريين الجنرالات في أفغانستان.

أما فيما يختص بمؤسس الحركة الإسلامية الأفغانية فهو البروفسور غلام محمد نيازي عميد كلية الشريعة، علماً أن البعض

يرى أن عبد الرحيم نيازي هو أحد مؤسسي الحركة الإسلامية الأفغانية وكان في بداية حياته طالباً في كلية الشريعة عند البروفسور غلام، وإنهما تعاونا معاً في السر والعلن[1].

ومهما يكن من أمر فقد وصلت القوات السوڤيتية في أفغانستان في فترة من الفترات إلى أكثر من مائة وعشرين ألفاً من الجنود. والأمر الملاحظ أن القضية الأفغانية لم تعد قضية محلية بقدر ما باتت قضية دولية وإقليمية وإسلامية وعربية أيضاً.

ففي ٧ كانون الثاني (يناير) ١٩٨٠ طرحت القضية على مجلس الأمن الدولي واتخذ قراره المتضمن «يؤكد أن سيادة أفغانستان وسلامة أراضيها واستقلالها السياسي، ووضعها كدولة غير منحازة يجب أن تحترم احتراماً كاملاً. ويدعو إلى الانسحاب العاجل لجميع القوات الأجنبية من أفغانستان لتمكين شعبها من تقرير شكل الحكم الخاص به، واختيار أنظمته الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وهو متحرر من التدخل أو الإكراه أو التقييدات الخارجية من أي نوع كان. . .» وقد وافق أعضاء مجلس الأمن على هذا القرار باستثناء الاتحاد السوڤيتي الذي استخدم حق النقض (الڤيتو).

وفي ١٤ كانون الثاني (يناير) ١٩٨٠ أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قراراً أبدت فيه قلقها حيال التطورات في أفغانستان لما ترتبه على السلم والأمن الدوليين، كما أبدت قلقها على تزايد المهاجرين الأفغان خارج البلاد نتيجة الحرب، وشجبت الجمعية

(١) انظر: د. عبد الله عزام: آيات الرحمن في جهاد الأفغان، ص ٣٧، ٣٨.

العامة «التدخل المسلح الذي حدث مؤخراً في أفغانستان» وناشدت «جميع الدول أن تحترم سيادة أفغانستان وسلامتها الإقليمية واستقلالها السياسي، وطابع عدم الانحياز الذي تتصف به. . .» ودعت «إلى الانسحاب الفوري غير المشروط والكامل للقوات الأجنبية من أفغانستان من أجل تمكين شعبها من تقرير شكل حكمه. . .»[1].

والأمر الملاحظ أن صدور هذا القرار عبّر عن مدى الانقسام الدولي والعربي والإسلامي من قضية الوجود السوڤيتي في أفغانستان. فقد صوّت إلى جانب القرار (١٠٤) دولة، وعارضته (١٨) دولة، وامتنعت عن التصويت (١٨) دولة، وتغيب عن الحضور (١٢) دولة. أما الدول العربية التي أيدته فهي (١٤) دولة فقط وهي: مصر، العراق، الأردن، الكويت، لبنان، المغرب، عمان، المملكة العربية السعودية، الصومال، البحرين، جيبوتي، قطر، تونس، ودولة الإمارات المتحدة.

وبين ٢٧ ـ ٢٩ كانون الثاني (يناير) ١٩٨٠ عقد المؤتمر الإسلامي لوزراء خارجية الدول الإسلامية مؤتمره في «إسلام أباد» في باكستان وأصدر قراره حول أفغانستان ومما جاء فيه «تمشياً مع مبادىء وأهداف منظمة المؤتمر الإسلامي وأحكام القرارات التي اتخذها مؤتمر القمة الإسلامي، وتأكيداً للأهداف المشتركة لشعوب الأمة الإسلامية ومصيرها المشترك. . . وإذ يشعر بقلق شديد من جراء التدخل السوڤيتي المسلح في أفغانستان، وتأثير هذا التدخل على إرادة شعب أفغانستان المسلم في ممارسة حقه في تقرير

(١) انظر: فاروق حامد بدر: تاريخ أفغانستان، ص ١١٦ ـ ١١٩.

مستقبله السياسي . . . وإذ يعيد تأكيد تصميم الدول الإسلامية على اتباع سياسة غير منحازة بالنسبة إلى الدولتين العظيمتين، وحماية الشعب المسلم من التأثير السيء للحرب الباردة بين هاتين الدولتين . . . يطالب بالانسحاب العاجل وغير المشروط لجميع القوات السوڤيتية المتمركزة فوق أراض أفغانية . . . ».

ويبدو أن الوفاق الدولي لم يكن قد تم بعد بين الولايات المتحدة الأميركية والاتحاد السوڤيتي في تلك الفترة التي كانت تشهد آخر أيام الرئيس الأميركي جيمي كارتر. كما أن السياسة السوڤيتية في عهد ليونيد بريجينيف لم تكن بدورها قد قررت الانسحاب من أفغانستان لأسباب إقليمية ودولية. لذلك استمر التوتر في أفغانستان والحرب الداخلية واستمرت عمليات المقاومة الإسلامية، وأعلن «ضياء خان ناصري» رئيس المجلس الثوري الإسلامي في أفغانستان عن قيام جمهورية إسلامية في ثلاث محافظات شرقي أفغانستان وهي : «باكتيا»، «غازي لوجاد»، و «باكثبتاني». وفي باكستان أعلن في «إسلام أباد» عن تشكيل تحالف إسلامي من ست حركات للثوار الأفغان برئاسة برهان الدين رباني من أجل تحرير البلاد، ودعا إلى الاعتراف بهذا التحالف بوصفه الممثل الشرعي الوحيد لشعب أفغانستان.

والحقيقة فإن الصراع داخل أفغانستان اتخذ طابع الصراع الأفغاني ـ الأفغاني، ثم طابع الصراع الأفغاني ـ السوڤيتي، ودخل الجنود السوڤيت كطرف أساسي في مواجهة المقاومة الأفغانية التي انتشرت في الهضاب والجبال والوديان. وقامت حركات فدائية أفغانية للانتقام من الموالين للسوڤيت، ففي ١٤ أيلول (سبتمبر)

١٩٨٠ أعلنت «الجبهة الوطنية الإسلامية لأفغانستان» عن مصرع «فايز محمد» وزير شؤون الحدود الأفغاني واثنين من كبار المسؤولين الأفغان، وذلك خلال هجوم شنه الثوار أثناء إلقائه خطاباً في اجتماع عام في «زدران» بإقليم «باكتيا».

وقد استمرت الثورة الأفغانية تعارض الحكم الأفغاني وتعارض الوجود العسكري السوڤيتي في أفغانستان إلى أن تم انسحاب الجيش السوڤيتي من أفغانستان ابتداءً من شباط ـ آذار (فبراير ـ مارس) ١٩٨٩ بتوجهيات من الرئيس السوڤيتي غورباتشيف في إطار توافق دولي أميركي ـ سوڤيتي على إنهاء بؤر التوتر في أفغانستان ومناطق عديدة في العالم. غير أن الأمر اللافت للنظر أنه في الوقت الذي خرج فيه الجيش السوڤيتي من أفغانستان، فإذا بقوى الثورة تستمر بخلافاتها وتناقضاتها، ولا تزال الأوضاع في البلاد غير مستقرة حتى اليوم.

وفي تطور جديد تبين بأن المجاهدين الأفغان قرروا المضي في العمل للإطاحة بالرئيس نجيب الله. وبالفعل ففي ١٦ نيسان (أبريل) ١٩٩٢ إضطر نجيب الله للاستقالة من الحكم ومن الحزب الحاكم «الوطن»، محاولاً في الوقت ذاته الفرار من كابول إلى خارج البلاد. وأفادت الأنباء عن انتحار وزير الداخلية الجنرال غلام فاروق يعقوبي الموالي للرئيس الأفغاني.

وكان المجاهدون الأفغان قد تقدموا نحو العاصمة كابول بقيادة الرائد الطاجيقي أحمد شاه مسعود. كما أكد ذلك محمد أيوب رئيس اللجنة العسكرية في حزب الجماعة الإسلامية. والتسوية المقترحة المستقبلية تكوين مجلس انتقالي يضم (١٥) عضواً من مختلف الأطراف لحكم أفغانستان إلى أن تتم تسوية الأمور السياسية في البلاد

الفصل الثالث

تاريخ أندونيسيا الحديث والمعاصر

جغرافية أندونيسيا

تنتشر بين المحيطين الهادئ والهندي وبين آسيا واستراليا مئات من الجزر الكبرى والصغرى، يطلق عليها بمجملها اسم «اندونيسيا» وهي تقع على خط الاستواء بين خطي ٢٠ شمالاً و٢٠ جنوباً. ويطلق اسم أندونيسيا على مجموعة الجزر الواقعة في جنوب شرقي آسيا التي تضم مدغشقر وسومطرة وجاوة، وبورينو، وسيليبس، وتيمور، وجزائر الملوك، وغينيا الجديدة، وشبه جزيرة الملايو، وبعض الجزر الاخرى المنتشرة. وقد أطلق على مجموعة الجزر هذه أسماء متعددة، فسميت باسم جزر الملايو، وباسم جزر الهند الشرقية وغيرها، وأطلق عليها العرب اسم جاوة، وما زالوا حتى اليوم يحتفظون بتلك التسمية[١]. وقد سماها بعض الجغرافيين باسم «ماليزيا» بمعنى جزر ملايو او ارخبيل ملا، غير ان الوطنيين الاندونيسيين يفضلون اسم اندونيسيا وقد جعلوه الاسم الرسمي للبلاد[٢].

ومنذ النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري ـ التاسع عشر الميلادي أخذ اسم أندونيسيا يغلب على ما عداه من الأسماء، ومعناه جزر الهند لأن كلمة أندونيسيا تتكون من كلمتين احداهما: «أندو» ومعناها الهند والثانية «نيسيا» ومعناها الجزر. ويطلق هذا الاسم حالياً على مجموعة الجزر التي كانت خاضعة لحكم هولندا، ولكن اسم أندونيسيا من الناحية الجغرافية يشمل ايضاً جزر الفلبين التي كانت تابعة للولايات المتحدة الأميركية. غير ان اول من

استعمل كلمة أندونيسيا اسماً على تلك الجزر هو العالم الانثولوجي الامريكي «لوغان» (Logan) عام ١٨٥٠ في مجلة الارخبيل الهندي وآسيا الشرقية عند كلامه عن الشعوب القاطنة هناك. كما استخدمها الكثير من العلماء والمجلات بما فيه دائرة المعارف البريطانية. كما ان هولندا سبق ان اطلقت عليها اسم «الهند الهولندية» بسبب سيطرتها عليها.

مساحة أندونيسيا

تبلغ مساحة أندونيسيا بعد تقسيمها حوالي ٧٨٢,٦٦٣ ميلاً مربعاً بعد ان كانت مساحتها ٩١٠,٠٠٠ ميلاً مربعاً. وكان عدد سكانها عام ١٩٤٦ حوالي ٩٤,٠٠٠,٠٠٠ نسمة، بينما عدد سكانها حسب احصاء عام ١٩٩٤ أكثر من (١٨٠) مليون نسمة. وهي بذلك تعد من أكبر الدول الاسلامية في العالم، ولا بد من الاشارة الى ان ٩٢٪ من سكان أندونيسيا يعتنقون الاسلام، بينما بعضهم يعتنق النصرانية، وقلة يدينون بالبوذية والكونفوشية والهندوسية. ونظراً لعدد سكانها المسلمين فهي تمثل اكبر تجمع للمسلمين في العالم الاسلامي[٣].

اصل السكان

يرجع اصل سكان أندونيسيا الى الجنس المغولي الطوراني، وقد وفدوا اليها من وراء جبال هيمالايا، ووصلوا الى الساحل الهندي، ثم ركبوا البحر، فبلغوا جنوب افريقيا، ثم اتجهوا ناحية الشرق، فوصلوا الى تلك الجزر الواحدة تلو الاخرى، ثم واصلوا سفرهم الطويل حتى بلغوا شمال استراليا ونيوزيلنده. ومكسيكو والبيرو وكاليفورنيا في امريكا. وقد جاؤوا ايضاً عن طريق البر فوصلوا الى كمبوجا (الهند الصينية) ومن هنا عبروا البحر الى تلك الجزر.

وفي عام ٥٤٥م وصلت اول جماعة من الهنود الى «فالمبانج» في جنوب

سومطرة. وكانت في تلك المرحلة كما يشير تاريخ الصين مملكة معمورة ومشهورة، وبها جامعة مفتوحة ابوابها لكل من يؤمها. وقد وفد عليها جماعات من الصين والهند الذين باتوا مع مرور السنين من اهل البلاد الحقيقيين والقدامى. وبين اوائل القرن الثاني عشر واوائل القرن الثالث عشر بدأ الاسلام بالانتشار في أندونيسيا، واقاموا دولة استقطبت الكثير من المسلمين والعرب، غير ان هذه الدولة لم تدم كثيراً بسبب سيطرة الاستعمار الغربي على البلاد في اوائل القرن السادس عشر[٤].

تنقسم تلك الجزر الى ثلاث مجموعات:

المجموعة الاولى: وتتكون من جزيرة سومطرة وجاوة وبورنيو وسيليبس، وسواها، وتسمى «سوندا الكبرى».

المجموعة الثانية: وهي مجموعة الجزر الصغرى التي تقع بين جزيرة غينيا الجديدة شرقاً، وجزيرة جاوة غرباً مثل جزر تيمور، بالي، سولار، الور، فالوريس، وسواها وتسمى «سوندا الصغرى».

المجموعة الثالثة: وهي مجموعة الجزر التي تقع بين سيليبس غرباً وغينيا الجديدة شرقاً، وتسمى جزر الملوك او البهارات التي ورد ذكرها في كتب التاريخ مثل: بابوا، تراناتي، أمبون، باندا وسواها.

وقد ورد في كتب اخرى مثل كتاب أندونيسيا الثائرة، تقسيم آخر لجزر المحيط الهادي[٥].

فهذه الجزر إذن تتمتع بموقع ممتاز ذي أهمية خاصة، هذا فضلاً عن وجود الموارد الأولية الضخمة، والأيدي العاملة التي تستخدم في استغلال هذه الموارد لصالح الصناعات الأوروبية، كما أنها تشكل سوقاً لتصريف المنتجات الصناعية الأوروبية. فلا عجب إذا ما بدأ التنافس الاستعماري عليها من أجل ذلك[٦].

وتتميز أندونيسيا بكثرة البحيرات والانهار والمناظر الطبيعية الخلابة، وهي غنية بالمعادن مثل البترول والفحم الحجري والقصدير والرصاص والذهب والحديد، كما انها غنية بالمحصولات الزراعية مثل المطاط والسكر والشاي والبن والنارجيل والتبغ والكينا وانواع عديدة من التوابل والاخشاب والأرز والفواكه، والاحجار الكريمة واللآليء والأسماك. وكان احتياطي القصدير والمطاط يمثل أكثر من ثلاثة ارباع القصدير والمطاط في العالم[٧].

الجذور التاريخية لاندونيسيا

نشأت في الجزر الاندونيسية عدة ممالك منذ قبل الإسلام وحتى مجيء الاستعمار، ومن هذه الممالك ما كان سلطانها يمتد على رقعة صغيرة من الأرض، ومنها ما يتعدى ذلك حتى يشمل الجزر كلها، بل يمتد ليشمل جزراً أخرى غير الجزر الأندونيسية. ومن هذه الممالك والامبراطوريات:

١ ـ إمبراطورية سري ويجايا (Sri wijaya)[٨]: وتأسست جنوبي سومطرة في أوائل القرن الخامس الميلادي، وازدهرت هذه الإمبراطورية، ونشرت سلطانها على أكثر الجزر الأندونيسية، وعلى شبه جزيرة الملايو، ووصل نفوذها الى الفلبين شمالاً، والى جزيرة سيلان في الغرب، وبقيت هذه الدولة حتى انتشر الإسلام بين أهلها. واتخذت مدينة «فلمبانج» في سومطرة الجنوبية عاصمة لها.

٢ ـ مملكة تاروماناجارا: تأسست في غربي جزيرة جاوة في القرن السابع الميلادي، وبقيت حتى القرن الثاني عشر الميلادي، حيث حلت محلها مملكة سوندا عام ١١٠٠م.

٣ ـ مملكة متارم: وقامت في جاوة الوسطى، وبقيت حتى انتشر الإسلام بين أبنائها، وقد اتسعت رقعتها وتألفت من ثمان وعشرين مقاطعة او دويلة، كما

أصبحت شبه جزيرة الملايو جزءاً من هذه المملكة.

٤ ـ مملكة جاوة الشرقية

٥ ـ إمبراطورية ماجاباهيت (Madjapahit)[٩]: قامت في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي واستمرت حتى القرن الخامس عشر الميلادي. ونشرت سلطانها على الجزر الأندونيسية كلها، إضافة الى الفلبين والملايو وجزء من الهند الصينية حتى ضعفت. وقد انفصلت بعض الممالك عنها مثل مملكة ميتنكايو في سومطرة الوسطى، ومملكة آتشيه في شمال سومطرة، وانتشر فيها الإسلام، وكانت أقوى الممالك الأندونيسية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وبقيت حتى عام ١٣٢٢هـ / ١٩٠٤م، وكان لها دور كبير في قتال الهولنديين.

كما قامت ممالك اخرى في جزر اخرى في جنوب شرقي آسيا، مثل مملكة بروني وسرواك، وممالك اخرى في جزيرة سيليبس وجزر السوند الصغرى، كما تعرضت أندونيسيا للغزو الصيني الذي احتل جزيرة جاوة سنة ١٣٦٢م[١٠]. والامر الملاحظ ان العديد من هذه الممالك والامبراطوريات قد انتشر فيها الاسلام بعد ان اعتنق ملوكها الدين الاسلامي.

الإســلام في اندونيسيا

يعتقد أن الإسلام انتشر في أندونيسيا بعد أن توقفت موجة الفتوحات الإسلامية، حيث انصرف الناس بعدها إلى النشاط الزراعي والصناعي والتجاري، وانطلقت السفن التجارية من سواحل جزيرة العرب الى المشرق تحمل معها البضائع، والى جانبها أخلاق التجار المسلمين التي تنبع من العقيدة، الى جانب الدعاة، وكثيراً ما كان التجار يتخذون بضاعتهم وسيلة للاتصال بالناس والعمل على هدايتهم[١١].

وتشير بعض المصادر التاريخية ان التجار المسلمين من الهنود والفرس

والعرب قد وصلوا في القرن التاسع الميلادي الى مدينة «قدح» احدى الولايات في شبه جزيرة الملايو، مما يدل على وجود اتصالات اولية بين المسلمين وسكان هذه المناطق. كما ذكرت بعض كتب تاريخ الملايو روايات تحدد تاريخ دخول الاسلام الى أندونيسيا بالقرن الثالث عشر الميلادي[١٢]. كما اشار الرحالة الايطالي «ماركوبولو» الذي زار الشاطئ الشمالي من جزيرة سومطرة عام ١٢٩٢م حيث أشار:

«ان سكان مدن هذه المملكة مسلمون» «وان الكثيرين... قد تحولوا الى دين محمد عن طريق التجار الشرقيين الذي يتعاملون كثيراً معهم»[١٣].

كما دلت الاكتشافات الاثرية المكتوبة باللغة الملايوية وبالرسم العربي على انتشار الاسلام بين سنوات ٧٠٢هـ - ٧٧٩ للهجرة. ويمكن القول ان تاريخ دخول الاسلام أندونيسيا كان محصوراً بين اواخر القرن الثاني عشر واوائل القرن الثالث عشر الميلادي.

كما زار بعض التجار الاندونيسيين بغداد في أيام الخليفة العباسي هارون الرشيد، وعندما عادوا الى بلادهم كانوا يحملون بين جوانحهم عقيدة الإسلام، وعندما وصلوا الى بلادهم قاموا بدعوة واسعة النطاق له، وبدأ الإسلام ينتشر بين السكان، ولكن على شكل أفراد وجماعات بسيطة، ونجحوا في تأسيس مملكة برلاك الصغيرة المسلمة.

ونجح التجار والدعاة في نشر الاسلام في أندونيسيا، واتخذت كل الوسائل لهداية الناس، وانخراطهم في الاسلام. كما عامل الدعاة سكان البلاد معاملة طيبة تدل على الخلق الإسلامي الرفيع الذي ساهم في إقبال الناس على الإسلام. فقد اتخذ بعض الدعاة التجارة وسيلة للصلة والتعامل معهم، فكانوا يتعاملون بصدق ونزاهة وأمانة. وتم التزاوج بينهم وبين سكان البلاد فتدخل المرأة

في دين زوجها، ثم لا يلبث أن يتبعها أهلها وأقرباؤها، ويحرص السكان على تعلم اللغة العربية لأنها لغة القرآن ولغة المسلمين التجار. ولم ينتشر الاسلام انتشاراً واسعاً الا نتيجة لاعتناق الاباطرة والملوك والحكام الدين الحنيف، مما شجع بقية السكان وافراد الشعب على اعتناقه، فضلاً عن معاملة التجار المعاملة الصادقة انطلاقاً من العقيدة الإسلامية السمحة، مما دعا القبائل الأندونيسية للاقبال على الإسلام، لاسيما وانه ساوى بين الجميع.

والأمر الملاحظ ان المذهب الشافعي انتشر انتشاراً واسعاً بين السكان. ومهما يكن من أمر فإن السكان قد تأثروا بالعقيدة الإسلامية بما فيها من المساواة بين الناس والعدل والإخاء والحرية بخلاف الديانات التي كانت تسود أندونيسيا. وكانت المناطق الساحلية أكثر تقبلاً للإسلام لكثرة التجار المسلمين. ولم يبق بعيداً عن الإسلام إلا تلك القبائل المعزولة في الغابات، ولم يكن بالإمكان الاتصال بها.

ولما دخل الكثير من السكان في الإسلام وحدوا صفوفهم، وأسسوا عدة ممالك إسلامية في أندونيسيا منها مملكة برلاك في سومطرة، ومملكة بنتام في جاوة، ومملكة ديماك في وسط جاوة، ومملكة متارام في شرقي جاوة، ومملكة آتشبه في شمال سومطرة. وتم القضاء على إمبراطورية ماجاباهيت، وانتهى حكم الهندوس فيها[١٤].

وعلى العموم فقد انتشر الإسلام في أندونيسيا عن طريق التجارة والتجار المسلمون فضلاً عن دور المسلمين من الهند وفارس. وقد تأكد ذلك من خلال انتشار بعض المصطلحات الهندية والفارسية فضلا عن العربية في اللغة الاندونيسية[١٥].

ومن الأهمية بمكان القول، ان أندونيسيا شهدت ضعفاً في ممالكها

وامبراطورياتها نتيجة للتنافس والتنازع الخارجي والداخلي، بالاضافة الى عدم مواكبة التطور الذي كان ينتشر في اوروبا ومناطق اخرى من العالم، الأمر الذي ادى الى استعمارها واستثمار مواردها وخيراتها.

الاستعمار البرتغالي

قام الاستعمار البرتغالي للسيطرة على أندونيسيا على مبدأ استغلال الموارد الاقتصادية التي اشتهرت بها البلاد لاسيما التوابل والبهارات والافاويه وسواها. وما الدعوة لنشر النصرانية سوى شعار حمله البرتغاليون لتحقيق أهدافهم الاقتصادية الكبرى. وباتت هذه الأهداف الاقتصادية هي محور السياسة البرتغالية طوال قرن من الزمن.

لهذا احتل البرتغاليون ملقا عام ٩١٧هـ / ١٥٠٩م، واتخذوا منها قاعدة لشن الحملات على الجزر الأندونيسية وخاصة جزر الملوك (جزر التوابل)، وقد تمكنوا من السيطرة على شمالي سومطرة عام ٩٢٨هـ / ١٥٢٠م، ووصلوا الى جزيرة سيليبس عام ٩٤٧هـ / ١٥٤١م[١٦]. كما أن الأسبان قد وصلوا الى جزيرة بورنيو والى جزر الملوك عام ٩٢٨ هـ / ١٥٢٠م، بعد مقتل قائدهم ماجلان في جزر الفلبين بعد أن أظهر تعصبه الديني علناً وأراد فرضه على السكان. ولم تستطع أسبانيا تثبيت اقدامها في أندونيسيا[١٧].

وكانت أحوال أندونيسيا السياسية والعسكرية ملائمة لتحقيق أهداف البرتغاليين، لأن الصراع كان على أشده بين الحكام المسلمين والممالك الهندوكية القديمة. واستغل البرتغاليون هذه الأوضاع، واحتلوا اندونيسيا بعد تحقيق النصر على أهل البلاد، ولكنهم لم يستطيعوا تثبيت اقدامهم الا بعد ان عقدوا معاهدات واتفاقيات مع حكام البلاد المسلمين.

وبعد أن استولى البرتغاليون على أندونيسيا حرصوا على إنشاء القواعد

العسكرية الحصينة في الجزر، وأقيمت الحراسة البحرية لمنع السفن الأجنبية المنافسة من الوصول إليها، وتركزت كل التجارة في ملقا، وعادت هذه التجارة بأرباح وفيرة، ولكن البرتغاليين كانت تعوزهم اليد العاملة للمحافظة عليها[١٨].

والحقيقة فقد ابدى الأندونيسيون مقاومة واضحة المعالم ضد البرتغاليين. وقد اتخذت تلك الحروب شكل الحروب الصليبية، وذلك نظراً لقرب عهد الاسبان بمحاربة المسلمين في الأندلس وإخراجهم منها فضلاً عن الصراع العثماني - الأوروبي في الوقت ذاته. وكان البرتغاليون يهدفون الى ضرب اقتصاديات المسلمين في أندونيسيا والسيطرة على تجارتهم، ومحاولة نشر النصرانية، ولذا فإن المقاومة ضدهم كانت عنيفة من قبل المسلمين، وقام المسلمون بثورات ضد البرتغاليين، وقاوموا نشر النصرانية، وخاصة بعد أن قتل أحد ملوك أندونيسيا غدراً عام ٩٧٨هـ / ١٥٧٠م وهو هارون سلطان جزيرة ترنات الذي امتدت سلطته حتى الفلبين[١٩].

والأمر الملاحظ ان الحملات البرتغالية توالت على شرق آسيا بهدف استنزاف خيرات البلاد والسيطرة على البهارات واحتكارها لصالحهم، واستخدموا كل أنواع القمع والإرهاب ضد المسلمين، ومنها إعدام دفعات متتالية من الأهالي، وبناء حصن بحجارة انتزعوها من قبور المسلمين. وظل البرتغاليون يحتكرون نقل تجارة التوابل الى أوروبا حتى عام ٩٨٨هـ / ١٥٨٠م[٢٠] حيث استولت أسبانيا على البرتغال، فآلت إليها البرتغال بكل ما لها من ممتلكات، غير أن أسبانيا لم تستطع الاحتفاظ بممتلكات البرتغال، وذلك بعد هزيمتها أمام إنجلترا في موقعة الأرمادا البحرية عام ٩٩٧هـ / ١٥٨٨م. وهذا ما هيأ المجال لدول أخرى أن تتقدم، فأسرعت هولندا التي كانت في حرب مع أسبانيا لتسيطر على أندونيسيا[٢١].

ويلاحظ أن الاستعمار البرتغالي لم يكن دافعه دينياً فحسب كما يرى بعض المؤرخين، بل كان يهدف بالدرجة الاولى الى استنزاف خيرات البلاد، ونهب مواردها الاقتصادية، كما اهتم ببناء الحصون والقلاع الحصينة، واحتكر تجارة الشرق، لهذا كانت النتيجة ضرب المسلمين اقتصادياً، وأصبحت لشبونة عاصمة البرتغال مركزاً رئيساً للسلع الشرقية. وليس هذا فحسب بل انفتح المجال أمام الجمعيات التبشيرية لنشر النصرانية. ومع ذلك فإن البرتغال لم تحقق كل أهدافها بعد القضاء على استقلالها ومنافسة الدول الأوروبية لها، ومقاومة المسلمين لها[٢٢].

الاستعمار الهولندي

وصل الأسطول الهولندي الى سومطرة وجاوة نتيجة ضعف الدولة الاسلامية البنتامية عام ١٠٠٥هـ / حزيران (يونيه) ١٥٩٦م لأول مرة، وحدث بينهم وبين السكان معارك بعد ان دخلت اول سفينة هولندية ميناء «بنتام». وقد حاول ربان السفينة اقناع السكان ان هدف الهولنديين التجارة فحسب، مع الاشارة الى أن الاستغلال الاقتصادي لموارد البلاد يعتبر في رأس أولويات الدول الاستعمارية، لأنه سيعقبه او سيسير معه جنباً الى جنب الاستعمار السياسي والعسكري استناداً الى روح العصر السائد آنذاك.

وبالفعل ونتيجة للصراع الهولندي ـ البرتغالي في المنطقة آثر الأندونيسيون الوقوف الى جانب هولنده، مما سهل لها احتكار الغلات ومنتجات وموارد البلاد. ولم يمض وقت قصير حتى امتد النفوذ الهولندي الى جميع مرافق البلاد، مما سمح لها بالاستقرار وتشييد الحصون والبوارج الحربية التي استطاعت بواسطتها احكام سيطرتها على البلاد الأندونيسية، وكل ما جاورها من مناطق[٢٣].

وكانت اتفاقيات هولندا عام ١٦٠٠م مع الأندونيسيين نقطة ارتكاز اساسية لاستغلالها خيرات البلاد، وقد اعتقد الاندونيسيون آنذاك ان هولندا ستكون حليفتهم ضد البرتغال. لقد حاول البرتغاليون الوقوف في وجه الهولنديين، فحركوا سفنهم وأساطيلهم من الهند الى أندونيسيا لمقاومة الهولنديين، واعتبروا كل سفينة ليست لهم غنيمة يأخذونها ومنها السفن الأندونيسية، فاصطدم البرتغاليون مع الأندونيسيين، وعجز الأسطول البرتغالي عن تحقيق غايته، وفي الوقت نفسه اعتبر الأندونيسيون الهولنديين حلفاء لهم ضد البرتغاليين، وهكذا بدأت البرتغال تتزحزح عن مراكزها في تلك الجزر، وإن احتفظت بمركز ملقا مدة أربعين سنة[٢٤].

ونتيجة لذلك اسست هولندا شركة تجارية في ٢٠ آذار (مارس) ١٦٠٢م سميت بشركة الهند الشرقية الهولندية لاحتكار تجارة التوابل والأفاويه في الشرق، وقد خولتها حكومة هولندا عقد معاهدات ومحالفات لفتح ما تشاء من الاراضي وبناء الحصون وغير ذلك. وقد عزمت الشركة الهولندية على عقد معاهدات مع عدة دول وقوى محلية ودولية من أجل طرد البرتغاليين من الهند ومن أندونيسيا.

والأمر الملاحظ، انه في عام ١٦١٠م عين أول حاكم هولندي من قبل شركة الهند الشرقية، للاهتمام بأمور الشركة واستثماراتها هو «بيتر بوت»، وتبين لهذا الحاكم ان الاقامة في «بنتام» يواجه صعوبات بسبب موقف حاكم المنطقة وسكانها، لذا آثرت الشركة الانتقال الى جاكرتا (بتافيا) استناداً الى عقد وقعه «بيتر بوت» مع سلطان جاكرتا، على ان تدفع الشركة مقابل اتخاذ جاكرتا مقراً لها مبلغاً معيناً من المال سنوياً. وكان هذا العقد الموقع بين الشركة والسلطان بمثابة مقدمة اساسية لاستقرار هولندا في البلاد الأندونيسية[٢٥]

ومنذ ذاك التاريخ بدأت الشركة تحقق أرباحاً كبيرة، ووطدت أقدامها في أندونيسيا بعد سيطرتها تماماً على جاكرتا، كما أن أنطوني فان ديمين الذي عين حاكماً عاماً في عام ١٦٣٣م هو الذي شاد صرح الإمبراطورية الهولندية وقضى نهائياً على البرتغاليين، وسقطت كوتشين في عام ١٦٦٠م، وأعقبتها المحطات التجارية الصغيرة الأخرى في يد الهولنديين الواحدة تلو الأخرى. واحتكرت الشركة الهولندية التجارة بجزيرة جاوة، وحافظت على نفوذها السياسي، وانتزعت الأملاك من أيدي ملاكها، فلما قاومها السكان أخمدت مقاومتهم بالقوة[٢٦].

ومما يؤسف له ان هولندا لم تراع التحالف والاتفاقيات التي تمت ضمناً بينها وبين الأندونيسيين، فما إن خرجت البرتغال من ساحة الصراع العسكري حتى انقض الهولنديون على الجزر الأندونيسية، وعلى السكان يعملون سلباً ونهباً وقتلاً وشنقاً. واستطاعت هولندا توطيد نفوذها في أندونيسيا، وقضت على مقاومة المسلمين في هذه الممالك، وإن كانت قد عجزت عن القضاء على السلطان عبد الفتاح سلطان بنتام لولا أنها اتبعت أسلوب الغدر والخيانة ضده. وبدأت توسع سلطاتها تدريجيا وتقيم القلاع والحصون ومن أهمها حصن بتافيا (جاكرتا) حالياً. ومع ذلك لم تستطع هولندا بسط نفوذها على المناطق الداخلية. واتخذ الهولنديون جزر المحيط الهادئ أساساً لنشاطهم، فعملوا على تنمية تجارتهم مع الصين واليابان، واحتل أسطولهم جزيرة فرموزا بعض الوقت، وكانت لهم علاقات تجارية مع الصين، وبفضل هذه العلاقة أدخل الشاي الى بلاد الغرب، كما كان لاتصالهم باليابانيين أثر في إثارة الرغبة لدى الأوروبيين لمعرفة تلك الجزر[٢٧].

وهكذا فقد نجح الهولنديون في السيطرة على ملقا وسيلان وكوتشين بالهند وأندونيسيا وأقاموا منها إمبراطورية تقوم على الاحتكار التجاري.

الصراع الأوروبي ـ الأوروبي على خيرات أندونيسيا

نتيجة للمنتجات الأولية الغنية التي تتميز بها البلاد الأندونيسية، فقد اضيف الى الصراع الاستعماري في المشرق العربي، الصراع الاستعماري في الشرق الاقصى، وفي مقدمتها في اندونيسيا. فقد بدأ الصراع الهولندي - البريطاني في المنطقة منذ عام ١٦١٩ من اجل السيطرة على مقدرات البلاد، وقد انعكس ذلك على مناطق اخرى في الشرق والغرب. وفي هذه الاثناء باتت شركة الهند الشرقية الهولندية غير قادرة على حماية مرافقها نتيجة للأخطار الداخلية والخارجية، مما دعاها للجوء للحكومة الهولندية واوكلتها ادارة الجزر الأندونيسية مقابل شروط اقتصادية، وكان ذلك عام ١٨٠٠، ومنذ ذاك التاريخ اصبحت جاوة في حوزة الحكومة الهولندية.

ومنذ ذلك الوقت أخذت الحكومة الهولندية تستعمر أندونيسيا، وتسير على السياسة التعسفية نفسها التي سارت عليها الشركة في حكمها لتلك البلاد. واتبع الهولنديون نظام الحكم غير المباشر ليسهل لهم السيطرة على هذه المساحات الواسعة، فكانوا ينصبون الأمراء والزعماء المحليين لحكم الأهالي ويعرضونهم لسخط المواطنين وتذمرهم، وأدخلت هولندا بعض المحاصيل الجديدة الى أندونيسيا وأجبرت الأهالي على زراعتها، وتسليم محصولها الى السلطات الحاكمة بالثمن الذي تحدده، كما استنزفوا ثروات البلاد وخيراتها[٢٨].

ونظراً لأهمية وغنى ثروات أندونيسيا، فقد تقدمت بريطانيا في عام ١٨١١ واستولت على جاوة بقيادة القائد «ستافورد رافلز» الذي سيطر على بتافيا، وقد استمرت تحت حكم الانجليز حتى عام ١٨١٦. ونظراً للتسويات السياسية الدولية التي تعقد بين دول الاستعمار، فقد تم الاتفاق بين انجلترا وهولندا على جلاء الانجليز عن جاوه، مقابل تنازل هولندا عن «ملقا» التي

استولت عليها بعد انهزام البرتغاليين، وبذلك رجعت السلطة الهولندية الى جاوه مرة اخرى، واصبحت ملقا في شبه جزيرة الملايو تحت سيطرة النفوذ البريطاني[٢٩].

وفي الوقت ذاته، وفي خلال الحروب النابليونية التي اجتاحت أوروبا في القرن التاسع عشر، استولت القوات الفرنسية على هولندا، ومدت فرنسا نفوذها الى اندونيسيا للاستيلاء على مستعمرات هولندا عام ١٨١١م[٣٠]، في الوقت الذي كانت فيه بريطانيا تتدخل في أندونيسيا، فاحتلت مراكز الشركة الهولندية في أندونيسيا (جاوة، تيمور، مكسر، سومطرة)، غير انه بانهزام نابليون وعودة استقلال هولندا مرة ثانية عادت ممتلكاتها في أندونيسيا بموجب اتفاق عقد بين هولندا وبريطانيا عام ١٨١٤م تنازلت بموجبه هولندا عن سيلان (الهند) والكاب في جنوب أفريقيا وبعض جزر الهند الشرقية والغربية. كما استولت بريطانيا على سنغافورة والملايو. وانتهى التنافس بينهما في الشرق الأقصى عام ١٨٢٤م، ورفع الهولنديون رايتهم من جديد فوق بتافيا (جاكرتا)[٣١].

ونتيجة للحروب التي خاضتها هولندا في القارة الأوروبية وفي أندونيسيا، تراكمت الديون على الحكومة الهولندية، فزادت الضرائب على الأندونيسيين، وأجبرت الأهالي على زراعة محاصيل تحتاجها السوق العالمية، فثار الشعب وقاوم المستعمر.

هذا ويمكن تقسيم النفوذ الهولندي في أندونيسيا الى ثلاث فترات تاريخية وهي:

١ ـ **المرحلة الأولى:** بين اعوام ١٨١٧ - ١٨٥٠م وهي مرحلة البناء والتشييد، وفيها خاضت هولندا حروباً ضد بريطانيا وبلجيكا وضد الأندونيسيين، فارتبكت ماليتها واشتدت حاجتها الى المال، ففرضت ضرائب

باهظة على السكان، واقتصر دور السلطات الهولندية على توطيد نفوذها في جزيرة جاوة.

٢ ـ **المرحلة الثانية:** بين اعوام ١٨٥٠ - ١٩٠٤م وفي خلال تلك المدة بدأت الأوضاع تستقر بالنسبة للهولنديين في جزيرة جاوة، فبدأوا ينطلقون الى توسيع ملكهم، فحدثت بينهم وبين مملكة آتشيه في شمال سومطرة حرب مقدسة كبدتهم خسائر كبيرة في الأموال والعتاد والرجال.

٣ ـ **المرحلة الثالثة:** بين اعوام ١٩٠٤ - ١٩١٤م وفي هذه الفترة بلغ النفوذ الهولندي أوج قوته، فاستطاعت هولندا أن تخضع معظم ملوك أندونيسيا لسلطانها، إما بطريق الحرب أو بطريق الخدعة، ولكنها لم تحاول أن تظهر للشعب الأندونيسي بوجهها الاستعماري البغيض، فحكمت البلاد عن طريق حكامها وسلاطينها القدامى، مع الاحتفاظ لهم بما كانوا يتمتعون به من أبهة وجاه[٣٢].

وفي هذه المراحل الثلاث شهدت أندونيسيا استنزافاً اقتصادياً لخيراتها ومقدراتها، فكانت هولندا والمؤسسات الاقتصادية الهولندية تتقدم وتتطور، بينما كانت اندونيسيا وشعبها تستنزف مقابل فتات من هذه الخيرات التي هي في الاساس من حق الاندونيسيين. مما دعا الشركات الاجنبية الاخرى لاستثمار اموالها في أندونيسيا، كما شهدت البلاد موجة من الهجرة الأوروبية والآسيوية طمعاً في استغلال موارد البلاد.

الحركة الاسلامية والوطنية الأندونيسية في مواجهة الاستعمار الهولندي

شهدت أندونيسيا طيلة فترة الاستعمار الهولندي حركة استنزاف اقتصادي على غاية من الخطورة، واستمرت هذه الحركة رغم معارضة الأندونيسيين لها بسبب التفاوت في الأساليب والإمكانيات بين الهولنديين

والاندونيسيين، غير ان عدة عوامل اساسية ادت بالاندونيسيين للتحرك والمقاومة، وهذه العوامل تتمثل بما يلي:

١ ـ حركة العلماء المسلمين القادمين من مكة المكرمة لا سيما في مواسم الحج، حيث قاموا بدور بارز في إثارة روح المقاومة وتحدي السيطرة الهولندية.

٢ ـ المساجد والكتاتيب الاسلامية التي كانت تبث روح التحرر والجهاد ضد العدو المغتصب للأرض وخيراتها.

٣ ـ الدولة العثمانية التي كانت تعتبر في تلك الفترة دولة عظمى ومؤثرة في سير الأحداث الدولية والعربية والإسلامية. فقد كانت هولندا ودول اوروبا تخشى القوة العثمانية.

٤ ـ الإمبراطورية المغولية في الهند، كانت تعطي الأندونيسيين قوة دفع اضافية ضد الهولنديين.

ومن الحركات المناهضة للهولنديين حركة السلطان عبد الفتاح سلطان بنتام عام ١٦٣٠، الذي اتصل بالدولة العثمانية لمساعدته والوقوف معه ضد الاحتلال الهولندي لأندونيسيا، وقد قدم العثمانيون مساعدات وارشادات ونصائح عسكرية، غير ان انشغال الدولة العثمانية في اوروبا والمشرق لم يسمح لها بتقديم المساعدات، وبالتدخل العسكري اللازم، غير ان الدعم العثماني المعنوي اثر ايجاباً على مقاومة السلطان عبد الفتاح ضد الهولنديين الذي استطاع تكوين جيش من الأندونيسيين، كما بنى اسطولاً قوياً لمواجهة الاسطول الهولندي. وبسبب عدم التوازن العسكري فقد استطاع الهولنديون هزيمة الاندونيسيين والقضاء على ثوراتهم المتكررة سواء حركة السلطان عبد الفتاح، او حركة القائد سرياتي في جاوة، او حركة الشيخ يوسف، غير ان ذلك لا يعني مطلقاً انتهاء حركة المقاومة الاسلامية الأندونيسية[٣٣].

ومن الحركات التحريرية الأندونيسية البارزة، هي الحركة التي قام بها الأمير «ديبونجارا» في جاوه، واستمرت لمدة خمس سنوات بين اعوام ١٨٢٥ ـ ١٨٣٠، ونظراً للمقاومة الباسلة فقد انفقت الحكومة الهولندية لمواجهة حركة المقاومة ملايين من الروبيات، فضلاً عن الشهداء المسلمين وكثرة القتلى من الهولنديين الذين بلغ عددهم حوالي خمسة عشر ألفاً. ولم تنته هذه الحركة الاسلامية الا نتيجة قيام الحاكم الهولندي «دى كوك» بخداع الأمير «ديبو نجارا» نتيجة التشاور والتباحث معه، فخدعه واعتقله، واصدر قراراً بنفيه الى جزيرة سيليبس حيث انتقل الى رحمة ربه في ٨ شباط (فبراير) عام ١٨٥٥. ومنذ نشؤ حركته بات «ديبو نجارا» رمزاً من رموز الوطنية والاسلام في اندونيسيا، وقد اطلق اسمه على اهم شوارع جاكرتا[٣٤].

وكان لحركة «ديبو نجارا» آثارها الايجابية فيما بعد على تفعيل دور الحركة الوطنية والاسلامية في أندونيسيا، بدليل استمرار الجهاد ضد الهولنديين، فقامت جماعة بدري الإسلامية التي قادها مؤيدوها وأنصارها وأعلنوا الجهاد ضد الهولنديين واستطاعوا الانتصار، وأقاموا حكماً يرأسه ثمانية علماء، ومن أشهر الأبطال فيها الشيخ مصطفى سحاب، ثم أشعلت هولندا الحرب الأهلية، بينما أعلنت الحرب على جماعة بدري، واستمرت الحرب خمسة عشر عاماً في الفترة الممتدة بين ١٨٢٥ ـ ١٨٤٠م. وكان الهولنديون كعادتهم ينتصرون على الملوك المحليين لا بالقوة العسكرية وإنما بالخديعة والمكر والخيانة، وإن كان النصر يتم أحياناً على بعض الملوك بالعنف والقوة والسلاح[٣٥].

ومن أشهر الحروب التي قامت في البلاد ضد الهولنديين، تلك التي قامت في مملكة «آتشيه» بين اعوام ١٨٧٣ ـ ١٩٠٣، وهي الحرب التي انهكت القوات الهولندية. ولوحظ انه نتيجة لهذه الحرب فقد استفادت المقاومة في سومطرة من إنهاك القوات الهولندية، غير ان الهولنديين استطاعوا فيما بعد احتلال قصر

السلطان علي الدين محمود شاه في مدينة كوتاراجا في ٢٤ كانون الثاني (يناير) عام ١٨٧٤، كما أسر الحبيب عبد الرحمن منفث الذي يمثل روح المقاومة، ثم ابعد خارج البلاد.

وبعد ان توفي السلطان علي الدين محمود شاه بايع الشعب ابنه الأمير محمد داوود في احد مساجد مدينة اندرفورا، وعلى الفور اعلن الجهاد المقدس ضد الهولنديين، وقد ابلت المقاومة الاسلامية بلاءً حسناً ضد الاستعمار الهولندي الذي بذل - كعادته - جهوداً عظيمة للقضاء على هذه الحركة وسواها من حركات الجهاد والمقاومة. وفي عام ١٨٧٩ استطاعت هولندا السيطرة على معظم ولايات «آتشيه» باستثناء المقاطعات التي كانت ما تزال تجارب الهولنديين بقيادة المجاهد تونكو عمر وزوجته[٣٦].

ومن الأهمية بمكان القول، ان الحكومة الهولندية وبالرغم من الخسائر المادية والخسائر البشرية التي تكبدتها، غير انها كانت تعتبر ان مصالحها على المحك، ويجب ان تقوم بجميع المبادرات لحفظ مصالحها في أندونيسيا، لهذا ارسلت عام ١٨٩٢ المستشرق الهولندي الدكتور «سنوك» لدراسة الموقف عن قرب، وقد كتب تقريراً جاء فيه: «توجد في جميع ارجاء آتشيه حركة مقاومة شديدة ضد هولندا تحت قيادة رجال الدين. واني على يقين بان تلك الحركة لا يمكن اخمادها الا بقوة السلاح»[٣٧].

وبالرغم من هذا التقرير، غير ان الحكومة الهولندية حاولت في بعض الاحيان اتباع اسلوب اللين والتقرب من الشعب، غير ان هذه السياسة لم تجدِ نفعاً، بل فوجئت بان حركة المقاومة اشتعلت مجدداً في «آتشيه» في عام ١٨٩٦ بقيادة الزعيم تونكو عمر الذي انضم اليه الزعماء والعلماء، وتمت مواجهات عنيفة بين الجانبين. وفي اول تموز (يوليه) ١٨٩٨ توجهت القوات الهولندية الى

مدينة غاروت مركز قيادة تونكو عمر لممارسة ضغوطها العسكرية الى المجاهدين، الأمر الذي اضطر تونكو عمر للانتقال الى «آتشيه الغربية»، فعمدت القوات الهولندية لمحاصرته في مقره الجديد في ١٣ أيلول (سبتمبر) عام ١٨٩٨، لكنه استطاع الافلات منها. واستمر يقود الشعب مقاتلاً ضد الاستعمال الهولندي حتى سقط شهيداً في ميدان القتال في ١١ شباط (فبراير) عام ١٨٩٩. وبعد وفاته تولت القيادة زوجته «شوت ينأدين» التي استمرت تقاوم الهولنديين حتى مطلع القرن العشرين، حيث انتهت المقاومة المنظمة عام ١٩٠٤ . وبذلك سقطت آخر مملكة مستقلة في اندونيسيا تحت براثن الاحتلال الهولندي[٣٨].

لقد حاولت الحكومة الهولندية تغيير سياستها لخداع الشعب الأندونيسي، فاعتمدت سياسة «الباب المفتوح» مما سمح لسواها من الدول والشركات ورؤوس الأموال الأجنبية للتدفق على أندونيسيا، فانتشرت الشركات والمؤسسات لاستغلال الاراضي والمناجم، وتسربت الاراضي الى المحتكرين الأجانب، وازداد الفقر، وذهبت خيرات أندونيسيا الى الشركات الأجنبية[٣٩].

لقد تنبه بعض الأندونيسيين لهذه السياسة الاقتصادية الاحتكارية، وادركوا ان لا سبيل للخلاص او للحد من الاحتكارات الاجنبية الا بتأسيس شركات وطنية، فأسس طلبة الطب عام ١٩٠٨ اول جمعية منظمة اطلقوا عليها اسم «بودي اوتومو» اي «النزعة الفاضلة». كما أسس التجار اول شركة لهم باسم «الشركة التجارية الإسلامية» في عام ١٩١١، وفي عام ١٩١٢ ظهر اول حزب سياسي هو «الحزب الوطني» بزعامة الاساتذة د. شبتو ود. سواردي، ود. دويس دكر[٤٠]، وطالب هؤلاء باستقلال البلاد ورحيل هولندة عنها. وكانت رودود فعل الحكومة الهولندية قوياً بحق هؤلاء، حيث تم اعتقالهم ونفيهم الى خارج البلاد.

وفي عام ١٩١٢ أسس العلماء المسلمين بقيادة الشيخ أحمد دحلان جمعية منظمة لمقاومة التبشير والتعليم المسيحي الذي كانت تستعمله الحكومة الهولندية لمقاومة الحركات الاسلامية والوطنية. وقد اطلق دحلان على تلك الجمعية اسم «الجمعية المحمدية»، كما أسس المدرسون الحكوميون جمعية خاصة لتنظيم صفوفهم لمواجهة السلطات الهولندية[٤١].

وفي عام ١٩١٣ ظهر حزب جديد مقاوم هو «الحزب الإسلامي» «شركت اسلام» برئاسة الحاج عمر سعيد شكرو أمينوتو، فانضم اليه الكثير من المسلمين في انحاء البلاد، وبدأ يشكل قوة ضاغطة على الحكومة الهولندية نظراً لمطالبه الشعبية والوطنية. ولما ابدت الحكومة سياسة التعاون مع الاحزاب والقوى السياسية، طالب هذا الحزب بحقوق الشعب، فتبين لقادته خداع هولندا ومماطلتها مدعية ان المجلس النيابي يمكن اقامته وبواسطته تتحقق المطالب الوطنية، مما دعا بعض القوى الأندونيسية للاحتجاج والتمرد على سياسة المماطلة، ونشأت حركات متطرفة، كما لجأ البعض الى تكوين الحزب الشيوعي الاندونيسي عام ١٩٢٠. ولم يأت عام ١٩٢٢ الا وقد عم أندونيسيا مبدأ «عدم التعاون». ثم تفاقم الأمر وعمت الاضرابات والاضطرابات والاحتجاجات، والى اندلاع نار الثورة في عامي ١٩٢٦ - ١٩٢٧، فاضطرت هولندا للاستعانة ببعض الدول الاوروبية لقمع الثورة.

ونتجة لحركات القمع المستمرة، تأججت نار الثورة وتفاعلت الحركة الوطنية مع فئات الشعب، وظهر حزب جديد في عام ١٩٢٧ هو «الحزب الوطني الأندونيسي» بزعامة الزعيم احمد سوكارنو[٤٢] الذي يرجع اليه الفضل في تفعيل اعمال المقاومة وتأجيجها ضد المحتل الهولندي. ورأت السياسة الهولندية خطراً واضحاً في هذا الحزب فعمدت الى تقويضه بالقاء القبض على زعيمه سوكارنو وزملائه، والغت الحزب والاجتماعات الحزبية، ومارست الرقابة

الشديدة على الصحف، واعتقلت الزعماء المسلمين والوطنيين منهم الزعيم محمد حتى وشهرير.

والأمر الملاحظ ان القوى الإسلامية الوطنية كانت تطالب هولندا باستمرار تحقيق وعودها التي اطلقتها للأندونيسيين قبل الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ - ١٩١٨) وهي اعطاء أندونيسيا الاستقلال وحق تقرير المصير، غير ان هولندا لم تفِ بوعودها، كما ان مؤتمر الصلح الذي عقد في باريس في كانون الثاني (يناير) عام ١٩١٩ لم يحقق هذه المطالب. لهذا استمرت المطالبات بالحرية والاستقلال، ففي ١٤ شباط (فبراير) من عام ١٩٤١ عقد اجتماع بين ممثلي الحكومة الهولندية وممثلي الاحزاب الوطنية في مدينة جاكارتا بجاوه وقدمت الاحزاب مذكرة الى الحكومة تتضمن مطالبها بشأن انشاء البرلمان الحقيقي، وجعل مركز أندونيسيا السياسي كمركز هولنده نفسها، ولا تخضع للحكومة الهولندية بل للتاج الهولندي فقط، وتكون أندونيسيا شريكة مستقلة لبلاد هولنده تحكم نفسها بنفسها وتدافع عن نفسها وتنظم علاقاتها بالدول[٤٣]. وقد وعدت ملكة هولنده في خطبة شهيرة لها في ٦ كانون الاول (ديسمبر) عام ١٩٤٢ بتحقيق الوعود التي لم تتحقق في الفترة المرجوة.

وخلال فترة ما بين الحربين تعرضت أندونيسيا لأزمة اقتصادية نتيجة منافسة الشركات الأجنبية والأزمة العالمية، فتعرض الاقتصاد الأندونيسي لضربات شديدة، وقل الإقبال على شراء المنتجات الزراعية والصناعية الأندونيسية، وتوقفت حركة التبادل التجاري، وانخفض مستوى المعيشة وواجهت الصناعات الوطنية مقاومة من الصناعات الأجنبية فصمد بعضها وتوقف بعضها الآخر، وأصر الشعب الأندونيسي على مقاومة الصناعات الأجنبية. لذا نشأت أحزاب سياسية ذات برامج اقتصادية، مثل الحزب الأندونيسي الذي أنشأه الدكتور محمد حتى وكيل رئيس الجمهورية أحمد

سوكارنو، والحزب الوطني الذي أنشأه أحمد سوكارنو احد القادة الأندونيسيين البارزين وحزب اتحاد الشعب الأندونيسي الذي أنشأه سوتومو. وقد عرف هذا الحزب فيما بعد باسم «حزب أندونيسيا العظمى»، وكان له أيضاً برنامج اقتصادي شامل، فنادي بتكوين بنك وطني أندونيسي لتمويل المشروعات الاقتصادية الوطنية، وإيجاد اتحادات ونقابات لمختلف المهن للنهوض بمستوى الصناعة والصناعيين[٤٤]. غير ان هولندا عملت على إفشال جميع هذه المحاولات الهادفة للنهوض بالمجتمع الأندونيسي، وقيدت الحريات واعتقلت الزعماء السياسيين ونفتهم الى الخارج.

ويرجع اهتمام هولندا والشركات الأوروبية المستمر بأندونيسيا لأهميتها في الاقتصادين الهولندي والأوروبي، إذ إن الأموال المستثمرة في أندونيسيا بلغت عام ١٩٣٧م مبلغ ٣٧٠ مليون جنيه، منها ٢٥٠ مليوناً لهولندا، و٥٠ مليوناً لبريطانيا، و٢٤ مليوناً لأمريكا، وقد زادت رؤوس الأموال هذه زيادة كبيرة وحققت أرباحاً كبيرة على حساب الشعب الأندونيسي، وإن نظرة فاحصة للدخل الأندونيسي تكفي لمعرفة الغبن الواقع على الأندونيسيين. فالأندونيسيون البالغة نسبتهم ٩٧,٥٪ من عدد السكان لا يتجاوز ما يحصلون عليه من دخل البلاد ١٢,٥٪ بينما نجد أن الهولنديين الذين لا تتجاوز نسبتهم ٠,٥٪ من عدد السكان يتجاوز دخلهم ٦٥٪ من هذا الدخل، ويحصل الأجانب ونسبتهم ٣٪ على دخل نسبته ٢٢,٥٪[٤٥].

وعندما بدأت ملامح الحرب العالمية الثانية تظهر في الأفق وقعت هولندا في قبضة الاحتلال الألماني في عام ١٩٤٠ واستغل الأندونيسيون حاجة هولندا الى معاونتهم في المطالبة بمنحهم دستوراً حقيقياً يحقق رغبة الشعب في اشتراكه الفعلي في الحكم، ولكن هولندا رفضت هذه المطالب. وبينما كانت المفاوضات الأندونيسية الهولندية تتعثر إزاء تمسك كل طرف بوجهة نظره، داهم أندونيسيا

الخطر الياباني. وكانت اليابان إحدى دول المحور، واستولت على أندونيسيا عام ١٩٤٢، فوقعت أندونيسيا بذلك تحت الاحتلال الياباني[٤٦].

احتلال اليابان لأندونيسيا

احتل اليابانيون أندونيسيا لأسباب تتعلق بتاريخ اليابان الحديث، وبتطورها الاقتصادي في القرن التاسع عشر، وأخذها بأسباب الحضارة الأوروبية في نظمها الاقتصادية والسياسية، كما مارست سياسة التصنيع على نطاق واسع، مما دفعها الى ايجاد مجال حيوي لها في الدول المجاورة خاصة بعد زيادة عدد سكان اليابان وزيادة الإنتاج الصناعي زيادة كبيرة. ولذا نظرت اليابان الى الشرق الأقصى كمجال حيوي لنشاطها التجاري. ونادت بمبدأ «آسيا للآسيويين»، وعملت على منع التدخل الأوروبي في الشرق الأقصى، فخاضت اليابان حرباً مع الصين بشأن كوريا عام ١٨٩٤، وضمتها إليها. ثم أعقبتها الحرب الروسية اليابانية ١٩٠٤ - ١٩٠٥ بخصوص الاستيلاء على إقليم منشوريا، وإبعاد النفوذ الروسي عن سواحل المحيط الهادي المواجه لليابان. وفي عام ١٩٣٧ دخلت اليابان في حرب مع الصين، وعدها المؤرخون بداية للحرب العالمية الثانية. ثم أخذت اليابان تتطلع الى أندونيسيا بعد أن ارتبطت معها بروابط تجارية واسعة، وحاولت اليابان ادخال أندونيسيا في مضمار الاتحاد الاقتصادي الذي أطلقت عليه اسم «منطقة الرخاء الآسيوية» المشتركة بهدف إبعاد النفوذ الأجنبي عن تلك المنطقة الآسيوية، ورفضت هولندا ذلك، ولكن اليابان أصرت على ذلك ونفذته بالقوة فكان الاحتلال الياباني[٤٧].

لقد حاول اليابانيون في اول الأمر وخلال ثلاث سنوات ونصف استمالة الأندونيسيين، وافهامهم ان سبب مجيئهم الى البلاد ليس سبباً استعمارياً، وانما لانقاذ الشعب الأندونيسي من براثن الاحتلال الهولندي الذي احتكر واستغل

خيرات البلاد. وما هي الا سنوات قليلة حتى تبين ان اليابانيين في تعسفهم واستغلالهم ليسوا اقل احتكاراً من الهولنديين، الأمر الذي ادى الى ولادة حركات تحريرية واستقلالية ضد اليابانيين، فقامت ثورات عديدة منها ثورات: بليتار، تاسيكمالايا، اندرامايو في جاوه وثورات اخرى في سومطرة وبورينيو الغربية وسواها.

وكانت العوامل التي ادت الى قيام هذه الثورات ضد اليابان، هي العوامل ذاتها الاقتصادية والسياسية التي قامت ضد الهولنديين، لأنه تبين بأن اليابانيين بدأوا باستغلال خيرات البلاد وتصديرها الى الخارج واحتكارها على غرار ما كانت تفعله هولندا.

ولما وجد الشعب الأندونيسي أن اليابان غير جادة في منحها الاستقلال، وأن احتلالها وتصرفاتها لا تختلف عن الاحتلال الهولندي، وارضاءً للأندونيسين صرح الجنرال كوسيو رئيس الحكومة اليابانية في ٦ أيلول (سبتمبر) ١٩٤٤ بموافقة حكومته على استقلال أندونيسيا، غير انها ماطلت ولم تفِ بوعودها. لهذا فإنهم هبوا للدفاع عن الاستقلال ومقاومة الاستعمار الياباني، وكان جهاده متواصلاً ضد الاستعمارين الغربي والشرقي[٤٨].

وقاد زعماء البلاد حركة مقاومة سرية ضد اليابان، كما عمل زعماء البلاد وعلى رأسهم أحمد سوكارنو ومحمد حتى على إلهاب الشعور الوطني خشية أن تقع بلادهم تحت النفوذ الياباني، كما أسس المسلمون حزب الله بقيادة زين العارفين من جمعية نهضة العلماء، واشترك جميع الأندونيسيين في مقاومة اليابانيين. فلجأت سلطات الاحتلال اليابانية الى إلقاء القبض على الزعماء الأندونيسيين ومحاكمتهم. وإعدام بعضهم، ونفي بعضهم الآخر خارج البلاد، ثم شددت قبضتها على الشعب الأندونيسي، وفرضت الأحكام

العسكرية عليه. وظل هذا الوضع قائماً حتى هزيمة اليابان واستسلامها دون قيد أو شرط عام ١٩٤٥م بعد ضرب الولايات المتحدة الأميركية لمدينتي هيروشيما ونجازاكي بالقنابل الذرية[٤٩].

إعلان استقلال أندونيسيا ١٩٤٥

بانتهاء الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥ تقدم اليابانيون بمشروع لاستقلال أندونيسيا، وكانت اليابان دولة منهزمة امام الحلفاء، غير قادرة على فرض اي مشروع في هذه الفترة، لهذا فان زعماء البلاد رفضوا أن يكون استقلالهم منحة وحاولت القوات اليابانية - رغم هزيمتها - ممارسة ضغوط على الأندونيسيين، وحاولت منع جموعهم المحتشدة في جاكارتا عاصمة أندونيسيا، المطالبة بالحرية والاستقلال، وقد بلغ عدد هذه الجموع المحتشدة في العاصمة والمناطق (٧٠) مليوناً تطالب جميعها بـ «مرديكا» اي الاستقلال. وقد تزعم هذه الحشود احمد سوكارنو ومحمد حتى واعلنا في ١٧ آب (أغسطس) عام ١٩٤٥ استقلال أندونيسيا بعد ان سأل سوكارنو الجماهير في هذا الاحتفال: «ماذا تريدون» فأجابوا جميعاً «الاستقلال». «وهل انتم مستعدون للدفاع عنه؟» قالوا: «نعم بدمائنا وارواحنا».

لقد اعلن الاستقلال، ومنذ هذا التاريخ بدأ الأندونيسيون يهاجمون القوات اليابانية لانتزاع السلطة منها والاستيلاء على اسلحتها. وفي ايام قليلة تسلم الشعب الأندونيسي مقاليد الحكم وادارات الدولة. وتعتبر الثورة الأندونيسية من الثورات الكبرى في العالم في التاريخ الحديث والمعاصر.

المحاولات الهولندية ـ البريطانية لاحتلال اندونيسيا

نزل البريطانيون في جزيرة جاوة في آخر أيلول (سبتمبر) ١٩٤٥ بعد ان ادعوا في السابق ان نزولهم في أندونيسيا سيكون هدفه تجريد اليابانيين من

اسلحتهم وتسلم الأسرى، وانه ليس لهم شأن في الشؤون السياسية في البلاد. وما ان نزل البريطانيون ومعهم الجنود الهنود في جاكارتا (بتافيا) حتى تبين ان القوات البريطانية سهلت للقوات الهولندية دخول العاصمة وعملت على حمايتها من غضب وثورة الشعب.

والواقع فان الشعب الاندونيسي ثار ثورة جامحة ضد الهولنديين والبريطانيين، وقاوم هذا الاحتلال الجديد، وابلى بلاءً حسناً حتى ان معارك مدينة «سورابايا» اطلق عليها اسم «ستالينجراد أندونيسيا» نظراً لما لقيته القوات البريطانية من مقاومة باسلة من الاندونيسيين في مواجهة الدبابات والطائرات والبوارج البريطانية. واستمر هذا الواقع الى ان اعلن رئيس وزراء بريطانيا المستر أتلي في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٥ بان مهمة القوات البريطانية في أندونيسيا هي اعادتها الى هولندا المستعمرة، بل أكثر من ذلك فان بريطانيا اجبرت القوات اليابانية المنهزمة مواجهة الشعب الأندونيسي(٥٠). ومما يؤسف له انه في الوقت الذي كانت فيه بريطانيا تساعد الاستعمار الهولندي لاستعمار أندونيسيا، كانت في الوقت ذاته تساعد الحركة الصهيونية لاستعمار واحتلال فلسطين.

قضية أندونيسيا في مجلس الأمن

في كانون الثاني (يناير) ١٩٤٦ افتتحت هيئة الأمم المتحدة في لندن اجتماعاتها، وفي ٢٢ منه بعث الدكتور ديمتري مانوبلسكي رئيس الوفد الاوكراني الى رئيس مجلس الامن رسالة جاء فيها.

«خلال شهور عديدة وجهت اعمال حربية ضد الأهالي الوطنيين في أندونيسيا، اشتركت فيها القوات البريطانية النظامية، كما اشتركت فيها القوات اليابانية المسلحة. وتعتقد الحكومة الاوكرانية ان هذا الموقف يخلق حالة تهدد

السلم والأمن العالمي وفقاً للمادة الرابعة والثلاثين من ميثاق الأمم المتحدة» وبهذه الرسالة طلب المندوب الأوكراني ادراج قضية أندونيسيا في جدول أعمال المجلس.

وبالفعل فقد تبين ان الدول العربية كانت في مقدمة الدول التي وقفت الى جانب أندونيسيا، ومنها مصر وسوريا والمملكة العربية السعودية والعراق، كما وقفت جامعة الدول العربية بشخص امينها العام عبد الرحمن عزام باشا مؤيداً قضية أندونيسيا ومطالب شعبها، وقد اصدرت الجامعة قرار تأييد في ٨ نيسان (ابريل) ١٩٤٦. كما أكد مجلس الأمن في اجتماعاته على حرية واستقلال أندونيسيا الذي سبق ان اعلنه الشعب الأندونيسي عام ١٩٤٥. كما تبين من الناحية القانونية انه لم يعد لهولنده او لليابان او لانجلترا اية حقوق او سلطات قانونية او فعلية على البلاد(٥١).

ونتيجة لتوصيات وقرارات مجلس الأمن، فقد جرت مفاوضات قاسية بين الهولنديين والأندونيسيين، توصل الطرفان بعدها الى توقيع اتفاقية عام ١٩٤٧ وتمت المصادقة على هذا الاتفاقية عام ١٩٤٧، وبدأ الطرفان وضع بنودها موضع التنفيذ، وأخطرت هيئة الأمم المتحدة بذلك. غير ان الطرفين اختلفا في تفسير بنودها، وفشلت الجهود جميعها في تنفيذ الاتفاق، وذلك لعدم توافر الثقة بينهما. ونتيجة لذلك هاجمت القوات الهولندية القوات الأندونيسية للقضاء على الاتفاقية المذكورة، وتدخل مجلس الأمن وفرض وقف إطلاق النار، وأوصى بالدخول في مفاوضات في حل النزاع بالطرق السليمة، وعين لجنة وساطة لمساعدة الطرفين على الوصول الى اتفاق. غير أن هولندا كانت تضع العراقيل أمام اللجان الدولية حتى تبقي على وجودها العسكري، في حين تطالب الحكومة الأندونيسية بالاستقلال وإنشاء اتحاد هولندي أندونيسي. ولم تكتف هولندا بذلك بل أعلنت الحرب عام ١٩٤٩، واحتلت جاكرتا عاصمة

الجمهورية، وألقت القبض على الرئيس أحمد سوكارنو ووكيله محمد حتى وزجت بهما في السجن[٥٢].

وإزاء تدهور الموقف في البلاد اجتمع مجلس الأمن عام ١٩٤٩، وطالب بوقف إطلاق النار وبعودة قوات الطرفين إلى خطوط الهدنة، ورفضت هولندا ذلك، واستمرت في أعمالها العدوانية، غير أن مجلس الأمن أصر على وقف جميع الأعمال العدوانية، وإطلاق سراح المعتقلين السياسيين، فاستجابت هولندا للقرار بعد تهديد الولايات المتحدة الاميركية لها ولدول أوروبا. فوافقت على عقد مؤتمر للمائدة المستديرة في لاهاي، وتم عقده في عام ١٩٤٩، ونجح المتفاوضون في اعلان استقلال أندونيسيا واتحادها مع هولندا في السياستين الخارجية والعسكرية. وقد وافق مجلس الأمن على قرارات مؤتمر المائدة المستديرة في لاهاي[٥٣].

وكانت الجماعات الإسلامية قد شكلت حزباً واحداً عرف باسم «مجلس الشورى الإسلامي» أو ما يسمى «ماشومي» وذلك إثر الاحتلال الياباني. وكان الرئيس أحمد سوكارنو قد عهد الى عامر شرف الدين برئاسة الوزراء ووزارة الدفاع، وسانده الاتحاد السوفييتي وأبرز دور الحزب الشيوعي في الحصول على الاستقلال، غير ان الأندونيسيين عارضوا تعيين عامر شرف الدين، واضطر نائب رئيس الجمهورية الى اقالته، وتولي مهمة رئيس الوزراء، فثارت ثائرة الشيوعيين، وأعلنوا الثورة على الحكومة وشكلوا حكومة جمهورية أندونيسيا السوفييتية برئاسة عامر شرف الدين ومركزها ماديون. وأعلن المسلمون الجهاد ونجحوا في القضاء على الثورة الشيوعية، وحكم على أنصارها بالإعدام عام ١٩٤٨[٥٤].

لقد دام الشكل الاتحادي للدولة حتى عام ١٩٥٠م، وقامت وحدة بين

الدويلات، وأصبح اسم الدولة جمهورية أندونيسيا، وشكل الحكومة محمد ناصر زعيم حزب ماشومي، ثم استقالت، وشكل الحكومة الجديدة الدكتور سويكيمان وهو من زعماء حزب ماشومي الإسلامي أيضاً، واستمرت في عملها عاماً حيث استقالت، ثم تقرر إجراء انتخابات لمجلس نيابي في عام ١٩٥٥م،[٥٥] وألف الحزب الوطني حكومة ائتلافية اشتركت فيها الاحزاب المختلفة، وعلى رأسها حزب ماشومي. ومما يجدر ذكره أن مؤتمر باندونج قد عقد في العام نفسه اي في عام ١٩٥٥، وكان أول مؤتمر لدول عدم الانحياز ويمثل تسعاً وعشرين دولة آسيوية وأفريقية، وكان من ابرز قادته: جمال عبد الناصر (مصر) نهرو (الهند) تيتو (يوغوسلافيا) سوكارنو (أندونيسيا)[٥٦].

محاولات التحول من الديمقراطية الى الشيوعية اطاحت بالرئيس سوكارنو

في عام ١٩٥٦، أعلن الرئيس أحمد سوكارنو عن سياسته الجديدة وهي «الديمقراطية الموجهة» إثر زيارته للاتحاد السوفييتي والصين، متأثراً بالتجربة الشيوعية لذا عمد الى حل الحزب المناهض له وهو «حزب مسجومي»، واصدر تشريعات أقرب ما تكون بالتشريعات الشيوعية، فعارض الساسة والشعب هذه السياسة، ورفضت الأحزاب السياسية هذه الدكتاتورية، وطالب الشعب باستقالة الحكومة وعودة الدكتور محمد حتى نائب رئيس الجمهورية الذي استقال احتجاجاً على هذه السياسة، فانسحبت الأحزاب الإسلامية من الوزارة وأجبرتها على الاستقالة، وأعلن الرئيس أحمد سوكارنو حالة الطوارئ، وتطبيق الأحكام العرفية في البلاد، ولم يستطع الرئيس سوكارنو تشكيل حكومة ائتلافية، فشكل الوزارة بنفسه بالتعيين، وحدثت أزمة دستورية وحل المجلس النيابي، وتأسس مجلس جديد على أساس «الديمقراطية الموجهة»[٥٧] مما احدث تخوفاً عند الأندونيسيين من انجرار أندونيسيا نحو الشيوعية، وهي الدولة الإسلامية المحافظة،

وهي الدولة التي استضافت دول عدم الانحياز، وكانت من ابرز المؤسسين لهذه الكتلة[٥٨].

وبعد أن طبق سوكارنو سياسته الجديدة، اعتقل الزعماء المسلمين، وبعد حل حزب (مسجومي) (ماشومي)، نشط الحزب الشيوعي، وخلا له الميدان فأعلن أنه سيكون الحزب الوحيد في البلاد، وأنه سيحول السياسة وفق أهدافه ومبادئه، فهاجم الحزب المدارس الإسلامية في عام ١٩٦٤، وتكررت هذه الأحداث في عدة مدن. وفي عام ١٩٦٥ أعلن الشيوعيون ثورتهم متعللين بمرض سوكارنو وعدم اهتمام الجيش بالأمر والأخطار التي تهدد البلاد. وقاد قائد الحرس الجمهوري الثورة في ١٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٥، واعتقل بعض الجنرالات المسلمين، وتم قتلهم والتمثيل بجثثهم. ولكن الجنرال عبد الحارث ناسوتيان أمر الجنرال سوهارتو بالقضاء على الثورة. ونجح سوهارتو بعد ساعات في القضاء على ثورة الشيوعيين، وهب الشعب لملاحقتهم، وسيطرت القوات المسلحة على الوضع. وبدأ الصراع بين سوكارنو وقادة الجيش. وانتهى هذا الصراع بإزاحة سوكارنو من السلطة عام ١٩٦٧م، وتعيين الجنرال سوهارتو رئيساً للجمهورية. وفي ضوء ذلك اعترفت الحكومة بالحزب الإسلامي الأندونيسي، وأصبح مجموع الأحزاب في أندونيسيا عشرة[٥٩].

تأميم أندونيسيا للمؤسسات والشركات الهولندية

خلال الأحداث الأندونيسية جرت مفاوضات بين هولندا وأندونيسيا حول جزيرة إيريان الغربية، وكانت هولندا تضع العراقيل بشأنها بسبب استثمارها لهذه المنطقة نتيجة وجود النفط في الجزيرة، لذلك عمدت هولندا للمطالبة بجعل جزيرة إيريان جزءاً من هولندا، وقد ساندت الدول الغربية هذا الطلب، بينما ساند الاتحاد السوفييتي أندونيسيا بسبب اتجاهها الجديد نحو

الشيوعية، غير أن الأمم المتحدة لم تؤيد أندونيسيا، فانسحبت أندونيسيا من الأمم المتحدة محتجة بعد فشل المجتمع الدولي في حل المشكلة. لذا بادرت الحكومة الأندونيسية بتأميم المصانع والشركات الهولندية ومختلف المنشآت التابعة لهولندا، ولما تفاحل الأمر، وعرضت القضية مجدداً امام الأمم المتحدة تدخلت الأمم المتحدة عام ١٩٦٣م، ووضعت إيريان تحت إشراف أندونيسيا. وانتهت هذه المشكلة في إطار سياسة الأمر الواقع، وعادت أندونيسيا بعد ذلك للأمم المتحدة، ومارست عضويتها بشكل كامل[٦٠].

ومن الأهمية بمكان القول، ان اندونيسيا التي ناضلت طويلاً ضد هولندا ودول الاستعمار الاخرى مثل بريطانيا واليابان، استطاعت بالفعل ان تثبت وجودها كدولة آسيوية هامة، بل وكدولة اسلامية، غير ان الاجتهادات السياسية للرئيس الأول لأندونيسيا احمد سوكارنو في تبنيه للمبادئ الشيوعية، أطاح بالعديد من المبادئ التي قامت عليها ثورة أندونيسيا ضد دول الاستعمار، لأن الشعب الأندونيسي وهو الذي قاوم الاستقلال واستثمار خيرات بلاده، رفض ايضاً المبادئ والتشريعات الشيوعية المستوردة التي لا تتلائم ومعتقداته الدينية والسياسية، مما اوقع البلاد في فتنة داخلية انهت رئاسة حكم احمد سوكارنو الذي لا يستطيع احد ان يتنكر لنضاله وجهاده من اجل استقلال وحرية بلاده. ونتيجة للاحداث الداخلية فقد قتل عام ١٩٦٥ ما بين ٣٠٠ الف الى مليون قتيل اندونيسي[٦١].

ومنذ ان تولى سوهارتو رئاسة الجمهورية عام ١٩٦٧ حاول بدوره توطيد الأمن والاستقرار السياسي والاقتصادي في البلاد، فاعتمد سياسات جديدة في الداخل والخارج، غير ان تدخل الجيش الأندونيسي في السياسة وفساد بعض السياسيين ادخل البلاد في متاهات سياسية وعسكرية، وزاد من الفتن الداخلية مما

اضطر بسوهارنو الى الاستقالة وتسليم الحكم عام ١٩٩٩ . وكانت أندونيسيا خلال هذا العهد عانت من مشاكل اخرى غير المشاكل السياسية والعسكرية والاقتصادية، فقد قامت بعض المؤسسات التبشيرية (التنصيرية) باستغلال الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية في البلاد، فلجأت هذه المؤسسات والهيئات الى تقديم المساعدات لا سيما في المناطق المتخلفة من أندونيسيا، والمساعدة على بناء المدارس والمستشفيات، مما ساهم في انتشار المسيحية سواء في المناطق الوثنية او بعض المناطق الإسلامية. وكان التعاون قائماً لسنوات عديدة بين الحكم والشيوعيين في محاربة الحركات الإسلامية ومنعها من تقديم يد العون الى الجماعات الإسلامية الفقيرة في المناطق النائية، بينما لم يكن الحكم يرى مانعاً من تسرب المؤسسات والجمعيات التبشيرية من ممارسة نشاطاتها الدينية تحت غطاء الخدمات الانسانية.

دور المنظمات والأحزاب الإسلامية والوطنية والقومية في أندونيسيا في حركة التحرير والاستقلال(٦٢)

ارتبطت حركة الأحزاب الإسلامية ارتباطاً وثيقاً بالحركات الاستقلالية قبل وجود الأحزاب السياسية الأخرى، وقد بدأ الاستعمار الهولندي في أوائل القرن السابع عشر الميلادي بمحاولة لابادة العقيدة الإسلامية المتمثلة في الحكومات والسلطنات الإسلامية، وبدأ الاستعمار بمحو التعاليم والعقيدة الإسلامية، وبدأت المقاومة منذ ذلك الوقت، وقاوم المسلمون الاستعمار بكل قواهم وبكل ما عندهم من طاقات، ولم تنتظم هذه المقاومات انتظاماً يمكنها من السيطرة على الموقف، لمجابهة الهولنديين الذي يملكون أسلحة حديثة وقوات كبيرة ومعدات عديدة. واستمرت الحال هكذا في صراع مستمر بين مد وجزر يفوز المسلمون حيناً وينكسرون أحياناً، حتى عام ١٨٠٠. إذ بدأت الحركات الإسلامية تنتظم بقيادة المجاهد المسلم المعروف باسم «بونجول»(٦٣). وقاد هذا البطل المقاومة ضد الاستعمار الهولندي سبعة وعشرين عاماً بين اعوام ١٨١١ - ١٨٣٨. وفي هذه الأثناء قامت جاوه بالانتفاض ضد الهولنديين بقيادة القائد المسلم الأمير «ديفورنقورو» في عام ١٨٢٥ وانتهت هذه الحركة بأسر الأمير في وقت المفاوضة.

من هنا ابتدأت نواة الأحزاب الاسلامية، وتطور الصراع من دموي الى سياسي. وفي عام ١٩٠٠ أصبح الصراع قوياً: صراع سياسي وعسكري لإزاحة الهولنديين من الأراضي الأندونيسية.

وفي عام ١٩٠٥ تأسست أول منظمة إسلامية بالطريقة الحديثة باسم (شركت داقنع إسلام) وانضم إليها المسلمون وأصبحت هذه المنظمة أكبر هيئة إسلامية بقيادة الحاج سمنهودي في مدينة «صولو». ومن أهداف هذه المنظمة توحيد جهود الأندونيسيين، وتحسين الحالة الاقتصادية للشعب الذي صار زمامه بأيدي المستعمرين، وكانت هذه أول حركة شعبية منظمة تنظيماً حسناً، لهذا تخوفت هولندا من هذه الحركة، وبدأت تقاومها بشتى الأساليب السياسية والعسكرية لتفريق أعضائها وتشتيت قادتها[٦٤]. ومنذ ذلك الحين بدأت المجابهة الإسلامية ضد الاستعمار الهولندي بصفة علنية فعالة. واستمرت هذه الحركة تناهض الهولنديين حتى عام ١٩١١ وفي مؤتمرها العام قررت مضاعفة الجهود بصفة أكبر وأوسع وتقرر تحويل اسم (شركت داقنع إسلام) الى اسم (شركت إسلام) وانتخب الحاج عمر سعيد جوكر رئيسا عاماً للحزب[٦٥]. ومنذ هذا التاريخ تطورت المجابهة من سياسية اقتصادية الى سياسية مسلحة، وصارت نواة للحركة الاستقلالية واساساً مثالياً للأحزاب الأخرى التي جاءت بعدها.

ومن اوائل الجمعيات التي عملت على ولادة حركة وطنية أندونيسية بحت كانت جمعية «بودي ابتومو» اي «رفعة المقاصد» التي اسسها ثلاثة من طلبة الطب في عام ١٩٠٨ لتشجيع الاهتمام بالحضارة الأندونيسية، وصار احد الثلاثة فيما بعد وهو «سوتومو» من اهم زعماء حركة التحرير الأندونيسية. اما الجمعية ذاتها فكانت نزعتها ثقافية اهتم بها الخاصة في البدء قبل الطبقات العامة، غير ان جذورها وافكارها انتشرت وكان لها اثر واضح فيما بعد على الحركة الفكرية والسياسية في اندونيسيا[٦٦].

وكذلك قامت منظمات وأحزاب إسلامية كثيرة، تعمل كل منها في ميدان منها «الجمعية المحمدية» تحت قيادة الحاج محمد دحلان، ولها أعمال كبيرة في حقل التربية والتعليم.

وفي فترة ما بين الحربين العالميتين (١٩١٨ - ١٩٣٩) ظهرت الأحزاب السياسية والجمعيات الدينية التي تبنت قضية الاستقلال، ولعب العلماء المسلمون دوراً كبيراً فيها. وقد أثر ذلك على كفاح الأندونيسيين فطبعه بطابع الجهاد الإسلامي من أجل التخلص من الحكم الهولندي ونيل الاستقلال، مع الاشارة الى ان الشيوعيين كانوا يحاولون توظيف الحركات الوطنية لبث الدعاية لهم، تسهيلاً لوصولهم للحكم.

ومن هذه الأحزاب الإسلامية الناشطة في أندونيسيا حزب شركة إسلام والجمعية المحمدية، والجمعية العائشية، وحزب جاوة الفتاة، وحزب الأمراء، وجمعية نهضة العلماء، وجمعية اتحاد علماء المسلمين، وغيرها من الجمعيات التي بلغ عددها ٥٧ جمعية[٦٧].

وقد تبلورت تلك الأحزاب في حزبين رئيسين هما: حزب القمصان الخضراء، ومن ضمنه حزب شركت إسلام (شركت التجارية الاسلامية سابقاً) وحزب القمصان الحمراء، ويضم الحزب الشيوعي الأندونيسي الذي أطلق عليه اسم «شركت رعيت» أي حزب الجماهير، وأصبح فيما بعد الحزب الشيوعي الأندونيسي[٦٨]. فضلاً عن هذه الاحزاب فمنذ عام ١٩١٦ منح الشعب الأندونيسي الحقوق السياسية بتأسيس المجلس النيابي المعروف باسم «فولكسراد» (Volksraad).

وكانت سياسة حزب «القمصان الخضراء» ذات الاتجاه القومي تهدف الى التعاون مع السلطات الهولندية الحاكمة للوصول الى الاستقلال التدريجي. أما حزب «القمصان الحمراء» فكان لا يؤمن بسياسة التعاون مع الحكومة، ويرى أن هذا الطريق لا يوصل الى استقلال البلاد، فالاستقلال لن يتحقق إلا بالكفاح والنضال. وعملت هولندا على تقوية الحزب المعتدل «القمصان الخضراء»

فأنشأت «مجلس الرعية» وهو بمثابة مجلس نيابي نصفه من الأندونيسيين والآخر من الأجانب، ويتكون من (٦٠) عضواً نصفهم أندونيسيون و(٢٥) عضواً من الهولنديين، والأعضاء الخمسة الباقون يمثلون الدول الأجنبية. وللحكومة الهولندية حق تعيين رئيس المجلس، وليس للمجلس صفة الشرعية، ولذا فإن الشعب الأندونيسي قد أنكر فكرة التعاون مع هولندا، وانضم حزب شركت إسلام الى القمصان الحمراء لمقاومة الاستعمار الهولندي. ونتيجة لذلك قويت حركة المقاومة ضد الاحتلال الهولندي، واشتعلت نار الثورة في غربي جزيرة جاوة، وفي سومطرة في عام ١٩٢٨م وكادت تعصف بالنفوذ الهولندي، غير أن هولندا تمكنت من القضاء على الثورة، وحكمت بعد ذلك البلاد حكماً مطلقاً، وقيدت الحريات واضطهدت المسلمين، واستمر ذلك الوضع حتى نشوب الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩[٦٩]. وكانت الحكومة الهولندية قد قيدت البلاد بمعاهدات مع حكام المقاطعات اهمها معاهدة عام ١٩٣٨. وكان الغرض الاساسي منها كما يقول وزير المستعمرات الهولندي امام البرلمان «هو توحيد جميع الاراضي الأندونيسية، واعتراف السلاطين بالأمر الواقع، وهو ان السلطة الحاكمة الشرعية هناك هي السلطة الهولندية[٧٠].

وكانت هولندا قد عملت على إثارة النعرات القومية والشيوعية في البلاد للقضاء على الحركة الإسلامية، ورأت هولندا نشر الحركات العلمانية والإلحادية، ونتج عن ذلك إيجاد تيارين رئيسين في البلاد وهما: التيار الماركسي، والتيار القومي بهدف إضعاف الحركة الإسلامية والحركة الوطنية.

واتخذ الاستعمار مختلف السبل لتحطيم القوى الإسلامية بإيجاد قوى أخرى تقاوم المسلمين عقائدياً، وبهذا يستطيع أن يفرق شمل الشعب الأندونيسي المسلم الى عدة ديانات، فجندت هولندا قواها وأرسلت الرهبان والراهبات المسيحيات، وفتحت المدارس وبنت الكنائس ونشرت المجلات

والمنشورات الكثيرة، وأخذت الصبية الصغار الى دور الحضانة؛ فضلاً على ان هولندا شجعت بروز الحركات التي ادعت انها اسلامية مثل «القاديانية» التي اوجدها الانجليز في الهند. وهذه الحركة دعت الى عدم مقاومة المستعمر، ودعت الى طاعته والخضوع له[٧١].

ونشطت الجمعية المحمدية فأقامت المدارس الابتدائية ثم الثانوية وأخيراً أقامت الجامعة بجانب المصحات والمستشفيات والمساجد والمصليات والملاجئ ومكتبات للمطالعة ومنظمات للشباب وللسيدات..

وإذا كان حزب «شركة إسلام» يعمل أكثر من في حقل السياسة فان الجمعيات الأخرى أخذت لها حقلاً آخر في التربية والتعليم ومقاومة التبشير المسيحي، وهكذا اصبح للمسلمين منظمات وأحزاب في الميدان السياسي المسلح والميدان الثقافي والتعليم.

وفي عام ١٩٢٥، ألف بعض العلماء الأندونيسيين حركة إسلامية تربوية وأطلقوا عليها اسم «نهضة العلماء» وكانت في بدء قيامها حركة إسلامية تربوية محضة، ثم تطورت بمرور الزمن والظروف وأصبحت حزباً سياسياً باسم حزب «نهضة العلماء» وشاركت فعلياً في الميادين السياسية، وللجمعية مدارس ومعاهد وكتاتيب ورابطات دينية في كثير من مدن جاوه. كما قامت منظمات طلابية ومنظمات نسائية ومنظمات عمالية وغيرها..

وفي هذه الأثناء بدأ الوعي الإسلامي ينمو ويطرد في المجتمع الإسلامي الأندونيسي، فتعددت الجمعيات الاسلامية التعاونية والتربوية والتعليمية والاجتماعية، وأقيمت جمعيات كثيرة بجانب الأحزاب الإسلامية للدفاع عن اندونيسيا وعقيدتها الإسلامية. وكانت المدارس الإسلامية مركزاً رئيسياً لتخريج الشباب المجاهدين ضد الاحتلال الهولندي.

وفي عام ١٩٤٢ أثناء الحرب العالمية الثانية اكتسحت اليابان شرق وجنوب آسيا في فترة لا تتجاوز الشهرين واحتلت كمبوديا ولاوس وفيتنام والفليبين وبورما وتايلند وجزر الملايو وأندونيسيا حتى وصلت الى جزائر سليمان. وكانت أول خطوة خطتها اليابان أن حرمت المنظمات والحركات السياسية والاحزاب بجميع أنواعها، وألفت منظمتين جديدتين، الأولى جمعت فيها المسلمين والأخرى جمعت فيها الوطنيين وغيرهم من الذين لا يتبعون العقيدة الإسلامية وان كانوا مسلمين. وبدأ المسلمون في هذا الجو ينظمون حركاتهم سراً بعيداً عن أعين المخابرات اليابانية التي تعتبر أن كل حركة خارجة عن تنظيماتها إنما هي حركة معادية لليابان، واستطاع المسلمون تحت ستار الكتمان أن يعملوا بحيث لا يثيرون شكوك اليابانيين فألفوا التنظيمات العسكرية المسلحة، باسم التطوع لمساعدة اليابان[٧٢].

وكان مجلس شورى المسلمين يهتم في الشؤون الاجتماعية والدينية، ولكن المجلس كان يعمل في الخفاء لوضع خطط سياسية بعيدة للوصول الى الاستقلال. ويضم هذا المجلس أكثر العناصر الإسلامية.

وعندما ألقيت القنبلة الذرية على هيروشيما ونجازاكي واضطرت اليابان ان تستسلم للحلفاء بدون قيد أو شرط في ١٤ آب (أغسطس) عام ١٩٤٥، انتهز هذه الفرصة الشعب والقوات المسلحة الموجودة في «حزب الله» و«حزب سبيل الله» والحركات المسلحة الأخرى وأعلنوا الاستقلال باسم سوكارنو ومحمد حتى كنائبين عن الشعب الأندونيسي وذلك في يوم ١٧ آب (أغسطس) ١٩٤٥، أي بعد استسلام اليابان بثلاثة أيام. وبعد اعلان الاستقلال عقد المسلمون مؤتمراً في جوكجا بجاوه الوسطى لوضع أطر للمستقبل: واشترك في هذا المؤتمر زعماء المسلمين والشخصيات الكبيرة وقادة الجيش، وتقرر جعل مجلس شورى مسلمي أندونيسيا حزباً إسلامياً، لأن المجلس ضم معظم

الشخصيات الإسلامية وزعماءها.

وقرر المؤتمر الإسلامي تركيز الدعامة الإسلامية التي لا يمكن الوصول اليها إلا بتوحيد كل القوى والجهود في اطار منظم ضمن هيئة للجهاد السياسي تعمل على:

١ ـ تركيز سلطة الجمهورية الأندونيسية والدين الإسلامي.

٢ ـ تطبيق التعاليم الإسلامية في الدولة.

وهكذا فقد أعلن رسمياً عن قيام حزب إسلامي سياسي (ماشومي) في ٧ تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٤٥ يمارس كل السلطات والحقوق السياسية في أندونيسيا؛ ويعمل لتطبيق الأحكام الإسلامية في حياة الفرد والمجتمع طلباً لمرضاة الله. ونشأت بعد ذلك أحزاب كثيرة من وطنية واشتراكية وشيوعية، مما جر البلاد الى البلبلة وأصبح الشعب الأندونيسي يواجه صراعاً بين الحركات الإسلامية من جهة وغير الإسلامية من جهة أخرى. واستمرت الحالة كذلك حتى عام ١٩٥٥م حيث استقبلت أندونيسيا لأول مرة في تاريخ حياتها الانتخابات العامة، واشترك في الانتخابات أكثر من ثلاثين حزباً وأكثر من خمسين منظمة، وأخذ سوكارنو يجوب بنفسه المدن والقرى ويخطب أمام الشعب داعياً لتأييد الحزب الوطني الأندونيسي الذي كان هو أحد مؤسسيه وعدم تأييد الحركات الإسلامية.

والأمر الملاحظ ان الحركة الشيوعية بدأت تنشط في هذه الأثناء، ففي عام ١٩٥١م بدأ الحزب الشيوعي إعادة تنظيم صفوفه بعد فشله الذريع في ثورته الفاشلة عام ١٩٤٨، وكان الفشل أكبر دافع لمتابعة الكفاح بأسلوب آخر، ثم الاتصال المباشر بحكومة بكين التي امدته بالمال والسلاح. وعندما بدأ الشيوعيون يسيطرون على الأوضاع في أندونيسيا ألف المسلمون جبهة «مقاومة الشيوعية»

فأصدروا الصحف والمجلات والنشرات التي لم يطل عمرها إذ حل سوكارنو الجبهة واعتقل القائمين بها وزجهم في أعماق السجون بتهمة إيجاد البلبلة في صفوف الشعب، لأن حقدهم على الشيوعية، وبغضهم لها، يعد جريمة تخالف تعاليم سوكارنو في توجيهه لتوحيد «القومية والدين والشيوعية» المعروف بمخطط (ناساكوم).

ومما يؤسف له ان الحزب الشيوعي استطاع أن يسيطر على الوضع السياسي في البلاد، وحل البرلمان الأندونيسي ثم المجلس الاستشاري باسم سوكارنو، ثم حل الحزب الإسلامي (ماشومي) و(منظمة شباب المسلمين) باعتبار أن (ماشومي) أكبر عدو للشيوعية. وزج رجال ماشومي في غياهب السجون بدون محاكمة، وصودرت أملاكهم، وأغلقت الصحف الإسلامية والصحف التي تقاوم الشيوعيين أو لا تماشي الشيوعية. وهكذا صفا الجو للشيوعيين فلم يبق أمامهم إلا رجال الجيش الذين لا يزالون يقارعون الشيوعية بقوة ما لديهم من سلاح.

وفي فرصة سانحة في نظر الشيوعيين، ذلك لأن فرقة الحرس الجمهوري قد انضمت اليهم، ولأن نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية سوبندريو هو أكبر سند لهم، ولأن جملة كبيرة من الوزراء يؤيدون الشيوعية، وان لم يكونوا شيوعيين، نفذ الشيوعيون قرارهم وأعلنوا الثورة يوم ٣٠ أيلول (سبتمبر) من عام ١٩٦٥م، التي انتهت بالفشل بعد استيلائهم على العاصمة يوماً واحداً، وسيطرتهم على الموقف سيطرة تامة. ولكن لم تكد تشرق شمس اليوم الثاني حتى قضي على الثورة، لأن الشعب رفض الشيوعية ومبادئها واساليبها، وبذلك حفظت أندونيسيا دولة إسلامية، بالرغم مما تتعرض له اليوم من حركات تنصيرية وتبشيرية واستشراقية وانسلاخية وتقسيمية.

وقد تألف حزب إسلامي جديد باسم «الحزب الإسلامي الأندونيسي» وأصبح في أندونيسيا في العهد الجديد تسعة أحزاب غير المنظمات الأخرى، وتتكون هذه الأحزاب من أربع مجموعات حزبية إسلامية هي:

١ ـ حزب نهضة العلماء.

٢ ـ حزب شركت إسلام.

٣ ـ حزب التربية الإسلامية.

٤ ـ الحزب الإسلامي الأندونيسي.

والأحزاب الأخرى هي:

٥ ـ الحزب الوطني الأندونيسي.

٦ ـ حزب أبيكي.

٧ ـ الحزب الكاثوليكي.

٨ ـ الحزب البروتستانتي.

٩ ـ حزب موربا (الحزب الكادح) وهو حزب اشتراكي(٧٣).

اقليم تيمور

يقع اقليم تيمور في جنوب أندونيسيا في أرخبيل الملايو، وهو الأكبر مساحة في جزر سوندا الصغرى، ويحد الاقليم من الشمال بحر ساڤو وبندا ومن الجنوب بحر تيمور. اما طول الاقليم فهو حوالي ٤٥٠ كلم وعرضه ١٠٥ كلم. اما مساحته الاجمالية فهي حوالي ٣٠,٨٢٠ كلم². اما عدد سكانه حسب احصاء ١٩٧٧ فهو (١,٥١٥,٠٠٠) نسمة.

يعتمد اقليم تيمور على الانتاج الزراعي بأساليب تقليدية. من اهم منتجاته: الأرز، البن، الكوبرا، الذرة، واحتياطي مهم من الذهب والفضة.

وسكان تيمور متحدرون من الملايو ومن البولونيزيين (Polynesian) ومن ببوا (Papuan)، وفضلاً عن وجود هذه المجموعات، فانه يوجد ايضاً مجموعة صغرى من اصول صينية، وهي تقوم بدور اقتصادي مهم في تجارة الاقليم.

اما أكبر مدن الاقليم فهي: كوبنج (Kupang) وهي عاصمة اقليم شرقي نوساتنجارا (Nusatenggara) وعدد سكانها حوالي (٤٠٣٠٠٠) نسمة ومدينة ديلي (Dili) عاصمة اقليم تيمور الشرقية. ويبلغ عدد سكانها (٦٠,١٥٠) نسمة.

وفيما يختص بالمعتقدات الدينية في اقليم تيمور، فان المعتقدات الدينية الوثنية تمثل الأكثرية، فضلاً عن وجود جماعات تعتنق المسيحية واقلية من المسلمين.

اما فيما يختص بالتاريخ السياسي والعسكري لتيمور، فان البرتغاليين قد انشأوا مستعمرات في تيمور في اوائل القرن السادس عشر، اما التجار الهولنديون فقد وصلوا لأول مرة الى الجزيرة عام ١٦١٣، وبقيت البرتغال وهولندا تتنافسان على النفوذ والسيطرة على الاقليم الى ان عقدت بينهما عدة اتفاقيات منها اتفاقيات اعوام ١٨٥٩، ١٨٩٣، ١٨٩٨، و١٩١٤.

ان تيمور الهولندية التي كان مركزها كوبنج في الغرب اصبحت جزءاً من أندونيسيا عام ١٩٥٠. اما تيمور البرتغالية بما فيها منطقة ديلي في الشرق، ومساحة صغيرة من اوكوسي امبينو (Ocussi Ambeno) في الشمال الغربي، فقد ضمتها أندونيسيا بالقوة اواخر عام ١٩٧٥[٧٤].

ومن الاهمية بمكان القول، ان الاوضاع السياسية والامنية والاقتصادية، والاجتماعية في اقليم تيمور الشرقية لم تكن مستقرة منذ عام ١٩٧٥، وقد حرص الرئيس سوهارتو على الاهتمام بهذا الاقليم، غير ان النزعة الانفصالية التي

كانت تتحكم ببعض قياداته السياسية والطائفية، علماً ان بعض القوى الاقليمية والدولية كانت تشجع على النزعات الانفصالية تمهيداً لتقسيم وانهيار أندونيسيا، الأمر الذي ادى الى نزاعات مسلحة في الاقليم لا سيما بين تيمور الشرقية وتيمور الغربية، واستمرت هذه النزعات الى عام ١٩٩٩، وقد راح ضحية حرب الميليشيات المسلحة عشرات الألوف من القتلى، وعشرات الألوف من المهجرين عن الاقليم، الأمر الذي استدعى تدخلاً دولياً في ايلول (سبتمبر) ١٩٩٩ كان من نتائجه الاولى اجراء استفتاء شعبي في ٤ أيلول (سبتمبر) ١٩٩٩ انتهى الى استقلال اقليم تيمور الشرقية في تشرين الأول (اكتوبر) من عام ١٩٩٩. وانسحاب آخر جندي أندونيسي من اراضيها في ٣١ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩٩. ونتيجة لهذا الاستقلال فقد عاد في ٢٢ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩٩ الى اقليم تيمور الشرقية الزعيم الانفصالي زانانا غوسما بحراسة القوات الدولية (الاوسترالية) وأعلن انتصار تيمور الشرقية بعد نضال دام (٢٥) عاماً ضد أندونيسيا، كما أعلن انه سيتم اعتماد العملة البرتغالية، بالاضافة الى اعتماد اللغة البرتغالية كلغة رسمية للاقليم، الى جانب لغة التيتوم كلغة قومية[٧٥].

ولا بد من الاشارة الى ان الأمم المتحدة ستتولى شؤون الاقليم لمدة انتقالية من سنتين الى ثلاث سنوات قبل اقامة دولة جديدة مستقلة[٧٦].

التطورات الأخيرة من عام ١٩٩٩ في أندونيسيا

شهدت أندونيسيا الحديثة منذ استقلالها عام ١٩٤٥ حتى اليوم اربع رؤساء هم: احمد سوكارنو، سوهارتو، حسن حبيبي، الشيخ عبد الرحمن وحيد. وهذا الأخير انتخب رئيساً لأندونيسيا في ٢٠ تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩٩٩.

ونتيجة للاضطرابات التي سادت أندونيسيا ولحركة المعارضة ضد الرئيس

حسن حبيبي منذ عام ١٩٩٨، ونتيجة لأزمة اقليم تيمور الشرقية. ولأسباب سياسية واقتصادية عديدة، فقد تم انتخاب رئيس جديد لأندونيسيا مرشح الجيش الأندونيسي الشيخ عبد الرحمن وحيد.

لقد استطاع عبد الرحمن وحيد ان يحظى بتأييد الجنرال وورانتو قائد الجيش الأندونيسي، واستطاع بمهارته استقطاب الفعاليات الدينية الاسلامية وفي مقدمتها الزعيم الاسلامي امين ريس الذي له تأثير قوي في أوساط الجامعات الأندونيسية. كما استطاع ان يؤمن هزيمة زعيمة الحزب الديموقراطي الأندويسي للنضال السيدة ميغاواتي سوكارنو ابنة الرئيس الأول لأندونيسيا احمد سوكارنو، كما انسحب الرئيس حسن حبيبي من الترشيح لانتخابات رئاسة الجمهورية[٧٧].

وفي اليوم التالي لانتخابه رئيساً للجمهورية تم انتخاب ميغاواتي نائباً للرئيس من قبل جمعية الشعب الاستشارية الأندونيسية، وقد نالت (٣٩٦) صوتاً ضد منافسها حمزة حاز رئيس الحزب الموحد للتنمية الذي نال (٢٨٤) صوتاً. وقد صاحب هذه الانتخابات احداث امنية وبعض القتلى والجرحى واعمال عنف متعددة.

هذا وقد علّق الخبير الاقتصادي في البنك الدولي جوزف ستيغليتز على الاوضاع الجديدة في أندونيسيا قائلاً: «ان الحكومة الجديدة في أندونيسيا تتيح للبلاد فرصة تجاوز الماضي وبدء جهود حثيثة لاعادة بناء اقتصادها المنهك. ان الجميع يعلمون انه في السابق منحت الحكومة الاندونيسية عدداً من الافراد احتكارات. وهذه الاحتكارات لم توجد حالاً من عدم تكافؤ الفرص فحسب، بل زادت ايضاً عدم كفاية الاقتصاد» ثم طالب الخبير الدولي بعدم الاكتفاء «بان نقول اننا لا نحتاج الى الاحتكارات، انما ينبغي الغاء ملكية تلك الاحتكارات» ثم أمل في عودة رؤوس الأموال التي غادرت أندونيسيا في الأشهر الأخيرة[٧٨].

وبالمقابل فقد واجهت الحكم الجديد في اندونيسيا مظاهرات صاخبة في مدينة اوجونغ اندانغ الشرقية ضمت عشرة آلاف طالب اندونيسي طالبوا خلالها باستقلال شرقي اندونيسيا واقامة دولة مستقلة. وذلك احتجاجاً على انسحاب حسن حبيبي من الترشيح لمنصب رئيس الجمهورية، ويزداد الموقف خطورة عندما نعلم ان حسن حبيبي يتحدر اساساً من اقليم سولا ويسي الذي انطلقت منه مظاهرات الطلاب[٧٩]. ولا شك بان النزعة الانفصالية قد ازدادت عند سكان الاقاليم والجزر بعد استقلال تيمور الشرقية. ومما يؤسف له ان سكان اقليم اتشيه الواقع في شمال البلاد طالبوا باجراء استفتاء لتقرير مصير الاقليم. وقد ادت هذه المطالبة الى انقسامات بين اعضاء الحكومة والرئيس عبد الرحمن وحيد الذي لم يرَ مانعاً من اجراء هذا الاستفتاء، في حين عارضه وزير الشؤون الامنية والسياسية الجنرال وويرانتو الذي رفض رفضاً قاطعاً اجراء مثل هذا الاستفتاء، لأنه سيكون سابقة خطيرة تهدد وحدة أندونيسيا، وستظهر مطالب مماثلة في اقاليم اخرى[٨٠].

وهكذا يلاحظ ان أندونيسيا التي حافظت على وحدة اراضيها واقاليمها لقرون عديدة، باتت اليوم تتعرض لأخطر محنة تهددها وتهدد وحدتها، وهي محنة وخطر التقسيم والتفتت لأكبر دولة اسلامية في العالم، علماً ان استقلال اقليم تيمور لم يؤمن لاندونيسيا حتى الان الاستقرار والأمن، فقد شهدت الأشهر الأولى من عام ٢٠٠٠ الكثير من الأحداث الأمنية لاسيما في ديلي وسواها.

الهوامش

(١) محمود شاكر: جغرافية العالم الإسلامي: ص ٨٤ الرياض ١٩٧٨م. انظر ايضاً: د. اسماعيل احمد ياغي: تاريخ شرق آسيا الحديث، ص ١٦٩، مكتبة العبيكان - الرياض ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

(٢) أندونيسيا الثائرة، ص ١٧، اصدار المركز العام لجمعيات استقلال أندونيسيا - القاهرة، ١٩٤٦.

(٣) انظر: ديتس سميث: أندونيسيا شعبها وارضها، ص ٣٣ - ٣٤، تعريب حسن محمود تقديم: حسن جلال العروسي، مؤسسة فرانكلين للطباعة، القاهرة - نيويورك ١٩٦٢. انظر ايضاً: أندونيسيا الثائرة: ص ١٨، ٢٢.

(٤) Funk and Wagnalls New Encyclopedia, vol.14, p.48, U.S.A

(٥) أندونيسيا الثائرة: ص ٢٠ - ٢١، انظر ايضاً: ص ٢٧ - ٣٠.

(٦) أندونيسيا الثائرة: ص ١٩.

(٧) د. إسماعيل احمد ياغي، تاريخ شرق آسيا الحديث، ص ١٧٠.

(٨) اطلق عليها هذا الاسم نسبة لمؤسسها «سري ويجايا» الذي اشتهر بشجاعته وذكائه وذلك في القرن الخامس الميلادي. للمزيد من التفاصيل الوافية انظر: أندونيسيا الثائرة: ص ٣٦ - ٣٩.

(٩) اطلق عليها هذا الاسم نسبة لمؤسسها «ماجاباهيت».

(١٠) د. اسماعيل احمد ياغي: تاريخ شرق آسيا الحديث، ص ١٧٠ - ١٧١، انظر ايضاً: محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، جـ ٢٠، ص ٣٧١ - ص ٣٧٢. وللمزيد من التفاصيل عن هذه الإمبراطوريات والممالك انظر: أندونيسيا الثائرة، ص ٣٣ - ٤٥.

(١١) دنيس سميث: أندونيسيا شعبها وأرضها، ص ٥٣ - ٥٤.

(١٢) محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، ج ٢٠، ص ٣٧٤، انظر ايضاً: د. اسماعيل احمد ياغي، المرجع السابق، ص ١٧٢.

(١٣) محمود شاكر: التاريخ الإسلامي: جـ ٢٠، ص ٣٧٤ - ص ٣٧٨، د. اسماعيل احمد ياغي، المرجع السابق، ص ١٧٢.

(١٤) محمود شاكر، المرجع نفسه: ص ٣٧٨ - ٣٨٠.

(١٥) للمزيد من التفاصيل الوافية حول انتشار الإسلام في سومطرة، وشبه جزيرة الملايو وجاوة وجزر الملوكو ويورنيو وسوندا الصغرى وسواها انظر: أندونيسيا الثائرة، ص ٥٠ - ٥٣.

(١٦) تشستربين: الشرق الأقصى: ص ٤٥ - ٤٧.

(١٧) د. اسماعيل احمد ياغي: تاريخ شرق آسيا الحديث، ص ١٧٥.

(١٨) تشستربين، المرجع السابق، ص ١١٨ - ١١٩.

(١٩) تشستربين، المرجع السابق، ص ١١٨ - ص ١١٩.

(٢٠) د. اسماعيل احمد ياغي: تاريخ شرقي آسيا الحديث، ص ١٧٦.

(٢١) د. إسماعيل ياغي ومحمود شاكر: تاريخ العالم الإسلامي الحديث: جـ ١ ص ٢٨٨ - ص ٢٨٩. انظر ايضاً: د. اسماعيل احمد ياغي، المرجع السابق، ص ١٧٦.

(٢٢) د. شوقي الجمل: تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصريـة، ص ١٩٨، ص ١٨٨ - ٢٨٩. انظر ايضاً: د. اسماعيل احمد ياغي، المرجع السابق، ص ١٧٧.

(٢٣) اندونيسيا الثائرة، ص ٦٨.

(٢٤) محمود شاكر: التاريخ الإسلامي: جـ ٢٠: ص ٣٨٣، د. اسماعيل احمد ياغي، المرجع السابق، ص ١٧٧.

(٢٥) أندونيسيا الثائرة، ص ٦٨.

(٢٦) د. اسماعيل احمد ياغي: تاريخ شرق آسيا الحديث، ص ١٧٨ انظر ايضاً: بانيكار: آسيا والسيطرة الغربية: ص ٥٦ - ص ٥٨. انظر ايضاً:

Panikar, K.M.: Malabar and the Dutch, Bombay 1930.

(٢٧) د. اسماعيل احمد ياغي، المرجع السابق، ص ١٧٩.

(٢٨) د. إسماعيل ياغي ومحمود شاكر: تاريخ العالم الإسلامي: جـ ١، ص ٢٩٠. انظر ايضاً: د. اسماعيل احمد ياغي: تاريخ شرق آسيا الحديث، ص ١٨٠.

(٢٩) أندونيسيا الثائرة، ص ٦٩.

(٣٠) للمزيد من التفاصيل انظر: بانيكار: المرجع السابق: ص ٥٨ - ص ٥٩، وانظر كذلك:

Panikar, K.M.: Malabar and the Dutch,

(٣١) محمد أسد شهاب: صفحات من تاريخ أندونيسيا: ص ٣٢ - ص ٣٥، د. اسماعيل احمد ياغي، المرجع السابق، ص ١٨١.

(٣٢) علي الطنطاوي: أندونيسيا: ص ٥٥.

(٣٣) للمزيد من التفـاصيل انظر: بانيكار: آسية والسيطرة الغربية، ص ١١٨-١٢٠، انظر ايضا: Cobden, Richard; Political Writings of Cobden, Vol 2, pp. 25-106, London 1867 في هامش ص ١٨٣.

(٣٤) د. اسماعيل احمد ياغي: تاريخ شرق آسيا الحديث، ص ١٨٤.

(٣٥) أندونيسيا الثائرة: ص ٦٩ - ٧٠، أنظر ايضاً: د. اسماعيل احمد ياغي: تاريخ شرق آسيا الحديث، ص ١٨٥، د. اسماعيل ياغي، محمود شاكر، المرجع السابق، ص ٢٩١.

(٣٦) د. اسماعيل احمد ياغي، المرجع السابق، ص ١٨٥.

(٣٧) أندونيسيا الثائرة، ص ٧٠.

(٣٨) أندونيسيا الثائرة، ص ٧١.

(٣٩) المصدر نفسه، ص ٧٢.

(٤٠) الدكتور دويس دكر هولندي انقلب على الهولنديين نتيجة فظائعهم وممارساتهم ضد الشعب الأندونيسي.

(٤١) انظر: أندونيسيا الثائرة: ص ٧٩.

(٤٢) ولد احمد سوكارنو عام ١٩٠١ في مدينة «بليتار» (Blitar) في جاوه الشرقية من أم بوذية براهماتية ومن أب جاوي اسمه سوكيمي كان مدرساً. وكلمة سوكارنو لغة مشتقة من سو بمعنى طيب، جميل، ممتاز، وكارنو بمعنى بطل، اي البطل الجميل او الممتاز. تلقى سوكارنو دراسته الابتدائية والثانوية والجامعية في أندونيسيا. تزوج من اوتاري (Oetari) ابنة الحاج عمر سعيد جوكر امينوتو زعيم حزب «شركت اسلام» ما لبث ان طلقها وتزوج بسواها عام ١٩٢٣، ثم تزوج فيما بعد بأكثر من واحدة، كما أقام علاقات غير شرعية مع الكثيرات من هولنديات ويابانيات وأندونيسيات وأوروبيات وأميركيات. عام ١٩٢٥، تخرج برتبة مهندس معماري، وفي عام ١٩٢٧ اسس مع آخرين «الحزب الوطني الأندونيسي»، ونظراً لنضاله نفته هولندا أكثر من مرة الى بعض الجزر الأندونيسية النائية.

في عام ١٩٤٥ تم اختيار سوكارنو رئيساً للجمهورية قبل اعلان استقلال أندونيسيا عام ١٩٤٦. وبعد ان تولى الحكم تعرض لمحاولات اغتيال عديدة باءت جميعها بالفشل. اتهم فيما بعد بالفساد بالتعاون مع القوى الشيوعية، التي اراد ان يسلمها مقاليد الحكم، لهذا سلم مقاليد الحكم الى الجنرال سوهارتو في ٢٠ شباط (فبراير) ١٩٦٧ بعد ان ثار الشعب ضده، وفي ١٢ آذار (مارس) ١٩٦٧ اقسم سوهارتو اليمين الدستورية امام المجلس الاستشاري الأعلى وتسلم السلطة. انظر: محمد أسد شهاب: صفحات من تاريخ اندونيسيا المعاصرة، ص ٧٤ - ١٤٤.

(٤٣) أندونيسيا الثائرة، ص ٨٢.

(٤٤) د. إسماعيل ياغي ومحمود شاكر: تاريخ العالم الإسلامي، جـ ١، ص ٢٩٨ - ٢٩٩، انظر ايضاً: د. اسماعيل احمد ياغي، المرجع السابق، ص ١٨٩.

(٤٥) للمزيد من التفاصيل عن الحياة الاقتصادية في أندونيسيا راجع: أندونيسيا الثائرة، ص ٨٥ - ١٠٥ مع الاطلاع على الجداول والاحصاءات الخاصة بالانتاج الزراعي والصناعي.

(٤٦) د. إسماعيل ياغي ومحمـود شـاكـر: تاريخ العالم الإسلامي جـ ١ ص ٢٩٩- ص ٣٠٠.

(٤٧) محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، جـ ٢٠، ص ٣٠٥ - ٣٠٩.

(٤٨) انظر: أندونيسيا الثائرة، ص ١٧٠.

(٤٩) إسماعيل ياغي ومحمود شاكر: تاريخ العالم الإسلامي: جـ ١: ص ٣٠٢. انظر ايضاً: د. إسماعيل احمد ياغي المرجع السابق، ص ١٩٢ - ١٩٣.

(٥٠) أندونيسيا الثائرة، ص ١٧٣ - ١٧٤.

(٥١) أندونيسيا الثائرة، ص ١٨١ - ١٩٥.

(٥٢) إسماعيل ياغي ومحمود شاكر، المرجع السابق، ص ٣٠٢ - ص ٣٠٤.

(٥٣) د. إسماعيل احمد ياغي: تاريخ شرق آسيا الحديث، ص ١٩٤.

(٥٤) د. إسماعيل احمد ياغي، المرجع السابق، ص ١٩٥.

(٥٥) محمود شاكر: التاريخ الإسلامي جـ ٢٠ ص ٣٩٨ - ٣٩٩.

(٥٦) ديتس سميث: أندونيسيا شعبها وأرضها، ص ٢١٧ - ٢١٨ .

(٥٧) د. إسماعيل احمد ياغي، المرجع السابق، ص ١٩٦.

(٥٨) محمود شاكر، المرجع السابق، ص ٤١٠ - ٤١٢.

(٥٩) د. إسماعيل ياغي ومحمود شاكر: التاريخ الإسلامي: جـ ١ ص ٣٠٩ - ص ٣١٠. انظر ايضاً: د. اسماعيل احمد ياغي: المرجع السابق، ص ١٩٧.

(٦٠) انظر: محمد اسد شهاب: صفحات من تاريخ اندونيسيا المعاصرة، ص ٢١٩.

(٦١) محمود شاكر: التاريخ الإسلامي جـ ٢٠ ص ٤١٢ - ص ٤١٥. انظر ايضاً د. اسماعيل احمد ياغي، المرجع السابق، ص ١٩٧.

(٦٢) هذه الدراسة معتمدة بشكل اساسي على المصادر والكتب التالية: محمد اسهد شهاب: صفحات من تاريخ أندونيسيا المعاصرة، أندونيسيا الثائرة، د. اسماعيل احمد ياغي: تاريخ شرق آسيا الحديث، محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، اسماعيل ياغي، محمود شاكر: تاريخ العالم الإسلامي، جـ ١.

(٦٣) بونجول اسم مدينة في جزيرة سومطرة الغربية.

(٦٤) لا بد من الاشارة الى ان انتصار اليابانيين في الحرب بين روسيا واليابان عام ١٩٠٥ اثبتت ان الآسيويين يستطيعون هزيمة الغربيين. وكانت ثورة الصين عام ١٩١١ قد هزت ارجاء العالم واثبتت بدورها ان الشعوب الآسيوية قادرة على التحرر من الانظمة العفنة القديمة، وان باستطاعتها ان تتسلم مقدراتها بنفسها. انظر: ديتس سميث: أندونيسيا شعبها وارضها، ص ١١٨.

(٦٥) انظر: محمد اسد شهاب، المرجع السابق، ص ٢١٣.

(٦٦) ديتس سميث: أندونيسيا شعبها وارضها، ص ١١٩.

(٦٧) محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، جـ ٢٠، ص ٣٨٣ - ص ٣٨٧. للمزيد من التفاصيل عن المنظمات والاحزاب في أندونيسيا منذ القرن التاسع عشر حتى عام ١٩٧٠ انظر: محمد اسد شهاب: صفحات من تاريخ أندونيسيا المعاصرة، ص ٢١١ - ٢١٩ .

(٦٨) د. اسماعيل احمد ياغي، المرجع السابق، ص ١٨٦.

(٦٩) محمود شاكر، المرجع السابق، ص ٣٨٨ - ٣٩٠، انظر ايضاً د. اسماعيل احمد ياغي المرجع السابق، ص ١٨٧.

(٧٠) اندونيسيا الثائرة، ص ٧٥.

(٧١) انظر: د. اسماعيل احمد ياغي: تاريخ شرق آسيا الحديث، ص ١٨٨، محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، جـ ٢٠، ص ٣٩٠ - ٣٩١.

(٧٢) محمد اسد شهاب: المرجع السابق، ص ٢١٥.

(٧٣) انظر: محمد اسد شهاب، المرجع السابق، ص ٢١٨ - ٢١٩.

(٧٤) هذه المعلومات مستقاة من:
Funk and Wagnalls New Encyclopedia, Vol. 25, pp. 362 - 363.

(٧٥) السفير، ٢٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩٩، العدد ٨٤٣٣.

(٧٦) السفير، أول تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩٩، العدد ٨٤٤٠.

(٧٧) انظر: النهار، ٢١ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩٩، العدد ٢٠٤٨٢.

(٧٨) النهار، ٢٢ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩٩، العدد ٢٠٤٨٣.

(٧٩) السفير، ٢٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩٩، العدد ٨٤٣٣.

(٨٠) النهار، ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩٩، العدد ٢٠٥٠٠.

Riyad Nassar

الملاحــــق

- الخرائط
- جداول احصائية
- دستور الجمهورية الأندونيسية

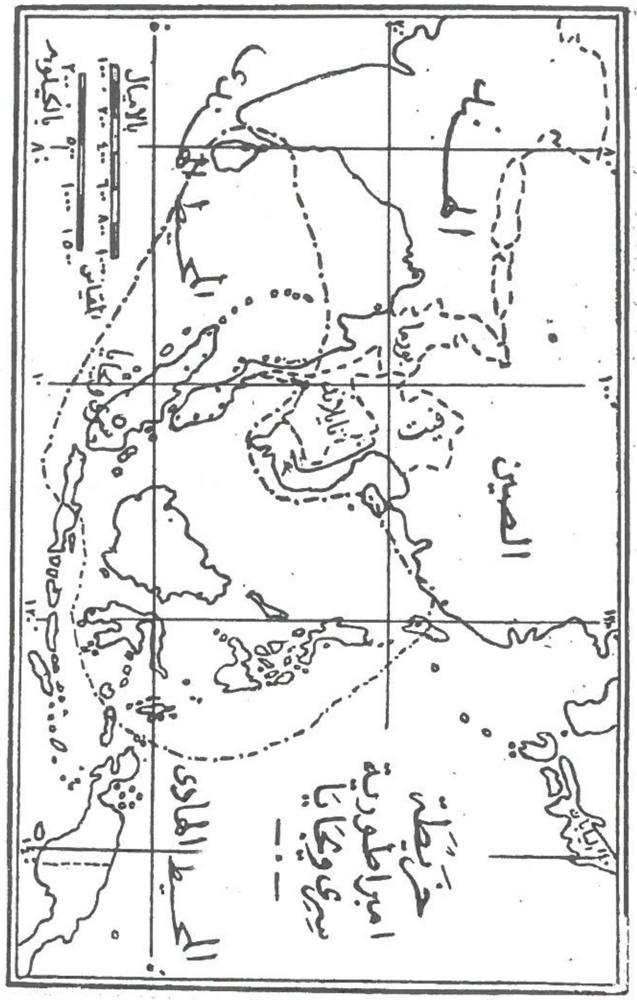

خريطة امبراطورية «سرى ويجايا» سنة ١١٨٠

خريطة امبراطورية «ماجاپا هيت» سنة ١٣٦٤م

خريطة المملكة الاسلامية سنة ١٥٠٠

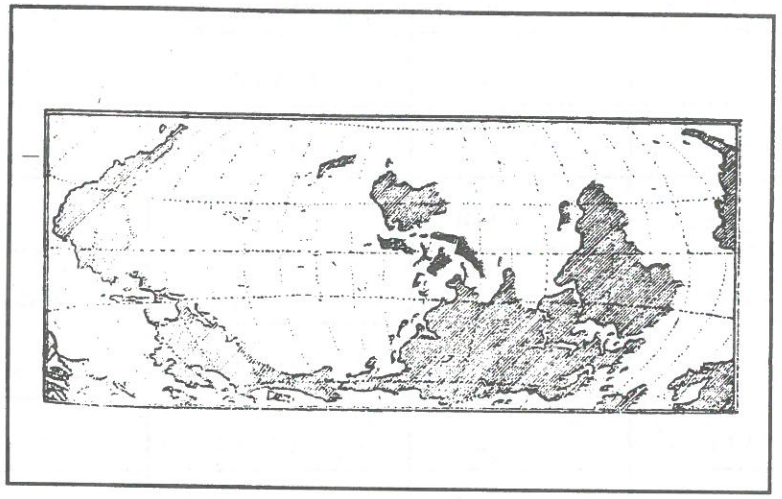

خريطة تبين مواقع اندونيسيا من البلاد المجاورة

خريطة الجمهورية الاندونيسية الفتية

الثروة الاندونيسية حسب الاحصاء الرسمي عام ١٩٢٧

النوع	القيمة	النوع	القيمة
زيت بترول	١٩٤٩١٦٠٠٠ روبية	أناناس	٤٣٣٥٠٠٠ روبية
المطاط	٤١٧٠٥٥٠٠٠ روبية	بولكيل	٤١٢٢٠٠٠ روبية
كوبرا	٨٣٠٨٣٠٠٠ روبية	الفحم الحجري	٥١١٩٠٠٠ روبية
بن	٧٣٣٧٦٠٠٠ روبية	أقمشة	٥٤٢٥٠٠٠ روبية
زيت النباتات	١٤٧٦٦٠٠٠ روبية	كينا	٥٤٣٤٠٠٠ روبية
سكر قصب	٣٦٥٣١٠٠٠ روبية	ذرة	٤٠٣٣٠٠٠ روبية
تبغ	١١٣٩٢٦٠٠٠ روبية	اسبرتو	٣١٢٥٠٠٠ روبية
شاي	٠٩٢٢٠٠٠٠ روبية	أرز	٢٣٧٣٠٠٠ روبية
قصدير	٩٣٨٦٤٠٠٠ روبية	قبعات	٢٤٠٥٠٠٠ روبية
كابوك	٣٨٢٦٠٠٠ روبية	جلوتنج	٢٠٧٣٠٠٠ روبية
توابل	٣٣٤٠٩٠٠٠ روبية	جتة فرشا	١٨٩٥٠٠٠ روبية
دقيق ابي كايو	٢١٤٢٤٠٠٠ روبية	كينين (بيل)	١٨٢١٠٠٠ روبية
الجلود	١٦١٦٧٠٠٠ روبية	جمبير	١١٩٤٠٠٠ روبية
باغة	٩٩١١٠٠٠ روبية	أسماك وغيرها	٤٢٤٨٤٠٠٠ روبية
أخشاب	٩١٠٦٠٠٠ روبية	ينانج	٧٣٠٧٠٠٠ روبية
خيزران	٨٥٢١٠٠٠ روبية		

الجملة ١٦٢٢,٢٧٨,٠٠٠ روبية

المنتجات الهامة ونسبتها إلى إنتاج العالم

(١) كينا	٩٢٪	(٦) قصدير	٥٩٪
(٢) فلفل اسود	٨٣٪	(٧) شاي	١٧٪
(٣) كاپوك	٧٨٪	(٨) كوبرا	٦١٪
(٤) النرجيل (جوز الهندي)	٢٨٪	(٩) سكر	٥٪
(٥) مطاط (اندونسيا وملايا)	٧٥٪	(١٠) زيت البترول	٥٪

الثروة المعدنية حسب الاحصاء في سنة ١٩٣٨

(١) زيت البترول (النفط)	٩٢١٢٠٠٠٠٠٠ ك ج
(٢) الفحم الحجري	١٧٨١٠٠٠٠٠٠ ك ج
(٣) ملح	١٥٩٠٠٠٠٠٠ ك ج
(٤) قصدير ملايا واندونيسيا	١٠٣٢٠٠٠٠٠ ك ج
(٥) فضة	١٩٢٢٢٣ ك ج
(٦) ذهب	٢٥٢٢١ (عدا ملايا) ك ج
(٧) حديد (ملايا)	١٣٥٠٠٠٠٠٠٠ ك ج
المجموع	**١٢,٦٠٥,٤١٧,٤٨٤ ك ج**

الثروة الحيوانية في اندونيسيا حسب احصاء عام ١٩٣٩

(١) بقر	٢٥٧٦٦٠٢ رأس
(٢) جاموس	٣٢٤٦٩١٨ رأس
(٣) أغنام	٤٥٤٥٥٢١ رأس

(٤) خنازير	١٣٣١٣٧٤ رأس
(٥) فرس	٧٠٣٦٣٧ رأس
المجموع	**١٤٤٠٤٠٥٢ رأس**

القوة المائية والكهربائية حسب احصاء سنة ١٩٣٩

(١) الخطوط الجوية	٢٩٠٣٣٢٨ ك.م.
(٢) الطرق البرية	٥٢٨٠٨ ك.م.
(٣) السكك الحديدية	٧٣٩٨ ك.م.
الجملة	**٢٩٦٣٥٣٤ ك.م.**

دستور الجمهورية الاندونيسية

مقدمة: بما أن الاستقلال حق كل أمة فما من نظام للاستعمار في هذا العالم إلا ويكون مناقضاً للإنسانية والعدالة ويجب محوه من الوجود. إن كفاحنا في سبيل أندونيسيا المستقلة قد وصل إلى مرحلة ناجحة وإن الشعب الأندونيسي الآن واقفاً على عتبة دولة أندونيسية متحدة ذات سيادة ومتمتعة بالرخاء والعدالة. وبعون الله العزيز الرحيم وبدافع الشعور بالمثل الأعلى للحياة الوطنية الحرة يعلن الشعب الأندونيسي استقلاله وحريته. إن الغرض من تأسيس الحكومة الأندونيسية الوطنية هو رعاية مصالح الشعب الأندونيسي والوطن العزيز والعناية بالجمهور ورفع مستوى المعيشة والمساهمة في بناء السلام العالمي المبني على الحرية والسلام الدائم والعدالة الاجتماعية. إن روح استقلالنا الوطني ظاهرة في دستور الحكومة الأندونيسية تلك الحكومة الجمهورية التي تعطي الشعب السلطة العليا. إننا مؤمنون بالله وبالإنسانية وبالوحدة الأندونيسية، ثم أننا بعد ذلك مؤمنون بالديمقراطية التي ستطبق تطبيقاً صحيحاً حكيماً ـ بوساطة الاتصال بالشعب واستشارته ـ لتؤدي إلى النتيجة المرجوة وهي العدالة الاجتماعية لجميع طبقات الشعب الأندونيسي.

* * *

الدستور

الفصل الأول: شكل الحكومة وسيادة الدولة.

المادة الأولى:

١ ـ إن الدولة الأندونيسية يجب أن تكون متحدة وجمهورية.

٢ ـ إن السيادة يجب أن تكون للشعب الذي سيباشر تلك السيادة بوساطة المؤتمر الشعبي.

الفصل الثاني: المؤتمر الشعبي: (People's Congress)

المادة الثانية:

١ ـ إن المؤتمر الشعبي يتكون من أعضاء المجلس النيابي (The Council of Representatives) ومن مندوبي المناطق والطوائف طبقاً للشروط المبينة في القانون.

٢ ـ إن الجمعية العمومية (Assembly) للمؤتمر الشعبي تنعقد في العاصمة مرة كل خمس سنوات على الأقل وجميع قرارات المؤتمر يجب أن تكون بأغلبية الأصوات.

المادة الثالثة:

١ ـ إن المؤتمر الشعبي يضع دستور البلاد ويقرر السياسة الوطنية العامة.

الفصل الثالث: السلطة التنفيذية: (The Executive Power)

المادة الرابعة:

١ ـ إن الرئيس يتولى السلطة التنفيذية كما يقرره الدستور.

٢ ـ وفي مباشرة هذه السلطة يعاون الرئيس وكيل له.

المادة الخامسة:

١ ـ إن الرئيس يتولى السلطة التشريعية. وهو في مباشرة هذه السلطة يتعاون مع المجلس النيابي.

٢ ـ إن الرئيس يسن ما يلزم لتنفيذ القوانين.

المادة السادسة:

١ ـ إن الرئيس يجب ان يكون أندونيسياً.

المادة السابعة:

١ ـ إن كلا من الرئيس ونائبه يتولى السلطة في مدة خمس سنين وتجوز إعادة انتخابه بعد انتهاء المدة المذكورة.

المادة الثامنة:

١ ـ إن مات الرئيس قبل انتهاء المدة المذكورة أو اعتزل العمل أو عجز عن أداء واجبه فيقوم نائب الرئيس مقامه حتى تنتهي مدة الرياسة.

المادة التاسعة:

١ ـ يجب على كل من الرئيس ونائبه أن يحلف (أو يؤكد) أمام المؤتمر الشعبي أو المجلس النيابي باليمين التالي:

«إنني أحلف (أو أؤكد) أنني سأقوم بواجبي كرئيس للجمهورية الأندونيسية (أو كنائب لرئيس الجمهورية الأندونيسية) بأمانة وإخلاص لصيانة الدستور وتنفيذ القوانين وتكريس نفسي لخدمة الدولة والشعب.

المادة العاشرة:

١ ـ إن الرئيس هو القائد الأعلى للجيش والبحرية والطيران.

المادة الحادية عشرة:

١ - إن الرئيس هو الذي يعلن الحرب ويعقد الصلح والمعاهدة مع البلاد الأخرى بموافقة المجلس النيابي.

المادة الثانية عشرة:

١ - إن الرئيس هو الذي يعلن الأحكام العرفية في الطوارئ. ويجب سن قانون يبين الشروط التي يصير بموجبها مفعول الأحكام العرفية نافذاً ويبين ما هي الإجراءات التي ستتخذ بعد إعلان الأحكام العرفية.

المادة الثالثة عشرة:

١ - إن الرئيس هو الذي يعين السفراء والوزراء المفوضين والقناصل.

المادة الرابعة عشرة:

١ - إن الرئيس يملك السلطة لمنح العفو العام وسلطة الإلغاء.

المادة الخامسة عشرة:

١ - إن الرئيس يملك السلطة لمنح ألقاب الشرف والمكافأة.

الفصل الرابع: مجلس الدولة (Council of State)

المادة السادسة عشرة:

١ - إن تركيب مجلس الدولة سينظم بقانون.

٢ - إن وظيفة مجلس الدولة هي الإدلاء برأيه في الأمور التي طلب الرئيس رأي المجلس فيها وإن للمجلس حقاً في تقديم المقترحات إلى الحكومة.

الفصل الخامس: الوزارة (Ministry)

المادة السابعة عشرة:

١ - إن الرئيس سيعاونه في عمله مجلس الوزراء.

٢ - إن الوزراء يعينهم ويقيلهم رئيس الجمهورية.

٣ - إن الوزراء مسؤولون عن وزاراتهم.

الفصل السادس: الادارات المحلية (Local Administration)

المادة الثامنة عشرة:

١ - إن تقسيم أندونيسيا إلى الوحدات الإدارية وكيفية إدارة هذه الوحدات سيبينهما قانون. وسيكون ذلك طبقاً لمبدأ الشورى وللحقوق التقليدية لكل من الوحدات المذكورة.

الفصل السابع: المجلس النيابي (Council of Represantatives)

المادة التاسعة عشرة:

١ - إن نظام المجلس النيابي سيبين بقانون.

٢ - إن المجلس النيابي يجتمع مرة في السنة على الأقل.

المادة العشرون:

١ - كل قانون يجب أن يسن بالاتفاق مع المجلس النيابي.

٢ - كل مشروع قانون رفضه المجلس النيابي لا يمكن تقديمه إلى المجلس مرة أخرى في نفس الدورة.

المادة الحادية والعشرون:

١ - لأعضاء المجلس النيابي حق في تقديم مشروع قانون (Bills).

٢ - وكل مشروع قانون قبله المجلس النيابي ورفضه رئيس الجمهورية لا يمكن تقديمه مرة أخرى في نفس الدورة.

المادة الثانية والعشرون:

١ - وفي أوقات الطوارئ يجوز للرئيس أن يسن قوانين تقوم مقام

قانون الدولة.

٢ ـ والقوانين التي قررتها الحكومة يجب أن يصدق عليها المجلس النيابي في الدورة التالية.

٣ ـ وإذا لم تحصل القوانين المذكورة على موافقة المجلس النيابي فتكون تلك القوانين ملغاة.

الفصل الثامن: المالية (Finance)

المادة الثالثة والعشرون:

١ ـ أن ميزانية الدولة يجب ان تحدد بقانون في كل سنة، وإذا لم يوافق المجلس النيابي على الميزانية التي اقترحتها الحكومة فميزانية السنة السابقة تبقى نافذة وجارية.

٢ ـ وكل ضريبة من الضرائب يجب أن تبين بقانون.

٣ ـ إن تسميات العملة وتحديد قيمتها تقرر بقانون.

٤ ـ وكذلك الأشياء الأخرى التي تتعلق بالمالية ستقرر بقانون.

٥ ـ يجب أن يكون هناك ديوان المحاسبة العام لفحص الحسابات المتعلقة بأموال الدولة ويجب تقديم نتائج فحص ديوان المحاسبة إلى المجلس النيابي.

الفصل التاسع: القضاء (The Judiciairy)

المادة الرابعة والعشرون:

١ ـ إن السلطة القضائية يجب أن تكون في يد المحكمة العليا والمحاكم التابعة لها التي قد تنشأ بقانون فيما بعد.

٢ ـ إن نظام واختصاص هذه المحاكم سيحددان بقانون.

المادة الخامسة والعشرون:

١ ـ إن المؤهلات لتولي القضاء والأسباب التي بموجبها يعزل القاضي من منصبه سيبينها قانون.

الفصل العاشر: حق الجنسية (Citizenship)

المادة السادسة والعشرون:

١ ـ إن المواطنين يجب أن يكونوا من أصل أندونيسي أو من الذين حصلوا على أوراق الجنسية الأندونيسية.

٢ ـ والأمور التي تتعلق بالجنسية يجب أن تبين بقانون.

المادة السابعة والعشرون:

١ ـ إن المواطنين يجب أن يكونوا كلهم في منزلة واحدة أمام القانون وأمام المحكمة ويجب أن يحترموا، بدون استثناء، قانون الحكومة.

٢ ـ إن المواطنين كلهم يجب أن يكون لهم حق في العمل وفي توقع المستوى المعقول في المعيشة.

المادة الثامنة والعشرون:

١ ـ إن حرية الاجتماع وحق انشاء الاتحادات وحرية الكلام والصحافة والحريات الأخرى المماثلة ستكون مكفولة بقانون.

الفصل الحادي عشر: الدين (Religion)

المادة التاسعة والعشرون:

١ ـ إن الدولة تؤسس على الإيمان بالله رب العالمين.

٢ ـ إن الدولة تضمن حرية الشعب في إظهار الدين الذي يؤمن به وفي العمل به.

الفصل الثاني عشر: الدفاع (Defence)

المادة الثلاثون:

١ ـ كل مواطن يجوز أن يدعى للاشتراك في الدفاع عن الدولة.

٢ ـ والأمور التي تتعلق بالدفاع الوطني ستحدد بقانون.

المادة الحادية والثلاثون:

١ ـ كل مواطن ستكفل له التسهيلات للتعليم.

٢ ـ إن الحكومة ستعتني وتنفذ نظام التعليم الوطني الذي سيقرر بقانون.

المادة الثانية والثلاثون:

١ ـ إن الحكومة ستعتني بالثقافة الوطنية ونشرها.

الفصل الرابع عشر: الرخاء الاجتماعي (Social Welfare)

المادة الثالثة والثلاثون:

١ ـ إن الاقتصاد سينظم نظاماً تعاونياً.

٢ ـ إن مصادر الإنتاج التي تعتبر مهمة للدولة والتي تؤثر في حياة أغلبية الشعب يجب أن تراقبها الدولة.

٣ ـ إن الأرض والماء والثروات الموجودة فيهما يجب أن تراقبها وتستغلها الدولة لخير الشعب.

المادة الرابعة والثلاثون:

١ ـ إن الدولة يجب أن تعنى بالفقراء وبالأطفال المشردين.

الفصل الخامس عشر: العَلَم واللغة (Flag and Language)

المادة الخامسة والثلاثون:

١ ـ إن علم الجمهورية الأندونيسية هو علم «الأحمر والأبيض».

المادة السادسة والثلاثون:

١ ـ إن اللغة الرسمية هي اللغة الأندونيسية.

الفصل السادس عشر: تعديلات (Amendments)

المادة السابعة والثلاثون:

١ ـ يجب حضور ثلثين من مجموع أعضاء المؤتمر الشعبي في مباحثة تعديلات دستورية.

٢ ـ إن التعديلات يجب أن تكون باتفاق ثلثين من مجموع الأعضاء الحاضرين على الأقل[١].

---

(١) نقلنا هذا الدستور عن صحيفة (صوت أندونيسيا الحرة) الشبه رسمية الصادرة في ١ أكتوبر سنة ١٩٤٥.

الفصل الخامس

المسلمون في الصين

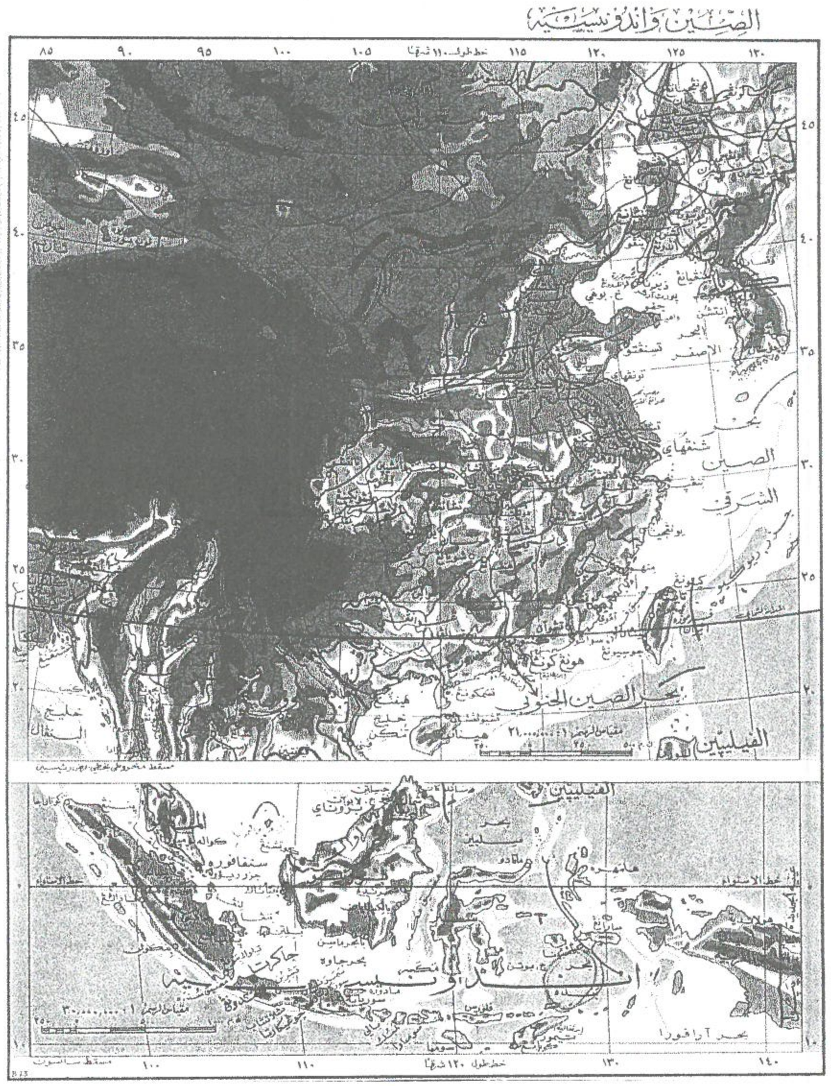

المسلمون في الصين

تبلغ مساحة الصين ٩,٥٦١,٠٠٠ كلم٢ وتعادل هذه المساحة اكثر من خمس القارة الاسيوية. والصين هي ثاني دول العالم مساحة والاولى سكاناً حيث يقدر عدد سكانها اليوم باكثر من مليار نسمة وتجمع اراضي الصين بسبب اتساعها اقاليم طبيعية عديدة ومناطق زراعية متنوعة ومناطق صناعية وولايات متعددة وبعض القوميات والاديان، ومن هؤلاء قبائل الهانون والمانشو والمغول والمسلمون والتيبيون. ومن مدنها العاصمة بكين وشنغهاي وكانتون، اما الاديان السائدة فمنها البوذية والاسلام والمسيحية وبعض الاديان الصينية الوثنية ويعتبر دين «بوذا» من اوسع الاديان انتشاراً في الصين.

دخول الاسلام الى الصين

اما عن دخول الاسلام الى الصين، فان علاقة العرب مع الصين علاقة قديمة ترجع الى صلات تجارية قديمة كانت سابقة على بزوغ الاسلام وتشير المصادر الصينية القديمة والمصادر العربية على ان الزوارق الصينية كانت تمخر مياه الفرات في القرن الخامس الميلادي ويستدل من حديث الرسول محمد (صلعم) «اطلبوا العلم ولو في الصين» لهو دليل على معرفة العرب لتلك البلاد وعلى بعدها وقد وصل الاسلام الى الصين في فترة عن طريق البر وذلك عندما فتح المسلمون التركستان الشرقية في منطقة كاشغر حيث وصلت فتوحات

قتيبة بن مسلم الباذري الحدود الغربية للصين وكان لوجود الاسلام في منطقة تركستان بوسط اسيا اثر واضح على انتشار الاسلام في الصين، كما دخل الاسلام الى الصين بواسطة الطرق البحرية التي نقلت الاسلام الى مناطق شرق الصين. ففي سنة ٣١ هـ في عصر الخليفة الراشدي عثمان بن عفان وصل مبعوث مسلم الى تلك المناطق ثم توالت البعثات والرحلات الاسلامية الى الصين حتى بلغ عددها حوالي ٣٠ بعثة بين ٣١ هـ/١٨٤ هـ.

كما توالت على الصين بواسطة الطرقات البحرية البعثات الدبلوماسية والتجارية، وكان هؤلاء التجار والرسل بمثابة دعاة للدعوة الاسلامية التي بدأت تنتشر في مناطق الساحل ثم في مناطق الداخل. ونظراً لانتشار الاسلام في الصين بواسطة التجار العرب والايرانيين فان اليوم تعتنق الاسلام عشر أقليات قومية من اصل ٥٦ قومية في الصين. ومن القوميات الاسلامية قوميات هوى - اريفور - قازان - التتر.

اما عن العلاقات الصينية العربية فهي بدورها قديمة تأصلت وتجذرت عبر العصور منذ العهد الاموي والعهد العباسي المعاصرين لاسرة تانغ الصينية التي حكمت البلاد بين ٦١٨م - ٩٠٧ م. حيث توافدت الوفود الاسلامية الى الامبراطور تانغ من قبل الخلفاء الامويين والعباسيين، ومن بين الخلفاء العباسيين الذين ارسلوا وفوداً الخليفة ابو العباس - وابو جعفر المنصور وهارون الرشيد.

ولقد استقرت بعض الجماعات الاسلامية من التجار والعلماء على ساحل الصين الجنوبي في منطقة خوان فو وهي المعروفة اليوم باسم كانتون. وكان للمسلمين وجود فاعل في كانتون وكانت السفن العربية ترسو في ميناء المدينة بصورة مستمرة. كما وصل

المسلمون الى تشانغ - آن واخذوا ينتشرون في مناطق متعددة فظهرت المستوطنات العربية في منطقة خوان كما ظهرت مناطق اسلامية في عهد اسرتي تانغ وصونغ في كانتون وفي تشوان تشو.

ومن اشهر الآثار الاسلامية في المنطقة مسجد ذكرى النبي محمد ﷺ في كانتون ومسجد الطاهر في تشوان - تشو، وحفر على لوحة في هذا المسجد باللغة العربية يعود تاريخها الى ٥١٥هـ ثم ظهرت جالية اسلامية في عهد اسرة صونغ في مدينة هانغ تشو. ومن يطلع على كتاب الرحلة لابن بطوطة يدرك الكثير من المعلومات عن احوال المسلمين المنتشرين في الصين.

والواقع فقد نهض المسلمون في الصين في عهد المغول نهضة سريعة وازداد نفوذهم وشغلوا مناصب عديدة في الدولة وظهر منهم السيد الجليل «شمس الدين عمر» الذي تقلد عدة مناصب منها حاكم ولاية يونَّان سنة ٦٧٣ هـ - ١٢٧٤م وعمل اثناء حكمه على تثبيت اقدام المسلمين في هذه الولاية. وتشير الوثائق الصينية الى ان المسلمين قاموا بدور بارز في تطور البلاد لا سيما في ظل عهد مملكة يوان المغولية التي حكمت الصين بعدما خلع كوبلاي خان حفيد جنكيزخان لحكومة اسرة صونغ ولقد تولى المسلمون حكم ثماني ولايات في الصين في عهد المغول في حين كانت الصين مقسمة وقتذاك الى ١٢ ولاية.

وهكذا كان للمسلمين شأن ودور بارز في حكم الصين، ولكن ادت ثورة عام ١٣٦٨ في الصين الى طرد الدولة المغولية بوان وحلول دولة منغ محلها وهذه الاسرة كانت متعصبة وتميل الى سياسة العزلة ولكنها تميزت بالاعتدال والتسامح تجاه المسلمين. وكان المسملون قد

اندمجوا في المجتمع الصيني منذ عهد المغول وتزوجوا من صينيات فامتزجت العادات الاسلامية بالعادات الصينية وابتكرت اسماء اسلامية صينية جديدة لم تكن موجودة مثل: اسم ما وتعني محمد ومسعود وحا اختصار لحسن ونا اختصار لناصر الدين. وهكذا بات للمسلمين اتباع جدد نتيجة المصاهرة بين الاسر الاسلامية العربية والايرانية وبين الاسر الصينية ونعم المسلمون في هذه الفترة بالحرية وفي اقامة شعائرهم واعفوا من الضرائب، وكانت بالعاصمة اربعة مساجد كبرى وحوالي ٩٠ مسجداً وظهرت في هذه الاثناء الفنون الاسلامية منها الفن المعماري على الطراز الصيني. ومن المسلمين الذين برزوا في عهد اسرة منغ القائد تشانغ يو والحاج جيهان وهو اكبر بحار يفخر به تاريخ الصين القديم. ولما تولت حكم الصين اسرة المانشو «المانشوريون ١٦٤٤ - ١٩١١» تغيرت اوضاع المسلمين من اوضاع حسنة الى اوضاع سيئة لذلك انتفض المسلمون في ثورات ضد الظلم لا سيما في شمالي الصين وفي شانكو وقانصو ويونّان والتركستان الشرقية فعملت السلطات الصينية على القضاء على هذه الثورات مما ادى الى عزلة المسلمين.

وحاول امبراطور وانغ تنشان عام ١٧٣١ ان يهدئ من روع المسلمين فاصدر بياناً حدد فيه سياسة حكومته اتجاه المسلمين ودعاهم الى مساواة انفسهم مع الرعايا الآخرين من الاجانب، ولكن هذا البيان لم يخفف من روعة المسلمين بل على العكس اثار نقمتهم على الامبراطور الصيني ووصل ظلم اسرة المانشو في حق المسلمين حتى هدمت المساجد وصادرت الاملاك والاوقاف الاسلامية.

وبعد انتهاء حكم المانشو واعلان الحكم الجمهوري بواسطة

الدكتور صان يات صن عام ١٩١١ أعلن الرئيس ان المسلمين يعتبرون عنصراً من عناصر الامة الصينية الخمسة وكان علم الجمهورية يتكون من خمسة الوان لكل امةٍ لون وكان رمز المسلمين في هذا العلم اللون الابيض لهذا تعاون المسلمون مع الحكم الجمهوري بعد اضطهاد دام ثلاثة قرون. وفي عهد خلف الدكتور صان يات سن اي في عهد الجنرال كاي تشك شارك المسلمون في توحيد الصين ومحاربة الاحتلال الياباني وتكونت جمعية الصين الاسلامية لانقاذ الوطن الصيني، واتصلت هذه الجمعية بالمسلمين خارج الصين لدعم وحدة الصين.

اما على الصعيد الحضاري فقد قام المسلمون الصينيون بدراسة العلوم العربية ونقلوها الى الصين خاصة الطب والصيدلة والرياضيات والفلك والتقويم وانشأوا المستوصفات والمستشفيات الاسلامية في عدة مدن صينية وبرز بعض المخترعين المسلمين منهم المخترع جمال الدين الذي اخترع سبعة انواع من الاجهزة الفلكية. وكان التقويم الهجري مرجعاً هاماً لوضع التقويم الصيني على مدار اربعمئة سنة. بالاضافة الى ذلك فقد نقل المسلمون الى الصين الكثير من المنتجات الزراعية والصناعية. كما ان الصينيين نقلوا بدورهم الى بلاد الاسلام والعرب الورق والبارود والحرير والخزف والشاي وفي الكتابات الصينية القديمة ان اول مصنع للورق انشئ خارج الصين على ايدي العرب في بغداد عام ٧٩٤م ثم انتقلت هذه الصناعة الى دمشق فالقاهرة والاسكندرية ثم الى صقلية واسبانيا واوروبا.

وكانت المراكز الدينية الاسلامية في الصين مراكز ليس لممارسة الشعائر الدينية فحسب وانما مراكز علمية، وهي قامت بدور بارز في

الحياة الدينية والعلمية على السواء خاصة وان هذه المساجد تقدر باكثر من ٤٥ ألف مسجد موزعة في المدن الصينية، وفي الاطار الثقافي اصدرت الجمعيات الاسلامية عدة مجلات في الفترات السابقة على الحكم الشيوعي فاصدرت جمعية التقدم الاسلامي مجلة «المنبه الاسلامي» كما اصدرت الجمعيات الاسلامية الصينية الاخرى عدة مجلات منها «نظارة الهلال» و«نور الاسلام» و«العلوم الاسلامية». كما ارسلت جمعية التقدم الاسلامي اول بعثة من الطلاب المسلمين على نفقتها الى الازهر الشريف في مصر وكان عددهم خمسة طلاب ثم تزايد عددهم فيما بعد لا سيما في النصف الاول من القرن العشرين. وفي هذه الفترة لاقى المسلمون التضييق من الحزب الحاكم ولكن استطاعوا القيام ببعض النشاطات منها طبع القرآن الكريم بالعربية اربع مرات، كما ترجمت معاني القرآن الكريم الى الصينية واصدر المسلمون القاموس العربي الصيني، كما اصدروا مجلة المسلم الصيني ومجلة بناء الصين.

الحياة الاجتماعية

أما فيما يخص الحياة الاجتماعية لمسلمي الصين فهي مزيج من العادات والتقاليد العربية الاسلامية والعادات الصينية. فالمسلمون في الصين يحتفلون بقدوم شهر رمضان المبارك وبعيد الفطر السعيد وعيد الاضحى المبارك ويؤدون الصلوات في المساجد ويخطب خطيب العيدين والجمع باللغتين الصينية والعربية، كما يذبحون الاضاحي بمناسبة عيد الاضحى ويتبادلون التهاني ويتزاورون ويقدمون في بيوتهم الحلوى. وبشكل عام فان عاداتهم في هذه المناسبات تماثل عادات المسلمين في العالم العربي. كما يحرص المسلمون الصينيون الاغنياء

على القيام بالحج الى الاراضي المقدسة. وفيما يختص بالزواج فإن الشيخ المسلم الصيني هو الذي يجري عادة مراسم الزفاف فيبدأ بقراءة الفاتحة وبعض آيات من القرآن الكريم ثم يبدأ هذا الشيخ او الامام بشرب شراب الفرح ثم يشرب العروسان ثم يوزع الشراب على باقي المدعوين ليشربوا منه تبركاً وتيمناً. ومن الملاحظ ان الجمعية الاسلامية في الصين وفروعها هي القيمة على حل مشاكل الزواج والطلاق. ومن الملاحظ ايضاً ان القانون الصيني المدني اثر على الشريعة الاسلامية في الصين حيث انه منع تعدد الزوجات خلافاً للنص وللشرع الاسلامي الحنيف.

الباب الثاني

ملامح من تاريخ
المدن والشعوب الاسلامية

- مقدمة
١ - زاهدان
٢ ـ دلهي
٣ ـ كشمير
٤ ـ داكا
٥ ـ لاهور
٦ ـ كابول
٧ ـ كوشنج سرواك
٨ ـ سومطرة
٩ ـ كوالامبور
١٠ ـ القوقاز
١١ ـ باكو
١٢ ـ سمرقند
١٣ ـ قازان
١٤ ـ كوسوفا
١٥ ـ باماكو
١٦ ـ نيامي
١٧ ـ دكار
١٨ ـ لاغوس
١٩ ـ زنجبار
٢٠ ـ جيبوتي
٢١ ـ نواكشوط
٢٢ ـ استانبول

مقدمة

يفتقد القارئ والطالب والباحث في العالمين العربي والاسلامي الى معلومات عن المدن والشعوب الاسلامية المنتشرة في اوروبا وآسية وافريقيا والشرق الاقصى ومناطق متعددة من العالم. وازدادت الاهمية الى هذه المعلومات بعد الاحداث الأليمة والمجازر التي تتعرض - او سبق ان تعرضت لها - الشعوب الاسلامية في البوسنة والهرسك وكوسوفو والشيشان والداغستان وسواها.

لهذا، حرصنا على إمداد القارئ والطالب والباحث العربي بمادة علمية قلما جمعت بهذا الاسلوب، لعلها تسلط بعض الاضواء على ملامح من التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والحضاري في المدن والشعوب الإسلامية.

زاهـدان

زاهَدان عاصمة بلوشستان الإيرانية. ذلك أن بلاد بلوشستان مقسمة بين إيران وباكستان وأفغانستان. عدد سكانها حوالي (٥٠٠) ألف نسمة من أهل السنة. يحدها من الشمال الشرقي زابول عاصمة سجستان، ومن الجنوب خاش ومن الشمال كرمان ومن الشرق باكستان.

وتقدر مساحة بلوشستان الإيرانية بـ (١٥٥) ألف كيلومتر مربع. وتختلف بالتأكيد مساحة بلوشستان الباكستانية عن بلوشستان الأفغانية، كما يختلف عدد السكان في كل قسم من هذه الأقسام الثلاثة.

وبشكل عام فإن مناخ بلوشستان أو (بلوجستان) قاس شديد الحرارة قارس البرد. وتسود الأقاليم في موسم البرودة عواصف ثلجية وبخاصة في الهضاب التي حول: كوتِه، قلات، مَكُران، وخاران. والمنطقة الصحراوية المتاخمة لسجستان معرضة لرياح الشمال الشديدة. أما الأمطار فقليلة في جميع الجهات. أما أنهار بلوشستان فهي صغيرة قليلة المياه لندرة سقوط الأمطار، منها: نهر كندر، زهوب، وهما فرعان من نهر كومل الذي يصب في السند. ومنها أنهار: ناري، بولان، ملّا، هبّ، برالي، هنكل، دشت

مَكُران، ونهري ريش وايمني في بلوشستان الإيرانية.

والجزء الأكبر من سلاسل جبال بلوشستان عبارة عن صخور جرداء لا غابات فيها، غير أن بلوشستان الباكستانية يوجد فيها بعض الغابات القليلة الصغيرة، التي فيها أشجار الصنوبر والسنديان والزيتون البري والبطم والعرعر والدوح والصمغ العربي. ويكثر النخيل في مَكُران وسواها.

والحقيقة فإن بلوشستان الإيرانية هو إسم لإقليم واقع في شرقي إيران. يحده من الشمال إقليم سجستان، ومن الجنوب البحر العُماني، ومن الشرق باكستان، ومن الغرب مناطق جيرفت وبندر عباس. وتتكوّن بلوشستان الإيرانية من زاهدان، وسروان، وإيران شهر، وخاش، وجاه بهار. ولا يزيد سكان بلوشستان الإيرانية على مليونين وأكثرهم من قبائل البلوش.

وقبائل البلوش قبائل عربية الأصل، اعتنقت الإسلام منذ الفتوحات الإسلامية الأولى. ويذكر بأن البلوش عرب قحطانيون من أحفاد تلك القبائل العربية التي سكنت مَكُران وما جاورها وتدفقت عليها بهجرات متتابعة إلى كرمان ومَكُران والبنجاب، وتتخذ من هذه الأرض قواعد للجهاد والفتح. فمنذ بدأ الفتح الإسلامي للمنطقة وإلى أن حدث الهجوم المغولي وجموع العرب يتلو بعضها بعضاً تجول في مَكُران وتقيم وتجاهد وتنتشر من هناك في البنجاب والملتان وغيرهما. وبعد تفرق العرب في خراسان وفي أرض فارس استمرت الهجرات العربية إلى مكران من فارس وخراسان، وعن طريق الجوادر عبوراً من الساحل العُماني أيضاً.

وكانت مَكُران قد فتحت منذ خلافة الخليفة عمر بن الخطاب، وكان ذلك بعد فتح همدان، ودماوند، وفارس وخراسان. وعندما تمت هذه الانتصارات لم يبق يومذاك إلا الزحف على كرمان وسيستان ومكُران، لنشر الدعوة الإسلامية وبناء قواعد الجهاد والفتوح للوثوب على السند ورفع الراية الإسلامية في الهند. وكان عام ٢٣ للهجرة هو عام الزحف على كرمان ومكران بقيادة الربيع بن زياد. ولما سقطت بقية المدن البلوشية، أصبحت قواعد إسلامية لنشر الإسلام وأسلمة المنطقة. وهذه الزحوف العربية الإسلامية التي استمرت في كل قرون الإسلام الأولى قد نشرت ألوف البطون ومئات القبائل العربية في مكران والسند. ويكفي الإشارة إلى القائد محمد بن القاسم الثقفي والقائد المهلّب بن أبي صفرة وجيوشهما الجرارة التي استوطن أكثرها في مكران والملتان. فلقد فتح ابن القاسم السند وقتل داهراً ملك السند وقتل دوهراً ملك الكرج. في بلوشستان أربع وأربعين قبيلة بلوشية اندمجت كلها في قبائل خمس وهي قبائل: الرند، اللاشاري، الكورائي، الهوت، الجتوئي. وقد سميت بأسمائها وتوزعت عليها. وقد حدث ذلك بعد وفاة الزعيم البلوشي جلال خان في العقد الأول من القرن الثامن الهجري. وهناك قبائل بلوشية أخرى نذكر منها على سبيل المثال: أولاد محمد، البليدي، بربلوج، البلوص، بلوط، البراهوئي، الجماليين، الديناري، الذكري، الأحمدزائي، البكلزائي، الكهيري، الكَلَمتي، المِرّي، النمري، النمرود(*)

هذا وتعتبر مدينة زاهدان مدينة إسلامية حديثة نسبية، وهي

(*) للمزيد من التفصيلات عن القبائل العربية البلوشية، انظر: معن العجلي الحكّامي: بلوجستان ديار العرب.

بلوشية بعناصرها إسلامية بدينها. ويحافظ سكانها على لهجاتهم المحلية وعلى اللغة العربية. كما يحافظ سكانها البلوش على الإسلام بشكل واضح وجيد. وهم على مذهب الحنفية. وعلماؤهم من خريجي «معهد الديوبند» الإسلامي القائم في الهند. وهو يماثل الأزهر الشريف في مصر. وكان هذا المعهد. الفضل في إثارة المسلمين ضد الإنجليز وقبل عشر سنين(*) احتفل في الهند بذكرى مرور مائة عام على ولادة هذه المعهد والمناهج التعليمية في هذا المعهد الديني، تتبع مناهج المعاهد الدينية في باكستان وبلوشستان.

ويحتفل المسلمون البلوش في زاهدان بعيدين إسلاميين فحسب، هما عيد الفطر السعيد وعيد الأضحى المبارك. وعادتهم في الأعياد لبسهم الألبسة البيضاء الجديدة. ويؤدون صلواتهم خارج المدينة في الفضاء حسب السنّة النبوية. ومن عاداتهم أن يكبّروا في ذهابهم وإيابهم.

أما عن الزواج في زاهدان. فإن البلوش يحتفلون ثلاث ليال. وفي الليلة الثالثة تنشد الأشعار الدينية، ويدعى أهل المنطقة حيث يقدم لهم العشاء وهم جالسون على الأرض. ومن عادتهم أن يكون عقد القران وقراءة الفاتحة في الليلة الثالثة وقبيل الدخول إلى المنزل الزوجي، وغالباً يكون الإحتفال يوم الجمعة. ومن عاداتهم أن يقدم المدعوون هدايا هي بمثابة مساعدات مالية للعريس، حيث يؤمن في هذه الليلة كلفة الزواج برمتها. وهذه المساعدات والهدايا تكون عادةً مبادلات بين أهل المنطقة. أما المهر فعادةً يكون أرضاً ونقداً.

(*) أي عام ١٩٨١ م.

وفي زاهدان حوالى (٣٠٠) مسجداً أهمها: مسجد مكي، المسجد المدني، مسجد النور. ولم يكن في زاهدان هذا العدد الضخم من المساجد، غير أن الفضل يعود إلى تكاتف المسلمين وفي مقدمتهم الشيخ مولوي عبد العزيز بن مولوي عبد الله الذي شجع على بناء المساجد. وكان مولوي عبد العزيز نائب أهل السنة في البرلمان الإيراني عند كتابة الدستور منذ سنوات.

وفي زاهدان معاهد ومدارس دينية لتعليم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والفقه والعقيدة الإسلامية. كما يوجد في زاهدان جامعة بلوشستان وهي المعروفة اليوم باسم جامعة سجستان وبلوشستان.

وفي زاهدان خاصة وبلوشستان عامة لا توجد طرق أو فرق صوفية لأن الناس هناك يتمسكون بمذهب أهل السنة. غير أن بلوشستان شهدت في فترة من فتراتها ولادة الفرقة الذكرية وهي فرقة تعتبر مرتدة لها عقائدها الخاصة، بل أنهم يحجون حجاً خاصاً إلى جبال بلوشستان. ولكن المسلمين في المنطقة استطاعوا إخراجها من بلوشستان الإيرانية في عهد رضاشاه بواسطة علماء المنطقة لا سيما مولوي عبد الله أحد كبار علماء بلوشستان الذي أفتى بالجهاد ضد هذه الفرقة وضد الإنجليز لتعاونهما معاً ضد المسلمين.

إن بلوشستان بشكل عام غنية بالذهب والفضة والحديد، وفيها نسج للألبسة والصوف وصناعة الجلود والأدوات النحاسية والمنزلية. ولكن المنطقة مؤهلة لأن تكون أكثر تطوراً وتقدماً. غير أن أكثر ما يميز البلوش حفاظهم الشديد على دينهم وعلى عقيدتهم الإسلامية واعتزازهم بجذورهم العربية.

دلهي

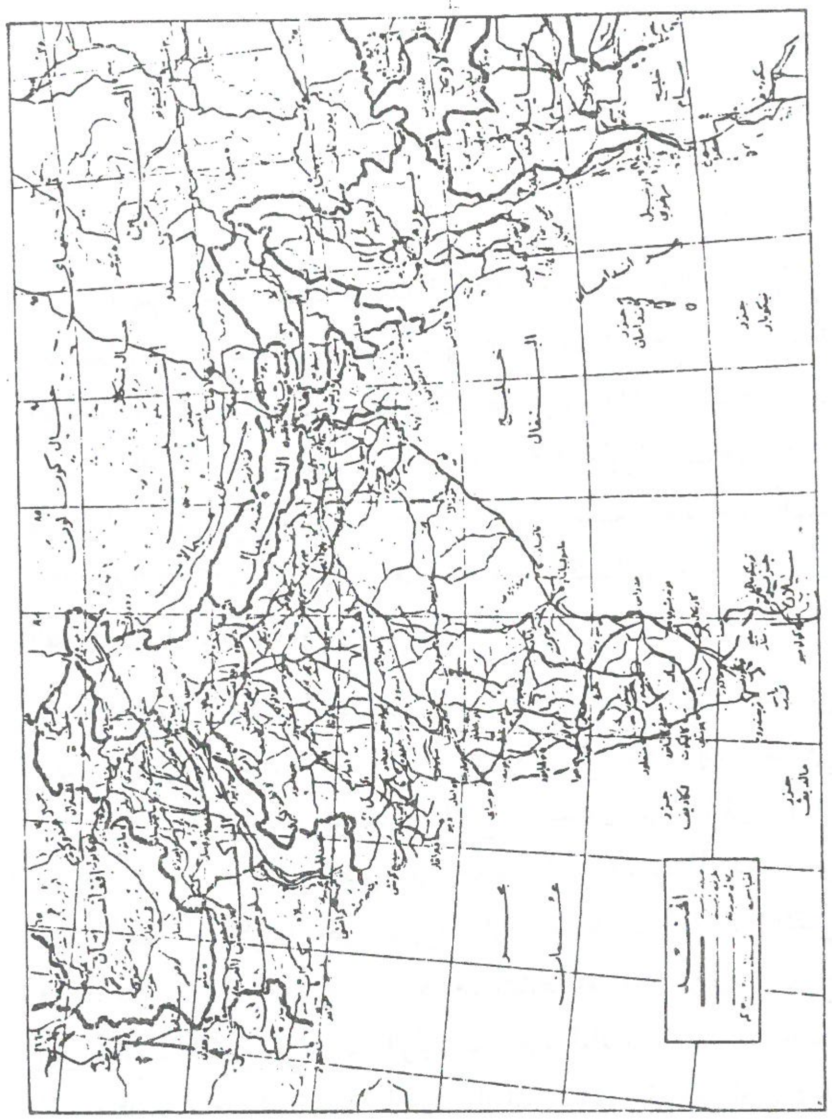

دلهي

دلهي عاصمة الهند السابقة في الفترة من عام ١٩١١ حتى بناء العاصمة الجديدة نيودلهي بالقرب منها عام ١٩٣٠. وهي اليوم قاعدة مقاطعة دلهي. عدد سكان دلهي أكثر من أربعة ملايين نسمة. بينما عدد سكان المسلمين في الهند يقارب ٧٥ مليون نسمة. وعدد سكانها الاجمالي حوالي ٥٥٠ مليون نسمة. مساحة الهند ٢٦٨,٨٣٩ كلم٢. يحدها من الغرب باكستان، ومن الشمال الصين ونيبال وبوتان، ومن الشرق بورما وبنغلادش.

والعلاقة بين المسلمين والهند علاقة قديمة تعود الى عهد الرسول محمد ﷺ. غير أن التفكير في فتح الهند بدأ في عهد الخلفاء الراشدين، فوصلت طلائع المسلمين الى مناطق «تانه» و«بروش» على الساحل الغربي في الهند. وظل القادة المسلمون في محاولاتهم العسكرية، حتى تولى القائد محمد بن القاسم الثقفي قيادة حملة في عام ٩٢هـ - ٧٧١م، أعدها له عمه الوالي الحجاج ابن يوسف الثقفي في زمن الوليد بن عبد الملك. فوصلت الحملة إلى ملتان، وبعد استقرارها أرسى القائد محمد قواعد أول دولة إسلامية عربية في الهند. وتوالت حملات المسلمين في العهد

العباسي حتى تم افتتاح السند وكشمير، بينما يعتبر الفاتح الحقيقي للهند هو القائد المجاهد محمود الغزنوي الذي أمضى ربع قرن من حكمه في حرب وجهاد حتى ضم شمال غرب الهند والبنجاب لامبراطوريته في وسط آسيا، وأصبحت دلهي عاصمة ثانية له. ثم خضعت البلاد لحكم المماليك، وتوالى الحكم الإسلامي عليها. وكان أن دخل المغول للهند ودمروا دلهي بقيادة تيمورلنك عام ١٣٩٨ م، فأعاد بناءها شاهجهان عام ١٦٣٩ وجعل منها عاصمة امبراطوريته. احتلها الإيرانيون عام ١٧٣٩، ثم الأفغان عام ١٧٥٦. ثم أصبحت الهند كلها جزءاً من الامبراطورية البريطانية عام ١٨٥٧.

ودلهي كانت تعرف عبر التاريخ باسم «دهلي» أي التربة اللينة كما أسماها الرحالة ابن بطوطة، والذي بدل اسمها هم الانجليز بعد سيطرتهم على البلاد. ودلهي مدينة قديمة امتزجت فيها على مر الزمن سبع مدن قديمة، بنيت أولها عام ٩١٨م.

والحقيقة فإن الهند التي حُكمت حكماً إسلامياً ما يقارب ثمانية قرون ونصف متواصلة، تأسست خلالها امبراطورية إسلامية ضخمة، ترك هذا الحكم بصماته الحضارية في مختلف المجالات، وتتبين هذه الملامح والمعالم الحضارية من خلال دراستنا لمعالم دلهي.

من بين معالم دلهي:

قبر همايون والمسجد الجامع أكبر مساجد الهند، ومن أعظم مساجد الدنيا وأجملها، فهو الذي أمر ببنائه شاهجهان عام ١٦٦٠ م. وهو قائم في الطرف الآخر من الساحة أمام القلعة

الحمراء فوق قاعدة عالية تصعد إليه على درجات عريضة يبلغ عددها الأربعين، وله سور عال وثلاث بوابات كبيرة. ويتوسط الصحن حوض كبير مملوء بالمياه للوضوء. ويوجد بناءان صغيران في الصحن أحدهما مصلى خاص لنساء القصر، وأما الآخر فهو غرفة صغيرة بيضاء معبقة برائحة البخور تضم خزائن يعتقد بأن فيها شعرة من لحية النبي محمد ﷺ . كما تضم صفحات من القرآن الكريم بالخط الكوفي بيد الإمام علي (كرم الله وجهه). كما توجد صفحات أخرى بخط ابنه الحسين بن علي.

والواقع فإن قباب هذا المسجد ومآذنه وأواوينه وأعمدته وجدرانه المكسوة بالمرمر تمثل آية في الإبداع والجمال في فن العمارة الإسلامية المتأثرة بالبيئة الهندية.

هذا وأمام المسجد الجامع ساحة كبيرة تعرف باسم ساحة ندوة العلماء، وفيها حديقة شاسعة مليئة بأحواض الماء والنافورات. من معالم هذه الحديقة ضريح الزعيم الهندي المسلم «مولانا أبو الكلام ازاد» وقد اختار زعيم الهند «نهرو» هذا المكان مدفناً لصديقه ورفيق كفاحه من أجل الحرية والاستقلال، لأن الزعيم المسلم كان يخطب في هذا المكان.

والحقيقة فقد كان لهذا المسجد الجامع دور ريادي ديني وسياسي في مواجهة البريطانيين على غرار ما قام به الأزهر الشريف في مصر.

ومن مساجد دلهي المميزة «مسجد قوة الإسلام» حيث تظهر فيه براعة العمارة الإسلامية، وفيه بوابة رائعة تعرف باسم «بوابة علاء» وهي إحدى البوابات التي بنيت لمسجد «قوة الإسلام».

وبالقرب من هذا المسجد ضريح شمس الدين التمش، وقد نقشت على جدرانه بحروف بارزة بالخطين الثلث والكوفي آيات كريمة. ويبدو من خلال هذه النقوش الارتباط والتناسق والتكامل بين الخط العربي والزخرفة الإسلامية التي ظهرت على هذا الضريح الذي يعتبر من أقدم الآثار الإسلامية في الهند.

ومما يلفت النظر في دلهي قبتان شامختان، أولاهما قبة القصر الجمهوري حيث يقيم رئيس جمهورية الهند، والقبة الثانية قبة ناصعة البياض هي قبة المسجد الجامع. بينما الساحة الخضراء الشاسعة تتوسط الجامع والقلعة الحمراء في دلهي القديمة. والقلعة الحمراء قلعة شامخة ببوابتيها العاليتين وقببها السبع الصغيرة بناها شاه جهان ابتداء من عام ١٦٣٩لغاية عام ١٦٤٨. واتخذها مقراً لسكنه وحكمه وحاشيته وجنوده، وبها الديوان العام والديوان الخاص والقصر الخاص.

والواقع فإن شاه جهان خامس الأباطرة المغول[*]، لم يكن امبراطوراً فحسب، وإنما كان فناناً ومهندساً. وتمثل القلعة الحمراء بعض اتجاهاته الفنية والهندسية، بل تمثل آية في الإبداع وفن الهندسة المعمارية عند المسلمين. وللقلعة بوابتان رئيسيتان بالطراز والتصميم ذاته. وكانت بوابة دلهي مواجهة للمدينة، ينتصب عند مدخلها تماثيل الفيلة. أما بوابة لاهور فعلى جانبيها برجان مثمنان يعلو كل منهما جوسق صغير بينهما سبع قباب من المرمر الأبيض. وكانت بوابة لاهور هي البوابة التي يتوجه منها الامبراطور لأداء

(*) شاه جهان (١٥٩٣ - ١٦٦٦) حكم بين (١٦٢٧ - ١٦٥٨ م) خلع عن الحكم بواسطة ابنه أورنك (أورنج) زيب.

الصلاة في المسجد الجامع القريب من القلعة. ويمتد إلى الغرب من هذه البوابة الطريق الرئيسي المشهور باسم «سوق ضوء القمر» (Chandi Chauk) ويلي البوابة من الداخل سوق مسقوف تباع فيه اليوم الهدايا والتحف الهندية التذكارية.

وكان يوجد في الديوان الخاص في القلعة الحمراء عرش الطاووس الذي سلبه نادرشاه ونقله معه إلى فارس، وقد استمر فيها وحفظ في السنوات الأخيرة في خزانة البنك المركزي بطهران لقيمته التي تقدر بملايين الدولارات. ومن معالم القلعة الحمراء حدائقها الغناء الرائعة التي ضمت ما يقارب ثلاثمائة نافورة وعدد من الشلالات والقنوات والبحيرات الاصطناعية، مع مجموعة ضخمة من الورود والأزهار متنوعة الأجناس. وبكلمة مختصرة فإن القلعة الحمراء بما تحويه من عمارة وهندسة وفن وزخارف هي آية معمارية من آيات العمارة الإسلامية.

ومن معالم دلهي الأخرى الواقعة بالقرب من القلعة الحمراء «مسجد اللؤلؤة» الذي بناه خليفة شاه جهان الامبراطور المتدين «أور نجزيب». وهو مسجد صغير، لكنه تحفة فنية من المرمر الأبيض اللامع، وله ثلاث قباب بصلية الشكل مرمرية، وكسيت أعمدته بالمرمر المزخرف بالزهور والمطعم بالذهب والأحجار الكريمة.

ومن المعالم الهندسية الملفتة للنظر في دلهي منارة قطب، وهي ذات طراز فريد وصفها الرحالة ابن بطوطة بأنها إحدى عجائب الدنيا التي ليس لها نظير في بلاد المسلمين. وقد بدىء البناء فيها في عهد قطب الدين لتخليد انتصاره وفتح مدينة دلهي. واكتمل بناؤها في عهد خلفائه، وهي تعتبر أعلى برج في دلهي حيث يبلغ ارتفاعها (٧٢,٥٥) متراً. وقد زينت جدرانها الخارجية بخطوط

عربية وآيات قرآنية والشهادتين بحروف نافرة من نوع الحجر نفسه للمنارة.

والتكامل المعماري الإسلامي الرائع في دلهي لا يتكامل إلا مع رؤية الفن المعماري الإسلامي في مدينة «اجرا» حيث بنى شاه جهان تاج محل إحدى عجائب الدنيا السبع، وهو يعتبر أجمل وأروع ما شيد الإنسان من عمارة على وجه الأرض. حيث ضم قبر شاه جهان وزوجته ممتاز محل، وحيث تظهر براعة الفنان والمهندس المسلم بشكل مثير للانتباه. كما يتم التكامل مع دلهي من خلال رؤية الآثار الإسلامية في مدينة «لكنو» وفي مدينة «فتح بور سيكري» وفي مدينة «اكبر» وفي مدينة «أحمد أباد» وفي سواها من المدن والمناطق الإسلامية في الهند حيث تجسد الحضارة الإسلامية في أرقى أدوارها ومراحلها.

وبالرغم من أن المسلمين في دلهي والمدن الهندية الأخرى يستخدمون اللغة الأردية، غير أنهم يحرصون على تعلم اللغة العربية والتحدث بها، فدار العلوم التي تأسست عام ١٨٩٨ في مدينة «لكنو» تحولت إلى جامعة إسلامية لدراسة اللغة العربية وآدابها. كما يوجد في دلهي الجامعة الملية التي تهتم أيضاً بالحضارة الإسلامية. علماً إن «ندوة العلماء» التي تأسست عام ١٨٩٢ بواسطة الشيخ محمد علي المونكيري في «لكنو» إنما تركز اهتمامها بشكل أساسي على العلم والعلماء ونشر الإسلام والتراث الإسلامي وكل ما يمت بصلة إلى الإسلام والمسلمين. وأنشأت الندوة مكتبة منذ خمسين سنة تضم أكثر من مئة ألف كتاب وعدد

كبير من المخطوطات الإسلامية النادرة. وفي دلهي والمناطق الإسلامية الأخرى صحف ومجلات إسلامية وعربية تعنى شؤون الإسلام والمسلمين، مع الإشارة إلى أن الهند أنجبت عبر التاريخ مجموعة كبرى من العلماء المسلمين في مختلف المجالات. ولقد أشار أحد قادة حركة التحرير ورئيس حزب المؤتمر الوطني الهندي سابقاً «راماايا» عن أثر الإسلام والمسلمين في الهند بقوله: «إن المسلمين أثروا ثقافتنا وقووا إدارتنا، وقربوا أجزاء البلاد البعيدة بعضها إلى بعض. لقد كان تأثيرهم عميقاً في آداب البلاد وحياتها الاجتماعية».

كشمير

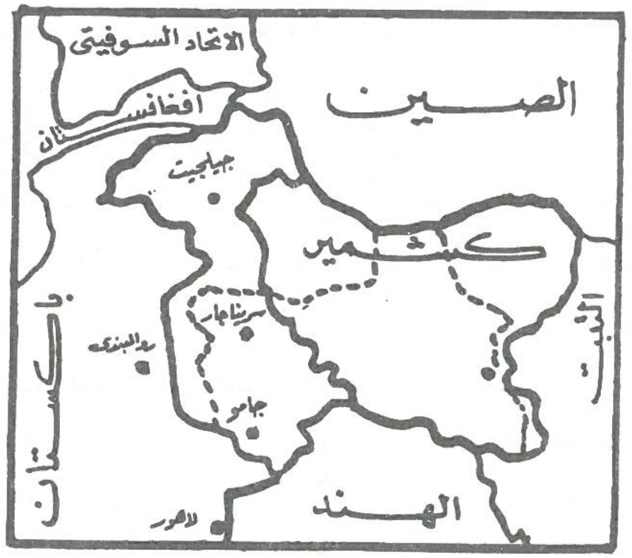

كشمير

كشمير: إمارة ومنطقة إسلامية تقع في الشمال الشرقي من باكستان التي تحيط بها من جزء في شمالها الغربي ومن غربها وفي جزء من جنوبها الغربي. وتحدها الصين في جزء كبير من شمالها ومن شرقها ومن جنوبها الشرقي، وتحدها جنوباً هندوستان. تبلغ مساحة كشمير نحو ٨٤,٤٧١ ميلاً مربعاً، ويزيد عدد سكانها على أربعة ملايين ونصف مليون نسمة، أكثر من ٨٠٪ منهم مسلمون.

تقع كشمير بين خطي ٣٢ و٣٨ من خطوط العرض وبين خطي ٧٢ و٨٠ من خطوط الطول، وهي بلاد جبلية فيها سهلان او واديان هما وادي جمو ووادي كشمير، وهي طيبة المناخ، كثيرة الانهار والغابات وأنهارها الكبيرة هي: السند وجَيْلم وچناب، وهي الأنهار التي تنحدر إلى باكستان وترويها. وبلاد كشمير من أجمل بلاد العالم من حيث مناظرها الطبيعية، بل كانت تسمى «عروس البلاد».

وكانت إمارة كشمير تنقسم زمن السيطرة البريطانية إلى ثلاث مناطق إدارية هي: جمو وكشمير ومنطقة الحدود. أما فيما بعد فقد

أصبحت تقسم إلى قسمين هما كشمير الحرة وهو القسم الذي أعلن فيه أهل البلاد استقلالهم وانفصالهم عن الإمارة وهو يلي باكستان، والقسم الآخر هو الذي استولت عليه هندوستان واستعمرته.

الإسلام في شبه القارة الهندية عموماً متجذر منذ فجر الإسلام، فقد سبق للمسلمين أن فتحوا القسم الأكبر من فارس زمن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ووقفوا عند حدود مكران، أي جنوب غرب باكستان حالياً. وفي زمن معاوية بن أبي سفيان تقدموا حتى استولوا على الجزء الغربي من بلوشستان وعلى إمارة قلات التي كانت تابعة للسند، وضموها إلى مكران، ثم تقدموا شمالاً حتى استولوا على قندهار وكابل في أفغانستان اليوم. ثم هيأت السبل للمسلمين لا سيما في العهد الأموي من السيطرة على بلاد الهند، وقد عهد الحجاج والي العراق بمهمة الفتح إلى محمد بن القاسم الثقفي الذي استولى على بلاد السند، وسار متقدماً حتى بلغ كشمير، ومنذ ذاك التاريخ بدأت كشمير تتحول تدريجياً إلى الإسلام.

بعد سيطرة الإنجليز على الهند، ثم تقسيمها عام ١٩٤٧ إلى دولتين هما: الهند وباكستان، بقيت كشمير منطقة مستقلة ولكن تحت السيطرة الهندية، الأمر الذي أثار المسلمين الذين طالبوا بالاستقلال التام أو الإنضمام إلى باكستان. ومن زعماء كشمير المسلمين البارزين الشيخ محمد عبد الله خير الملقب «أسد كشمير» الذي أسس «حزب مؤتمر جمو وكشمير الإسلامي» وذلك للنضال من أجل حرية واستقلال كشمير.

عاشت كشمير عبر تاريخها بلاداً إسلامية يحكمها أمراء

مسلمون تارةً حكماً مستقلاً وتارةً مرتبطة بأباطرة المغول المسلمين.
فمن أمرائها الأمير زين العابدين الذي حكم البلاد اثنتين وخمسين سنة كانت بأجماع المؤرخين العصر الذهبي لكشمير، فقد عرف هذا الأمير بالصلاح والتقوى والورع والعدل الذي أقامه بين جميع رعاياه من مسلمين وغير مسلمين، وهو الذي أحيا الصناعة في البلاد لا سيما صناعة الحرير، ولا تزال تتمتع كشمير بالنسيج والقماش الذي يحمل إسمها القماش الكشميري. وأبدى المغول عناية فائقة بكشمير، فبنوا فيها المباني الفاخرة وأنشأوا الحدائق والمرافق العامة فزادوا في جمالها جمالاً وفي حياتها روعة.

وبالرغم من أن لكشمير عاصمة هي «سرينكر» غير أنها لم تنل شهرة كافية، فكشمير أصبحت المدينة والإمارة. ومن ملامحها الدينية مساجدها المميزة ومنها مسجد «حضرت بال» الذي قيل إنه كان يضم شعرة شريفة من شعرات النبي محمد ﷺ كانت محفوظة في أسطوانة فضية موضوعة في صندوق خشبي صغير في مقصورة داخل المحراب. وقد وصلت هذه الشعرة إلى المنطقة بواسطة رجل إسمه السيد عبد الله أحد القيمين على قبر النبي ﷺ في المدينة المنورة. فبعد وصوله إلى الهند عام ١٦٣٤ علم حاكم بيجابور بهذه الشعرة الكريمة فأقطعه الحاكم أرضاً ليعيش فيها مكرماً، فلما توفي انتقلت الشعرة إلى ابنه حميد، ثم بالتواتر وبالانتقال نقلت أخيراً إلى كشمير، وأقام لها الأمبراطور «أورنج زيب» مسجداً عرف باسم مسجد «حضرت بال» ومنذ ذاك التاريخ والمسجد المذكور محجة للناس.

وكشمير على وجه الإجمال منطقة تتسم بالتدين الإسلامي، كما أن أهلها يعملون في الزراعة والصناعة وتربية المواشي، وتكثر فيها مناجم الفحم والحديد والرصاص مما جعلها مركز تجمع صناعي وهي شهيرة عموماً بجودة أقمشتها.

كشمير تلك المقاطعة الآسيوية تحمل بين ثناياها الحضارة الإسلامية والعربية ممزوجة بالتراث الباكستاني والبنجابي والأفغاني. إمارة تاريخية لا تزل في عمق وجذور التاريخ.

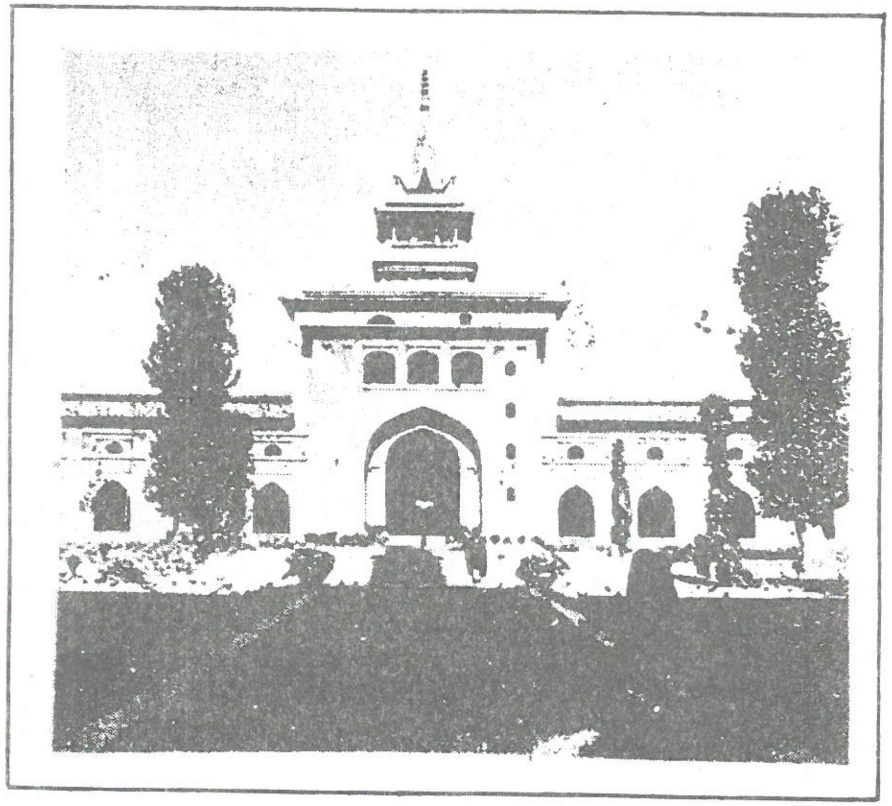

مسجد في كشمير

داكا

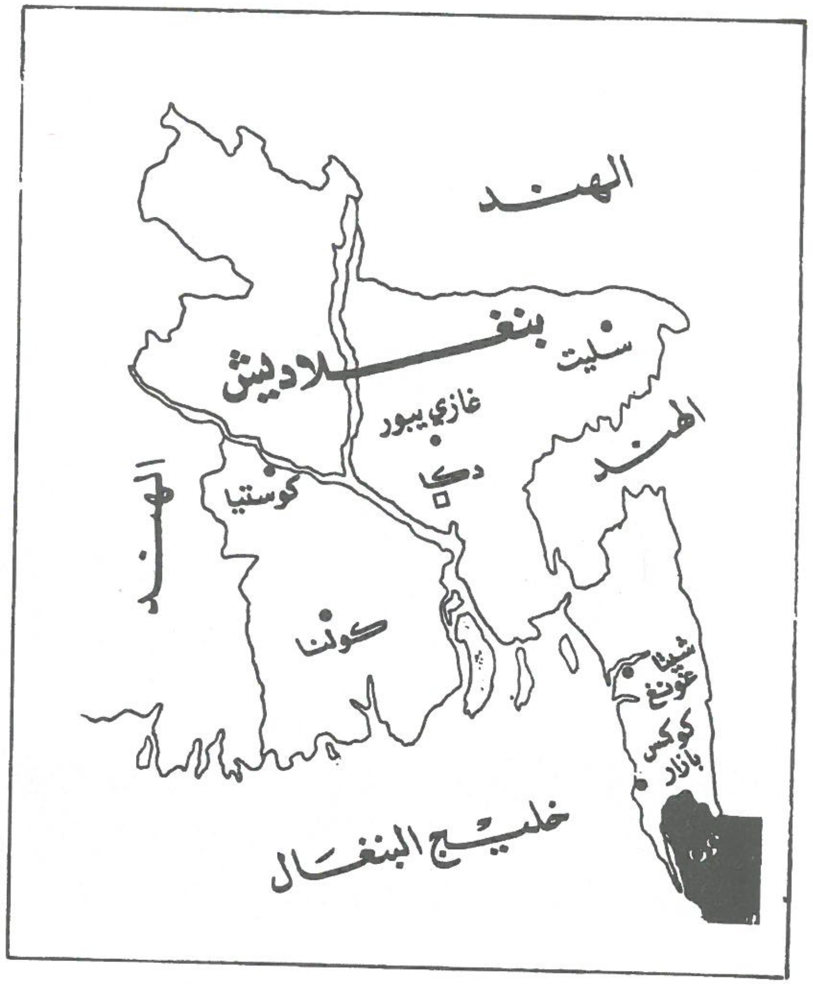

داكا

داكا عاصمة بنغلادش أو دولة البنغال الحر. وكانت بنغلادش أو باكستان الشرقية جزءاً من دولة باكستان. إنفصلت عنها عام ١٩٧١ برئاسة الشيخ مجيب الرحمن زعيم «رابطة عوامي». مساحة بنغلادش (١٥٠) كلم٢، عدد سكانها حوالي (٨٢) مليون نسمة. علماً أن باكستان كلها كانت جزءاً من الهند إلى أن انفصلت عنها عام ١٩٤٧.

أما تاريخ دخول الإسلام إلى المنطقة، فهو التاريخ نفسه لدخول المسلمين إلى الهند وبلاد ما وراء النهر. وذلك عندما باشرت الدولة الأموية في آواخر القرن الثاني الهجري ـ أوائل القرن التاسع الميلادي بفتوحاتها في تلك المناطق، وفي عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك، خلال فترة حكم والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي. غير أن الفتوحات الإسلامية الحقيقية لشبه القارة الهندية إنما ابتدأت في عهد الدولة الغزنوية. وكان أول ملك لشبه القارة الهندية هو قطب الدين أيبك عام ١٢٠٦ ميلادية. وظل الحكم الإسلامي قائماً في الهند إلى أن سيطرت بريطانيا على البلاد في القرن الثامن عشر.

وفي داكا العاصمة وفي بنغلادش عامةً أكثرية ساحقة من المسلمين، ولكن بالرغم من ذلك، فإن فيها أيضاً بعض القبائل

المسيحية والبوذية والوثنية. وهي موزعة على (١٣) قبيلة تمتد بجذورها إلى التبت وبورما، وتتزعمها قبائل شاكما ومارما البوذية، ولوشاي المسيحية. وعدد أفراد هذه القبائل مليونا نسمة. كما يوجد في البلاد عشرة ملايين هندوكي ولاؤهم مرتبط بالهند. ولهذه المجموعات البشرية لغاتها وتقاليدها الخاصة.

أما اللغة الأكثر انتشاراً في داكا وبنغلادش عامة فهي اللغة البنغالية، كما تستخدم اللغة الإنجليزية. أما اللغة العربية فمقتصرة على الموضوعات الدينية على غرار ما هو حاصل في باكستان.

تتميز داكا العاصمة بالعديد من المعالم والملامح التي تميزها عن سواها من المدن والعواصم. فمن ملامح العاصمة ميدان داكا الشهير الذي تتوسطه مجسم لزهرة الشابلا الأرجوانية اللون. وقد اتخذت شعاراً نظراً لكثرتها وانتشارها في مختلف المناطق. ويتفرع من هذا الميدان المباني الحديثة المرتفعة بعكس المباني الوضيعة البعيدة قليلاً عن ميدان العاصمة.

والبنغاليون من الشعوب المتمسكة بالدين الإسلامي وتقاليده. ففي داكا وحدها حوالى ألف مسجد أهمها المسجد الكبير الذي يسميه أهل داكا باسم مسجد «بيت المكرم» الذي سبق أن شيد في عهد الرئيس الباكستاني أيوب خان. وفيه مقر المؤسسة الإسلامية.

ومن معالم وملامح داكا تلك الأنهار المتعددة، بل يتراءى للناظر بأن هذه المدينة تتحوّل إلى منطقة سابحة فوق بحيرة من الماء نصف العام على الأقل. ويزيد في جمال هذه المياه أن زهرة الشابلا المميزة تسبح فوق كل مجرى ماء في طول البلاد وعرضها.

تعتمد داكا بشكل أساسي في مواصلاتها على وسيلة «الريكشا» وهي وسيلة نقل منتشرة بكثرة، عبارة عن عجلة يقودها رجل وبواسطتها يجر عربة مظللة، ينقل بواسطتها السكان والسياح من منطقة إلى أخرى. ففي داكا وحدها أكثر من ثلاثين ألف «ريكشا» تنطلق كأسراب الجراد طوال النهار. وهم بذلك لا يستخدمون الدواب لغلاء أسعارها وقلتها، ولكلفتها نظراً لما تتطلبه من عناية وغذاء غير متوفر.

أما وسيلة الانتقال في الأنهار، فهي القوارب الشراعية ذات المجاذيف العديدة، التي يقودها عادةً ثمانية أو عشرة أشخاص. وفي هذه القوارب ينقل البنغلادشيون كل شيء من الخضراوات والفواكه والحيوانات والإنسان، ومنتجات الجوت والأخشاب والبامبو. ويكفي القول أن عدد الذين ينتقلون عبر الأنهار سنوياً أكثر من عشرين مليون نسمة، وأن عدد القوارب أكثر من مليون، وأن عدد الموانىء حوالى (١٥٠٠) ميناء. وبذلك يتبين بأن القوارب هي الوسيلة الرئيسية للإنتقال بين المدن والقرى، على غرار الريكشا كوسيلة أساسية في البر.

أما مطار داكا فبالرغم أنه من ملامح المدينة، غير أنه من المطارات غير الدولية، ويسيطر عليه التواضع، بدليل أن الأجراس لا تزال تستخدم كوسيلة لتنبيه المسافرين أو المستقبلين إيذاناً بوصول أو إقلاع الطائرات.

ومن سمات داكا وعاداتها وتقاليدها انتشار قارىء المنديل أو قارىء الكف على قارعة الطريق. كما يكون أمامه مجموعة من المظاريف المغلقة في كل مظروف قراءة مختلفة للحظ. فتختار

النسوة عادةً أحد المظاريف، وكل امرأة حسب حظها ونصيبها، وأصبح هذا المنظر من الأمور المألوفة في شوارع داكا، لأن هذا التقليد بات جزءاً من حياة وتراث البنغاليين.

وفي داكا جامعة عريقة وأكاديمية للثقافة ومعاهد ومدارس عديدة، ويتم التدريس فيها باللغة البنغالية. وقد قامت الأكاديمية بجمع أكثر من مائة ألف قصة من التراث الأدبي والشعري البنغالي. وفي داكا متحف وطني يضم في قاعاته مختلف مراحل التاريخ البنغالي من البوذيـة إلى الهندوسية إلى الإسلام، بما فيه تاريخ العثمانيين والأفغان والمغول والبريطانيين، ونماذج من تاريخ البنغال في ظل دولة باكستان الموحدة.

وبالرغم من الوضع الاقتصادي السيء لبنغلادش فإن المسؤولين في داكا يدعون كل أجنبي إلى جولة مجانية حول معالم بنغلادش السياحية. وتنظم الدولة هذه الرحلات التي يشترك فيها سنوياً أكثر من ستين ألف سائح، ينطلقون بهم إلى شورناجان عاصمة البنغال القديمة التي تبلغ من العمر أكثر من أربعمائة عام، ومبانيها وملامحها ومعالمها باقية كما هي. ثم ينتقلون بالسياح إلى مناطق الغابات الكثيفة في الجنوب، حيث تسكن القبائل البدائية والبوذية والوثنية. كما ينتقلون إلى مناطق أثرية وتاريخية متعددة داخل داكا وخارجها.

وفي داكا تقاليد واضحة في الفنون والموسيقى والغناء، فالرقص الشعبي يحتل المرتبة الأولى، يليه الغناء الذي يبرز فيه الأثر والتوجه الإسلامي، ويعتمد على الإنشاد الجماعي الأقرب إلى الموشحات الأندلسية، كما يعتمد شاعر بنغلادش الشهير «نظر

الإسلام» الذي نظم ما يقارب ثلاثين ألف قصيدة وأغنية، تتردد على كل لسان، وهي قصائد في الإسلاميات والحب الصوفي وفي السياسة.

ومن معالم داكا لا سيما مناطقها البعيدة عن وسط البلد وجود منازل للفقراء وللفلاحين مصنوعة من أخشاب «البامبو» تقام فوق أعمدة مغروسة في الأوحال. وتتوسط القرية عادةً بحيرة يحفرونها بأيديهم للإستحمام وغسل الثياب. الأوضاع الاقتصادية في بنغلادش، غير مستقرة بسبب زيادة عدد السكان غير الطبيعية. فالجوت هو من أهم المنتجات في البلاد. ونظراً لأهميته فقد أقيمت له وزارة خاصة باسمه. ويصدَّر منه سنوياً بما قيمته مليار ونصف مليار دولار، وذلك إلى (١٠٤) من دول العالم. ومصنع «آدام جي» للجوت هو أكبر مصنع من نوعه في العالم. وحوالى ثلث السكان ترتبط حياتهم بزراعة هذا المحصول. وأهل بنغلادش يصنعون من الجوت الكثير من الصناعات الكيمائية تمكنوا من أن يصنعوا منه الأدوات الصحية وهياكل السيارات.

ومن المنتجات الهامة في البلاد الأرز، بمتوسط ١١ مليون طن سنوياً للإستهلاك المحلي. ومن الزراعات الأخرى القمح وهو ينتج بكميات محدودة حوالى (٢٥٠) ألف طن سنوياً. كما يزرع الشاي بنسبة (٨٠) ألف طن ويصدر إلى الخارج. أما السكر فيبلغ إنتاجه السنوي (٦) ملايين طن سنويا. ومن الأمور المرتبطة بإنتاج الأرز انتشار باعة الأرز المطبوخ في قدور من الفخار، ويقدمون الوجبة في إناء هو عبارة عن ورقة شجر سميكة لعدم توفر الصحون.

ومن الزراعات المعـروفة في البـلاد نبات «البـاتل» الـذي يتلذذ

الناس بمضغها، وهو إنتاج يستخدم للاستهلاك المحلي.

وفي شمال البلاد ستة حقول للغاز الطبيعي، والتقديرات عن احتياطي الغاز حوالى (٢٠) بليون قدم مكعب. ومن المحتمل وجود حقول للنفط يمكن أن يكشف عنها في المستقبل. وإلى جانب ذلك فهناك الثروة السمكية المقدرة بحوالى مليون طن سنوياً. بالإضافة إلى كميات وفيرة من الفاكهة والخضار.

ومن الصناعات القائمة في داكا صناعة الأدوية والإطارات وقطع الغيار. بالإضافة إلى وجود مصنع للهاتف ينتج أكثر من أربعين ألف جهاز سنوياً. ويمكن بعد تطويره زيادة الإنتاج ليصبح قادراً على التصدير إلى الخارج، وهناك بعض الصناعات الخشبية والنحاسية المرتبطة بالسياح وبالتصدير إلى دول الخليج.

ولا تزال داكا عاصمة بنغلادش خاصة وبقية المناطق البنغالية عامة تعاني من مشاكل اجتماعية واقتصادية وثقافية وسياسية. ومشكلة زيادة عدد السكان في مقدمة المشكلات المطروحة، لأن التقديرات تشير إلى أن العام (٢٠٠٠) قد يكون عدد سكان بنغلادش (٢٠٠) مليون نسمة. ومعنى ذلك أن زيادة الإنتاج تُهدر أمام زيادة العدد الهائل من السكان. ومن المشاكل الأخرى التي تعاني منها مناطق بنغلادش حدوث الفيضانات والأعاصير بين فترة وأخرى قد تكون دورية كل خمس سنوات، وكأنها باتت معلماً من معالم البلاد.

إن مقاطعات بنغلادش الـ (١٩) لا تضم في أرجائها أكثر من (١٣١) مستشفى. وهذا العدد رغم تزايده غير أنه لم يفِ حتى الآن باحتياجات السكان الصحية والاستشفائية.

من جهة ثانية فإن الناظر في شوارع داكا يلاحظ انتشار اليافطات التي كتبت عليها الآيات القرآنية الكريمة باللغتين العربية والبنغالية. كما يلاحظ تمسك البنغاليين بالصيام في شهر رمضان المبارك، وبالاحتفال بالأعياد والمناسبات الإسلامية.

كلمة أخيرة، حول داكا عاصمة بنغلادش، فهي بلد التناقضات والأعاجيب، ففيها ملامح القرون السحيقة والقرون الحديثة، فيها الأغنياء والفقراء، وفيها العلماء والجهلاء، وفيها مختلف الديانات والعقائد، ومختلف العادات والتقاليد.

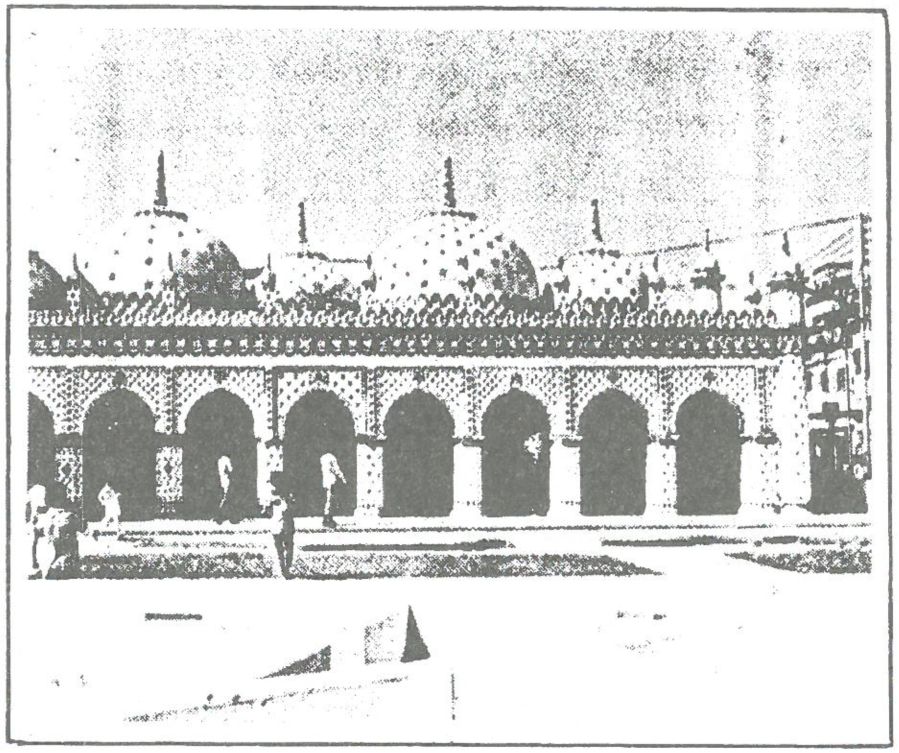

مسجد في بنغلادش

لاهور

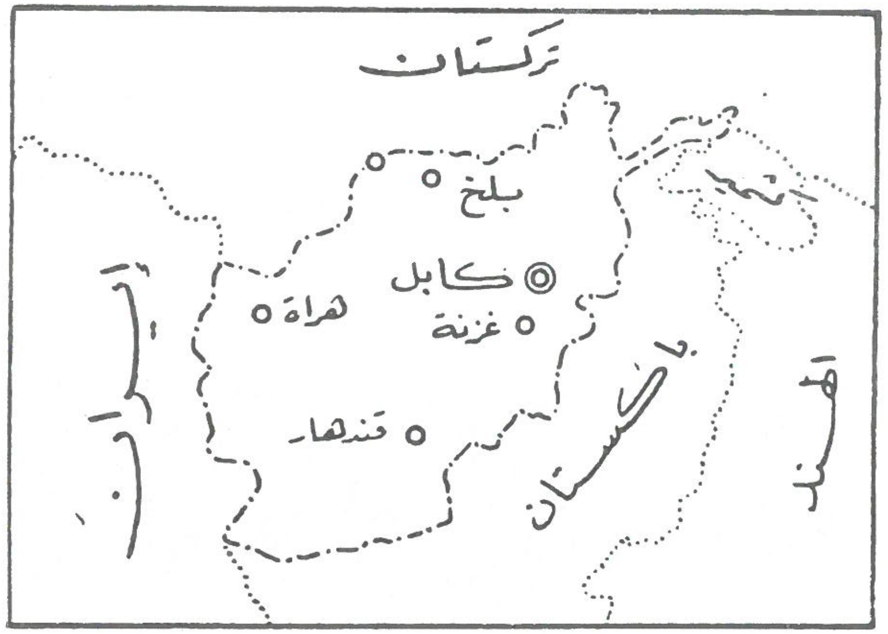

لاهور

لاهور إحدى أهم المدن الباكستانية. وإذا كانت روالبندي هي العاصمة السياسية لباكستان، وكراتشي هي العاصمة الاقتصادية، فإن لاهور هي العاصمة الثقافية والعاصمة التاريخية للمنطقة. ولاهور مدينة في دولة في جنوب آسيا، وتعتبر أكبر دولة إسلامية في العالم حيث يبلغ عدد سكانها أكثر من ١٣٠ مليون نسمة، ومساحتها (٩٤٥) ألف كيلومتر مربع. وانقسمت باكستان إلى دولتين هما: باكستان (الغربية) وباكستان (الشرقية) التي عرفت باسم بنغلادش. وكانت باكستان كلها جزءاً من الهند إلى أن نالت استقلالها في ١٥ آب (أغسطس) ١٩٤٧ بقيادة محمد علي جناح.

عدد سكان لاهور أربعة ملايين نسمة. وموقعها على مساحة شاسعة من الأرض الزراعية. يشقها في جانب نهر «رافي» أحد أنهار البنجاب الخمسة، الذي يسميه البعض نهر «الراوي». وعلى الجانب الآخر من لاهور مجرى مائي صغير هو «القنال». وبين النهر والمجرى تنقسم لاهور المغولية التاريخية ولاهور الحديثة، لاهور الجامعات والمستشفيات والمصالح الحكومية.

وتاريخ لاهور تاريخ قديم يسبر عمق التاريخ. وقد أشار الرحالة ابن بطوطة في كتابه الموسوم «تحفة النظار في غرائب الأمصار» إلى لاهور في أوائل القرن الرابع عشر الميلادي عندما كان يتحدث عن فتح الهند ومدينة دلهي فقال: «حدثني الفقيه الإمام العلامة قاضي القضاة بالهند كمال الدين محمد بن البرهان الغزنوي... ان مدينة دهلي افتتحت من أيدي الكفار في سنة أربع وثمانين وخمسمائة. وقد قرأت أنا ذلك مكتوباً على محراب الجامع الأعظم بها. وأخبرني أيضاً أنها افتتحت على يد الأمير قطب الدين ايبك... وهو أحد مماليك السلطان المعظم شهاب الدين محمد بن سام الغوري، ملك غزنة وخراسان... وكان السلطان شهاب الدين المذكور بعث الأمير قطب الدين بعسكر عظيم، ففتح الله عليه مدينة لاهور وسكنها وعظم شأنه...».

وتشير بعض الآراء الهندية إلى أن اسم مدينة لاهور مشتق من «راجالوه» إبن راجالام. وإن راجالوه هو الذي أسسها، وأطلق عليها اسمه فأصبحت لاهور. وإن كان هناك رأي آخر يرى أن «راجالوه» كان حاكماً لكشمير وليس للبنجاب. وذكرت كتب التاريخ إلى أن أول من أشار إلى مدينة لاهور هو الرحالة الصيني «هسين تسانج» في القرن السابع قبل الميلاد، وأن الهندوس كانوا حكامها حتى جاء الفتح الإسلامي في القرن الثامن الميلادي. وخلال هذه العهود تتابعت على لاهور وسورها عمليات هدم وبناء عديدة. وكان التغيير يطرأ على اسم المدينة أيضاً، من تاهورا إلى لوهور إلى لوهكوت. ويبدو أن أبا الريحان البيروني هو أول مسلم يذكر إسم «لهاور» في القرن الحادي عشر الميلادي في كتابه «كتاب الهند». كما أن

ياقوت الحموي أشار إلى أن إسمها «لهاور» ووصفها بأنها «مدينة عظيمة مشهورة في بلاد الهند».

وكان الإسلام قد وصل إلى لاهور وبلاد الهند، عندما ابتدأ الأمويون فتوحاتهم في أواخر القرن الثاني الهجري ـ أوائل القرن التاسع الميلادي في هذه المناطق حتى حدود الصين. وكان الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق قد باشر الفتوحات الإسلامية في بلاد ما وراء النهر، على عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك. وأوفد الحجاج ابن أخيه محمد بن القاسم ليحاول فتح الهند، ووصل فعلاً إلى السند، وأقام ولاية صغيرة عرفت باسم ملتان، وهي اليوم في باكستان، وقد أشار إليها ووصفها إبن بطوطة في رحلته في أكثر من موضع. غير أن الفتح الإسلامي الحقيقي لشبه القارة الهندية بدأ بعهد الغزنويين، عندما دخل لاهور السلطان محمود الغزنوي في القرن الرابع الهجري ـ العاشر الميلادي، قادماً من غزنة في بلاد الأفغان. حتى أن بعض المؤرخين من يرى أن محمود الغزنوي هو المؤسس الحقيقي للاهور، وأنها في عهده كانت تحمل إسم «محمود بور». ذلك أنها في عهده ارتسمت ملامحها الإسلامية وطابعها المميز.

وكانت لاهور في عهد الغزنويين هي القاعدة الإسلامية التي انطلق الإسلام منها إلى شبه القارة الهندية. فقد تحالف راجاوات الهندوس لإسقاط لاهور بعد عشرين عاماً من دخول السلطان محمود الغزنوي إليها. وصمدت لاهور ببسالة وقاوم المسلمون الهندوس وحصارهم الذي استمر سبعة أشهر، وانتهى الأمر بانتصار المسلمين. ثم بعد ذلك استمر منها زحف الإسلام إلى دلهي بعد

ذلك بقرنين من الزمن، في عهد الدولة الغورية، على يد شهاب الدين الغوري. ومن يطلع على كتاب البيهقي «تاريخ البيهقي» يدرك أهمية لاهور وتاريخها ودورها في العهد الغزنوي. وباتت لاهور في مركز قوة أكبر عندما نصب فيها وفي شبه القارة الهندية أول ملك مسلم هو قطب الدين ايبك في عام ١٢٠٦ ميلادية.

واستمر الهندوس والقوى المعادية للإسلام والمسلمين يتربصون بلاهور. وكان ذلك مدعاة لتحصينها وتحصين سورها الشهير.

وفي التاريخ العلمي للاهور، فإن المدينة لم تكن قاعدة عسكرية فحسب، بل كانت قاعدة علمية أيضاً، فقد وفدت إليها من بلاد الأفغان والفرس منذ عهود الغزنويين، أعداد كبيرة من الفقهاء وحفظة القرآن الكريم. أشهرهم شيخ المتصوفين في تلك الفترة علي الهجويري صاحب كتاب «كشف المحجوب» وهو أقدم ما كتب عن التصوف بالفارسية. وهذا الفقيه معروف في لاهور باسم «داتا جانج بخشى» ويعتبرونه من أشهر أولياء الله. وقائمة هؤلاء الأولياء طويلة في لاهور، إذ يصل عددهم إلى مائة.

وفي ظل الدولة الغزنوية، عرفت لاهور أعظم شعراء الفارسية في شبه القارة الهندية وهو سعود سعد سلمان. وأشعاره المليئة بالحنين إلى لاهور، كانت في مقدمة الأشعار الوطنية التي راجت في باكستان بعد ذلك. وأورد ياقوت الحموي في مؤلفه «معجم البلدان» في أوائل القرن الثالث الهجري قائمة كبيرة بفقهاء لاهور ومحدثيها المشهورين على زمانه، وفي مقدمتهم: عمر بن سعيد

اللهواري، ومحمد بن المأمون هبة الله المطوعي اللهواري، ومحمود بن خلف أبو القاسم اللهواري وسواهم الكثير.

وفي أوائل القرن السادس عشر لمع اسم الإمام أحمد الفاروقي السرهندي، وهو المجدد، وقد ظهر أثناء حكم الأمبراطور أكبر، وبدأ يؤدي رسالته كداعية عظيم للسنة، وقد أعلن الحرب على البدع، أبان حكم إبنه الأمبراطور جهانجير. واختلف الإمام السرهندي مع الأمبراطور لبعض الوقت، غير أنه عاد وقربه إليه، وعاش آخر سنوات عمره في البلاط الأمبراطوري بلاهور واعظاً ومرشداً ومدرساً لجهانجير. وعندما تولى الحكم الأمبراطور شاه جهان، بايع الإمام السرهندي على التمسك بالكتاب والسنة واجتناب المعاصي. ومن علماء لاهور وشبه القارة الهندية الشيخ عبد الحق الدهلوي الذي يعد أهم من دعا إلى نشر علوم الحديث والسنة.

التراث العلمي والثقافي في لاهور لا يزال ماثلاً في مختلف المؤسسات فالتيار الفكري المؤثر في لاهور وفي باكستان عامةً هو تيار الجماعة الإسلامية التي كان يقيم مؤسسها أبو الأعلى المودودي في قلب لاهور. وفي لاهور جامعة لاهور وجامعة البنجاب التي يعود تأسيسها إلى عام ١٨٨٢م. بالإضافة إلى حوالى (٧٠) كلية. وقد أخذت الكليات والمعاهد الإسلامية على عاتقها تخريج الفقهاء والخطباء. ولهذه المعاهد ثلاثة اتجاهات إسلامية هي، أولاً: أهل السنة والجماعة، وهم من أتباع المذهب الحنفي. ومن أشهر معاهدهم إثنان هما: «جامع اشرفية» والثاني «-جامع نعيمية». ثانياً: أهل الحديث وهم أقرب إلى الفكر الوهابي الرافض للبدع،

ومعهدهم هو معهد «جامع تقوية الإسلام». ثالثاً: أتباع المذهب الجعفري ومعهدهم هو معهد «جامع المنتظر» للإمام الغائب الاثني عشر.

ولهذه الإتجاهات الثلاثة أنصار وفقهاء ومساجد مستقلة، حيث يـؤدي المصلون خلف الإمام الخاص بكل تيار إسلامي على حدة.

ولاهور تعتبر أيضاً بأنها مركز الطباعة والنشر في باكستان. فالغالبية العظمى من الصحف والكتب الإسلامية والمنتشرة في مكتبات باكستان وأوروبا وأميركا، مصدرها واحد هو لاهور. وتشير الإحصائيات إلى أن في المدينة حوالى ألف مطبعة، ومئتي ناشر للكتب باللغات الأردية والفارسية والعربية والانجليزية، وخمسمائة مكتبة لبيع الكتب وكل ما يتصل بالثقافة والفكر والقراءة. وتتركز الطباعة في لاهور في حي خاص يعرف باسم «اوردوبازار».

والأمر الملاحظ أن أكثر الكتب المطبوعة في لاهور، تدور حول الإسلام والمسلمين. حتى أن الكتب الشعرية والتاريخية والقصصية والتراثية، إنما كلها مرتبطة بالفكر الإسلامي بشكل أو بآخر. ولعل الخطر الهندوكي على المسلمين عبر التاريخ، هو الذي شكّل الخلفية الثقافية للمسلمين للتشبث بدينهم ومعتقداتهم ونشر تراثهم الإسلامي بأية وسيلة للحفاظ على وجودهم.

ومن مميزات تشبث مسلمي لاهور وشبه القارة الهندية بالإسلام، هو تمسكهم اللافت للنظر بالخلافة العثمانية. وكان ولاؤهم الحقيقي للخليفة في الآستانة. وفي الحرب العالمية الأولى تمرد المسلمون على أوامر الانجليز، ورفضوا المشاركة في الحرب ضد الدولة العثمانية في الشرق لأنها دولة إسلامية، ولأن الإسلام

يحرم حرب المسلمين على المسلمين. وقد ظهر عام ١٩٢٠ في الهند «حركة الخلافة» بزعامة مولانا محمد علي. غير أن قرار مصطفى كمال (أتاتورك) بإلغاء الخلافة الإسلامية في استانبول عام ١٩٢٤ شكل صدمة عندهم. وظل حلم الخلافة يراودهم حتى نادى اتحاد الطلاب المسلمين بإقامة الخلافة الباكستانية حيث لم تعد لهم خلافة. ولما أعلن قيام دولة باكستان عام ١٩٤٧ حرص المسلمون فيها على أن يتوسط علم الدولة الجديدة الهلال والنجمة وهما رمز الدولة العثمانية.

أما فيما يختص بـاللغة السـائدة في لاهـور فهي لغة الأردو المكتـوبة بالحروف العربية، وهي تعتبر مزيج من العربية والتركية والفارسية والهندية والانجليزية أيضاً. غير أن الباكستانيين عامة يقدرون اللغة العربية ويهتمون بها في جامعاتهم وكلياتهم لارتباطها بالإسلام والعالم الإسلامي والعربي.

ولأهل لاهور عادات وتقاليد خاصة في الزواج وفي الطعام وفي العمل وفي الأعياد. ومن عاداتهم اللافتة للنظر أن المرأة هي التي تتكفل بكلفة الزواج، بل تعطي الرجل مالاً، وتعطي أهله ثمن ثيابهم ليحضروا حفل الزفاف. أما فيما يختص بطعامهم، فلا شيء إلا ويمزج بالفلفل والتوابل الحارة. أما الإحتفال بعيدي الفطر السعيد والأضحى المبارك فهو يعتبر احتفال خاص، يرتبط بصلاة الجماعة في الساحات العامة وبالتكبير في الطرقات العامة وفي المساجد.

أما أهم معالم لاهور فيأتي في مقدمتها، مسجد باد شاهي، أعظم آثار المغول في لاهور، وهو يشبه في تصميمه مسجد الوليد في دمشق. وتتميز واجهة المسجد بارتفاعها الشاهق ولون حجارتها الحمراء. ويقال بأن المسجد يضم بعض الآثار المقدسة بينها عباءة

للنبي محمد ﷺ وعمامة له خضراء. وبينها منديل مطرز للسيدة فاطمة بنت النبي، ومصحف بخط سيدنا علي بن أبي طالب، وأشياء أخرى مما يخص الحسن والحسين. وفي المسجد من المرمر والنقوش والخزف والآيات القرآنية الكريمة والفن المعماري الإسلامي ما يدهش الناظر. ويعتبر مسجد بادشاهي واحداً من أكبر مساجد الدنيا، إذ يقدر عدد المصلين الذي يمكن أن تستوعبهم ساحته بحوالى خمسين ألف شخص، يملأون الباحة في المناسبات الكبرى، لا سيما في صلاة العيدين. وفي هذا المسجد ضريح الشاعر الباكستاني محمد اقبال أبرز العاملين لإقامة باكستان.

ومن مساجد لاهو القيمة مسجد وزيرخان الذي أنشىء عام ١٦٣٤م، وبناه وزيرخان واسمه الحقيقي علم الدين أنصاري. ويعد هذا المسجد إحدى التحف المعمارية في لاهور. وفي هذا المسجد يوجد ضريح «داتاجانج بخشى» شيخ المتصوفين المعروف باسم الهجويري.

ومن معالم لاهور السور الذي يتخلله (١٣) باباً، وقلعتها الشهيرة التي تضم أبراج عسكرية وملامح معمارية مميزة. وهذه القلعة أقيمت واستكملت في عهود عدة أباطرة مغول أهمهم أربعة: أولهم أكبر الذي اختار لاهور عاصمة لأمبراطورية المغول عام ١٥٨٤. وبعد أكبر جاء ابنه الفنان جهانجير عام ١٦٠٥ الذي أضاف إلى القلعة الكثير من لمسات الإنشاء والجمال. ثم خلف جهانجير ابنه شاه جهان باني «تاج محل». وفي عهده عام ١٦٢٧ كانت القلعة في أجمل معالمها وملامحها. ورابع هؤلاء الأباطرة أورانجزيب إبن شاه جهان الذي اهتم بتحصينات القلعة والقصر بشكل مميز.

ومن معالم لاهور أيضاً حديقة «شاليمار» أي «دار البهجة». وهي ليست حديقة واحدة، بل هي عدة حدائق تنتشر فوق ثمانين فداناً تقريباً. وفيها مبان واستراحات ونافورات مياه وقاعات للاستقبال وشرفات ملاصقة للبحيرة. وبشكل عام فإن «شاليمار» تعتبر من أهم معالم لاهور وباكستان.

ومن معالم لاهور ضريح الأمبراطور جهانجير، وموقعه يبعد قليلاً عن لاهور وهو نموذج آخر من فن العمارة الإسلامية المغولية. وبالقرب منه ضريح زوجته «نورجهان» أي نور العالم. وفي لاهور أكثر من (٢٦) مسجداً أثرياً لها قيمتها التاريخية المميزة. ومن معالم المدينة أيضاً أسواقها القديمة المميزة وأسواقها الجديدة التي تجد فيها كل ما تطلبه.

لاهور إلى كونها مدينة ثقافية وأثرية وتاريخية، فهي مدينة صناعية وزراعية، فهي تصدر القطن والأرز والقمح والسكر، وتصنع السجاد الباكستاني المميز، والأخشاب والنحاس ومشغولات اليد من ذهب وفضة وفخار وأقمشة. وفي لاهور يوجد (٥٠) مصنعاً جنباً إلى جنب مع المزارع الشاسعة وعمالها يقارب مائة ألف عامل. وإنتاج تلك المصانع الكيماويات والآلات والنسيج وعربات السكك الحديدية والدراجات والأجهزة الكهربائية وسواها. بالإضافة إلى أن لاهور فيها من الحرف العدد الكبير التي تنتشر في مختلف مناطق وشوارع المدينة.

لاهور محطة تاريخية يطل المرء من خلالها على تراث الإسلام والمسلمين. ولا يزال يرى فيها أمجاد الماضي وآفاق المستقبل.

كابول

كابول

كابول عاصمة أفغانستان، وهي عاصمة لدولة تقع في قلب آسية الغربية بين إيران والهند. تحيط بها اليابسة من جميع الجهات. يحدها من الشمال الجمهوريات الإسلامية التابعة للاتحاد السوفيتي (سابقاً)، ومن الجنوب والشرق باكستان ومناطق بشتونستان، ومن الغرب إيران. ولها حدود مشتركة مع جمهورية الصين تبلغ مائة ميل من الجهة الشمالية الشرقية.

تبلغ مساحة أفغانستان (٦٥٠,٠٠٠) كلم^{2}، ويبلغ عدد سكانها حوالي (١٩) مليون نسمة. وتتميز أفغانستان بقلة الأمطار بسبب ضحالة مياه الأنهار، غير أن ذوبان الثلوج من على بعض قممها يغطي بعض النقص في المياه. من أهم أنهارها: نهر جيحون، نهر كابل، نهر هلمند، نهر هاروت، نهر خاش وسواه من الأنهار.

تقع العاصمة كابول تحت أقدام جبل سليمان. وتشير الروايات التاريخية إلى أن سيدنا سليمان عليه السلام صعد فوقه، وألقى نظرة على الهند، ثم قفل عائداً ولم يدخلها، فسمي الجبل باسمه. ومن على قممه تستمر الثلوج طوال العام تمد حوالي نصف مليون نسمة

هم سكان العاصمة بالمياه، التي تنتظم في قنوات رفيعة موزعة إلى داخل المدينة.

أما فيما يختص بتسمية هذه البلاد أفغانستان. فيعتقد البعض أن إسم أفغان نسبة إلى «أفغانا» وهو حفيد بنيامين بن يعقوب عليه السلام. ويعتقد البعض بأن «أفغان» إسم لحفيد شاؤول جد الأفغانيين. ويرى البعض الآخر بأن لفظ «أفغان» مأخوذ من «باشتان» وهي قرية من قرى نيسابور. وقد تعني كلمة «أفغان» أنين. والأنين بالفارسية تعني أفغان. ويمكن أن ينسب الأفغان إلى مدينة «أفكان» الواقعة بين تلمسان وتنس.

ولا بد من الإشارة إلى أن اسم أفغانستان لم يرد إلا منذ منتصف القرن الثامن عشر الميلادي أي في عام ١٧٤٧م في عهد «أحمد شاه» وذلك بعد أن توطدت السيادة والقوة للشعب الأفغاني. في حين أن كلمة «أفغان» وردت في أوائل القرن السادس الميلادي.

هذا وقد أشار بعض الرحالة والجغرافيين والمؤرخين المسلمين إلى مناطق أفغانية قاموا بزيارتها، ومنهم على سبيل المثال البيهقي في كتابه «تاريخ البيهقي»، وابن بطوطة في كتابه «تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار» وكان قد زار بلاد الأفغان وأورد لنا شيئاً من تاريخهم وأحوالهم، وذلك في أوائل القرن الثامن الهجري - الرابع عشر الميلادي. وبعد أن وصف بعض المدن الأفغانية تحدث عن كابل ووصفها قائلاً: «ثم سافرنا إلى كابل، وكانت فيما سلف مدينة عظيمة، وبها الآن قرية يسكنها طائفة من الأعاجم يقال لهم الأفغان. ولهم جبال وشعاب وشوكة قوية...

وجبلهم الكبير يسمى «كوه سليمان»... وفيه يسكن ملك الأفغان. وبكابل زاوية الشيخ إسماعيل الأفغاني تلميذ الشيخ عباس من الأولياء».

دخل الإسلام إلى أفغانستان، في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عندما أمر القائد النعمان بن مُقرِّن بمحاربة الفرس، وكان أن انتصر المسلمون في معركة نهاوند (فتح الفتوح) عام ٢١هـ. وبعد هذا الانتصار زحفت القوات الإسلامية إلى جميع أنحاء بلاد فارس. وكان من بين هذه الجيوش جيشان اتجها نحو المنطقة التي عرفت فيما بعد باسم أفغانستان، الأول سار نحو منطقة سجستان وعلى رأسه عاصم بن عمرو التميمي (المتوفى عام ٢٤هـ). أما الجيش الثاني فافتتح هراة وبلْخ ووصل إلى طخارستان بقيادة الأحنف بن قيس.

أما مدينة كابل، فقد توجه إليها عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي عام ٨٠هـ، زمن خلافة عبد الملك بن مروان. ثم أعاد قتيبة بن مسلم الباهلي (٤٩ - ٩٦هـ) فتح مدينة بلْخ. وشهدت أفغانستان في العهد الأموي غزوات إسلامية حتى بلغت آسيا الوسطى، وتخطت حدود الهند بفضل القائد الحجاج بن يوسف الثقفي. وبفضل هذه الفتوحات استقرت الكثير من القبائل العربية في البلاد المفتوحة، مما أدى إلى انتشار الإسلام بين سكانها، كما ظهر من أبناء هذه البلاد فئة أجادت اللغة العربية، واشتغلت بعلوم القرآن الكريم واللغة والحديث الشريف. وقد أشار الرحالة «بزرك بن شهريار» في كتابه «عجايب الهند» إلى كيفية انتشار الإسلام في تلك المناطق.

وفي العهد العباسي توالت الفتوحات الإسلامية في مناطق أفغانستان. ولم يأت منتصف القرن الثاني للهجرة إلا وأصبحت المنطة إسلامية. وبدأت اللغة العربية لغة القرآن الكريم بالإنتشار على حساب اللغة الفارسية، ولهجة البشتو الأفغانية.

أما أهم القبائل المنتشرة في كابول، وفي الوقت نفسه منتشرة في المناطق الأفغانية فهي:

- قبيلة الدوراني: وهي تتمركز في الأجزاء الشرقية من أفغانستان، وهي التي أطلق عليها فيما بعد إسم العبدلي. وهي تتكوّن بدورها من بطون وأفخاذ باركزائي.
- قبيلة غيلزاي: وتتمركز في الأجزاء الجنوبية من أفغانستان. وكانت من أقوى قبائل قندهار.
- تبيلة الأوزبك: وهي قبائل المناطق الواقعة إلى الشمال من الهند.
- قبائل المغول: وهي قبائل تسكن في كابول وفي داخل أفغانستان وأهمها قبائل: هازار، تيماني، شهر أيماك.
- قبيلة الطاجيق: وهي قبيلة آرية تسكن منطقة هراة في الأصل. بالإضافة إلى قبائل آرية أخرى تسكن إلى الشرق من كابول منها: قبائل غلجائي، يوسف زائي، نيكش، سليمان خيل وسواها.

هذه القبائل المنتشرة في أنحاء أفغانستان، يمكن تمييزها من ألبستها وعاداتها حيث تنتشر في الوقت نفسه في العاصمة كابول التي تضم مختلف هذه النماذج القبلية. إضافةً إلى ذلك فإن هذه القبائل نتاج عناصر بشرية متعددة قدمت إلى أفغانستان. ويعتبر

الجنس القوقازي من أقدم العناصر البشرية التي قدمت إلى البلاد. كما يوجد عناصر بشرية أخرى مثل العناصر: العربية، التركية، المغولية، التترية، الإيرانية، الطاجيق، ومجموعات قليلة من الهنود والصينيين. ومن القبائل المنتشرة في كابول ومناطق أفغانستان قبيلة البوشتن وقبيلة هازارا وقبائل البلوش وقبائل القوزاق التركية وسواها.

أما اللغات السائدة في كابول وأفغانستان، فتصل إلى حوالى عشرين لغة محلية، أشهرها لغة «البشتو» التي هي خليط من الأردية والعربية والانجليزية. ولغة «الداري» وهي خليط من الفارسية والعربية علماً أن الصحف الأفغانية تصدر باللغتين، كما أن الأخبار المذاعة والمتلفزة تقرأ أيضاً باللغتين المعتمدتين، كما تنتشر اللغة التركية والفارسية في البلاد.

أما اللغة العربية فهي تعتبر عندهم لغة شريفة يحرص المتعلمون منهم على اتقانها وتعلمها. ومعاهدهم ومدارسهم الدينية تحرص على تعليمها لارتباطها بالقرآن الكريم وبالإسلام، حتى أن لفظ المدرسة لا يزال هو نفسه في أفغانستان فيطلق على معاهد التعليم الديني. والعلماء عندهم درجتان:

- المولوي: وهي الرتبة الدينية الأولى بين العلماء، لا يحصل عليها إلا من كان عالماً متمرساً في شؤون الإسلام وعقائده، وإلا من كان حاصلاً على شهادات عليا من الجامعات والكليات والمعاهد الإسلامية من مصر والسعودية أو كلية الشريعة من جامعة كابول.

ـ الملا: وهو الشاب الذي تلقى تعليماً دينياً متوسطاً، ولم يحصل على درجات علمية عالية.

يتميز الأفغاني بالحفاظ على الإسلام وشعائره، وبالاحتفال بالمناسبات الإسلامية وبعيدي الفطر السعيد والأضحى المبارك ورمضان الكريم، والقيام بشعائر الحج في الأراضي المقدسة في المملكة السعودية. والأفغاني يعتبر أن الكتب الإسلامية الدينية والفقهية هي كتب مقدسة. وتجتمع الأسرة عادةً تحت كنف الجد، حيث يؤم الصلاة في أولاده وأحفاده. وبعد صلاة الفجر يجلس الجد وحوله أفراد الأسرة يلقنها الأسلوب الإسلامي الصحيح، ثم يبدأ الجميع بتلاوة القرآن الكريم استناداً إلى الآية الكريمة «إن قرآن الفجر كان مشهوداً». غير أن بعض الفئات الأفغانية تعاني من مشكلات تخلف التفكير الديني، والإلتصاق المباشر والمتعصب للملا أو للمولوي.

أما فيما يختص بالحياة الاجتماعية والعادات والتقاليد، فان للأفغاني شخصية مميزة تتصف بالصلابة واحترام النفس وتقديس الدين وشظف العيش، والقتال من أجل كرامته ودينه. ومنازلهم تفرش بالسجاد الأفغاني والبسط والحصيرة. أما لباس الأفغان، فإنه يكون عادةً من القماش الخشن أو اللباد، ويلبسون السروال الفضفاض القطني والصدرية فوق لباسه الداخلي أو القميص الطويل، وعلى الرأس توضع العمامة التي تتدلى أطرافها على جانب رأس صاحبها. وتتميز الألبسة بكثرة ألوانها وأشكالها.

أما النساء، فإنهن يلبسن ألبسة طويلة وحجاب يغطي كامل الوجه، يسمى «الشودري». أما الزواج عند الأفغانيين فإنه مرتبط

ارتباطاً وثيقاً بالدين. فثياب العروس لونها أخضر، مثل ثياب أهل الجنة كما يعتقدون. وتخضب كفها الأيمن وكف العريس الأيمن باللون الأخضر والحناء ليكونا من أهل اليمين. ويوضع فوق رأسها ورأسه نسخة من القرآن الكريم، ويقرآن معاً آية كريمة رمزاً للإرتباط أمام الله. وفي نهاية المراسيم يبدأ الغناء والمدائح النبوية والقصائد الدينية. ولا بد من الإشارة إلى أن المهر عند الأفغان مرتفع جداً لا يستطيع تحمله إلا ذوي الثراء.

أما الوضع الثقافي في كابول والمناطق الأفغانية، فهو مرتبط بالوضع العام في البلاد. فهناك بعض المدارس تقوم بتدريس اللغة العربية فحسب مثل: دار العلوم في كابل، وفخر المدارس في هُراة، ونجم المدارس في جلال آباد، ومدرسة لمخارستان في فيض آباد. بالإضافة إلى ذلك، فقد أنشأت الحكومة الأفغانية «مدرسة العلوم الشرعية» في منطقة نعمان على مقربة من كابل، وهذه المدرسة تعتمد تدريس اللغة العربية فحسب، وبالإضافة إلى المدارس الدينية لدى الأفغان مدارس ابتدائية وتكميلية وثانوية وجامعة كابول. وبالرغم من ذلك فإن نسبة المتعلمين لا تزال متدنية، إذ لا تزيد على ٢٠٪ بين الذكور، وهي أقل من ذلك بين الاناث. ولذلك فقد أخذت المؤسسة الخيرية النسائية في كابول على عاتقها القيام بدور مكافحة الأمية. ويوجد في كابول مدرسة عليا للتمريض ومدرسة طبية، كما يوجد في أفغانستان حوالى (٦٠) مستشفى يعمل فيها (٣٠٠) طبيب.

ونظراً لأهمية الجذور الثقافية الأفغانية، ونظراً لأهمية ما أفرزته أفغانستان عبر التاريخ من علماء وفقهاء وفلاسفة وأئمة فإننا نذكر

بعضهم على سبيل المثال: الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت وهو صاحب أحد المذاهب الفقهية الأربعة، وهو أفغاني الأصل من ضواحي كابول. والفيلسوف والطبيب إبن سينا، والبيروني، أبو سليمان الجوزجاني، أبو علي الجوزجاني، أبو سليمان محمد بن معشر، البلخي، التميمي، الأنصاري، الأزهري، الجامي وسواهم الكثير من العلماء والفقهاء والفلاسفة والأطباء.

أما أهم المعالم التاريخية والأثرية التي تميز كابول عن سواها فأهمها: المطار الدولي في كابول، ثم جبل سليمان والبيوت المتناثرة على سفوحه وقممه، حيث تطل على المناطق الزراعية. ومضيق كابول، ثم مسجد بلوخشتي أكبر مساجد كابول، وضريح الأمير عبد الرحمن وهو من أبرز معالم العاصمة، ثم جامعة كابول. بالإضافة إلى الأسواق المتخصصة في العاصمة منها: سوق الدباغين، سوق النجارين، سوق النحاسين، سوق الحدادين، وأسواق العطارين والصباغين والخبازين واللحامين... وهناك شارع خاص ببيع السجاد الأفغاني. ومن معالم كابول «حي الأصمعي» فوق سفوح جبل سليمان. كما أن منظر «السقا» من المناظر المألوفة حتى في العاصمة ذاتها. كما أن رياضة «البوزكاشي» التي تمارس على الحصان تعد معلماً من معالم المدينة. وفي وسط العاصمة العمود التذكاري الذي أقيم بمناسبة الإنتصار على الجيوش البريطانية في ٢٨ أيار (مايو) ١٩١٩م - ١٣٣٨هـ. وبالقرب من هذا العمود شيد ضريح محمد نادرخان الذي اغتيل عام ١٣٥٢هـ. بالإضافة إلى ذلك ففي العاصمة متحف كبير يضم ملامح آثار من التاريخ الأفغاني منذ عهد

الغزنويين والعرب. ويقال بأن في المتحف نسخ نادرة من القرآن الكريم تعود إلى أيام الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

ومن مساجد العاصمة مسجد سنكي، وهو من أعظم آثار «شاه جيهان» من ذرية «بابر». ويوجد بالقرب من المسجد مقبرة «ظهير الدين بابر». وهناك مسجد عروس الفلك الذي أسسه السلطان محمود الغزنوي، ومدرسة جوهر شاه الأثرية.

وبالنسبة للأوضاع الاقتصادية في البلاد، فإن أفغانستان تعتبر بلاداً زراعية، إذ أن حوالى ٥٣٪ من السكان يشتغلون بالزراعة، و١٨٪ يعملون بالأعمال اليدوية و٢٠٪ لا يزالون في عداد البدو الرحل. وأفغانستان من أوفر البلاد في الماشية، إذ تقدر ثروتها من الأبقار بأكثر من ثلاثة ملايين رأس، ومن الماعز عدداً مماثلاً، ومن الأغنام حوالى مليون رأس. وهذا يؤدي بدوره إلى وفرة الجلود والفراء وتنشيط الصناعات الجلدية. ومن الزراعات المزروعة في البلاد وفي وادي كابل ومناطق أخرى: القمح، الذرة، الشعير، القطن، الزيتون، العنب، العدس، الفول، والتبغ والتنباك والفواكه.

ومن الصناعات المعروفة في كابول ومدن أفغانستان الأخرى، صناعة السجاد والنسيج والأقمشة الحريرية والقطنية والكشمير، والصناعات الجلدية من الفراء وجلود الحيوانات والماشية، ومصانع للسكر والصابون والعطور والزيوت والاسمنت والزجاج والكبريت والقرميد وصناعة تجفيف الفواكه.

كما يوجد في البلاد ثروة معدنية تساهم في الصناعات المعدنية منها: الذهب، الفضة، الفيروز، اللازورد، الكبريت، الملح، النحاس والرصاص والمنغنيز والقصدير والفحم والمرمر. كما يوجد البترول والغاز الطبيعي.

والتجارة في أفغانستان محدودة على وجه الإجمال تبعاً لقلة المنتجات الصناعية، وهي تستورد أكثر مما تصدر في مختلف المجالات. وهي تتعامل عادةً مع الدول المحيطة بها أو القريبة منها مثل: الهند، باكستان، إيران. بخارى والاتحاد السوفيتي (سابقاً).

ولا شك بأن الأوضاع الداخلية والاقليمية والدولية أثرت على أوضاع أفغانستان عامة. وبالرغم من أن الحضارة امتدت إلى العاصمة كابول، وبالرغم من أن فيها ملامح من الحضارة الحديثة، غير أنه في الوقت ذاته تتميز بأنها موغلة في القدم وموغلة في التاريخ إلى حد كبير.

كوشنج سرواك

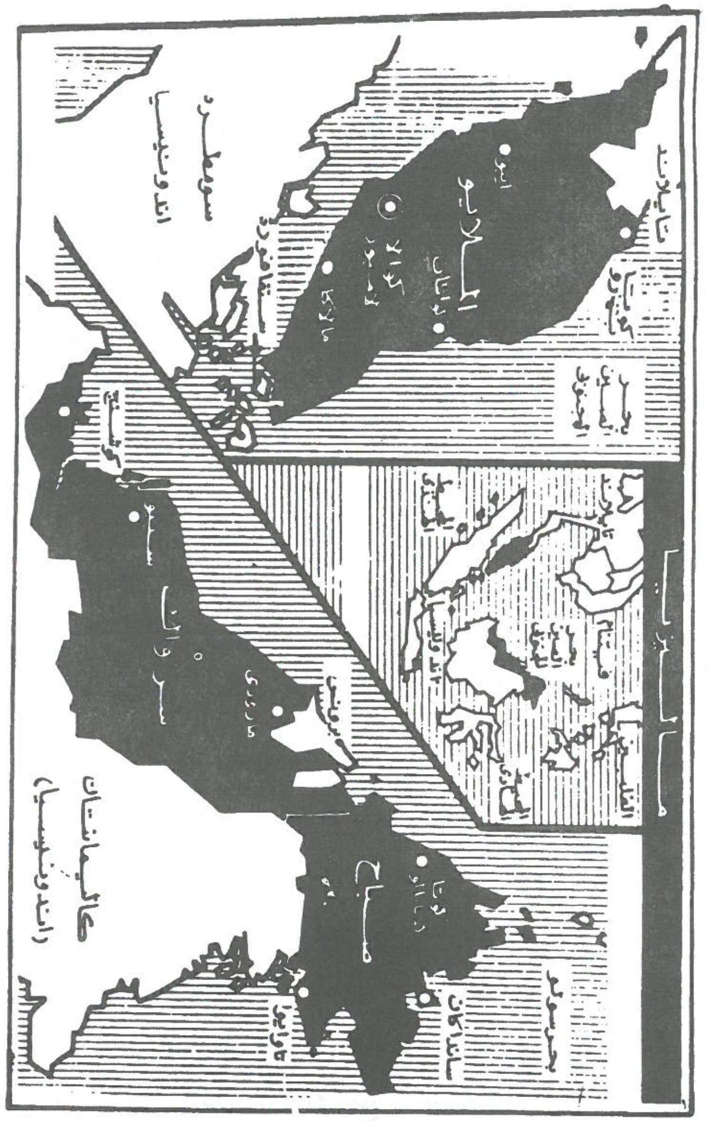

كوشنج سرواك

كوشنج عاصمة دولة سَرَواك، وهي مدينة نهرية ذات وجهين متناقضين. قديم موغل في القدم، وجديد بالغ الحداثة لا سيما في الجانب الأيسر من نهر سَرَواك. عدد سكان العاصمة كوشنج حوالي ١٣٥ ألف نسمة. وتشغل مساحة تصل إلى (١٢٥) ألف كيلومتر مربع. وهي تقع في الثلث الشمالي الغربي من جزيرة بورنيو، القابعة في قلب بحر الصين الجنوبي إلى الشرق من شبه جزيرة الملايو. وهي تشكل مع دولة صباح المحاذية ـ بعد أن تحولتا إلى ولايتين في نطاق الاتحاد الفيدرالي الماليزي ـ ما يسمى بماليزيا الشرقية.

هذا ويعتبر الإسلام الدين الرسمي للدولة. وقد دخل الإسلام منذ قرون إلى سَرَواك والمناطق المتاخمة بواسطة التجارة والتجار من المسلمين العرب والأندونيسيين وليس عن طريق التوسع السياسي أو العسكري. واستطاع التجار أن يقوموا بدور الدعاة حيث استطاعوا إدخال الكثير من أفراد القبائل إلى الإسلام. وبدأ الإسلام ينتشر في كوشنج ومختلف مناطق سرواك في خضم الصراع مع البعثات التبشيرية المنظمة. واستمر الأمر يسير على هذا الشكل بتأنٍ و

بخطوات بطيئة حتى نالت سرواك استقلالها وأعلن الإسلام ديناً رسمياً في اتحاد ماليزيا كله.

وفيما يتعلق بالتاريخ الحديث، فقد سبق للبحار الانجليزي «جيمس بروك» أن وصل إلى سواحل سرواك عام ١٨٣٩. وكانت المنطقة كلها في ذلك الوقت أحد أقاليم سلطنة بروناي العظمى التي كانت تحكم كل جزيرة بورنيو. وبسبب الخلافات الداخلية القبلية بين الحاكم شهبندر محمد صالح وبين قبائل الداياك، استطاع البحار الانجليزي بروك التدخل، بل أصبح حاكماً على اقليم سرواك بدلاً من شهبندر محمد صالح. وبالتتابع بدأ النفوذ البريطاني يظهر بوضوح في المنطقة. وفي عام ١٨٨٠ وضعت سرواك تحت الحماية البريطانية. ولم تتخلص من هذه الحماية إلا بعد انضمامها إلى اتحاد ماليزيا الفيدرالي عام ١٩٦٣ خلال فترة حكم رئيس الوزراء الاتحادي تنكو عبد الرحمن.

وتتميز سَرَواك وعاصمتها كوشنج بوجود قبائل متعددة ومتناثرة في مختلف الأطراف منها:

- قبائل الايبان الداياك البحرين ويشكلون ٣, ٣٠٪ من السكان.
- الصينيون ويمثلون ٥, ٢٩٪ من السكان.
- قبائل البيدايو أي الداياك البريون ويمثلون ٢, ٨٪.
- قبائل الميلانو ٧, ٥٪.
- جماعات بدائية أخرى ٣, ٥٪.
- قبائل وأعراق أخرى تمثل ٣, ١٪.

ويدين السكان بديانات وعقائد متباينة. فالإسلام هو دين الدولة الرسمي يدين به الملاويون والكيدياك والميلانو. أما المسيحية فيدين بها أغلب الداياك أما الصينيون فيعتنق أكثرهم البوذية. أما الباقون فهم بدائيون أو لادينيون يعبدون الأوثان ويقدسون الأرواح والأجداد. بالإضافة إلى هذه القبائل والأجناس توجد قبائل بدائية قديمة هي قبائل البونان الذين يعيشون في أقاصي أدغال سرواك.

والنظام القبلي في البلاد يقوم على أسس بسيطة، فالأفراد ينتخبون رئيس القبيلة الذي يعرف باسم «توان روما». كما أن مجموعات الأسر تنتخب رئيسها ويسمى «بنجولو». كما أنهم يختارون حكامهم أو أطباءهم بالانتخاب. ولا يوجد النظام الطبقي، فكل فرد حر في الزواج من الفتاة التي يقع عليها اختياره.

ومن المشكلات التي تعاني منها كوشنج وسَرَواكَ عامة في ميدان الدعوة الإسلامية قلة الدعاة المسلمين الذين يتقنون لغات القبائل، ومنافسة البعثات التنصيرية التي تمتلك إمكانيات مادية مرتفعة وإمكانيات أخرى اقتصادية متطورة. لهذا حرصت سَرَواك على إرسال بعثات دينية إلى الأزهر الشريف في القاهرة وإلى معاهد ماليزيا الغربية وإلى جامعة الملايو في كوالالمبور وإلى الجامعة الإسلامية الدولية، وذلك بالتعاون مع رابطة العالم الإسلامي وبعض الدول الإسلامية والعربية، بهدف أعداد دعاة للدعوة الإسلامية في سرواك من أبناء المنطقة، لأنهم أجدى وأفعل من الدعاة الذين يأتون من الخارج، وغالباً يكونون لا يتقنون لغة البلاد ولا يعرفون تقاليدها وعاداتها.

ويوجد في كوشنج الكثير من المساجد في مقدمتها المسجد الكبير المعروف باسم مسجد الدولة. ويوجد أيضاً مسجد بيسار في قلب العاصمة وهو مميز بقبابه المطلية بالذهب بالإضافة إلى مساجد أخرى في كوشنج، والمركز الإسلامي ومركز الدعاة والرابطة الإسلامية ودار الافتاء وبعض المدارس والمعاهد الإسلامية. كما أقيمت العديد من المدارس المدنية للبنين والبنات لمختلف مراحل التعليم. وفي مختلف المدارس من رياض الأطفال حتى المرحلة الثانوية يتم تعريف الطلاب بالإسلام وعقائده. ومن مشكلات التعليم العام والتعليم الإسلامي في المدارس تعدد لغات القبائل، لذا تسعى الدولة جاهدة للتدريس باللغة القومية الموحدة بالإضافة إلى اللغة الانجليزية. علماً أن للغة العربية موقعاً مميزاً بالنسبة للمسلمين في سرواك لأنها لغة القرآن الكريم. لهذا أقبل الكثير من المسلمين في كوشنج على تعلمها واتقانها.

على صعيد العادات والتقاليد، فإن النظام القبلي حتّم إقامة عائلات عديدة في أكواخ وبيوت متصلة تضم حوالي ثمانين عائلة تقوم إلى جانب نهر راجانج أو نهر سرواك أو بجوار المستنقعات. وهذه الأكواخ تقام من خشب الأشجار وقصب البامبو. وترتفع الأكواخ عن الأرض على أعمدة لا يقل ارتفاعها عن خمسة أمتار تاركة أسفلها مساحات لمرور مياه الأنهار أو المستنقعات أو الفيضانات. ويقتني السكان في داخل هذه البيوت عادة الجماجم البشرية لارتباطها بمعتقدات قديمة تقوم على اصطياد رؤوس البشر.

وكان الايبان قديماً من المحاربين المتمرسين. وكان من

عاداتهم صيد الرؤوس البشرية من النساء أو العجزة أو الأطفال، لتقديمها قرابين إلى الآلهة، أو للإشارة إلى أن الفتى صار قوياً وشجاعاً. غير أن هذه العادة أبطلت في عام ١٩٤٠ بواسطة الانجليز.

كما تتميز بعض قبائل سَرَواك باللطف والكرم والشجاعة، وحياتهم مليئة بالبهجة والفرح والرقص الشعبي. وفي المعبد الصيني في كوشنج يقام احتفال سنوي في اليوم الثاني والعشرين من الشهر القمري الثاني حيث يوضع تمثال الإله على مقعد يحملونه ويطوفون به بين الأغاني والأهازيج في شوارع المدينة. وتبدو كوشنج في الأعياد الإسلامية بأحلى وأبهى مظاهرها لا سيما في عيدي الفطر السعيد والأضحى المبارك، كما يحتفل المسلمون بقدوم شهر رمضان المبارك بشكل رسمي وشعبي. ويعتبر الحج إلى الأراضي المقدسة أمنية كل المسلمين في كوشنج وسرواك.

من معالم البلاد كثرة الكهوف وملايين من الخفافيش والطيور، كما تتميز البلاد بكثرة أشجار البامبو الطويلة. ومنذ عام ١٩٤٧ بدأ المتحف الوطني في كوشنج يجري حفرياته الأثرية في الكهوف التي وجد فيها آثار عديدة تعود إلى آلاف السنين. وأشارت الدراسات إلى عثور على جمجمة لإنسان عاش في الكهوف منذ (٣٥) ألف سنة. ويوجد في المتحف الوطني في كوشنج الكثير من الآثار والمعدات القديمة التي استخدمها الإنسان القديم.

وتتميز البلاد بوجود أنواع عديدة من الطيور الاستوائية بديعة الألوان والثعابين والقرود وبعض الحيوانات المتوحشة.

وكوشنج العاصمة تتميز بملامح متقدمة بعد أن أصبح عدد

سكانها حوالى (١٣٥) ألف نسمة، في حين لم يكن يتجاوز عددهم بضع مئات عام ١٨٤٠. وعلى الجانب الشمالي من النهر الذي يفصل العاصمة إلى قسمين يربطهما جسر معلق طويل، يوجد مقر الحكام البيض ـ الذي بني عام ١٨٧٠ ـ الذين سبق أن حكموا البلاد، وهو اليوم بمثابة المقر الرسمي للحاكم.

وفي كوشنج توجد قلعة «مارجريتا» زوجة شارلز بروك. وهي من أبرز معالم المدينة. وأنشئت هذه القلعة عام ١٨٧٩ واختير موقعها الاستراتيجي بحيث تسيطر على الضفاف الطويلة لمداخل نهر سرواك منذ اقترابه من العاصمة. وفي عام ١٩٧٩ كانت سرواك قد بدأت تمر بفترة من الهدوء والاستقرار حتى أن القلعة لم تستخدم أبداً للهدف الذي أقيمت من أجله. وكانت القلعة قد استخدمت بعد الحرب العالمية الثانية كمركز تدريب للشرطة. كما استخدمت كمقر لقيادة قوات الدفاع المدني. وانتهى الأمر بالقلعة في عام ١٩٨١ لتصبح متحفاً للشرطة.

ومن معالم كوشنج أيضاً المتحف الوطني، وهو أحد المعالم البارزة في العاصمة، وهو يضم من بين مجموعاته الآثار الإسلامية القديمة إلى جانب الآثار الصينية وجماجم الرؤوس وأدوات من التاريخ القديم.

وبالإضافة إلى المساجد المتعددة والمراكز الإسلامية القائمة في كوشنج، فإنها تزخر بمجموعة من المعابد الصينية المميزة بعمارتها وألوانها. ومن معالمها أيضاً الأسواق الشعبية والغابات الاستوائية وأشجارها وبعض المجمعات السكنية الموحدة. كما تتميز بأمطارها الموسمية.

أما النشاط الاقتصادي في البلاد فإنه ينقسم إلى نشاطات زراعية وصناعية وصيد الأسماك والطيور. فمنطقة «بنتالو» تعتبر القلعة الصناعية والبترولية الجديدة، وفيها مصفاة للنفط، وأبرز المراكز الصناعية. ويمكن أن يطلق عليها اسم مدينة النفط والغاز الطبيعي. كما أن المنطقة غنية بالمواد الأولية الصناعية مثل الأخشاب والسليكون والفحم. ومنذ عام ١٩٧٩ شهدت تطوراً مع إنشاء أو مصنع لتسييل الغاز الطبيعي في ماليزيا، وبدىء بتصديره منذ عام ١٩٨٣. ومنذ ذلك التاريخ تحولت المنطقة من قرية صغيرة إلى أكبر مركز صناعي حديث في البلاد. وكل ذلك ساعد على تعميق مينائها لاستقبال السفن العملاقة الناقلة للغاز والبترول. كما اتسعت حركة الطيران التي تربط بنتولو بكوشنج وكوتاكينا بالو كحلقة اتصال مع سنغافورة وكوالالمبور وهونج كونج.

هذا وتملك بنتولو (٥٠٠) مليون متر مكعب من احتياطات الغاز الطبيعي. كما تتميز بوجود كميات كبرى من النفط الخام منها ٢٠ مليون طن من فحم الكوك و٤٠٠ مليون طن من فحم الليجنايت.

أما الأخشاب فإن منطقة بنتولو وحدها تحيط بها غابات على مدى (٣,٥) مليون هكتار من مجموع الغابات في سرواك التي تبلغ (١٢,٥) مليون هكتار.

أما فيما يختص بالزراعة فإنها في طور التقدم. ويوجد حوالى (٢٠) ألف هكتار مزروعة بأشجار زيت النخيل، وحوالى (٩٠٠) هكتار مزروعة بالكاكاو. كما تم استصلاح ما يقارب (٥٠٠) ألف

هكتار من أجل عدة حاصلات زراعية في مقدمتها زراعة الأرز التي حلت محل الغابات الاستوائية. كما تتميز البلاد بزراعة أشجار جوز الهند.

وتتميز البلاد أيضاً بوجود وحوش الغابات وتربية الماعز والأبقار والدواجن واصطياد السمك.

وهكذا تسعى كوشنج وسَرَواك وماليزيا عامة من أجل حياتها الإسلامية ونشاطاتها الاقتصادية، وسكانها في سعي دؤوب ونشاط مستمر بين الدين وملامح ونشاطات الدنيا.

سومطرة

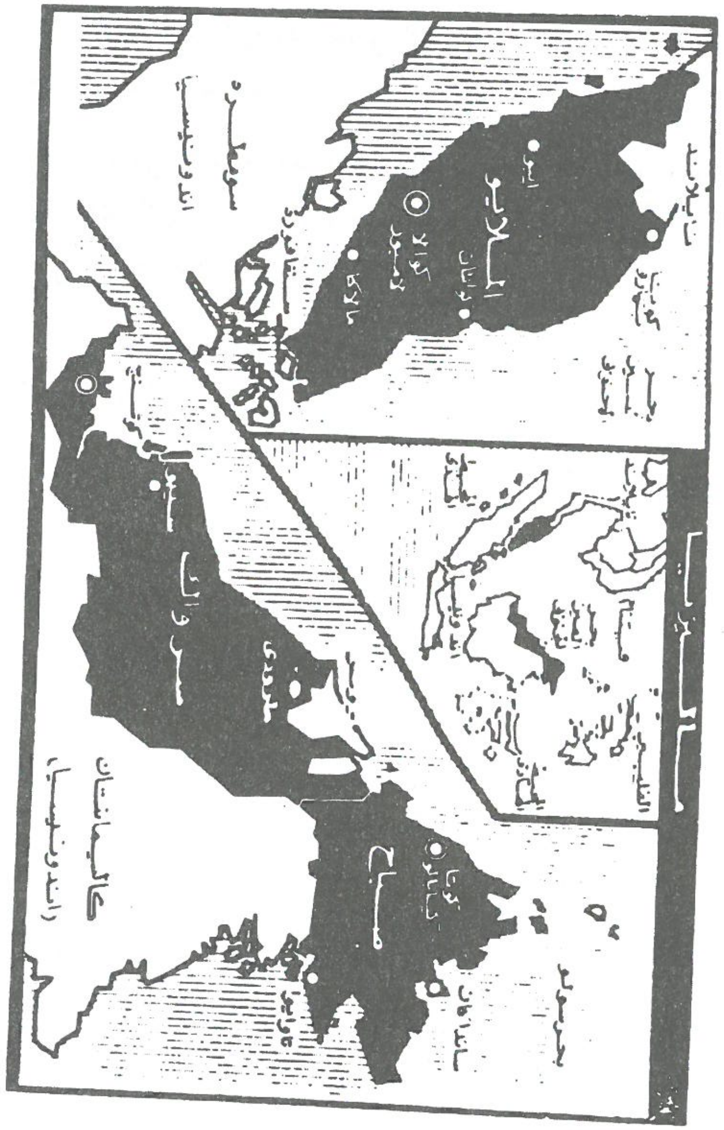

سومطرة

سومطرة من أكبر الجزر الأندونيسية، بل هي خامس الجزر في العالم. تبلغ مساحتها ٤٧٣,٦٠٠ كلم². وتبلغ المسافة بين حديها الشمالي والجنوبي نحو (١٧٧٥) كلم. وأكبر اتساع لها (٤٠٠) كلم تقريباً. ويمر خط الاستواء في منتصف جزيرة سومطرة التي تقع بين خطي عرض ٣٩° شمالاً و٥٧° جنوباً. أما عدد سكانها فهو حوالي ١٥,٨٠٠,٠٠٠ نسمة. وتشتهر سومطرة بخصوبة تربتها، وبانتاجها الزراعي لا سيما البُن والأرز والتوابل. وقاعدتها مرفأ «بادنغ» من مدنها الأخرى، ميدان وپالمبانغ.

والحقيقة فإن سومطرة تتبع جمهورية أندونيسيا الواقعة عند شواطئ آسيا الجنوبية الشرقية. وهي جزيرة من أصل ألفي جزيرة منتشرة بين مياه المحيط الهندي وبحر الصين الجنوبي والمحيط الهادئ. وعاصمة أندونيسيا جاكرتا ومعظم سكانها من المسلمين. وكانت البلاد مستعمرة هولندية إلى أن احتلتها اليابان ١٩٤٢ - ١٩٤٥ في فترة سنوات الحرب العالمية الثانية. وبعد جهاد طويل ضد الهولنديين نالت البلاد استقلالها بقيادة أحمد سوكارنو عام ١٩٤٩. وفي عام ١٩٦٣ انضمت إليها غينيا الجديدة.

وقد زار الرحالة ابن بطوطة (المولود عام ١٣٠٤ م) بلاد أندونيسيا التي كانت تسمى بلاد الجاو. وزار جزيرة سومطرة ومما ذكره عن رحلته إليها قوله: «ودخلنا إلى حضرة السلطان وهي مدينة سُمَطْرة، مدينة حسنة كبيرة، عليها سور خشب وأبراج خشب. وسلطان الجاوه هو السلطان الملك الظاهر... شافعي المذهب محب للفقهاء... وهو كثير الجهاد والغزو ومتواضع، يأتي إلى صلاة الجمعة ماشياً على قدميه. وأهل بلاده شافعية محبون في الجهاد، يخرجون معه تطوعاً». وأشار ابن بطوطة إلى إكرام القوم له وحسن ضيافتهم ومقابلته للسلطان والصلاة به يوم الجمعة في مسجد المدينة. ووصف عادات وتقاليد خروج السلطان من المسجد، وأساليب الترحيب به. كما تحدث ابن بطوطة عن عادة الزواج في سومطرة والأمور المتعلقة بها.

ومن الأهمية بمكان القول، إن الإسلام لم يدخل وينتشر في أندونيسيا وسومطرة بواسطة الأساليب العسكرية، إنما بواسطة الدعاة والتجار. وقد حمل تجار العرب معهم الإسلام إلى سومطرة في القرون الأولى للهجرة، لأن العرب وصلوا إلى تلك الديار، كما كانت التجارة مع سيلان في القرن الثاني الهجري تحت سيطرتهم. علماً أن بعض الفقهاء قد وصلوا إلى سومطرة من جنوبي الهند. ويستدل على ذلك من بعض خصائص العقيدة والتصوف السائدة في الأمور الإسلامية في سومطرة. ويدل الأصل الهندي الجنوبي على الصورة التي اتخذها الإسلام في أندونيسيا والشواهد الدينية والأدبية واللغوية وهي كثيرة. وهي كلها تشير إلى دلائل عن كيفية دخول الإسلام بأساليب سلمية أو اقتصادية.

وانتشار الدين الإسلامي في أندونيسيا كان بصورة تدريجية، ونتيجة لاستيطان التجار المسلمين وتزوجهم من نساء المنطقة، الأمر الذي أدى إلى تزايد المسلمين وتوسيع نطاق انتشار عقيدتهم. وكانت «آجيه» في أوج تقدمها خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر وكانت أهم دولة إسلامية في سومطرة. وكان انتشار الإسلام في هذه المنطقة قد أثر على الوثنيين من أهل الجنوب، فاعتنقوا الإسلام على مراحل، علماً أنهم في البدء حاربوا انتشار الدين الجديد وجرت حروب بين المسلمين وبين «الباتاك» من القبائل الوثنية، الذين ظلوا يقاومون دخول الإسلام، إلى أن استجابوا ولو متأخرين لاعتناق الإسلام في القرنين التاسع عشر والعشرين. أما الدعاة الأوائل للدعوة الإسلامية فمنهم: الشيخ برهان الدين، الشيخ إسماعيل، مولانا الملك إبراهيم، ومولانا المغربي.

ويعد أهل «آجيه» و«مننغاكاباو» من أشد الناس تحمساً وتمسكاً بالدين الإسلامي. ونتيجة للجهود الإسلامية المستمرة انتشر الدين الإسلامي في «بالمبانغ» بعد أن حل مكان الهندوسية. كما دخل الإسلام إلى القسم الجنوبي من سومطرة أو «لامبونغ» بواسطة الوعاظ والدعاة من أهل بانتن غربي جاوة التي تعد من أشد الأقاليم غيرة على الدين الإسلامي.

وتذكر بعض المعلومات إلى أن الإسلام في سومطرة أشير إليه لأول مرة عام ١٢٩٢ م على لسان الرحالة «ماركو بولو» الذي تحدث عن انتشاره في «فرلاق» أي برلاق وآجيه. وقد تأكد ذلك منذ أن حُلَّت رموز الكتابات الموجودة على شواهد القبور الإسلامية القديمة في آجيه. وتشير المعلومات التاريخية إلى أن مؤسس المملكة

الإسلامية في «سامودراباساي» على الشاطىء الشمالي الغربي لآجيه قد توفي عام ١٢٩٧ م. وقد أطلق الكتاب العرب في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين على شمال سومطرة اسم رمى، الرمنى، والرمى ولمري وفنسور. وبين عام ١٤١٦ ـ ١٤٣٦ وصف السفير الصيني «شنغ هو» في كتابه بلاد آرو وسمودره ولمبولي على أنها دول إسلامية، وأن حاكم بلاد «آرو» يدعى السلطان حسين.

أما التسمية العربية لكل من جاوا وسومطرة في العهود المتأخرة فهي «ياوه» ومن ثم جاءت التسمية جاوه الكبرى وجاوه الصغرى في المصادر الأوروبية. هذا وقد فقدت سومطرة أهميتها التجارية بعد استيلاء البرتغال على ملقانة عام ١٥١١ وحلت محلها آجيه. وسرعان ما غزت البرتغال أهم البلاد في شمال سومطرة وسيطرت على مقدراتها، ودخل الدين المسيحي إلى البلاد مع الغزو البرتغالي والهولندي للبلاد.

أما العادات الإسلامية في أندونيسيا عامة وسومطرة خاصة فهي عادات ارتبطت بالعقائد الإسلامية وأركان الإسلام. فسومطرة كغيرها من المدن الإسلامية تستقبل شهر رمضان باحتفالات دينية وتلاوات قرآنية ابتداء من شهر شعبان المعظم حيث يبدأ الإعداد للأطعمة الشعبية المرتبطة بهذه المناسبة. وما أن يعلن رؤية هلال رمضان المبارك حتى يتوافد المسلمون إلى المساجد تقرباً إلى الله عز وجل. وتبدأ حلقات الذكر والتلاوة والمدائح النبوية حتى الساعات الأولى من الفجر. كما تحتفل المدارس والجامعات بهذه المناسبة. ويكثر الذكر والتلاوات في المنازل حيث يجتمع أفراد العائلة.

أما ليلة القدر فالاحتفال بقدومها لا يقل عن الاحتفال بقدوم شهر رمضان المبارك، فيكثرون من الأعمال الخيرية وتوزيع الطعام، ويحرص كل فرد على وضع الشموع في إناء من الفخار أمام منزله ليشعلها ابتداء من عشرين رمضان وحتى نهاية الشهر. وتعرف سومطرة وباقي المدن الأندونيسية المسحراتي على غرار بلدان العالم الإسلامي. وتبقى الاحتفالات مستمرة إلى موعد عيد الفطر السعيد حيث يتم الاحتفال به بشكل لافت للنظر على الصعيد الحكومي والشعبي. ويحرص أبناء سومطرة على تأدية فريضة الحج مع بقية الأندونيسيين، علماً أن وضعهم المادي لا يسمح لهم كثيراً بمثل هذه التأدية، ولكن يحرصون على أدائها مهما كلفهم ذلك.

هذا وتنتشر في سومطرة الآلاف من المساجد والزوايا والعديد من المدارس والجامعات والمعالم الأثرية والصحف والمجلات والإذاعات والتلفزيون. ولغة البلاد هي اللغة الأندونيسية وبعضهم يتكلم اللغة العربية، علماً أن في أندونيسيا ٣٠٠ قومية تتميز بلغاتها وعاداتها وتقاليدها، كما توجد في البلاد (٢٥٠) لغة محكية، ولغة رسمية واحد تسمى «بهاسا».

كوالا لمبور

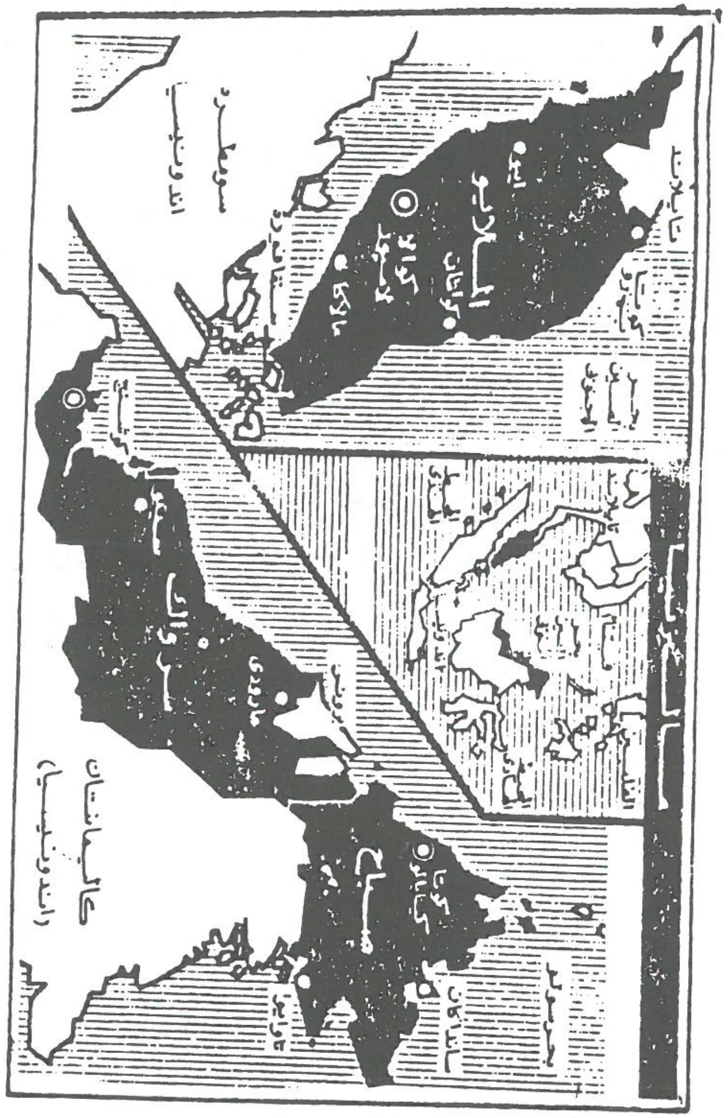

كوالا لمبور

كوالا لمبور عاصمة ماليزيا، وماليزيا دولة اتحادية عضو في الكومنولث البريطاني. تقع في جنوب شرقي آسيا وبين بحر الصين الجنوبي من الشرق وخليج ملقا من الغرب. وهي شبه جزيرة. مساحتها ٣٣٣,٦٧٦ كلم^2، عدد سكانها حوالي (١١) مليون نسمة. أما عدد سكان العاصمة كوالا لمبور فيقارب ٦٠٠ ألف نسمة.

أما فيما يختص بكيفية دخول الإسلام إلى هذه المنطقة ومناطق جنوب شرقي آسيا، فإنه لم يتم عن طريق الفتح أو الغزو، بل دخل الإسلام مع دخول التجار المسلمين إلى هذه المناطق. وكان هؤلاء التجار دعاة للإسلام في الوقت ذاته وكانت سفن التجار العرب تبحر من جنوب الجزيرة العربية ومن الخليج العربي، وتمر بجزر «لكديف»، ثم تواصل سيرها إلى ساحل ملبار على شاطئ الهند الغربي، حيث تستريح في «كمياية وقاليقوت» ثم تتزود وتمضي في رحلتها حول شبه جزيرة الهند مارة بجزيرة سرنديب أي سيلان. ثم يواصلون السير حول سواحل الهند الشرقية حتى يبلغوا ساحل شبه جزيرة الملايو، ويستأنف بعض التجار رحلتهم إلى سومطرة، ومنهم من واصل رحلته إلى كانتون على ساحل الصين الشرقي.

وهكذا يلاحظ بأن هذه الرحلات التجارية واتساع دوراتها كانت العامل الأول في انتشار الإسلام في ماليزيا وجنوب شرقي آسيا. ومما ساهم أيضاً في انتشار الإسلام حُسن إسلام التجار المسلمين، وحُسن أخلاقهم، وبفضل أخلاقهم وصدقهم وأمانتهم وتجارتهم القائمة على الإخلاص والصفاء والابتعاد عن الغش. أحب أهل البلاد هذه الفضائل، فاعتنقوا الإسلام وأصبحوا هم أنفسهم دعاة له فساهموا في نشره ونشر مبادئه.

والحقيقة فقد تأسست عدة دول إسلامية في المنطقة مثل «ترنجانو» التي عثر فيها على كتابات بالحروف العربية يرجع تاريخها إلى عام ١٣٠٣ هـ ومثل ولاية «كلنتان» ودولة «ملقا» التي أسسها أحد أمراء سومطرة الذي اعتنق الإسلام وسمى نفسه محمد اسكندر شاه. وأصبحت هذه الدولة من أكبر السلطنات الإسلامية في القرن الرابع عشر الميلادي إلى أن سقطت بيد البرتغاليين عام ١٥١١ م. ثم خضعت البلاد للهولنديين ثم للإنجليز عام ١٨٠٠، ولم تنل البلاد الاستقلال عن الإنجليز إلا في عام ١٩٥٧.

بالرغم من أن كوالالمبور مدينة عصرية، غير أن ملامحها ومعالمها تشير إلى سماتها العربية والإسلامية في مبانيها وعمارتها ومساجدها وعاداتها وتقاليدها، لا سيما وأن ماليزيا هي الدولة الوحيدة في شرق آسيا ينص دستورها على أن الإسلام هو دين الدولة الرسمي، مع الاعتراف بحرية الأديان الأخرى.

من معالم كوالالمبور الأولى التي تواجه زائرها مطار «سوبانج» الدولي، وهو مطار العاصمة الحديث الذي يضاهي المطارات الأوروبية برحابته ونظافته وتتدفق الحركة فيه بسهولة وسرعة. وفي

مداخل العاصمة أبنية متشابهة الطلاء والطراز، فأكثرها أبيض اللون، وبعضها بسقوف قرميدية.

وعلى ضفة النهر يظهر الجامع القديم بسماته العربية الثرية بمظاهر الفن الإسلامي. كما يوجد في كوالالمبور الجامع الوطني الكبير الذي أنشيء تخليداً لذكرى استقلال البلاد، وهو يتسع لحوالى عشرة آلاف مصلٍ. وبناؤه يعبر عن روح العمارة الإسلامية والزخارف العربية. وقد أُلحق بالجامع قاعات كبيرة للاحتفالات ومكتبة وغرفة استراحة وغرف لإيواء الغرباء عن البلاد. وأقيم بجوار المسجد ضريح لأبطال الاستقلال. كما أقيم على ضفاف البحيرة النصب التذكاري للشهداء الماليزيين. وفي جنوب البحيرة أقيم المتحف الوطني الذي يضم معالم من التاريخ الماليزي، كما يضم آثار إسلامية متنوعة، وعدة مخطوطات قديمة للقرآن الكريم.

ومن معالم كوالالمبور أيضاً مبنى استاد نيجارا (الاستاد الوطني) وهو ملعب ضخم يتسع لعشرة آلاف مشاهد، وقد أنشيء في وسطه مسرح متحرك يتسع لأربعين ألف مشاهد، ومن معالمها دار البرلماني المؤلف من (١٨) طابقاً.

ومن معالم كوالالمبور الفنادق العالمية التي تزيد على (١٢٠) فندقاً، مما يشير إلى أن العاصمة والبلاد تستقبل الملايين من السياح سنوياً. كما تتميز العاصمة بوجود حدائق غنّاء، وبالمناظر الخلابة الساحرة التي تجذب السياح. كما حولت الجبال والمرتفعات والغابات إلى منتجعات سياحية، وأقيمت بالقرب منها بحيرات ونافورات صناعية

ومن ملامح ومميزات شوارع كوالالمبور انتشار ظاهرة البط المشوي حيث يقوم الباعة ببيعه على الأرصفة. وفي الوقت نفسه

يوجد في المدينة مطاعم مميزة وفاخرة تقع على ضفاف نهر خاكي. حيث تتعالى الموسيقى الشرقية والأغاني العربية لكبار المطربين والمطربات العرب. كما تشتهر البلاد بانتشار المياه المهضمة المصنوعة من الأعشاب الطبيعية.

أما العادات والتقاليد في البلاد، فكوالالمبور تعتبر مدينة المهرجانات والأعياد الدائمة نظراً لكثرتها وتعددها وتعدد مناسباتها. فالسكان يحرصون على ارتداء الأزياء الشعبية لا سيما في المناسبات والمهرجانات أما الأزياء الأفرنجية فتلبس إلى جانب الأزياء التقليدية. ويهتم المسلمون في البلاد بالاحتفال بالأعياد الإسلامية لا سيما عيدي الفطر السعيد والأضحى المبارك. كما يحتفلون بذكرى المولد النبوي الشريف في استاد الحرية (استاد مرديكا) حيث تتلى الآيات القرآنية الكريمة تعقبها المحاضرات حول المناسبة، ثم الأناشيد الدينية المعروفة في البلاد العربية. بعد ذلك تبدأ مسيرة باللباس الوطني الشعبي يتقدمها الملك ورئيس الوزراء ورجال الدولة وسفراء الدول الإسلامية، باتجاه المسجد الوطني الكبير (مسجد نيجارا) حيث تؤدى الصلوات وتوزع الحلوى ويتم تبادل التهاني.

ويحرص المسلمون في البلاد على صوم شهر رمضان المبارك، حيث تتميز الاحتفالات بقدومه. كما يحرصون على أداء فريضة الحج، وقد أنشيء لذلك «مؤسسة الادخار لشؤون الحج» لمتوسطي الدخل للمساعدة في تأديتهم شعائر الحج.

تتكون الأمة الماليزية بالدرجة الأولى من العناصر الملايوية والصينية والهندية، بالإضافة إلى بعض العناصر الأوروبية. ونوجد

قبائل متخلفة تحيا في الغابات حياة بعيدة كل البعد عن الحضارة، وبواسطة الدعاة المسلمين بدأت ملامح المدنية تدخل إلى هذه المناطق، وبدأت بعض القبائل تدخل في الإسلام.

أما اللغة المستخدمة في البلاد فهي المالیزية والانجليزية والعربية والتاملية، غير أن اللغة الماليزية هي اللغة الرسمية لكل عناصر الأمة والهدف من ذلك توحيد عناصر الشعب في بوتقة واحدة، لا سيما وإن هناك لغات أخرى مستخدمة مثل الصينية والهندية. والأمر الملاحظ أن بعض المؤسسات أو الحوانيت تستخدم الحروف والأسماء العربية بالإضافة إلى الحروف واللغات الأخرى. وفي الإذاعة والتلفزيون يذاع القرآن الكريم والأذان باللغة العربية، غير أن تفسير القرآن الكريم يتم باللغة الماليزية.

ومما يميز البلاد المناخ والنباتات الاستوائية فالسماء تمطر طوال العام كما أن الغابات تغطي ثلثي ماليزيا. ولكن الدولة استطاعت استثمار هذه الغابات لأهداف سياحية. أما الاقتصاد الماليزي فإنه يقوم بالدرجة الأولى على زراعة وإنتاج المطاط الذي نقل بذوره من البرازيل إلى ماليزيا بواسطة الانجليزي هنري ويكهام عام ١٨٧٣. ونظراً لتوفره في البلاد، فإن الشوارع رصفت به فأصبح السير عليها ناعماً بلا ضجيج. كما تهتم البلاد بزراعة أشجار نخيل الزيت، واستثمار القصدير وإنتاج الأرز وصيد الأسماك. وتعتبر «بتالنج جايا» في ضاحية كوالالمبور أكبر منطقة صناعية في جنوب شرق آسيا، تضم ما يزيد على مئة مصنع، تصنع كل المعدات والآليات الصناعية من إبرة الخياطة إلى الجرارات، والمعدات الكهربائية والمواد الغذائية والصابون والبسكويت والسجائر والمشروبات الهضمة والغازية.

وفي كوالالمبور جامعات ومعاهد أحيطت بسكن للأساتذة وللطلاب منها: الجامعة الإسلامية. كما أنشأت الدولة مؤسسة الدعوة الإسلامية ومؤسسة الاقتصاد الإسلامي. كما أقامت معاهد تجارية ومعاهد وكليات اقتصادية وتجارية ومعاهد العلوم والتكنولوجيا. وساهمت الدولة في إرسال بعثات طلابية إلى جامعات العالم العربي والإسلامي لتلقي علوم الدين والدعوة. وقد أسس هؤلاء الطلاب بعد تخرجهم «اتحاد الشباب الملايوي» الذي ساهم بفعالية في استقلال البلاد عن الإنجليز. بالإضافة إلى ذلك فإن ماليزيا تهتم بالتعليم الابتدائي والتكميلي والثانوي.

هذه هي كوالالمبور تلك المدينة العصرية التي تحمل مزايا العصر الحديث وتراث الماضي والحاضر الإسلامي والعربي.

القوقاز

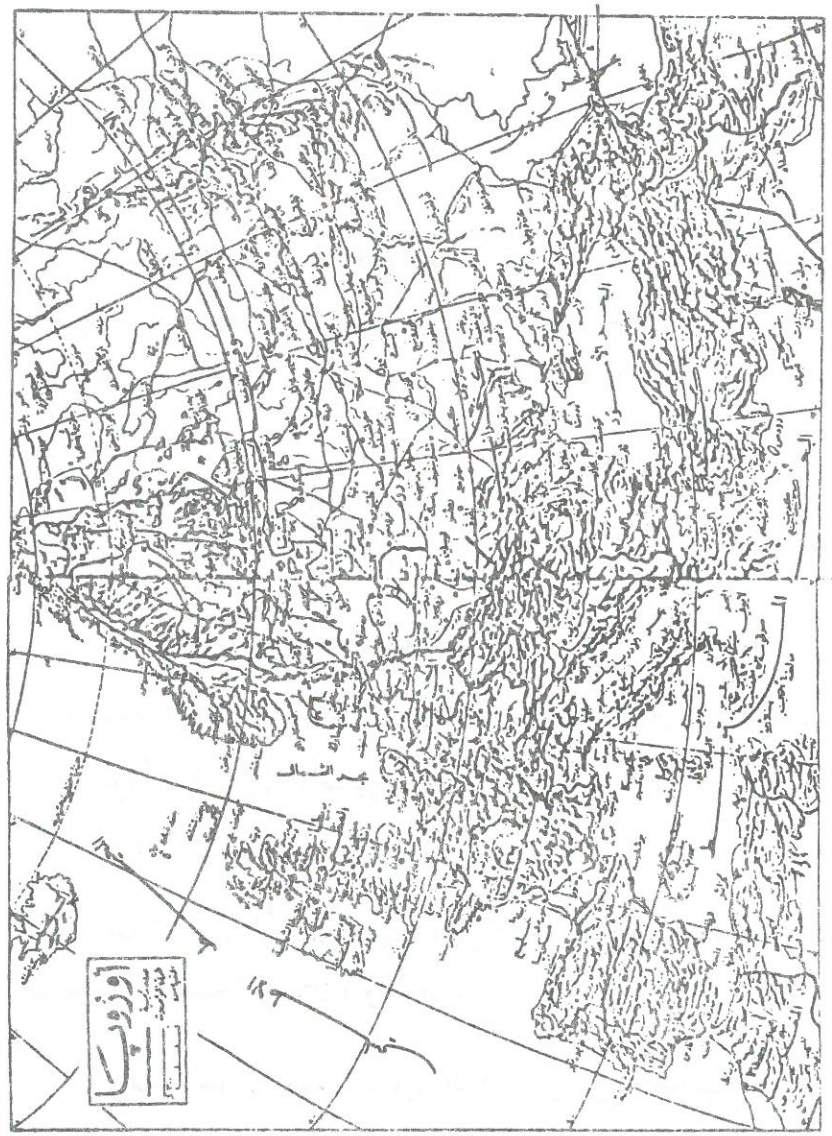

القوقاز

يحد القوقاز أو قفقاسيا شرقاً بحر الخزر وغرباً البحر الأسود وتمتد بينهما جبال القفقاس، وشمالاً نهر تَرَك وقوبان وجنوباً نهرا كُرْ وربيون. وتسمى قفقاسيا «القفقاس». وتنقسم إلى ثلاثة أقسام:

أولاً ـ سلسلة جبال قفقاسيا.

ثانياً ـ القسم الواقع شمال تلك السلسلة.

ثالثاً ـ القسم الواقع جنوبها.

واستناداً إلى تقسيم الجغرافيين ينقسم سكان القفقاس إلى قسمين:

أولاً ـ السكان الأصليون.

ثانياً ـ الأجانب.

أما السكان الأصليون فهم: الجراكسة، الكُرْج، الداغستانيون، الچچن، القوصحة (أستين) والأرمن.

وأما الأجانب فهم: التتار، الترك، الروس، العجم، الألمان، اليهود.

وكان عدد سكان القوقاز في أوائل القرن العشرين في العهد العثماني يقارب إثني عشر مليوناً من الأنفس. أما الأديان المنتشرة بين السكان فهي: الإسلام وهم الأكثرية، والنصرانية، واليهودية.

لقد تشكلت في قفقاسيا في الأزمنة السابقة عدة حكومات وهي:

- حكومة بلاد الجركس.
- حكومة بلاد الداغستان والچچن.
- حكومة بلاد الكُرج.
- حكومة الأرمن.
- حكومة البانيا.
- حكومة سوآنه تي.

ونظراً لأهمية ودور الجراكسة في تاريخ قفقاسيا، فإننا سنتناول تاريخهم وأوضاعهم في مدينتهم ومناطقهم. فكلمة «أدغة» هو الاسم القومي للجراكسة ومعناها «الإنسان الكامل». وقد أجمع علماء الأنساب والأنتروبولوجيا، على أن قفقاسيا كانت مهد الجنس الأبيض، ونسبوا إليها جميع البيض سكان آسيا وأوروبا وأسموهم بالجنس القفقاسي. وأشير كثيراً لجبال القفقاس في الكتب المقدسة وذكرت فيها باسم جبل «قاف». والجراكسة أقدم الأمم الذين سكنوا قفقاسيا من آلاف السنين. وأول من كتب عن قفقاسيا والجراكسة هم اليونان والرومان لا سيما هيرودوت وسترابون وبلين (Pline). بل أشار الفراعنة في نقوشهم في مصر، والأشوريين في بلادَ ما بين النهرين إلى بلاد القفقاس. كما كتب الطبري عن هذه البلاد وعن شعبها الجركسي.

أما فيما يختص بلغة الجراكسة في القوقاز، فإنها غير مدونة. وعلماء اللغة يقرون أن لا تشابه بين لغة الجراكسة وبين لغات العرب أو الروم أو سائر الأقوام القديمة. علماً أنها تأثرت فيما بعد باللغة العربية وألفاظها ومصطلحاتها.

ومرت القوقاز بأدوار سياسية عديدة. فمنذ أواخر القرن الأول الميلادي انتشرت المسيحية في جنوب البلاد ووصلت لبلاد أباظة. وفي القرن الثالث الميلادي دخلت البلاد تحت سيطرة البيزنطيين. كما استولت الصين في القرن الرابع للميلاد على جزء من جنوب القفقاس. ومرت قفقاسيا بدور سياسي هام ابتدأ من أوائل القرن السابع للميلاد لغاية القرن الثامن عشر الميلادي ومدته ألف سنة تقريباً، ويبتدىء بدخول العرب إلى جنوب قفقاسيا وانتشار الدين الإسلامي سنة ٢٢ هجرية، وتأسيس حكومة عربية في البلاد.

ولما أسس العثمانيون حكومتهم في الأناضول في القرن الثالث عشر. ثم فتحوا القسطنطينية وأسقطوا الامبراطورية البيزنطية في القرن الخامس عشر الميلادي دخل الجراكسة تحت نفوذ العثمانيين الاسمي. ثم احتل العثمانيون بعض المواقع على سواحل البحر الأسود. وفي عهد بطرس الأكبر تقدم الروس ووسعوا حدودهم في منطقة الداغستان واحتلوا مضيق قفقاسيا الشهير. وهذا أدى بدوره إلى تزايد الصراع الروسي ـ العثماني على المنطقة لا سيما في القرن الثامن عشر. ولما جاء المغول من آسيا، لم يستطع العثمانيون ولا الروس الوقوف في وجههم. وشهدت قفقاسيا دور الانقراض والزوال في أوائل القرن الثامن عشر عندما قررت روسيا ضمها إليها. وانتهى ذلك الدور باندحار القفقاسيين بما فيهم

الجراكسة وانكسارهم انكساراً تاماً أمام قوات الروسيا وهجرتهم العامة من بلادهم ابتداء من عام ١٨٦٣، وابتدأت هجرتهم إلى مختلف الأمصار والأقطار.

ومن زعمائهم المشهورين في الجهاد ضد الروس الزعيم القوقازي الشهير «شامل». أما أهم مدنهم فهي: سيواستپول، وإنجرمان، ونارتسانا، وصوجي، وبسوهابه. أما «ته رَكْ قالـه» فهي عاصمة جمهورية شمال القوقاز.

أما فيما يختص بنظام الحكم في قفقاسيا، فقد قضت التقاليد القومية بأن يتولى إمارة القبيلة أمير من العائلات النبيلة «بشي» وأن تنتقل إليه الإمارة بالوراثة. أما الدعاوى والمنازعات العادية بين أهالي قفقاسيا فهي من اختصاص شخص يسمى «الوَرْقْ» يحكم حسب نصوص الشريعة الإسلامية. وبلاد الجراكسة عموماً تدين لقانون واحد عرف باسم «الأديغة خابزه» المستمد من التقاليد والعادات القديمة.

وفي قفقاسيا تتسم الحياة الاجتماعية بملامح خاصة مميزة. فالزواج له قيود وشروط وعادات. والسيدات لهن احترامهن في نظر الرجال. والجراكسة يربون أطفالهم وفق عاداتهم وتقاليدهم. ولا تزال هذه العادات والتقاليد منتشرة في مجتمعات الجراكسة أينما وجدوا مثل روسيا والأردن وسوريا وسواها، حيث يحافظون على لغتهم وعاداتهم وتقاليدهم وملبوساتهم الشعبية.

أما فيما يختص بالملامح الأثرية في قفقاسيا، فلا تزال توجد بعض الحصون والقلاع في جهات «انجرمان» بالقرب من

«سيواستپول» في شبه جزيرة القرم من آثار القبرطاي. وتوجد بعض آثار لحصون قديمة بين نهري «جَجْم» و«باقسان»، ومعابد في جهات مجرى نهر كوبان الأعلى. وتوجد بعض الآثار في جهات «زلنجوق» و«چولات» وآثار شهيرة في «ملقا» و«برغوسانت». وفي برغوسانت عين مياه جارية كان لها مقام مقدس كانوا يسمونها «پسناج» أي العين المباركة.

والحقيقة فإن بلاد قفقاسيا بما تزخر من أمم وشعوب وعادات وتقاليد وآثار، تعتبر من البلاد الإسلامية التي نساها الزمن، ولعل الانتشار الشركسي في بعض البلدان العربية هو الذي يذكرنا بماضي هذه الأمة وتاريخها المجيد.

باكو

مدينة باكو: هي عاصمة أذربيجان، وهي من المدن الإسلامية العريقة، وتقع اليوم في الاتحاد الروسي الجديد. وهي تقع في القسم الجنوبي من شبه جزيرة أَبشيرون على الساحل الغربي لبحر قزوين، كما لو أنها كانت مدرجاً متعدد الطبقات يلتقي عند الخليج. وتتميز بمناخ معتدل مشمس صيفاً ومعتدل شتاءً.

وتعتبر «باكو» من المدن الإسلامية التي كانت تابعة للخلافة الإسلامية عبر التاريخ. وشهدت فترات عديدة من الرقي والتطور الحضاري والثقافي والفني. ففي القرنين الثاني عشر والخامس عشر الميلاديين كانت «باكو» مركز دولة شيروان، وكانت خطوط التجارة البحرية في قزوين تمر عبرها. وفي القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين كانت قلعة «باكو» تعتبر واحدة من أقوى القلاع فيما وراء القفقاس، وقد نشبت حولها العديد من المعارك الحربية. وفي أوائل القرن التاسع عشر كانت باكو، تضم ما يقارب خمسة آلاف من المسلمين يعيشون داخل السور والقلعة.

وبسبب التطورات والصراعات الاقليمية والدولية، وبسبب

التنافس على مناطق أذربيجان، فقد ألحقت باكو في عام ١٨٠٦ بروسيا القيصرية.

والأمر الملاحظ أن سكان «باكو» يمتازون بجدية في العمل والمثابرة على الرقي والتقدم، وقد ساعدهم على ذلك أن منطقتهم تذخر بالثروات النفطية والمعدنية في بطون أبشيرون كما يعتبر مرفأ باكو أكبر ميناء في قزوين.

ثم ما لبثت أن تطورت حركة الملاحة والتجارة فيها. وفي مستهل القرن العشرين لم تكن توجد في روسيا القيصرية مدينة تضاهي باكو من حيث نطاق توسع الأراضي وسرعة تزايد السكان الذي يبلغ عددهم حالياً أكثر من مليونين ونصف المليون نسمة.

وتعتبر باكو من أكبر المراكز الصناعية والعلمية والثقافية ليس في أذربيجان فحسب، وإنما في الاتحاد السوفيتي (سابقاً). ويعتبر النفط عماد الصناعة في باكو، فمن المواد النفطية يستخرج الكاوتشوك الاصطناعي والمواد الطبية والروائح العطرية والألياف الكيمائية. كما تتميز باكو بأنها منطقة صناعية وعمالية، حيث تنتج الآلات الكهربائية والمعدات الزراعية والمنتجات الغذائية والأقمشة ومواد البناء، وصناعة تكرير البترول.

ومن مميزات وملامح «باكو» وجود المعاهد والمدارس والجامعات والكليات متعددة الاختصاصات الطبية والنفطية والكيمائية والمعهد البولوتكنيكي ومعهد الطب ومعهد التربية البدنية ومعهد الفنون ودار المعلمين والمعلمات والكونسرفتوار. وتعتبر جامعة باكو من أهم الجامعات في المنطقة، حيث تتميز بتطورها ورقيها العلمي. وتضم أكاديمية العلوم في جمهورية أذربيجان ما

يقارب ثلاثين معهداً علمياً في مختلف الاختصاصات. كما تضم «باكو» أكثر من مائة وخمسين مكتبة عامة وستة عشر متحفاً وستة مسارح ومحطة للاذاعة والتلفزيون. وتصدر في باكو ست وسبعين صحيفة ومجلة بثلاث لغات.

ومن ملامح باكو الإسلامية مساجدها الأثرية المتعددة المبنية على الطراز المعماري الإسلامي. ومن ملامحها أيضاً قلعتها الأثرية التاريخية التي بنيت ابتداء من القرن الثاني عشر الميلادي. ومن التحف الإسلامية المعمارية الأذربيجانية قصر الشيروانشاهيين الذي أقيم في القرن الخامس عشر الميلادي. كما يلاحظ وجود الكثير من المزارات والمقامات الدينية الإسلامية بقبابها ومقرنصاتها المشهورة التي تتشابه مع مقرنصات جامع قرطبة في الأندلس.

ولا تزال باكو تحتفظ بشوارعها الأثرية القديمة، حيث يلاحظ المُشاهد التراث المعماري الإسلامي لا سيما نظام المشربيات الخشبية التي تطل على الشوارع. ومن ملامح باكو أيضاً البرج الشهير المشهور «ببرج البنات».

أما فيما يختص بالعادات والتقاليد، فلا يزال أهل باكو يتوارثون الكثير من العادات والتقاليد الإسلامية، بما في ذلك المأكولات الشرقية. وتضم البيوت الاذربيجانية ومتحف باكو آيات من التراث الفني والصناعي الإسلامي مثل السجاد والأواني النحاسية والفضية المنقوشة بنقوش على غاية من الجمال بالإضافة إلى منحوتات وتحف أخرى.

ومن ملامح باكو الأثرية تمثال الشاعر نظامي الذي عاش فيها في القرن الثاني عشر الميلادي وتمثال الشاعر فضولي الذي عاش في القرن السادس عشر الميلادي. وهذا يدل على ما أنجبته باكو من رواد في ميدان الشعر والأدب والعلم.

باكو مدينة من الماضي تحمل مآثره وحضارته وتطل على الحاضر والمستقبل.

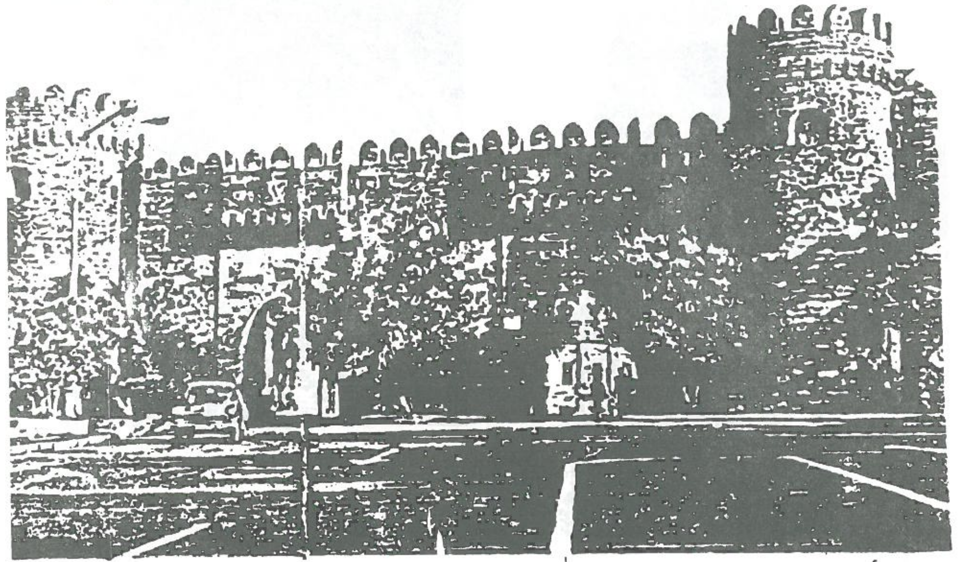

يبدأ تعرفنا على باكو من جدران القلعة القديمة، تلك الجدران التي أنشئت في القرون الثاني عشر ـ الخامس عشر.

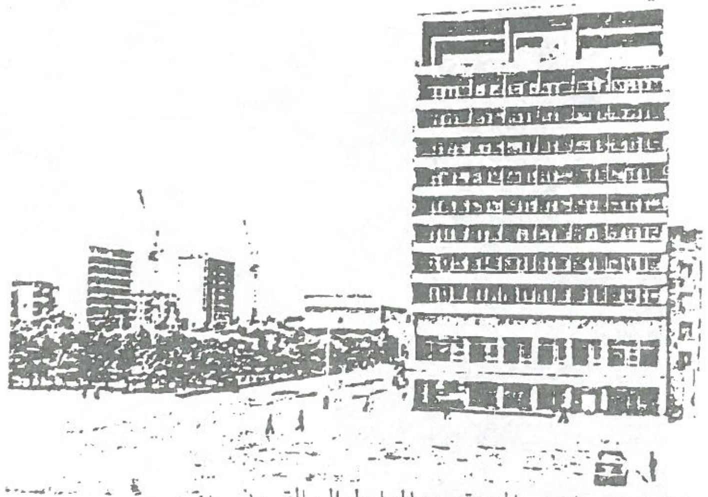

ارتسمت ملامح المدينة ومعالمها طوال القرون .

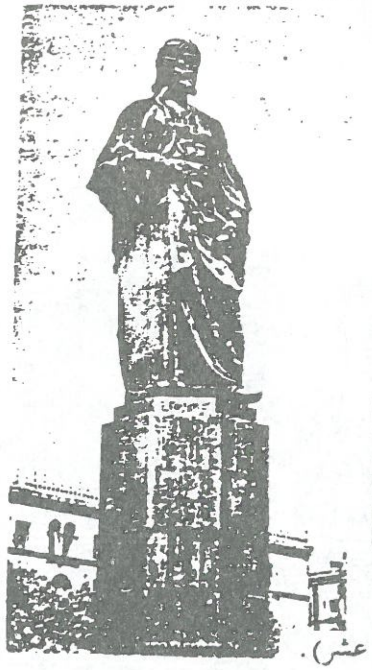

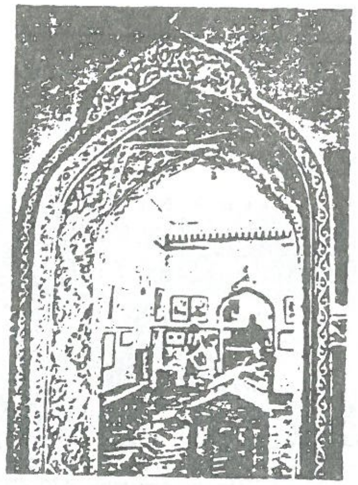

تمثال الشاعر نظامي (القرن الثاني عشر) .

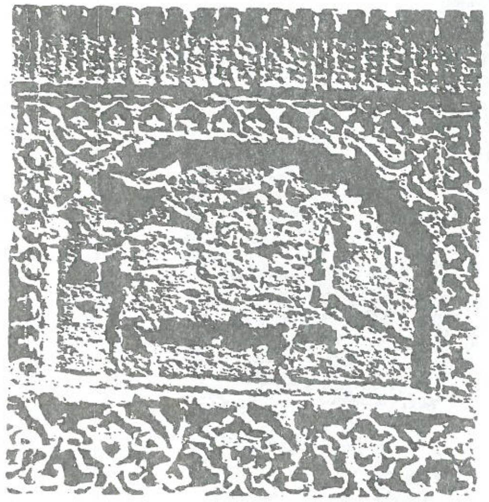

قصر الشيروانشاهيين (القرن الخامس عشر)

وهو من تحف العمارة الأذربيجانية .

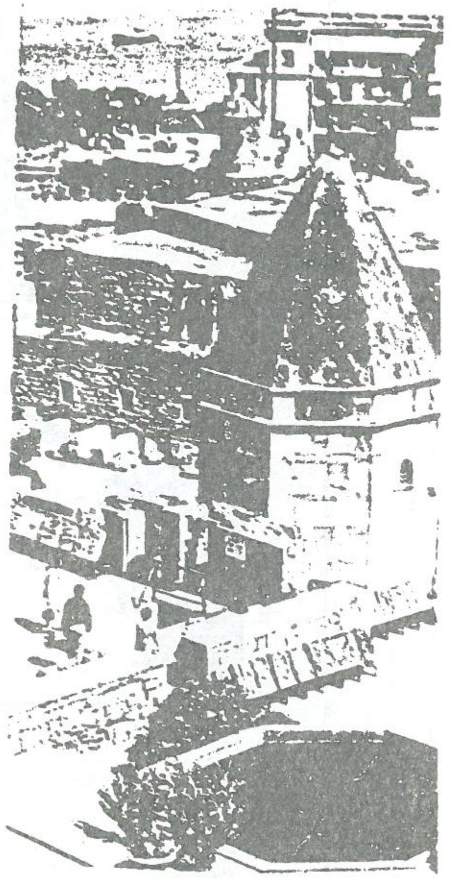

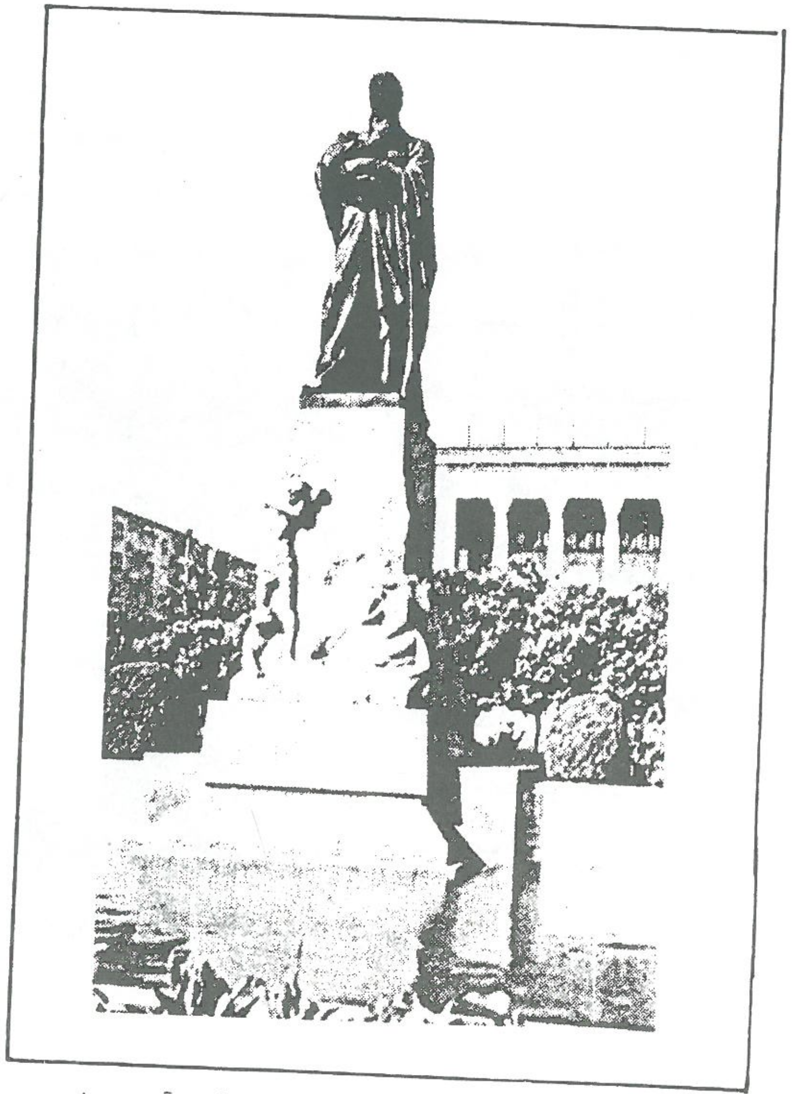

تمثال الشاعر فضولي (القرن السادس عشر) ومكتبة آخونـدوف (القرن التاسع عشر).

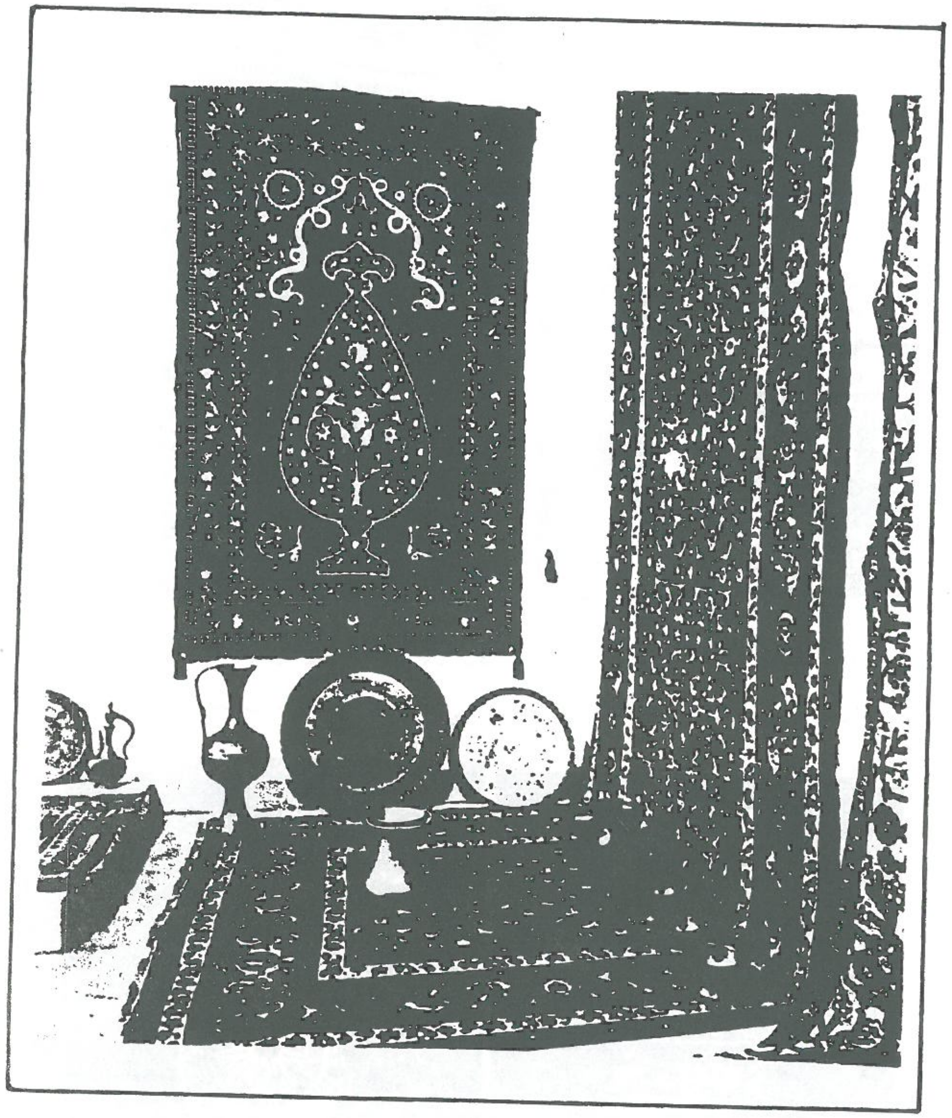

Riyad Nassar

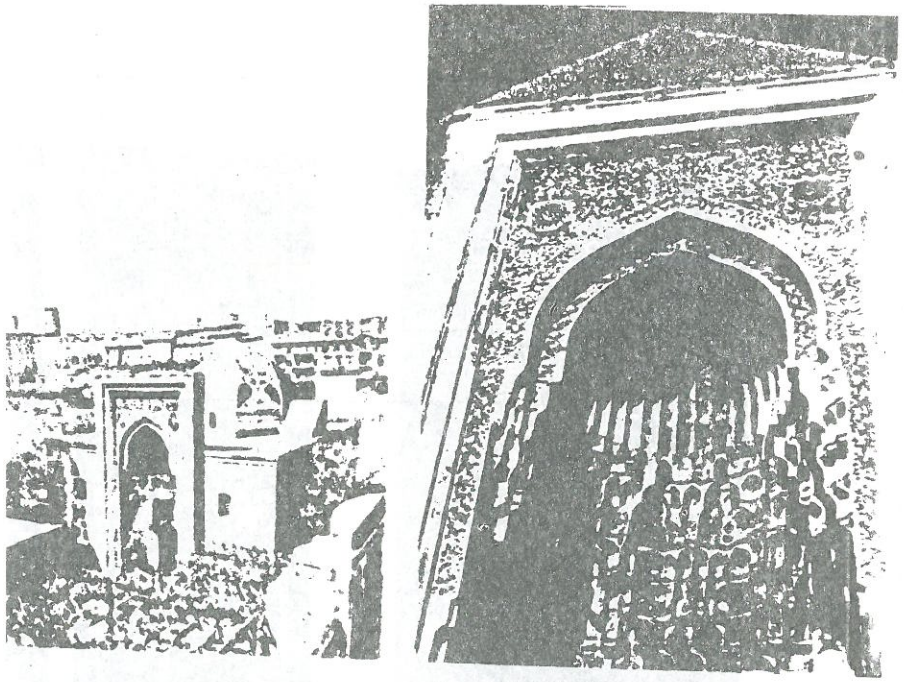

تبدو القلعة كجزيرة صغيرة في باكو العصرية .

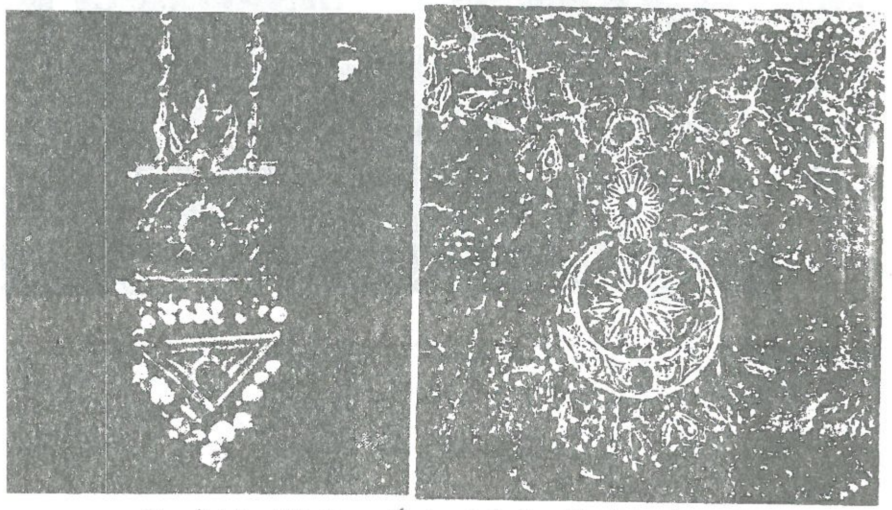

لدى الصياغة والفن التطبيقي في أذربيجان تقاليدهما العريقة .

سمرقند

تقع سمرقند في بلاد ما وراء النهر حسب التعابير التاريخية، وهي اليوم ثاني مدن جمهورية أوزبكستان السوفيتية. وكانت من المدن الإسلامية الهامة في الجناح الشرقي لديار الإسلام. وكانت سمرقند عاصمة بلاد ما وراء النهر لمدة خمسة قرون منذ عهد السامانيين إلى عهد التيموريين. وقد أطلق عليها الرحالة العرب اسم «الياقوتة» الراقدة على ضفاف نهر زارافشان. وهي المنافسة التاريخية لبخارى، وهي العاصمة الراشدة التي أعدها تيمورلنك لتحتل الصدارة في عهده.

وكان لسمرقند عبر التاريخ سور قديم وأربعة أبواب: هي باب الصين الذي يقود إلى الشرق، وباب بخارى إلى الشمال، وباب النوبهار إلى الغرب، والباب الكبير أو باب كش إلى الجنوب الذي يرتبط باسم بلدة كش موطن تيمور الأصلي، وقد أشار الأصمعي بأنه وجدت كتابة بالعربية اليمنية الحميرية عند باب بخارى هذا نصها: «بين المدينة وبين صنعاء ألف فرسخ وبين بغداد وبين أفريقية ألف فرسخ، وبين سجستان وبين البحر مائتا فرسخ، ومن سمرقند إلى زامين سبعة عشر فرسخاً». سكان سمرقند حوالي ٣٠٠ ألف نسمة. مناخها قاري كالمناخ السائد في آسيا الوسطى.

وكانت فتوحات المسلمين لمناطق وراء نهر جيحون قد بدأت منذ عام ٤٦ للهجرة. وقد فتحت سمرقند بقيادة قتيبة بن مسلم في عام ٦٨ للهجرة. وتقدم الإسلام منها إلى الصين والهند وروسيا ذاتها، حتى إن الأراضي الروسية ظلت خاضعة للسيطرة التترية الإسلامية لمدة ثلاثة قرون، بل كان دوق موسكو يدفع الجزية سنوياً لأمير بخارى. هذا وقد ورد ذكر سمرقند ووصفها لدى الكثير من المؤرخين والرحالة العرب والمسلمين أمثال: الأصطخري وابن بطوطة وابن الأثير وياقوت الحموي، فأشاروا إلى موقعها وملامحها وخيراتها وعلمائها ومزاراتها وواقع الإسلام والمسلمين فيها. وأشارت المصادر التاريخية إلى أن سمرقند مرت عبر تاريخها بويلات وكوارث كان أهمها ثلاث: تدمير الاسكندر لها عام ٣٢٩ قبل الميلاد، وكانت تعرف وقتذاك باسم «مرقندا». والمرة الثانية التي تعرضت فيها للتدمير كانت في عهد جنكيزخان عام ٦١٧ هجرية - ١٢٢٠ ميلادية. أما التدمير الثالث فكان على أيدي الأوزبك حوالى منتصف القرن التاسع الهجري - القرن الخامس عشر الميلادي. وكانت قبائل الأوزبك حتى هذه الفترة لم تعتنق الإسلام.

والأمر الملاحظ إن المعالم الإسلامية العديدة في سمرقند لا تزال إلى اليوم تميز ملامحها وأهلها وآثارها. ومن أهم معالمها الأثرية التي تشهد على تاريخ المسلمين في سمرقند منشآت «شاه زنده» وتتضمن الكثير من المؤسسات والآثار الإسلامية منها: ضريح قثم بن العباس بن عبد المطلب ابن عم النبي محمد ﷺ، الذي قيل بأنه استشهد في فتح سمرقند عام ٥٧ هجرية. وأقيم له ضريح على غاية من الروعة والجمال، غير أن تاريخ البناء الموجود حالياً

يعود لعام ٧٥٣ هجرية، وهو قد يكون تاريخ تجديد الضريح. وقد أشار ابن بطوطة في رحلته، بأن أهل سمرقند يخرجون كل ليلة اثنين وجمعة لزيارته، والتتر يأتون لزيارته وينذرون له النذور العظيمة، ويأتون إليه بالبقر والغنم والدراهم والدنانير. ويضم الضريح ثلاث قاعات ومسجد وغرفة للعبادة والصوم.

والواقع فإن «شاه زنده» التي تعني «الملك الحي» تحولت بسبب ضريح ابن عم الرسول ﷺ إلى مجموعة من الأضرحة والمنشآت الدينية تقرباً وتكريماً. وكان ذلك كفيلاً بأن يوفر للأضرحة المقامة حول ضريح قثم وللمساجد أسباباً عديدة للعناية بها والإنفاق الكثير عليها، جعلت منها قطعاً فنية رائعة، واجتمعت لأجلها قدرات أمهر الفنانين والبنائين في عهد تيمورلنك وبعده، حتى أصبحت مجموعة «شاه زنده» من أهم التراث المعماري الفريد في آسيا.

وفي هذه المنطقة الأثرية الدينية مساجد حُوِّل بعضها إلى متحف لتاريخ الفن والحضارة في أوزبكستان، ومدارس عديدة. كما يوجد ضريح بُني فوق قبر العالم الفلكي قاضي زاده الرومي أستاذ الأمير أولوغ بك حفيد تيمورلنك وأمير سمرقند فيما بعد. كما توجد أيضاً مجموعة من الأضرحة تعود إلى القرن الرابع عشر الميلادي عندما اختار تيمورلنك سمرقند عاصمة له. ومن الأضرحة المشهورة ضريح «طوغلوتكين» إحدى الأميرات المغوليات. وإلى جواره ضريح آخر عرف باسم «أمير زاده». وبجانبه مصلى صغير اسمه «زيارة خانه» غطيت جدرانه بنقوش كثيفة تلمع رغم الظلام النسبي الذي يسود المكان. وهناك ضريح هام هو بمثابة تحفة

معمارية وفنية هو ضريح الأميرة «شيوين بيكه آقا» شقيقة تيمورلنك. كما يوجد ضريح آخر لشقيقة أخرى لتيمورلنك هي الأميرة «تركان آقا».

ومن الملامح والمنشآت المميزة في منطقة «شاه زنده» مجموعة كاملة من المباني أنشئت بأمر من الأميرة «ترمان آقا» زوجة تيمورلنك، وتضم مسجداً (خانقاه) وضريح «ترمان آقا» الذي لا يقل روعة وجمالاً عن أي ضريح آخر في «شاه زنده» بل ويزيد عليها جميعاً ببوابة مكسوة بالفسيفساء ليس كمثلها بوابة أخرى. كما تضم هذه المجموعة حجرة متوسطة للخدمة.

ومن معالم سمرقند في شرق ميدان ريكستان، المسجد الجامع الذي شُيد في أواخر القرن الرابع عشر، ويطلق عليه اسم «مسجد بي بي خانم» زوجة تيمورلنك الكبرى. ويذكر بأن تيمورلنك هو الذي وضع أسس المسجد في أعقاب حملته الناجحة على الهند. وفي الجانبين الشمالي والجنوبي من المسجد يقوم مسجدان صغيران لكل منهما قبة تواجه الأخرى.

ومن معالم سمرقند الأثرية البارزة، مرصد الأمير أولوغ بك المقام عند سفح هضبة «تشو بان آقا». وقد بناه الأمير أولوغ بين عامي ١٤٢٨ ـ ١٤٢٩ م، وهو يحمل قيمة علمية وتاريخية. فقد كان من أكبر المراصد العلمية في الشرق. وكان أولوغ ذاته فلكياً بارزاً في العالم خلال العصور الوسطى. وله مؤلف ضخم باسم «الجداول الفلكية الجديدة» ضمنه كتالوج لـ«١٠١٩» نجمة مرتبة وفقاً للأبراج والازياج. وكان هذا المرصد مقاماً من ثلاثة طوابق، ضمت الأدوات الفلكية وأدوات الرصد.

ومن المعالم الأثرية الهامة في سمرقند ضريح الإمام البخاري الواقع في ضاحية سمرقند عند مشارف قرية «باي اريق» حيث دفن هناك بعد وفاته في القرن الثالث الهجري عن اثنين وستين سنة، وذلك بعد هجرته من بخارى. وقد زار الضريح ابن بطوطة بعد وفاته بخمسمائة عام، وكان مدفوناً إلى جواره عدد من علماء بخارى. وقد أقيم بالقرب من ضريحه قبل سنوات قليلة مسجد حديث في أواخر السبعينات من هذا القرن. وإلى اليوم لا ينقطع المسلمون في سمرقند وضواحيها عن زيارة ضريح الإمام البخاري تبركاً وتقرباً حتى أن من العادات المألوفة إلى اليوم، هي زيارة العريس وعروسه الضريح لقراءة الفاتحة وليبارك الله هذا الزواج. وهي عادة شائعة عند الأوزبك، كما هي شائعة في بعض مناطق العالم الإسلامي. وكما هي شائعة عند مسلمي مدينة الاسكندرية الذين يزورون مسجد ومقام سيدي المرسي أبو العباس في جولة دينية بعد عقد القران، وكما كان يفعل أهل بيروت في العهد العثماني عندما كان العريسان يزوران مقام سيدي الإمام الأوزاعي.

ومن ملامح سمرقند أيضاً قبر تيمورلنك، حيث يتميز بقبته الباهرة التي تعلو الضريح. وهي قبة فيروزية مضلعة ومكسوة بكم هائل من زخارف الفسيفساء. ويسمى هذا الضريح باسم «كور أمير» أو مدفن خلفاء الأمير تيمور. وكورامير يطلق أيضاً على مجموعة من المباني المرتبطة باسم حفيد تيمور المعروف باسم محمد سلطان وتضم هذه المجموعة مدرسة خانقاه، والضريح الملحق بالمسجد، ومبان عديدة تطل مئذنة من كل ركن فيها. كما يتميز البناء بوجود حجر المرمر الرمادي السداسي الشكل وهو حجر العرش الذي لا يزال يطلق عليه الاسم التقليدي له «كوك طاش».

ومن أهم مدارس سمرقند التاريخية في قلب ميدان ريكستان ثلاث مدارس هي: مدرسة أولوغ بك، ومدرسة شيرادار أي عرين الأسد، ومدرسة طلا كاري أي المطلية بالذهب.

ومدرسة «اولوغ بك»، ذات واجهة مهيبة وعالية، وتنتصب حول بوابتها مئذنتان عاليتان، وتظهر قبة في ركن جانبي، والكل حافل بالنقوش البديعة. وكانت المدرسة تضم (٥٠) غرفة للدراسة والإعاشة ويدرس بها حوالى مائة طالب ثم ازداد العدد إلى أكثر من ذلك. وكان المبنى يشتمل على طابقين وأربع قباب عالية فوق قاعات الدراسة الركنية (درس خانه). وكان اولوغ بك قد تولى بنفسه التدريس في هذه المدرسة.

أما مدرسة «شيرا دار» فقد كانت في الأساس زاوية للصوفيين ومسجداً لهم. ثم أقام حاكم سمرقند في المكان ذاته هذه المدرسة العظيمة الموجهة لمدرسة اولوغ بك. ولكن الناظر إلى واجهتها لا يظنها مدرسة نظراً للفخامة والعظمة والروعة المعمارية التي تتميز بها لا سيما بابها وقببها والمنارتان اللتان انتصبتا بشموخ على مداخلها.

أما مدرسة «طلا كاري» فهي المدرسة الذهبية الفخمة التي تمثل المضلع الثالث في ميدان ريكستان، ويلاصقها المسجد. وهي تتميز بفن معماري جذاب وبثروة في الألوان والزخارف. وهي من بناء القرن السابع عشر الميلادي أي حوالى عام ١٦٤٦ م.

هذه المدارس الدينية والعلمية توقفت رسالتها الإسلامية بعد أن تحولت منذ عام ١٩١٨ إلى مبانٍ أثرية سياحية. وكانت

التحولات في هذه المناطق الإسلامية قد بدأت خطورتها تظهر عندما سقط بيد الروس أول حصن إسلامي عام ١٨٥٢ هو حصن «آق مسجد» في بلاد ما وراء النهر. وبينما كانت الدولة العثمانية تهدد في منتصف القرن السادس عشر وسط أوروبا وتزحف إلى افريقيا وآسيا، كانت روسيا القيصرية تهاجم المناطق الإسلامية حتى سقطت قازان في منطقة الفولغا، وبعدها دولة خانات ستراخان ثم مملكة سيبير المسلمة في سيبيريا. ثم اتجهت الجيوش الروسية إلى الجنوب إلى تركستان في القرن التاسع عشر. وتساقطت الخانات فيما وراء النهر الواحدة تلو الأخرى، حتى زحف ثمانية آلاف من جيوش الروس نحو سمرقند وعبروا نهر زارافشان في ١٣ أيار (مايو) عام ١٨٦٨ وسيطروا عليها في اليوم التالي.

وبالرغم من جميع التحولات السياسية والعسكرية في سمرقند، فإن معالمها وملامحها وسكانها وحياتها الاجتماعية لا تزال تزخر بالإسلام وبالحياة الإسلامية. ومن المرجح أنه بعد التحولات السياسية التي أدت إلى انهيار الاتحاد السوڤيتي وبالتالي الشيوعية إلى تحرر المسلمين من الضغوطات التي سبق أن عانوا منها في مختلف المناطق (السوڤياتية) الروسية.

قازان

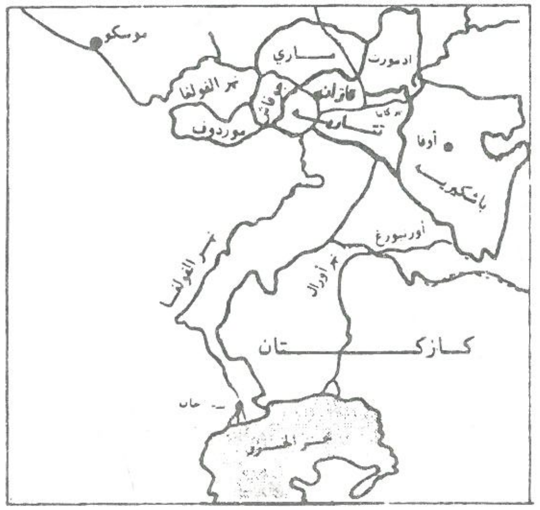

قـازان

قازان عاصمة جمهورية تتاريا السوڤيتية، وهي جمهورية ذات حكم ذاتي ضمن جمهوريات الاتحاد السوڤيتي (السابق). قامت عام ١٩٢٠. مساحة هذه الجمهورية ما يقارب (٦٨) ألف كلم مربع، وعدد سكانها حوالي ٤ ملايين نسمة. ويتجاوز عدد سكان العاصمة قازان مليون نسمة. وهي تقع في قارة أوروبا في الجانب الشرقي من جمهورية روسيا الاتحادية، يمر فيها نهر الفولغا ويلتقي بنهر كاما، كما يمر بموسكو أيضاً. ومدينة قازان تقع أيضاً على الجانب الأيسر من نهر الفولغا.

أما حدود جمهورية تتاريا فيحدها من الشرق جمهورية باشكيرية وتحدها من الغرب والشمال جمهوريات صغيرة ذات حكم ذاتي مثل: جوفاش، موردوف، ماري، ادمورت، وفي الجنوب تقع جبال الأورال وجمهورية كازاخستان الاتحادية وجمهورية شكالوف ذات الحكم الذاتي.

وكان معظم سكان هذه المناطق يدينون بالإسلام، ومن بينها جمهورية تتاريا. وأهالي قازان ومناطق تتاريا هم في الأصل من التتر المغول الذين سيطروا على أجزاء من آسيا وأوروبا في القرن الثالث عشر الميلادي. وقد جاء هؤلاء التتر من شرق آسيا ووسطها أو من

وسط سيبيريا كما ترى بعض المصادر التاريخية. وبعد أن انحسرت سيطرتهم عن الشرق، ظل التتر يسيطرون على جميع مناطق روسيا وسيبيريا تقريباً. وظلت امبراطوريتهم حتى أواخر القرن الخامس عشر، حين تمزقت وانقسمت إلى خانات وإمارات مستقلة حيث سقطت في أيدي الأتراك العثمانيين والقيصر الروسي إيفان الرابع. وأصبحت تتاريا عام ١٥٥٢ جزءاً من الامبراطورية الروسية.

وكان التتر المغول في الأصل من الوثنيين، وقد أسقطوا دولة الخلافة العباسية في بغداد عام ١٢٥٨ م. وكانت بداية تحولهم من الوثنية إلى الإسلام عندما تولى بركة خان ابن جوجي ابن جنكيزخان حكم قبيلته المعروفة بالقبيلة الذهبية وذلك عام ١٢٥٦. وكان بركة خان قد دخل الإسلام منذ طفولته. واستمر حكم بركة خان إلى عام ١٢٦٧ م، وتحول في أثنائها معظم أفراد القبيلة الذهبية إلى الإسلام.

وكان سلطان الإسلام في عهد هذه القبيلة يمتد من تركستان حتى روسيا وسيبيريا بما فيه موسكو. ولم يكن أمير موسكو يُنصب إلا بعد موافقة المسلمين. وقد أقام التتر المسلمون مدينة قازان في شمال نهر الفولغا والتي أصبحت فيما بعد العاصمة والمدينة الرئيسية. واختلط سكان قازان المغول ببلغار الفولغا المسلمين اختلاطاً شديداً، وأصبح سكان هذه المناطق يعرفون جميعاً باسم «التتار». ثم نتيجة للخلافات والانقسامات الحادة بين المغول انقسمت امبراطوريتهم في مجرى نهر الفولغا وحوله إلى عدة دويلات وإمارات وخانات وذلك منذ عام ١٤٣٨ م. وهكذا بدأت تضعف وتتهادى الامبراطورية المغولية وتسقط الخانات الواحدة تلو الأخرى في أيدي الروس في تلك المناطق.

وترجع بعض المصادر إلى أن الإسلام انتشر على ضفاف نهر الفولغا منذ زمن طويل، أي قبل بعثة الخليفة المقتدر العباسي إلى ملك البلغار التي ترأسها ابن فضلان عام ٩٢١ م إلى مدينة بلغار عاصمة الدولة آنذاك التي ما زالت شواهدها قائمة على بعد بضعة كيلومترات من مدينة قازان. وكان ملك البلغار طلب من الخليفة العباسي إرسال بعثة إليه تفقهه في الدين الإسلامي وتعرفه على شرائع الإسلام وتبني له مسجداً وتنصب له منبراً يقيم عليه الدعوة للخليفة في جميع مملكته.

هذا وقد قامت مدينة قازان بدور بارز في نشر الإسلام والحضارة الإسلامية في المناطق المتاخمة، وتنامى دورها عبر التاريخ الإسلامي والقيصري على السواء. وتلفت نظر الزائر لمدينة قازان المباني العريقة والقصور الشامخة والأبراج المرتفعة وبعض الآثار الإسلامية. كما تتميز قازان بوجود أحد المباني العريقة المعروف باسم «كرملين قازان» وهو يشبه إلى حد كبير مباني الكرملين في موسكو. وهذه المباني من عهد القيصر ايفان الذي جعل من قازان بوابة له نحو الشرق. وأضاف بقية القياصرة الذين جاؤوا من بعده بعض المباني القازانية، وهي المباني التي تعتبر المقر الرسمي للحكومة.

وفي قازان جامعة عريقة تعرف باسم جامعة قازان أو جامعة «أوليانوف» وهي إحدى أعرق الجامعات في العالم. وقد تم افتتاحها عام ١٨٠٤، وتعلم فيها مئات الألوف وتخرج منها عشرات الآلاف منهم عدد من الشخصيات الشهيرة مثل: لينين، تولستوي، وعالم النفس المشهور بافلوف، وبوتليروف اختصاصي الكيمياء،

وفشينفسكي اختصاصي الجراحة، وفانيلوف وسواهم الكثير. وكان والد لينين مفتش المدارس أوليانوف يقطن في قازان مع عائلته وأولاده، الأمر الذي دعا لينين للالتحاق بجامعة قازان عام ١٨٨٨م. ولهذا ترى في قازان تمثالاً قائماً للينين(*). وقد تخرج من هذه الجامعة في الفترة الممتدة بين ١٩٨١ ـ ١٩٨٦ حوالى عشرة آلاف طالب وطالبة من أربعين قومية منهم بعض الطلبة العرب من سوريا واليمن وليبيا وبعض الأقطار العربية والإسلامية الأخرى.

وفي جامعة قازان فرع لأكاديمية العلوم السوفياتية، وأنشيء فيها أول فرع للاستشراق في الاتحاد السوفيتي ثم انتقل إلى لينينغراد. وجامعة قازان تعتبر الجامعة الثالثة من حيث الأهمية في الاتحاد السوڤيتي السابق بعد جامعتي موسكو ولينينغراد.

وفي قازان مجمع لصناعة الطائرات والقاطرات والآلات الزراعية والمطاط الصناعي والمنسوجات والمفرقعات. وتعتبر الحياة الاقتصادية الصناعية والزراعية متطورة إلى حد بعيد. فنظراً لوجود المياه الوفيرة تنتشر الزراعة فيها وفي بقية أرجاء تتاريا، وتزرع فيها كثير من أنواع الحبوب كالقمح والشعير والذرة والفواكه والخضراوات والبطاطا. كما تنتج البلاد الحليب واللحوم نتيجة تربية الأبقار.

ومما يساعد على تطور الاقتصاد في قازان خاصة وتتاريا عموماً وجود كميات كبيرة من النفط الذي يزيد على (٥٠) مليون طن

(*) دمر تمثال لينين في قازان عام ١٩٩١ في إطار تدمير تماثيله في المدن والجمهوريات السوڤياتية لا سيما بعد حركة الانقلاب الفاشلة ضد غورباتشوف في آب (أغسطس) ١٩٩١.

سنوياً. كما تعمل الجمهورية على توسيع إنتاج المعادن، وإنشاء مشروعات صناعية كبرى مثل مصنع المعدات الطبية الذي ينتج أربعة آلاف نوع من المعدات الطبية وأجهزة المختبرات ومصنع أدوات جراحة الأسنان وهذا المصنع ينتج ٨٠٪ من احتياجات الاتحاد السوڤيتي السابق من أدوات جراحة الأسنان.

ومن معالم قازان بالإضافة إلى مبانيها الأثرية وجامعتها العريقة ونهرها الجذاب هناك مسجدها الجامع التاريخي، حيث خصص له المؤذن والإمام وقد تولى فترة هذه المهمة الشيخه كامل بن إمام الدين الذي يؤم المصلين المسلمين في قازان أو المسلمين القاطنين فيها والقادمين من مناطق إسلامية أخرى مثل أذربيجان وسواها. ويوجد في قازان تمثال للشاعر الإسلامي عبد الله توقاي صاحب القصة الشهيرة: «شيرالاي» التي ترجمت إلى العربية وهي قصة للأطفال كما يوجد في قازان «متحف توقاي» وهو كان في الأصل منزل الضابط محمد شامل الداغستاني القوقازي ابن الشيخ شامل الثائر ضد القياصرة. وتكريماً لتوقاي فقد أقيم متحف آخر له في قرية «قرلاي». وفي قازان تمثال آخر لموسى جليل الذي قاوم الألمان في تتاريا عام ١٩٤٢. وموسى جليل مناضل وأديب وشاعر له ديوان شعري مكتوب باللغة التتارية ذات الحروف العربية، مترجم إلى عدة لغات منها الانجليزية كما يوجد في قازان قصر الثقافة. ومن ملامح قازان الصناعية ترسانة السفن الخاصة بصناعة السفن وإصلاحها على نهر قازانكا أحد فروع نهر الفولغا.

إن مدينة قازان التي أنشئت منذ عام ١٤٠١ م، وبالرغم من تطورات عديدة مرت على سكانها وعلى ملامحها، غير أنها لا تزال

تحتفظ بالسمات الإسلامية البارزة في معتقدات أهلها وفي عاداتهم وتقاليدهم وفي مساجدهم وعمائم شيوخهم وأئمتهم وفي مخطوطاتهم الإسلامية التي يحافظون عليها كتراث إسلامي أصيل، وفي لغتهم التترية المتأثرة كثيراً باللغة العربية والتي كتبت بحروف عربية لفترات طويلة ثم تحولت إلى اللاتينية والروسية. علماً أن جامعة قازان لا تزال تدرس باللغة العربية في بعض الأقسام المتخصصة. كما أن رئيس جمهورية تتاريا «شامل مطاييف» هو من الطائفة الإسلامية. هذا وقد طالبت في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩١ باستقلالها عن الاتحاد الروسي الجديد وفقاً لإحصاء جرى بين سكانها انتخب على أثره أحد مشايخها المعممين رئيساً للجمهورية.

قازان مدينة إسلامية تحمل تراث الماضي، تحمل الوفاء لتاريخها ولجذورها ولماضيها.

كوسوفا

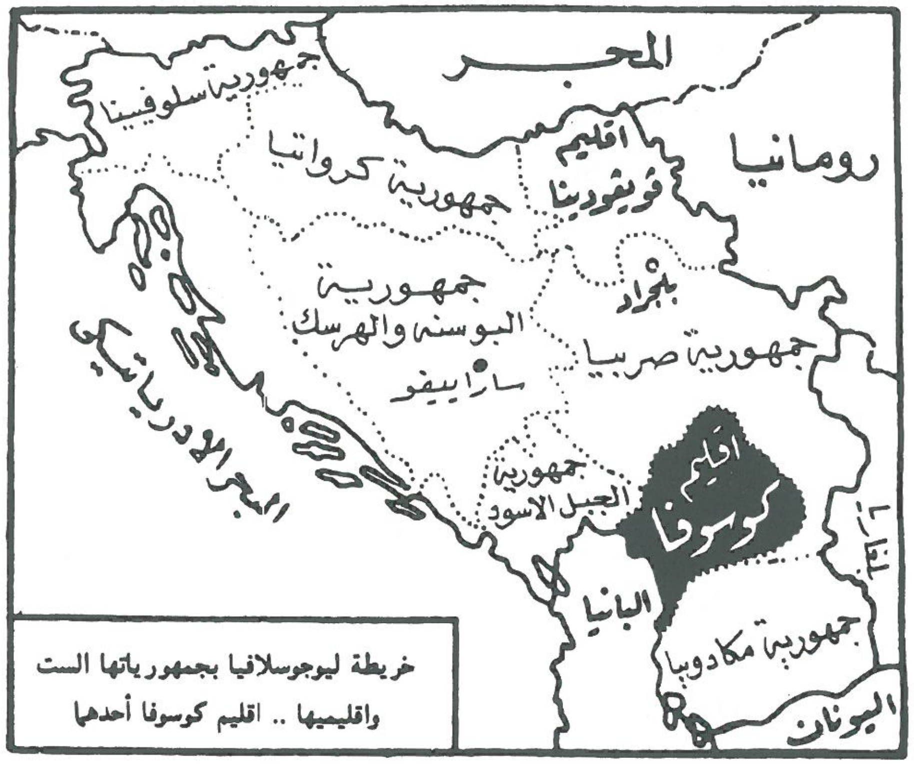

خريطة ليوجوسلافيا بجمهورياتها الست واقليميها .. اقليم كوسوفا أحدهما

كوسوفا

كوسوفا او كوزوفو ليست مدينة بقدر ما هي اقليم. كانت تتبع البانيا، كما انها انفصلت عن يوغوسلافيا التي تتألف من ست جمهوريات واقليمين: اقليم ڤويڤودينا واقليم كوسوفا (كوزوفو)(*).

يحد اقليم كوسوفا من جهاته الأربع: جمهورية صربيا وجمهورية الجبل الأسود وألبانيا وجمهورية مكادويا.

عاصمة الأقليم «بريشتنا»، وسكانه حوالي مليونين نسمة. ومساحته حوالي (١١) ألف كيلومتر مربع، توزعت عليها (١٣٤٨) مدينة وقرية منها: بريشتنا أو بريستيفار العاصمة الاقليمية، بريليب، بيك، بوديجوفو... وسكان كوسوفا من الألبان المسلمين ويمثلون ٩٠٪ من الاقليم، فيما يمثل سواهم من الصرب ٥٪. مناخ اقليم كوسوفا معتدل صيفا بارد شتاء، يعلو جبالها الثلوج التي تشكل حاجزا فاصلا بين كوسوفا وألبانيا.

وفي النصف الثاني من القرن الرابع عشر تقدمت القوات العثمانية بقيادة السلطان مراد للسيطرة على البلقان التي لم يكن

(*) شهدت يوغوسلافيا منذ عام ١٩٨٩ حروبا أهلية بين أقاليمها بهدف الانفصال أو الاستقلال. كما كانت ازمة كوسوفو عام ١٩٩٨ سبباً لتدخل عسكري دولي قادته الولايات المتحدة الاميركية ضد يوغوسلافيا، ادى الى استقلال الاقليم.

ممكناً السيطرة على تلك المنطقة ما لم يتم السيطرة على كوسوفا. وبالفعل فقد توجه السلطان مراد نحو كوسوفا في عام ١٣٨٩، وفي معركة «كوسوفسكو بوليج» واجه فيها الصرب والبلغار والألبان انتصر السلطان مراد على الأمير اليعازر. ولكن العثمانيين لم يستقروا في المنطقة بشكل ثابت إلا خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر. وخضعت بذلك منطقة البلقان للعثمانيين الذين قسموا المنطقة إلى إيالات عثمانية وعينوا على كل منها والٍ عثماني. وظلت ألبانيا ركيزة أساسية للحكم العثماني، وخزاناً هاماً ورئيسياً للإدارة العسكرية العثمانية وللفرق المحاربة. ويكفي الإشارة إلى أن محمد علي باشا الذي تولى وأسرته من بعده حكم مصر بين ١٨٠٥ ـ ١٩٥٢، وأحمد باشا الجزار والعديد من ولاة الدولة العثمانية كانوا من الألبان المسلمين.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن دخول الإسلام إلى كوسوفا خاصة وألبانيا عامة، لم يرتبط بالفتح العثماني، ولكن دخول العثمانيين ساعد كثيراً على تعزيز الإسلام، بل وعلى السرعة في «أسلمة» البلقان. وكان الإسلام قد بدأ ينتشر في المنطقة نتيجة قيام التجارة بين الشرق والغرب، ونتيجة قيام التجار المسلمين برحلات تجارية إلى بلاد البلقان. ومن الأدلة على انتشار الإسلام قبل الفتح العثماني وجود ضريح لأحد الأولياء المسلمين في كوسوفا اسمه «ساري سلطاكو» ومن العشائر الإسلامية القديمة فيها عشيرة حولاج.

وتاريخ الإسلام والمسلمين في كوسوفا وفي ألبانيا عامة مليء بالأحداث الجسام. فبعد أن كان العنصر الألباني المسلم سيداً حراً في بلاده في ظل الدولة العثمانية، فإذا بوضعه بدأ يتغير مع انحسار

نفوذ العثمانيين عن المنطقة. فبعد المد القومي في القرن التاسع عشر، وبعد استقلال اليونان والصرب والبلغار عن الدولة العثمانية، أعلنت ألبانيا استقلالها عام ١٩١٢، ولكن هذا الاستقلال لم ينقذ ألبانيا، بل جعلها لقمة صائغة للطامعين، فاحتلت مملكة صربيا اقليم كوسوفا، واقتطعت أجزاء من ألبانيا لتضم إلى اليونان ومكدونيا والجبل الأسود، وأطلقت يد ايطاليا في ألبانيا. والأمر الملاحظ أن عصبة الأمم المتحدة ومن ثم هيئة الأمم المتحدة أقرّت لصربيا سيطرتها على كوسوفا. وعندما تحولت صربيا إلى يوغوسلافيا كان الاقليم قد تكرس تبعيته لليوغسلاف.

والجدير بالذكر إن تاريخ البلقان سجل مذابح دموية شهدتها ألبانيا بعد عام ١٩١٢ راح ضحيتها ألوف المسلمين وألوف المسيحيين الأرثوذكس، الذين لم يغفر لهم الكاثوليك انتماءهم إلى الكنيسة الشرقية.

وكان من نتائج اضطهاد المسلمين في كوسوفا وألبانيا، هجرتهم إلى استانبول ودمشق والقاهرة وبيروت وبعض البلاد العربية والإسلامية، حيث التحقوا ببني جنسهم ممن تركوا ألبانيا في قرون وسنوات سابقة.

أما المسلمون الذين بقوا في كوسوفا، فقد عانوا الكثير من الاضطهاد والتمييز العنصري والديني في مختلف المجالات الاقتصادية والتربوية والسياسية والانمائية، حتى أن لغتهم الألبانية منعوا من استخدامها أو التعامل بها. ونتيجة لهذا الاضطهاد فكر أبناء كوسوفا عام ١٩٣٧ بالهجرة نهائياً إلى تركيا، غير أن قيام الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ جمّد الموضوع. وبالرغم من

انتقال يوغوسلافيا من الملكية إلى الجمهورية، ومن النظام الاقطاعي والرأسمالي إلى النظام الاشتراكي والشيوعي، غير أن ذلك لم يغير من نظرة يوغوسلافيا إلى مسلمي كوسوفا والبانيا. وظلت السياسة اليوغوسلافية تسعى إلى تهجير المسلمين إلى الخارج. وبالفعل فقد شهدت الخمسينات حملة تهجير المسلمين إلى تركيا. ونتيجة لهذا الواقع المؤلم المستمر منذ عام ١٩١٢ ساد كوسوفا حالة من التخلف والجهل. وظل المسلمون يعانون من سوء المعاملة في المراحل المختلفة في ظل الأنظمة والحكم السائد.

وبالرغم من جميع مظاهر القسوة والاضطهاد التي عانى منها المسلمون في كوسوفا، فقد استمروا في ولائهم للإسلام رغم محاولات قطع صلتهم بالإسلام والمسلمين. ففي كوسوفا مقر للمشيخة الإسلامية مسؤولة عن إدارة النشاط الإسلامي وإدارة المساجد وتنظيم وضع الأئمة. والمشيخة الإسلامية في كوسوفا هي واحدة من أربع مشيخات تتحمل المسؤولية الدينية عن مسلمي يوغوسلافيا.

وفي العاصمة بريشتنا تتمركز المشيخة في سوق يحمل اسماً عثمانياً هو سوق البازار. وبقربها المسجد الجامع الذي يحمل اسم السلطان العثماني محمد الفاتح.

وبعد أن سمح القانون اليوغوسلافي عام ١٩٧٤ بأن يعلن المسلم عن إسلامه ويسجل ذلك في الأوراق الرسمية، بات المسلمون أكثر حرية وانطلاقاً في ممارسة شعائرهم وفي دفع الزكاة في مساجدهم. وبواسطة أموال الزكاة يبنون مدارسهم ومساجدهم ومؤسساتهم الدينية. وساعد كل ذلك على استمرار التعلق باللغة

العربية لغة القرآن الكريم إلى جانب اللغتين الألبانية والصربية.

ويوجد في أنحاء يوغوسلافيا (٢٧٠٠) مسجد، بينها (٦٧٠) مسجداً في دائرة اختصاص مشيخة بريشتنا، كما أنه من بين (١٩٥٠) إماماً في يوغوسلافيا، يتبع مشيخة بريشتنا (٥٠٠) إمام. وفي كوسوفا تقليد إسلامي عريق هو العمل الوقفي، لذا يزخر الاقليم بالأوقاف الإسلامية التي يشرف عليها جهاز خاص، تتبعه في أنحاء كوسوفا (٣٠) دائرة تجمع حصيلة العقارات والأملاك الوقفية، لضمها إلى ميزانية صيانة المساجد وترميمها.

والمسلمون في كوسوفا يتحملون عبء العمل الإسلامي، سواء بالنسبة لمصروفات المشيخات أو المساجد أو المدارس الإسلامية أو رواتب الأئمة. ومن المساجد الهامة في العاصمة مسجد السلطان مراد حيث تقام فيه الصلوات وصلوات الجمع والأعياد وتجمع أموال الزكاة. كما يتحملون هجوم خطر الصرب على حاضرهم ومستقبلهم رغم أن الصرب لا يشكلون سوى مئتي ألف نسمة؛ لذا فإن شعارهم الدائم ضرورة الحفاظ على وحدة الصف الألباني لمواجهة أخطار الصرب.

وفي كوسوفا حتى اليوم بعض الطرق الصوفية الإسلامية. فبالرغم من انتشار المذهب الحنفي في البلاد منذ أن اعتمده العثمانيون في دولتهم، فإن الطرق الصوفية لا تزال موجودة ومنها: القادرية، الرفاعية، الخلوتية، السعدية، النقشبندية، البكتاشية.

ويرى الناظر في مساجد كوسوفا الأئمة يعلمون الأطفال الدين الإسلامي، ويدرسونهم القرآن الكريم، وذلك للحفاظ على الإسلام في تلك الديار.

ولا تزال عادات أهل كوسوفا عادات إسلامية، فهم يحتفلون

بعيدي الفطر السعيد والأضحى المبارك، ويصومون شهر رمضان، ويحتفلون بقدومه. ويحتفلون ببقية المناسبات الإسلامية. وهم شعب مضياف يستقبلون الضيوف استقبالاً إسلامياً حاراً ويعملون على تكريمه. ويلبسون الأزياء الشعبية المماثلة لألبسة المسلمين في المشرق، ويخلعون الأحذية قبل دخولهم المنزل حرصاً على طهارته. كما يزورون القبور في فترة الأعياد، ويتزاورون فيما بينهم للتهنئة ويستعملون العبارة الالبانية ـ التركية «برهير بيرمي» أي «عيد سعيد». كما يستخدمون عند التحية عبارة «تونكاجا تجيتا» أي «حفظ الله حباتكم». كما تماثل احتفالات الزفاف الاحتفالات الإسلامية، ويحرصون على أن يعقد الإمام عقد الزواج، ويقوم علماء الدين عادة بغسل الموتى ودفنهم على الطريقة الإسلامية وتلاوة القرآن الكريم على روح المتوفى. وبيوتهم من الخارج أو من الداخل أشبه ما تكون بالبيوت التركية أو الإسلامية المشرقية، حتى إنهم لا يزالون يحرصون على تسمية أبنائهم بأسماء إسلامية وعربية وتركية مثل: محمد، أحمد، محمود، شوكت، طلعت، مدحت، فاطمة، عائشة، أمينة...

وبالرغم من أن النظام اليوغوسلافي يمنع تعدد الزوجات، غير أن المسلمين لا يلتزمون بذلك، بل باستطاعتهم التزوج بأكثر من واحدة تبعاً للدين الإسلامي. ويتصف سكان كوسوفا بالحفاظ على الرابطة العائلية والاجتماعية بعكس سكان المقاطعات اليوغوسلافية الأخرى التي تشهد تفكك أسري واجتماعي وهم على وجه الإجمال يفاخرون بالتقاليد الإسلامية والتركية والالبانية المتوارثة.

أما فيما يختص بالتعليم في كوسوفا فقد أصبح في السنوات الأخيرة متطوراً ومنطلقاً، سواء مرحلة التعليم قبل الجامعي أو التعليم الجامعي.

أما الوضع الاقتصادي في الاقليم، فإن الله وهبه مواد أولية عديدة ساهمت على تطور المنطقة، رغم أن هذه المواد الخام كانت تنقل في السابق إلى خارج الاقليم. فمن بين المواد الموجودة في الاقلبم الفضة. وفي مدينة «بيا» أشهر معمل للفضيات في الاقليم. وفيه أيضاً أكبر مصادر الرصاص والزنك والنيكل في أوروبا كلها، فضلاً عن الفحم الذي يشكل ٥٥٪ من احتياطي يوغوسلافيا.

وفي الاقليم بعض الصناعات الثقيلة ومصنع ضخم للنسيج يضم ما يقارب ثلاثة آلاف عامل وعاملة أقيم في كوسوفا في منطقة «حقل الشحرور» وهو الموقع الذي انتصر فيه الأتراك على الصرب عام ١٣٨٩. وفي مدن تربشا وجاكوفا وليبيليان مناجم للزنك والكروم والمغنيسيوم ومختلف الصناعات. كما يشتهر الاقليم بزراعات القمح والذرة والشعير والفواكه والمراعي والثروة الحيوانية، علماً أن اقتصاد كوسوفا يقوم بنسبة ٨٥٪ على الصناعة، غير أن بعض مناطق كوسوفا الزراعية لا تزال تعتمد على الآلات والأساليب الزراعية التقليدية.

وأخيراً لا بد من الإشارة إلى أن المسلمين في كوسوفا، رغم الصعاب والمآسي التي واجهتهم لا يزالون يتميزون بالحس الألباني الذي مثّل خلال قرون عديدة قاعدة للإسلام والمسلمين في أوروبا وفي المشرق العربي أيضاً الذي شهد موجات عديدة من الألبان الذين استقروا في مصر وبلاد الشام وحملوا لقب الأرناؤوط أو البوشناق -حيث لا تزال عائلات عتيدة تحمل هذا الاسم إلى الآن في المشرق والمغرب العربيين. وكان للعنصر الألباني دور أساسي في «أسلمة» الكثير من المناطق التي سيطرت عليها الدولة العثمانية.

باماكو

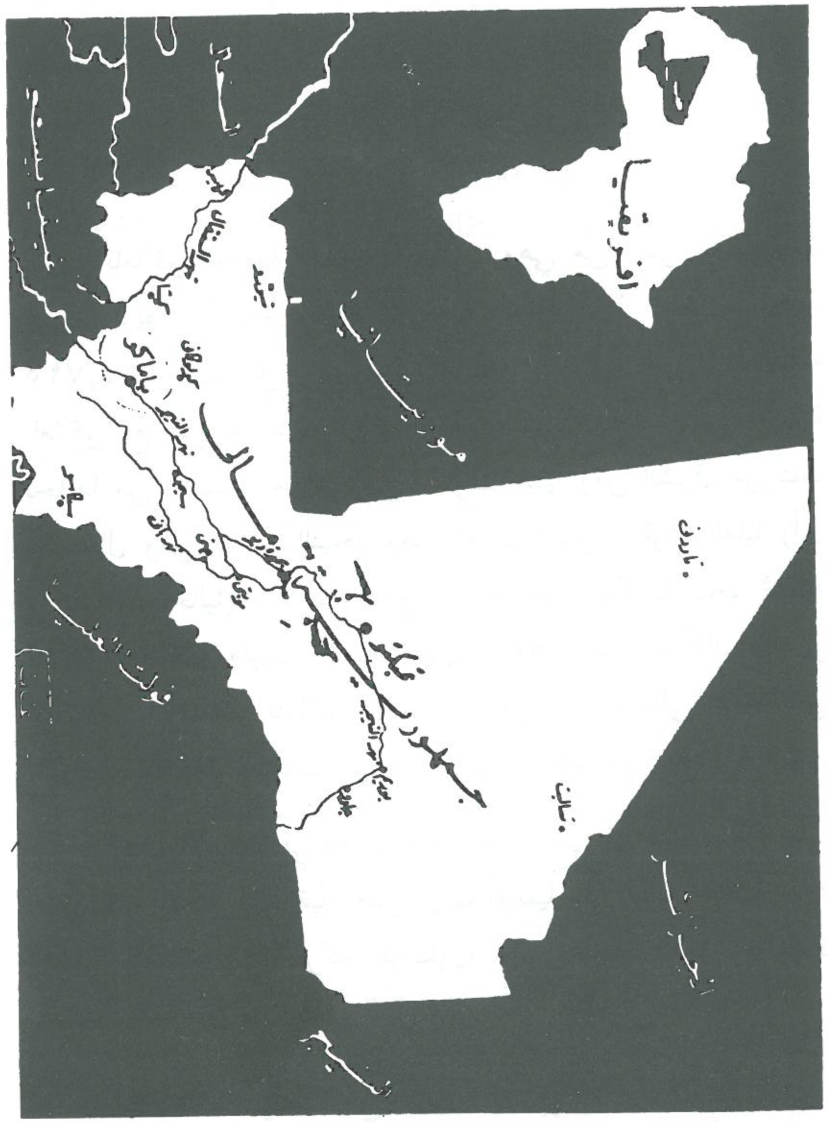

باماكو

باماكو عاصمة جمهورية مالي، وهي من أكبر جمهوريات غرب أفريقيا الناطقة باللغة الفرنسية اتساعاً، إذ تبلغ مساحتها ٤٦٤,٧٢٥ ألف ميل مربع. ليس لها منفذ بحري، غير أن العاصمة باماكو تقع على نهر النيجر. ولها حدود مشتركة مع سبع دولة أفريقية يحدها من الشمال الجزائر ومن الجنوب غينيا ومن الشرق موريتانيا والسنغال ومن الغرب النيجر ومن الغرب الجنوبي ڤولتا العليا (أي بركينوفاسو حالياً) وساحل العاج. ويقدر عدد سكانها بنحو ثمانية ملايين ونصف مليون نسمة، ويدين ٩٥٪ من السكان بالدين الإسلامي. وتستأثر باماكو بعدد كبير من سكان مالي يزيد على مليون نسمة وقد استقلت البلاد عن فرنسا عام ١٩٦١.

انتشر الإسلام في باماكو وبقية مدن مالي في فترة مبكرة على غرار أكثر المناطق الافريقية. ففي غرب أفريقيا وفي مالي خاصة يعود انتشار الإسلام إلى حركة المرابطين، وإلى جهود التجار والدعاة المسلمين القادمين من وادي النيل ومن المغرب العربي.

والحقيقة فإن المرابطين لم يقوموا بنشر الدعوة الإسلامية وتوسيع رقعتها خلال القرن الحادي عشر الميلادي فحسب، ولكن

نشاطهم شمل تنقية العقيدة الإسلامية من بعض الشوائب التي علقت بها بفعل التأثيرات والعادات والتقاليد المحلية. ومما ساعد على انتشار الإسلام اعتناق رؤساء القبائل للدين الإسلامي الأمر الذي شجع بقية السكان على الاقتداء برؤسائهم.

ومن الأهمية بمكان القول بأن المرابطين جهدوا على «أسلمة» زعماء قبائل «التكرور» و«الماندنجو» الزنجية. وأرسلوا العلماء إليهم لتثقيفهم وتعليمهم مبادىء الإسلام وتعاليمه. وهم الذين نشطوا العلاقات التجارية والثقافية بين وسط القارة الأفريقية وغربها وبين العالم الإسلامي، لا سيما شمال أفريقيا والدول الإسلامية التي كانت قائمة في تلك الفترة في اسبانيا. ولقد بدأ دخول الإسلام في «باماكو» باعتناق زعماء امبراطورية مالي لهذا الدين الحنيف. ولقد كانت امبراطورية مالي تضم في عصر ازدهارها: مالي وموريتانيا والسنغال وغينيا وشمال ساحل العاج وجزءاً من ڤولتا لعليا أي بركينوفاسو حالياً والنيجر.

ومن الأمور اللافتة للنظر أن قبيلة «الماندنجو» الزنجية أصبحت بعد اعتناقها للإسلام من أشد القبائل تعصباً وعملاً من أجل الإسلام ونشره في مالي بين الوثنيين. وحرصت على بناء المساجد في كل المناطق التي امتد نفوذها إليها. وقد صاحب انتشار الإسلام في «باماكو» ومالي انتشار لبعض الطرق الصوفية لا سيما الطريقة القادرية والطريقة التيجانية.

ينتشر في «باماكو» الكثير من المساجد والجوامع والمدارس الخاصة والرسمية والمعاهد الدينية. ومن أهم مساجدها «المسجد الكبير» في بماكو. وللهيئات الدينية في باماكو علاقات طيبة مع

الهيئات والمنظمات الإسلامية في العالمين العربي والإسلامي مثل رابطة العالم الإسلامي في مكة، وجمعية الدعوة الإسلامية في ليبيا، ومع الجمعيات الإسلامية العاملة في الكويت والمملكة العربيه السعودية ومصر.

ونظراً لأن دولة مالي دولة مكونة في جذورها وأصولها من قبائل، فإن هذه التركيبة البشرية والقبلية تتمثل في أصول ثلاثة كبيرة هي الأصول: الزنجية والبربرية والعربية، يجمع بينها الإسلام وجعلها إلى حد كبير في بوتقة إسلامية واحدة. أما أشهر القبائل الموجودة في العاصمة «باماكو» وبقية المدن المالية فهي: قبيلة «البمبارا» ويعيش أفرادها في وسط البلاد وغربها وجنوبها، ويعملون في الزراعة وتربية الأغنام. وقبيلة «الفولانيون» وهم منتشرون في «باماكو» ومختلف أنحاء البلاد ويعملون أيضاً في الزراعة وتربية الأغنام. وقبيلة «الصنفاي» وينتشرون في الشمال والشرق. وفي الشمال ينتشر مع الصنفاي قبيلة الطوارق الجزائرية الأصل. وهاتان القبيلتان تعملان بالتجارة والزراعة.

وتنتشر قبيلة «المركا» في الغرب ويعمل أفرادها في الزراعة. بينما تنتشر قبيلة «البوز» في المناطق الوسطى والشرقية، ويعملون في صيد الأسماك من نهر النيجر. أما قبيلة «بوبو» فتتركز في الجنوب وهي قبيلة وثنية على وجه الإجمال. أما القبائل العربية فتنتشر في شمال البلاد ويعمل أفرادها في التجارة وتربية الأغنام. في حين أن قبيلة «المانينكا» تنتشر في غرب البلاد ويعمل أفرادها في الزراعة.

وجميع هذه القبائل تدين بالإسلام وتعمل له، باستثناء قبيلة «البوز» و«المانينكا» اللتان تضمان أقليات وثنية، بينما قبيلة «بوبو» ذات أغلبية وثنية.

أدى تعدد القبائل في مالي حكماً إلى تعدد اللغات فيها. فقبيلة «البمبارا» مثلاً هي أكبر قبائل مالي، وتمثل أكثر من ٤١٪ من مجموع السكان. فلا غرابة إذاً إن تحدث بلغتها حوالى ٦٠٪ من السكان، ولا غرابة إذا كانت هي اللغة السائدة في شوارع «باماكو» فهي لغة العامة والعمال والتجار. ويوجد عدد من اللغات المحلية الأخرى تتعامل بها القبائل مثل اللغة: الفولانية والسوننكي وسوارايي، وتماشيقو، والبوجو، والسنفو. وعلى وجه الإجمال فيوجد في مالي ما يقارب إحدى عشرة لغة وضعت لها حروف وقواعد وكتبت حروفها بالحروف اللاتينية والحروف العربية. فلغة «السوننكا» مثلاً وهي لغة محلية كتبت بالحروف العربية، كما كتبت بالحروف العربية لغة قبائل «الفولانية». وتساعد منظمة الدول الإسلامية في المغرب المنظمات الإسلامية في باماكو ومالي على كتابة لغة القبائل بالحروف العربية. ويبقى القول إن اللغة الرسمية في البلاد لا تزال هي اللغة الفرنسية بأثر من الاستعمار الفرنسي، وهي لغة الإدارة والتعامل الرسمي وفي وزارات لدولة وإداراتها، كما أنها تمثل نسبة عالية من لغة التخاطب لا سيما في العاصمة «باماكو». ويبدو انتشار الفرنسية واضحاً في المدارس والمعاهد والمؤسسات التربوية عامة.

من الناحية الاقتصادية فإن «باماكو» العاصمة وبعض المناطق الأخرى، تتميز بالإنتاج الزراعي لا سيما في دلتا نهر النيجر وهي

من أخصب الأراضي الزراعية في مالي، حيث تنتشر زراعة القطن والأرز والذرة والفول السوداني. ويعمل في الزراعة أكثر من ٩٠٪ من السكان. وتنتج مالي سنوياً حوالى ١٥٠ ـ ١٨٠ ألف طن من الفول السوداني، كما تنتج المانجو والموز والليمون والخضراوات. كما أن الثروة الحيوانية تأتي في المرتبة الثانية بعد الزراعة حيث تساهم في الدخل القومي بما نسبته ١٧٪. وتتمثل هذه الثروة بالماعز والأغنام والأبقار والجمال. وتقدر أعداد الماشية التي تصدرها مالي إلى الخارج بنحو مليون رأس من البقر والأغنام.

هذا ويعمل بعض أهل مالي لا سيما سكان «باماكو» في قطاع الخدمات، وقطاع الصناعة حيث انتشرت بعض مصانع الأقمشة ومصنع للأدوية. ومصانع الزيوت والصابون والألبان والجلود والأدوات الزراعية.

وبشكل عام فإن «باماكو» العاصمة ومالي الدولة تعتبر من المناطق النامية الساعية للتقدم والنمو رغم الصعاب المناخية والاقتصادية التي لا تزال تعاني منها علماً أن بعض الدول العربية والإسلامية وفي مقدمتها المملكة العربية السعودية والكويت. لا تزال تقدم لها الدعم في مختلف المجالات للأخذ بيدها أكثر نحو العروبة والإسلام.

نيامي

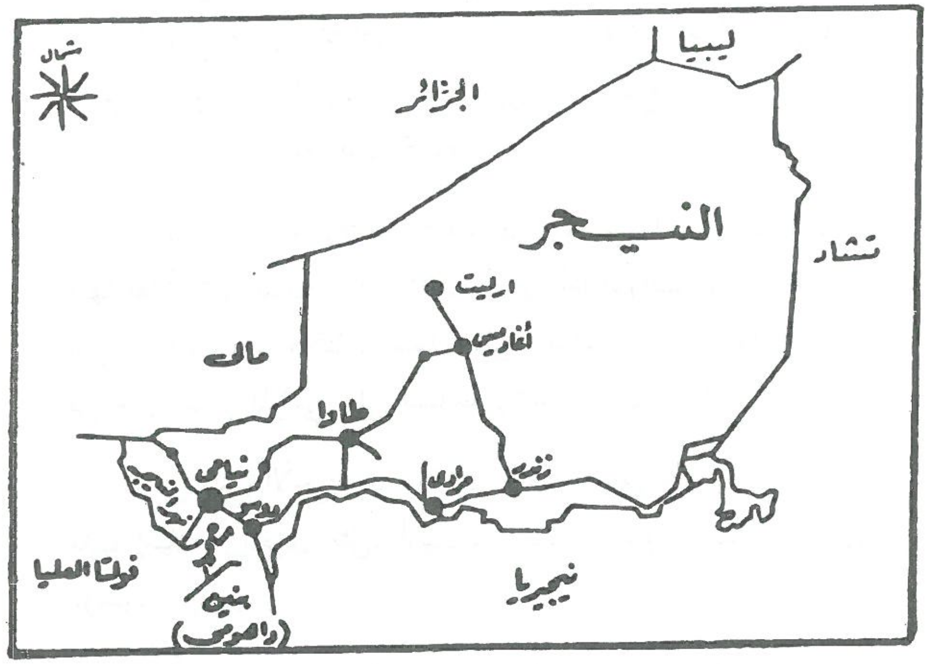

نيامي

نيامي عاصمة النيجر، وهي دولة افريقية محاطة بسبع دول هي: ليبيا، الجزائر، تشاد، مالي، نيجيريا، ڤولتا العليا وبنين (أي داهومي). وأطول الحدود هي مع نيجيريا حيث تبلغ ١٢٠٠ كلم، ثم مع الجزائر حيث تبلغ ألف كيلومتر.

وتبلغ مساحة البلاد (١٢٦) مليون و٧٠٠ ألف هكتار، يزرع منها فعلاً (٣) مليون و١٥٠ ألف هكتار. أما الأراضي القابلة للزراعة فهي (١٥) مليون هكتار. بينما تغطي الغابات (١٤) مليون هكتار. في حين تنتشر المراعي على مساحة (٥٦) مليون هكتار.

وفي المدن الأخرى إلى جانب العاصمة نيامي، يوجد في النيجر مدن إسلامية أخرى مثل: أرليت، أغاديس، طاوا، زندر، مرادى، دوسو.

نالت النيجر استقلالها عام ١٩٦٠. وهي تتمتع بأغلبية إسلامية ساحقة تصل إلى ٩٨٪ من السكان البالغ عددهم أكثر من خمسة ملايين ونصف مليون نسمة. أما ٢٪ من السكان فهم من الوثنيين أو من الوثنيين الذين تنصروا نتيجة البعثات التبشيرية الفرنسية التي

وصلت إلى البلاد في بداية القرن العشرين. غير أن هؤلاء بدورهم يقبلون في هذه الأيام على اعتناق الإسلام، حيث أن الجمعية الإسلامية أنشأت مسجداً لهم في عام ١٩٨١ لا سيما للوثنيين الداخلين في الإسلام في مدينة جورمنكه.

وكان الإسلام قد دخل إلى نيامي ومناطق النيجر مع قوات عقبة بن نافع في القرن الأول الهجري التي وصلت إلى منطقة «جادو» في أقصى الشمال. أما الجزء الجنوبي فقد دخله الإسلام بعد القرن السادس الهجري، في ظل مرحلة انتشار الدين على أيدي المرابطين. وكانت بلدة «ساي» على بعد (٤٠) كيلومتراً عن نيامي، هي أول موقع في الجنوب بلغه المسلمون القادمون من مالي المجاورة وأشهرهم الداعية المسلم الفاهم محمد جوب الذي لا يزال ضريحه مقاماً بالبلدة.

إن مسلمي نيامي كبقية مسلمي النيجر، فهم جميعاً يتبعون المذهب المالكي السائد في شمال افريقيا وغربها. من أجل ذلك لا نرى خلافات عقائدية أو فقهية بين المسلمين في النيجر في المسائل الفقهية.

ونتيجة لانتشار الإسلام في البلاد، فقد أصبح احترام المسلم يقاس بمقدار حفظه للقرآن الكريم. وبالرغم من أن اللغة العربية ليست سائدة في نيامي، غير أن المسلمين يحرصون على تعلم القرآن الكريم، والحرص على الذهاب إلى المسجد في مواقيت الصلاة. وفيما يختص بالصلاة بشكل خاص فإن نيامي وبقية المدن النيجرية تشهد ميزة بارزة وهي أنه إذا حل موعد الصلاة في أية وزارة أو إدارة حكومية أو قطاع خاص، فإن الجميع يبادرون للصلاة فوراً في المصلى.

أما فيما يختص بالحج وزيارة الأماكن المقدسة، فهذه تعتبر أمنية المسلمين في النيجر، حتى أن متوسط عدد حجاج النيجر وصل في الفترة الأخيرة حوالي ستة آلاف في كل عام. كما أن الزائر للعاصمة نيامي يرى لافتات وملصقات في شوارعها وعلى جدرانها وقد كتبت بالفرنسية عبارات: الله ربنا، ومحمد نبينا، والقرآن كتابنا. وهذه العبارات كثيراً ما نقلت عن لسان كبار المسؤولين وفي مقدمتهم رئيس الجمهورية.

وفي نيامي يبدو التوجه الإسلامي واضحاً في مختلف النشاطات، وهو يعكس التدين العميق الذي قلما يجده المرء في بقية المستعمرات الفرنسية أو الانجليزية السابقة. والجمعية الإسلامية في نيامي، هي المؤسسة الرسمية التي تقوم بإدارة النشاط الإسلامي في البلاد، ولها فروع في كل المحافظات. كما يتميز المسجد الجامع في نيامي بحشود إسلامية ضخمة في مقدمة المصلين رئيس الجمهورية. وفي مكان منفصل في المسجد تقوم النسوة بالصلاة بعيداً عن مكان الرجال.

أما مساجد نيامي والنيجر بشكل عام. فهي مساجد متواضعة بعيدة عن الفخامة، بل هي مساجد فضاء في قسم كبير منها بدون سقف، محاطة بسور قد يكون من الأسلاك. أما الطرق الصوفية فهي لا تزال موجودة في نيامي ومناطق أخرى في النيجر، ولكنها لم تعد تمثل القوة السياسية على الأقل، لأن نظام الحزب الواحد في البلاد قلّص من سلطات القوى المحلية بما فيها سلاطين المدن والأقاليم. أما أهم الطرق الصوفية في البلاد فهي «الطريقة التيجانية» وينتمي إليها أغلب أهل النيجر. وفي نيامي اتباع الطريقة

«الحموية» التابعة للشيخ حماه الله، وهي في جذورها طريقة من الطرق التيجانية.

أما فيما يختص بالحياة الاجتماعية، فلا يزال النظام القبلي سائداً في البلاد، حيث تنتشر خمس قبائل أساسية. والحقيقة فإن موقع النيجر بين افريقيا العربية البربرية وبين افريقيا السودانية الساحلية أدى إلى ظهور مجموعات متميزة من السكان منها: القبائل البدوية الراحلة في الوسط وهؤلاء هم البربر والفلانيون أو السكان البيض لأنهم ليسوا من أصول زنجية سوداء. ثم قبائل زنجية مستوطنة في النصف السفلي من النيجر، وهي تتوزع على ثلاثة فروع أساسية هي قبائل الصنغاي والزرما، وقبائل الهاوسا، ثم قبائل الكانوري. وهنا يبدو فضل الإسلام واضحاً وبارزاً وأساسياً على النيجر، لأنه كان ولا يزال الأداة الوحيدة لتوحيد البلاد.

ويمكن دراسة هذه القبائل على النحو التالي:

١ ـ قبائل البربر: وهم من قبائل الطوارق أبناء الصحراء المبعثرون في شمال النيجر. وهم فرع من البربر الذين يشكلون نسبة غير قليلة في شمال افريقيا. اضطرتهم الظروف المناخية إلى التنقل وهجرة الصحراء والاقتراب من الواحات والمدن. والتوطن حولها.

٢ ـ قبائل الفلانية: وهم الفرع الثاني بعد البربر من الجنس الأبيض، وهم منتشرون في أنحاء النيجر. وأكثرهم من الرعاة الذين يطوفون أنحاء البلاد طوال العام سعياً وراء العشب والماء.

٣ ـ قبائل الصنغاي والزرما: وهذه القبائل تنتمي إلى جنس واحد، لأنها من بقايا امبراطورية صنغى. وهم يقيمون في غرب النيجر، ويعملون في صيد الأسماك وصناعة الزوارق. ويذكر بأن قبيلة الزرما سبق أن نزح أفرادها من كينيا ومصر، ثم أقاموا في منطقة زرما، وتعلموا لغة الصنغاي، واشتغلوا بالزراعة بصفة أساسية، وهم يمثلون الأغلبية في العاصمة نيامي وبوبوي وبوسو.

٤ ـ قبائل الهاوسا: ينتشرون في وسط البلاد، ويرجح أن أصلهم صحراوي. نزحوا إلى الجنوب إلى مناطق زندر ودوكودتشي، تاركين أرضهم لقبائل الطوارق. وأفراد قبائل الهاوسا يشكلون نحو نصف سكان البلاد ومنتشرون فيما بين النيجر ونيجيريا، ويعملون في التجارة والصناعة والزراعة.

٥ ـ قبائل الكانوري: ويقطنون في أقصى شرق النيجر بين زندر وبحيرة تشاد. وهم يعيشون مع قبائل الهاوسا، الذين يطلقون عليهم اسم «البري بري». وكانوا في الماضي أتباعاً لمملكة «كانم» ثم لامبراطورية البرنو. يعمل أفراد قبائل الكانوري في استخراج الملح والصيد وتربية الحيوانات.

والأمر الملاحظ والمرتبط بالنظام القبلي، هو تمسك القبائل إلى اليوم بنظام السلاطين في المدن والمناطق التي تستقل عن بعضها من حيث نظام السلاطين الذي استمر قائماً لأسباب تتعلق بتدين أهل النيجر وارتباط السلطان تاريخياً بنظام الخلافة الإسلامية. والسلطنات الخمس التي ما تزال قائمة هي: سلطنة آيبرا وآهير في منطقة الطوارق في الشمال ومقرها أغاديس، والثانية

سلطنة داماجرم ومقرها زندر، والثالثة سلطنة مرادي والرابعة سلطنة تبري ومقرها الجنوب، والخامسة سلطنة دوسو ومقرها شرق العاصمة نيامي.

ويلاحظ أيضاً بأن العلاقة دقيقة بين السلاطين وبين الحكام الرسميين. فالسلطان يمثل القبائل والأهالي وينقل مشاكلهم إلى الحاكم، فهو يمثل الناس أمام الحكومة. بينما الحاكم يمثل الحكومة أمام الناس.

وكان السلطان يتقاضى ١٠٪ من دخل الضرائب طوال عهد الاحتلال، وهو نظام ابتدعه الاستعمار الفرنسي. أما السلاطين الصغار وهم بمثابة زعماء لقبائلهم، فإنهم يتقاضون مكافآت من الحكومة أيضاً. بينما شيوخ القبائل يعيشون على نسبة ١٠٪ من الرسوم التي يجبونها لخزانة الدولة.

وبالرغم من تغير أنظمة الحكم، غير أن سلاطين السلطنات الخمس لا يزالون يعيشون مظاهر وطقوس العصور الغابرة. فلكل سلطان ثيابه الخاصة المطرزة بخيوط الذهب وله قصره وحرسه الخاص من حملة السيوف الافريقية الطويلة، وله حاشيته الخاصة. ولا تزال في قصر سلطان زندر قبور كافة أجداده السلاطين منذ (٧٠٠) سنة، أحيطت بكافة مظاهر العناية والتكريم والإجلال. وهو الأسلوب المتبع أيضاً في فناء قصر سلطان آهير المقام في أغاديس.

ويلاحظ تقاليد السلطنة في نيامي كما في سواها. لكن المشكلة أن نيامي هي العاصمة ومركز السلطة السياسية. وهي بمثابة القلب للنيجر بعد أن نقل المركز عام ١٩٢٦ من زندر في وسط

الجنوب إلى نيامي في الطرف الأقصى من الجنوب الغربي. وكان المبرر الأول لهذا النقل هو موقع نيامي على نهر النيجر. فهذا النهر يبلغ طوله (٤٢٠٠) كيلومتر، غير أنه لا يمر منه في جمهورية النيجر سوى (٥٥٠) كيلومتراً فحسب، مما جعل أكثر أراضي النيجر صحراء قاحلة باستثناء المناطق الجنوبية الغربية.

ومن عادات نيامي وبعض مناطق النيجر الاحتفال بتنصيب السلاطين في جو احتفالي أشبه ما يكون بالعرس وسط الزينات الملونة والثياب الزاهية والرقص القبلي والطقوس المتوارثة. وفي مقدمة الحضور المشايخ والفقهاء والعلماء، ويتقدم قاضي المنطقة أو فقيهها مفتتحاً الحفل بالأدعية والتراتيل. ثم يتقدم السلطان للصلاة ساجداً لله تعالى حامداً نعمه وفضله. ثم يقرأ الفقيه الفاتحة والأدعية، فيردد الحاضرون عبارات: لا إله إلا الله محمد رسول الله والحمد لله رب العالمين. وتستمر الاحتفالات بمختلف مباهجها مع جموع المنشدين والمغنين وقارعي الطبول. وعندما ينتقل السلطان إلى قصره لا يبارحه لمدة أسبوع حيث يتقبل التهاني من وفود المهنئين من مختلف المناطق.

وفيما يختص بالعادات والتقاليد الاجتماعية فهي مرتبطة إلى حد كبير بالمعتقدات الإسلامية وبالعادات القبلية. وكانت تقاليد الزواج عبئاً ثقيلاً على العريس. فأصدرت الدولة عام ١٩٧٤ قراراً قضى بألا يتجاوز المهر ألف فرنك فرنسي (٥٠ ألف سيفا بالعملة المحلية) بدلاً من خمسة آلاف فرنك في المتوسط كما تضمن القرار ضرورة اقتصار حفلة الزواج على ثلاثة أيام بدلاً من أسبوع، غير أن هذا القرار لم يُلتزم به سوى سنوات قليلة سرعان ما عادت التقاليد القديمة إلى أصولها.

أما المهر عادة في نيامي ومناطق النيجر فهي عبارة عن جمل أو بقرة مع عدة عنزات، علماً أن بعض المدن اعتمدت الدفع نقداً. وللخطبة عادات وتقاليد خاصة، يفضل أهل المناطق الزواج من أقاربهم. وعند الإنجاب لا تتم تسمية المولود إلا بعد أسبوع حيث يجتمع الأهل والأصدقاء في ساعة مبكرة من الصباح. ويقرأ إمام المسجد الفاتحة، ثم يعلن اسم المولود، ويوزع الجورو وهو نبات الكولا على جيمع الحاضرين. ويذبحون بعد ذلك شاة يأكلونها في الغداء.

أما فيما يختص بالتعليم في نيامي خاصة والنيجر عامة، فهو أن أحد أسباب انتشار الأمية في البلاد، أن المسلمين كانوا يرفضون الالتحاق بمدارس الفرنسيين. وكان الناس يكتفون بالكتاتيب ليعلموا أولادهم القرآن الكريم والحديث النبوي والفقه. ثم يخرجونهم للعمل حيث يرتدون إلى الأمية بعد سنوات. ومما ساعد على انتشار الجهل أيضاً إن الفرنسيين لم يطبقوا في النيجر نظم التعليم والإدارة التي فرضوها فرضاً في مناطق أخرى خاضعة لنفوذهم.

أما فيما يختص باللغات السائدة في النيجر، فهي لغات متعددة منها لغات القبائل واللغة العربية واللغة الفرنسية. والملاحظ أن خطبة الجمعة تلقى في أنحاء النيجر باللغة العربية أولاً، ثم يقدم الوعظ باللغة المحلية للأقليم. وفي العاصمة نيامي يتعامل الناس بلغتين هما: الهاوسا وزرما بالإضافة إلى اللغة العربية. كما أن اللغات المحلية تكتب بحروف عربية.

وفي عام ١٩٦٥ صدر مرسوم بنقل الإشراف على المدارس الأهلية التي تعلم العربية من وزارة الداخلية إلى وزارة التربية والتعليم خلافاً لما كان سائداً زمن الفرنسيين. من ناحية أخرى أنشئت في وزارة التربية إدارة خاصة لتعليم اللغة العربية. وأصبحت اللغة العربية تدرس في مدارس النيجر مناصفة مع اللغة الفرنسية. ويشمل تدريس العربية القرآن الكريم والحديث والفقه والتربية. وبالرغم من تعدد المدارس في الوقت الحاضر فإن النيجر لا تزال تعاني من الأمية حيث لا يتجاوز نسبة المتعلمين ٣٪. وبالإضافة إلى المدارس الحكومية يوجد في نيامي ومدن النيجر مدارس الفرنكو آراب وعددها (٤٥) مدرسة.

أما الأوضاع الاقتصادية في البلاد، فإنها تعتمد على الزراعة، و٩٠٪ من السكان يعملون في الزراعة. لهذا السبب فإن حكومة النيجر تعتبر أن توفير المياه للبلاد من أهم القضايا الحيوية التي تشغلها. كما يتوزع الاقتصاد بين مناطق الزراعة والتجارة في الجنوب ومناطق الرعي في الوسط والصحراء الجرداء في الشمال.

وقد احتلت الزراعة والغابات والمواشي ٤٧٪ من جملة النشاط الاقتصادي، واحتلت التجارة ١٢٪ بينما احتلت المناجم ٩٪.

ومن المنتجات الزراعية السائدة في البلاد الذرة والأرز. والفول السوداني والقطن ونبات الكولا (الجورو). ولكن الجفاف أثر في انخفاض الإنتاج الزراعي وفي ضرب الثروة الحيوانية حيث نفق ٦٠٪ من الأبقار و٣٧٪ من الأغنام و٣٨٪ من الجمال. غير أن النيجر استطاعت في الفترات الأخيرة تجاوز هذه المحنة الاقتصادية.

على صعيد آخر فإن النيجر تمتلك كميات كبيرة من اليورانيوم لا سيما في منطقة «ارليت». ويقدر الاحتياطي الثابت من هذا المعدن الثمين بحوالى (٢٨٠) ألف طن. وهو يمثل ٧٥٪ من جملة صادرات البلاد. كما تتميز البلاد بوجود الفحم وإنتاج الفخار والصناعات الفخارية والصناعات الجلدية والأقمشة وصناعة الزوارق واستخراج الملح وصيد الأسماك.

إن مدينة نيامي مثال حي للحياة الإسلامية في النيجر، وهي مدينة نابضة بالقيم والتقاليد والعادات الإسلامية كسواها من مدن وبلدات النيجر.

دكار

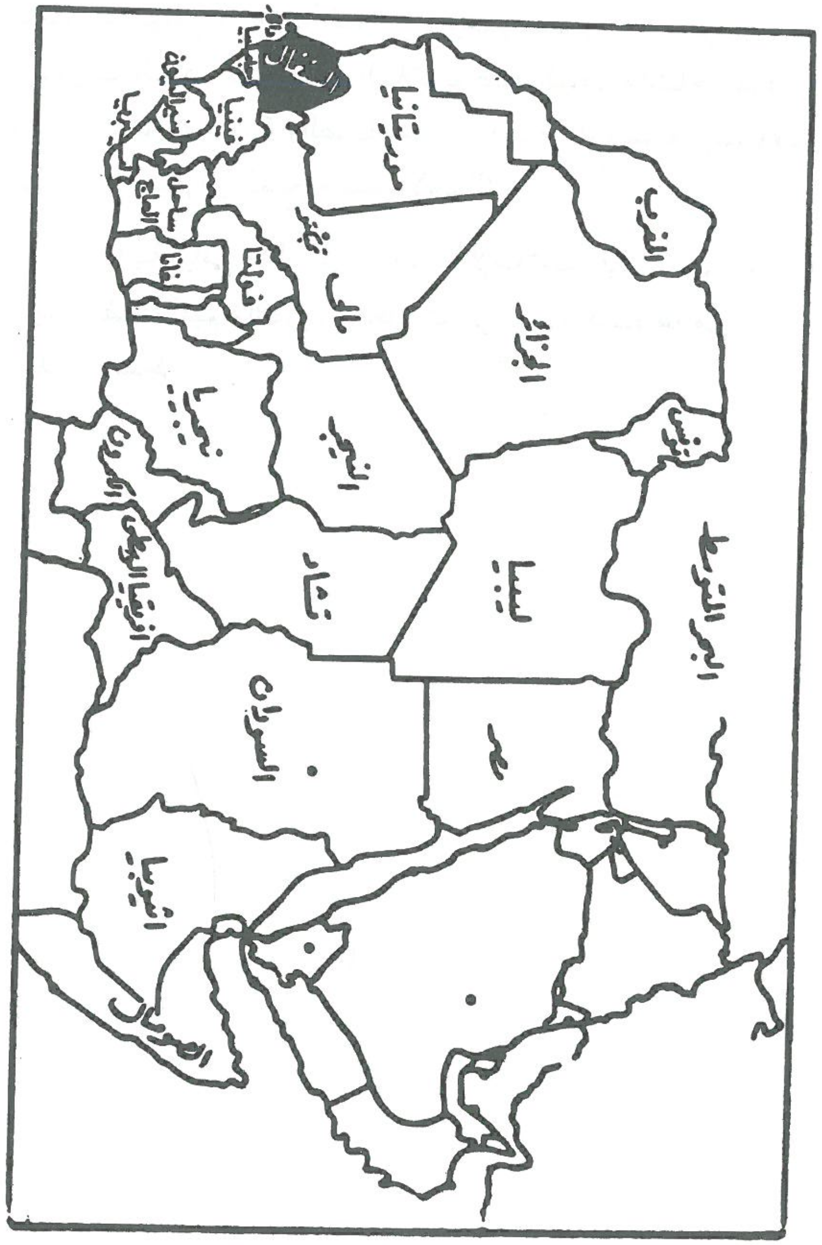

دكار

دكار عاصمة السنغال موقعها في افريقية الغربية. عدد السكان في الجمهورية حوالي (٤) مليون نسمة، بينما عدد سكان العاصمة دكار حوالي ٣٧٥ ألف نسمة. مساحة البلاد (٢٠٠) مئتي ألف كيلومتر مربع. ودكار مرفأ على الأطلسي وقاعدة بحرية وجوية. كانت جمهورية السنغال تؤلف مع مالي بين عامي ١٩٥٩ ـ ١٩٦٠ اتحاد مالي. أما اليوم فإنها دولة مستقلة.

إن دكار التي اعتنقت الإسلام منذ قرون، تعاني من بعض جوانب حياتها «فَرْنَسة» واضحة بسبب السيطرة الفرنسية السابقة. وكان الإسلام قد دخل إلى السنغال ـ ولم تكن تعرف بهذا الاسم يومذاك ـ منذ قرون عديدة، وبالتتابع.

وكان عقبة بن نافع مقيماً في نواحي برقة وزويلة منذ ولاية عمرو بن العاص، فجمع من أسلم من البربر، وسار إلى افريقية (تونس اليوم) واحتلها وأسلم أهلها، حتى اتصل ببلاد السود في غرب افريقيا. ومنذ عام ٥٠ للهجرة والإسلام بدأ ينتشر في شمال افريقيا وغربها. وأشارت الدراسات الافريقية في غرب افريقية إلى

وجود اثني عشر مسجداً في مدينة غانه حوالى عام ٦٠ هجرية - ٦٧٩ ميلادية. وساعد فيما بعد المرابطون على توسيع نطاق الإسلام في تلك المناطق.

قام التجار المسلمون برحلات إلى هذه المناطق في غرب افريقيا، وقاموا بدور بارز في مجال الدعوة الاسلامية بين القبائل الافريقية. وازداد الاتصال بهذه المناطق والقبائل في عهد حفيد عقبة بن نافع، عبد الرحمن بن حبيب الفهري (١٢٧ - ١٣٢ هـ). وفي هذه الفترة التاريخية لم تكن السنغال موجودة كاسم أو كدولة، وإنما كان يوجد مكانها مجموعة من القبائل والممالك والامبراطوريات الإسلامية. والتكوين السياسي للسنغال إنما تم في القرن التاسع عشر، عندما عملت فرنسا على جمع قبائل المنطقة وممالكها في مملكة واحدة هي السنغال. ثم قسمت الحدود بين دول غرب افريقيا لأول مرة عام ١٨٩٥.

وشكلت السنغال منذ القرن التاسع عشر دوراً مهماً بالنسبة لفرنسا فلم تكن مستعمرة عادية، إنما كانت قاعدة انطلاق وجسرها الأول إلى دول غرب القارة. على سواحلها وضعت أقدامها في البداية، ومنها زحفت لتغزو أركان غرب افريقيا. كما أصبحت دكار مدينة هامة لا سيما بعد أن أصبحت عاصمة للبلاد أثر انتهاء الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ - ١٩٤٥. وأصبحت مقراً للحاكم الفرنسي ومركزاً للإدارة والتجارة والمواصلات الجوية والبرية.

وبالرغم من أن فرنسا سعت إلى «فرنسة» البلاد، وأنشأت منذ عام ١٩١٩ في جزيرة سان لويس السنغالية معهداً لتخريج جيل سنغالي يكون تابعاً للثقافة الفرنسية، غير أن بعض خريجي هذا

المعهد ظلوا يضغطون منذ الثلاثينات مطالبين باستقلال البلاد. ولما وصل الجنرال ديغول إلى الحكم عام ١٩٥٨، تجاوب مع مطالب السنغاليين، وأعلن استقلال البلاد في تموز (يوليه) ١٩٥٨. غير أن السنغال ظلت ضمن «المجموعة الفرنسية لما وراء البحار» واستمرت قواعد فرنسا البرية والجوية قائمة إلى الآن في دكار وفي تياسي.

إن قبائل السنغال، قبائل زنجية بالدرجة الأولى، وتتكلم (١٣) لهجة. من هذه القبائل:

١ - قبيلة «الولوف» وهم سكان الساحل، وهم الأكثر عدداً. حيث يشكلون حوالى مليون ونصف مليون نسمة. والمجتمع في قبيلة «الولوف» منقسم بدوره إلى ثلاث طبقات هي: الأحرار (جامبر) وهؤلاء هم الأشراف ورجال الدين والفلاحون. الحرفيون (جيج) وهم أصحاب المهن ورواة السير والمغنون والعازفون. طبقة العبيد (جام) وهي الطبقة التي تضم الأسرى والسبايا والأرقاء.

٢ - قبيلة «الفلان» وهم سكان الصحراء شرقي السنغال، الذين كانوا أول من اعتنق الإسلام في غرب افريقيا.

٣ - قبيلة «التكولور» يسكنون وادي السنغال المحيط بالنهر. وتأثرهم واضح بالموريتانيين شكلاً وملامح، وبالولوف في النظام الاجتماعي. وهم ينقسمون إلى ثلاث طبقات: الأشراف وأهل العلم، الفلاحون، أهل الحرف والمهن.

٤ - وأخيراً قبيلة «السرير» وهم أهل الغابات سكان الجنوب والغرب، وكانوا على الوثنية.

هذه القبائل المنتشرة في دكار ومختلف مناطق السنغال تبلغ حوالي ٤ مليون نسمة، يدين ٩٣٪ منها بالإسلام، و٥٪ بالنصرانية، و٢٪ بالوثنية.

والمسلمون في دكار ومدن السنغال الأخرى يدينون بالمذهب المالكي شأن مسلمي شمال افريقيا. وتتوزع أكثرية المسلمين في البلاد على أربع طرق صوفية هي: القادرية، التيجانية، المريدية، واللاهينية. ولكل طريقة خليفة عام رئيسي.

منذ دخل الإسلام غربي افريقيا، انتشرت اللغة العربية بين السكان والقبائل. لأن الإسلام بطبيعته وعقائده وتعاليمه وكتابه الكريم يقتضي تعلم اللغة العربية. وأثرت هذه اللغة على اللهجات المحلية بما يزيد على ٥٠٪. ومنذ قرون ساهم الإسلام في تعريب القبائل وتعريب لهجاتها وعاداتها.

مع سيطرة فرنسا على البلاد، شهدت العربية صراعاً ومنافساً منظماً هي اللغة الفرنسية. فقد اتبعت فرنسا أساليب سياسية وثقافية لفرنسة السنغال والقضاء على العربية ومحتواها الديني والأدبي والثقافي والاجتماعي. وقد بدا ذلك واضحاً من خلال المدارس والثانويات.

ومنذ عام ١٩١٢ أكد أحد المسؤولين الفرنسيين في دكار هذه التوجهات بقوله «يجب أن تكون سياسة فرنسا صارمة في أفريقية الغربية. يجب وضع حد لنشاط معلمي المدارس العربية والكتاتيب القرآنية والمرابطين في البلاد. إن تساهلنا مع هؤلاء يعني أننا نهيء بأنفسنا اعتناق الأفارقة التدريجي للإسلام، وبهذا نكون قد أخذنا بيد الإسلام، ودفعنا عجلة تقدمه إلى الأمام»

وبالرغم من أن فرنسا أصدرت العديد من القوانين التربوية، وقامت بممارسات عديدة لتطويق اللغة العربية، غير أن هذه اللغة لغة القرآن الكريم استمر أهل دكار والسنغال على تعلمها وتلاوتها. ففي كل قرية سنغالية يوجد العشرات ممن يتقن العربية، بل إن قبائل «الولوف» لا يزالون يكتبون لغتهم بحروف عربية. ولكن مما لا شك فيه بأن الممارسات ضد اللغة العربية لم يكسبها مميزات التطور والتقدم بين السنغاليين الذين احتفظوا بأساليبها وطرائقها القديمة كأساليب اللغة في القرن التاسع عشر. غير أن الخريجين السنغاليين من الجامعات العربية استطاعوا تصحيح مسار لغتهم العربية، وينتظر أن يقوموا بدور بارز في هذا المضمار في بلادهم. بالإضافة إلى ذلك، فإن اللغة العربية تدرس في المدارس الأهلية الخاصة وفي المدارس الحكومية. وكانت اختيارية مع بدء استقلال السنغال، غير أنه منذ العام الدراسي ١٩٧٩ - ١٩٨٠ أصبحت إجبارية لا سيما لطلاب المرحلة الابتدائية. وفي المرحلة الثانوية يتعلم الطالب اللغة الفرنسية والانجليزية، وعليه الاختيار للغة ثالثة بين الايطالية أو الاسبانية أو العربية. وفي جامعة دكار يمكن لمن يرغب الالتحاق بقسم اللغة العربية في كلية الآداب.

هذا، وتدرس العربية في المعهد الإسلامي في دكار في المساء وفي العطلات الصيفية. كما أن إذاعة دكار تبث برنامجاً يومياً باللغة العربية لمدة نصف ساعة. كما أن لوزارة الاعلام نشرة رسمية متواضعة باللغة العربية. وفي عام ١٩٧٩ تشكل في دكار «الاتحاد الوطني للكتاب والصحفيين السنغاليين الناطقين باللغة العربية» الذي سعى إلى تكوينه بعض خريجي الجامعات العربية لا سيما الجزائر. وصارت مهمته تكريس الثقافة العربية والدفاع عنها،

وتجميع أبناء هذه الثقافة من الجامعيين حتى لا يجرفهم تيار الثقافة الفرنسية الغالب على الثقافة السنغالية والعربية.

يحافظ سكان دكار والسنغال على عاداتهم القديمة بلبس الطربوش أو القبعة السنغالية ولبس الجلباب الزاهي وحمل السبحات الطويلة في الرقاب. وبالحفاظ على رقصاتهم الشعبية. وفي دكار عدد من المساجد والزوايا وأضرحة الأولياء وزوايا الفقه المالكي وزوايا الطرق الصوفية. ويحافظ السكان على أداء صلواتهم لا سيما أيام الجمع والأعياد. وهم يحتفلون بعيد الفطر (كور) وبعيد الأضحى (تبكسي) وبذكرى المولد النبوي (جمو) وبذكرى عاشوراء (تمخرت) وبأعياد الطرق الصوفية. كما يستقبلون شهر رمضان استقبالاً مميزاً بالأناشيد والمدائح النبوية. ومن الملاحظ أن مدائح النبي محمد ﷺ تحتل كماً كبيراً وغير عادي في إطار نتاج الأدباء السنغاليين الذين يكتبون باللغة العربية.

هذا ويوجد في دكار معالم ومواقع أخرى مثل جامعة دكار، ومعهد افريقيا السوداء، والمعهد الإسلامي، واتحاد الجمعيات الثقافية الإسلامية الذي يضم أكثر من أربعين جمعية ويهدف لتعليم الإسلام والعربية، جمعية النهضة الثقافية الإسلامية، وجمعية الفلاح...

وتتميز دكار ومناطق سنغالية أخرى بوجود حرف يدوية كثيرة وبصيد الأسماك. كما تميزت بزراعة الفول السوداني التي تمثل نسبة ٨٠ ـ ٨٥٪ من الإنتاج الزراعي. ويستخدم في إنتاج الزيت. بالإضافة إلى ذلك تنتج السنغال القطن، الأرز والفوسفات. غير أن

السنغال لا تزال تعاني من عدم توفر المياه وإيصالها إلى جميع المنازل.

لقد مرت السنغال عبر تاريخها الطويل بتجارب قاسية كانت أكثرها مرارة فترة تصدير العبيد منها بواسطة الرجل الأبيض. وهي تستذكر ذلك الماضي بألم شديد. وتستذكر من جهة أخرى مفاعيل الإسلام عبر العصور، فترى فيه العامل الوحيد الذي وحدها وشد من أزرها أمام المصاعب والشدائد، وهو الذي استطاع تحريرها وتقويتها.

لاغوس

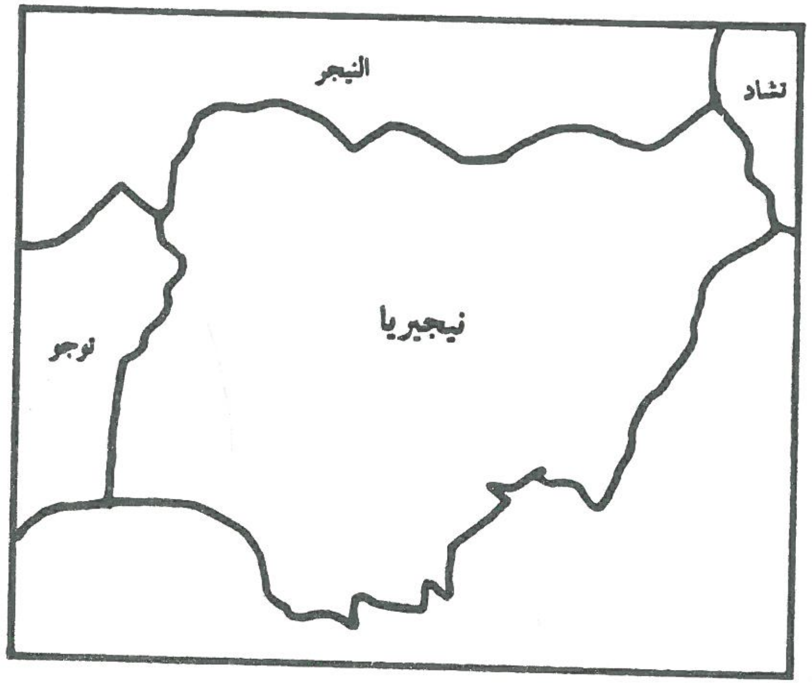

لاغوس

لاغوس عاصمة جمهورية نيجيريا الواقعة في أفريقية الغربية يحدها من الغرب والشمال داهومي والنيجر، ومن الشرق بحيرة تشاد والكاميرون. كما تقع على رأس خليج غينيا بالمنطقة المدارية. وتصل مساحتها إلى ٩٢,٤٠٠ ألف كلم٢. بينما يبلغ عدد سكان نيجيريا (١٠٠) مليون نسمة. ولهذا تسمى نيجيريا باسم «عملاق أفريقية». نالت البلاد استقلالها عام ١٩٦٠، وأعلنت جمهورية عام ١٩٦٣.

والحقيقة فإن اسم نيجيريا أطلق على هذه البلاد الأفريقية عام ١٩١٤ من قبل الاحتلال البريطاني، وذلك نسبة إلى نهر النيجر الذي يخترق نيجيريا من الشمال الغربي حتى الجنوب الشرقي.

والعاصمة لاغوس هي حسب التقسيم الإداري ولاية من أصل تسع عشرة ولاية هي: انمبرا، بورتو، بوتشي، غونغولا، كانو، كادونا، سوكوتو، نيجر، كوارا، بينوى، اويو، أرغون، أوندو، لاغوس، بندل، البحار، ايمو، عبر البحر، الهضبة.

أما عن دخول الإسلام إلى لاغوس وبقية مناطق نيجيريا، فتشير المصادر التاريخية إلى دخول الإسلام منذ القرن الثامن الميلادي،

بواسطة التجار المسلمين الذين وفدوا إليها من الشمال الافريقي عبر الصحراء الكبرى. وكانت قبائل ودولة «الهوسا» أقدم الدول التي اعتنقت الإسلام، والتي يرجع أصلها إلى القرن العاشر تقريباً. وقد اعتبرت أحد مراكز التوسع الإسلامي في افريقيا منذ دخلها الإسلام في القرن الثالث عشر مع قوافل التجار عبر الصحراء من شمال افريقيا والجزيرة العربية. فلقد اتخذت قوافل التجار وقبائل البربر طريقها صوب الجنوب للإقامة الدائمة بعد أن سيطر العرب على بلاد الغرب.

وكان تدفق الإسلام منذ دخوله إلى المغرب للمرة الأولى ثم انتشاره إلى غرب أفريقيا يتوقف على عاملين:

الأول - إسلام شعب الطوارق الذي تبنى الدعوة والجهاد، وخاصة في زمن عقبة بن نافع. حتى أن كثيراً من القبائل تفخر بالانتساب إليه حتى اليوم. ومنهم بعض قبائل الفولاني في شمال نيجيريا. ولقد كان عقبة أول من حمل الطوارق على الإسلام وتبعه في نشر الدعوة كثير من أولاده.

الثاني - ضعف مقاومة دولة غانا القديمة، وتسرب الإسلام إليها آخر الأمر، كان عاملاً أفسح الطريق لنشر الإسلام في غرب أفريقيا كله. ولقد قامت سلطنة «ملي» التي أسسها شعب المادنجو دوراً كبيراً في تفكك دولة غانا وإنشاء سلطنة إسلامية امتدت حتى منطقة النيجر الأوسط في الفترة من عام ١٣٠٧ إلى ١٣٢٢. وكذلك قامت سلطنة

إسلامية أخرى هي سلطنة «سنغي» التي تقع منطقة سيادتها على ضفة النيجر الأوسط. وكان أهلها قد اعتنقوا الإسلام في منتصف القرن الحادي عشر.

ولا بد من الإشارة في مجال انتشار الإسلام في لاغوس ومدن نيجيريا، هو أنه عظم أمر المسلمين في القرن الثالث عشر الميلادي نتيجة لنفوذ (الموحدين) و(المرابطين) الذين أقاموا دولتهم في المغرب العربي.

ونتيجة لانتشار الإسلام واضمحلال الوثنية، فإن لاغوس يغلب عليها وعلى سكانها الطابع الإسلامي. وبلغ عدد المسلمين في نيجيريا ثمانون مليون مسلم، بينما بلغ عدد النصارى ١٥٪ وعدد الوثنين ٥٪ من السكان.

يتوزع السكان على عدد من القبائل تضم (٢٥٠) قبيلة لكل منها لغتها وثقافتها وعاداتها وتقاليدها. وأكبر هذه القبائل: الهوسا، الأيبو، اليوربا، الفولان، والكنوري.

وطبقاً للتقسيم الإداري نجد في الاقليم الشمالي الذي يشغل ٧٥٪ من مساحة الدولة حوالى ٦٠٪ من جملة السكان. ويتحدث ٤٠٪ منهم بلغة الهوسا. ويرتبط هذا الاقليم بحركة الفتوحات الإسلامية في شمال وغرب أفريقيا. ولذلك فمعظم سكانه يدينون بالإسلام.

ومن أهم قبائل هذا الاقليم الهوسا التي تمثل ١٩٪ من سكانه. وتليها الفولاني التي تمثل ١٠٪، ثم نيوب وتيف وكانوقي.

ويلي الاقليم الشمالي من حيث تعداد السكان الاقليم الشرقي

الذي تصل مساحته إلى ٣٠ ألف ميل مربع. ويعيش فيه ٢٥٪ من سكان نيجيريا. ومن أكبر قبائله ايبو التي تمثل ١٩٪ من سكانه. وتليها مجموعة قبائل صغيرة جداً مثل قبائل ايبو وايجو.

أما الاقليم الغربي، فرغم أن مساحته ٤٥ ألف ميل مربع، فهو أقل الأقاليم الثلاثة سكاناً، فلا يتجاوز نصيبه أكثر من ١٥٪ من السكان، ومن أكبر قبائله اليوربا التي تمثل حوالي ١٨٪ من سكانه. وقد اختلف الباحثون حول الأصول الأولى لسكان الأقليم الغربي. فالبعض يقول إنهم من صعيد مصر، وفريق آخر يرى إنهم من شرق أفريقيا أو الجزيرة العربية، وهم في الحقيقة خليط من كل هذه الأجناس.

والأمر الملاحظ انتشار الطرق الصوفية وزواياها في لاغوس ومناطق أخرى. وقد قامت هذه الطرق الصوفية بدور بارز في نشر الإسلام في نيجيريا. وتعتبر القادرية أقدم طريقة صوفية أدخلها الشيخ عثمان بن فودي الفولاني. واستطاع تأسيس امبراطورية إسلامية واسعة أقامت الشريعة الإسلامية في السودان الغربي وأعالي السنغال وبلاد الهوسا منذ القرن الثالث عشر الميلادي.

وتعتبر حركة الشيخ عثمان الفولاني حركة إصلاحية إسلامية ضد العادات والتقاليد الوثنية التي كانت ما تزال سائدة في نيجيريا. وما زالت نيجيريا الإسلامية تدين حتى اليوم لحركة ذلك المجاهد. وكان لأحفاده شرف الجهاد والدفاع عن البلاد من الاستعمار البريطاني.

ومن الطرق الصوفية السائدة في لاغوس وسواها الطريقة التيجانية. غير أنه من الملاحظ أن الاستعمار البريطاني شجع على

انتشار بعض الفرق التي لا تمت إلى الإسلام بصلة وهي الفرق الهدامة منها: الفرقة القاديانية أو الأحمدية التي أسسها أحمد القادياني في الهند في القرن التاسع عشر الميلادي. وفرقة ميتاتسين التي ظهرت في الأربعينات في كانو على يد مؤسسها محمد مروه الموفي، وهو من أصل وثني ادعى أنه اعتنق الإسلام. وبواسطة ادعاءاته أثار الفتن بين المسلمين في نيجيريا والتي أسفرت عن آلاف الضحايا. ومن الفرق الأخرى البهائية، وهي انتشرت مع انتشار وسيطرة الاستعمار البريطاني في المنطقة.

ولا تزال لاغوس ومناطق نيجيريا الأخرى تعاني من دور الحركة الصهيونية في المجتمعات الإسلامية والمؤسسات الاقتصادية.

وتخوفاً من نفوذ الحركات السياسية والدينية الهدامة في نيجيريا والعاملة ضد الإسلام والمسلمين، فقد سارعت «جمعية الدعوة الإسلامية العالمية» للعمل بأساليب عدة لحماية المسلمين ولدعم المؤسسات الإسلامية النيجيرية، والمساهمة في بناء واستكمال بناء المساجد والمدارس والمستشفيات ودعم صندوق الأوقاف الإسلامية الذي يتولى الإشراف على عدد من المدارس والمساجد والمراكز الإسلامية، وإرسال عدد من الدعاة إلى مختلف الأقاليم للدعوة إلى الإسلام، وتنوير المسلمين بأمور دينهم. وتقوم الجمعيات والهيئات الإسلامية النيجيرية بدورها في هذا المضمار، بالتعاون مع المؤتمر العام للدعوة الإسلامية باعتبارها من أعضاء المؤتمر.

هذا ولا بد من الإشارة إلى أن أكبر دولة إسلامية في أفريقية لا تزال تعاني من أخطار ثلاثية وهي: الصهيونية، البعثات التنصيرية،

والفرق الهدامة. وقد استوجب ذلك جهود أساسية ومضنية من قبل المسلمين النيجيريين للحفاظ على دينهم ومعتقداتهم الإسلامية.

هذا وينتشر في العاصمة لاغوس العديد من المعاهد والمدارس الإسلامية والمدنية. وتنتشر المساجد في لاغوس وكانو ومختلف المناطق والمدن النيجيرية. وهناك جامعات منها جامعة لاغوس وجامعة بايرو في كانو. ومن مزايا مساجدها لا سيما مسجد لاغوس إنهاتزدحم بالمصلين بحيث أن المصلين يضطرون للصلاة في الفضاء خارج المسجد. وهذه صفة عامة في مختلف مساجد نيجيريا.

تتميز نيجيريا بالإنتاج الزراعي وإنتاج الفواكه وزيت النخيل وخشب الكاكاو والمطاط.

ويلاحظ بأن عدداً كبيراً من النيجيريين يحرصون على تعلم اللغة العربية لارتباط ذلك بحفظ القرآن الكريم. كما أن المدارس والمعاهد الإسلامية تدرس اللغة العربية، وتحرص على تعليم القرآن الكريم. والواقع فإن التعاون بين المسلمين في نيجيريا وبعض الدول العربية والإسلامية ساهم في تطور تعليم اللغة العربية وفي إرساء الدين الإسلامي في مواجهة التيارات الهدامة.

والمسلمون في لاغوس يحرصون على الاحتفال بالأعياد الإسلامية لا سيما عيدي الفطر السعيد وعيد الأضحى. كما يحرص المسلمون على صيام شهر رمضان المبارك.

لاغوس عاصمة لدولة إسلامية كبرى. وفي حال توظيف المسلمين والعمل الإسلامي في نيجيريا يمكن أن تتكون طاقات إسلامية أفريقية تعمل لما فيه خير الإسلام والمسلمين ليس في أفريقيا فحسب، وإنما في العالم الإسلامي أيضاً.

زنجبار

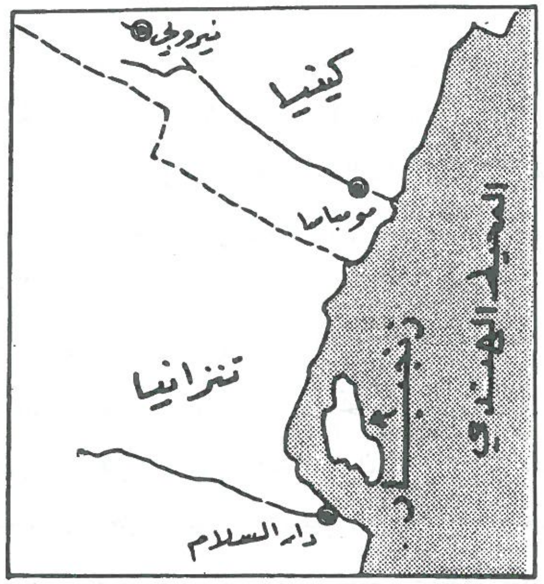

زنجبار

زنجبار من المدن الإسلامية العربية العريقة، تقع على الساحل الشرقي لافريقيا حيث يحدها من الشمال مومباسا وكينيا عامة ومن الجنوب والشرق تنزانيا وعاصمتها دار السلام، ومن الغرب المحيط الهندي. وتبلغ مساحتها حوالي (١٦٠٠) كلم مربع. وعدد سكانها حوالي (٣٠٠) ألف نسمة.

وزنجبار لفظ أطلقه العرب على هذه المنطقة، وهي كلمة عربية تعني «بر الزنج». وكان العرب وتحديداً العُمانيين قد سيطروا على الساحل الشرقي لأفريقيا منذ القرن الأول الميلادي. وامتد نشاطهم التجاري حتى الهند. وتشير المصادر التاريخية إلى أن عُمان استعصت على بني أمية في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، الذي فوَّض الحجاج بن يوسف الثقفي في بسط نفوذ الأمويين على عُمان. فأرسل الحجاج جيشاً كبيراً لتنفيذ هذه الرغبة، فآثر سلطانا عُمان سليمان وسعيد ابنا عبد الجلندي أن يغادرا وأهلهما عمان إلى أرض الزنج زنجبار، لأنها كانت تخضع للعمانيين وفيها تواجد عماني كثيف.

كانت زنجبار تخضع لسلطنة عمان سواء في عهد السلاطين اليعاربة أو سلاطين آل البوسعيد. وكانت السلطة العمانية تمتد إلى مومباسا وماليندي ومقديشو وأسمرة وبعض المدن في وسط أفريقيا. وقد ظلت سيطرة العمانيين على زنجبار وساحل شرق أفريقيا حوالى ألف عام. ولم تنقطع السيطرة العمانية على زنجبار وشرق أفريقيا إلا لفترات قصيرة بسبب رحلات الاستكشاف البرتغالية، ثم من الاستعمار البرتغالي نفسه، إلى أن طرد الإمام سلطان بن سيف البرتغاليين من عمان ومن ساحل شرق أفريقيا.

في عام ١٨٢٨ قام السلطان سعيد بن سلطان بزيارة إلى زنجبار، وفي الفترة ذاتها أصدر قراراً جعل من الجزيرة الزنجبارية مقره الرسمي وعاصمة لسلطنة يحكم منها عمان وساحل أفريقيا. عند ذلك ازدادت هجرة العمانيين إلى الجزيرة وتكثف وجودهم. وتبين للقوى الأوروبية أهمية موقع هذه الجزيرة، فبدأت الصراعات للسيطرة عليها بين بريطانيا وألمانيا، ثم بين ايطاليا وفرنسا وبريطانيا وأميركا. وتم التوقيع على معاهدة صداقة بين أميركا وزنجبار عام ١٨٢٣، وبين بريطانيا وزنجبار عام ١٨٣٩. ولم يكن توقيع هذه المعاهدات من واقع ضعف سلطان زنجبار، ذلك إن السلطان سعيد كان يملك أسطولاً بحرياً قوياً مؤلفاً من خمسة وسبعين سفينة في كل سفينة (٥٦) مدفعاً، فقد كان صاحب أقوى أسطول موجود في المنطقة الواقعة بين رأس الرجاء الصالح حتى اليابان.

بعد وفاة السلطان سعيد بن سلطان في ١٩ تشرين الأول (اكتوبر) ١٨٥٦ ثار الخلاف بين الأخوة، فتدخلت بريطانيا للمصالحة وقسمت الحكم بين الأخوين، فجعلت عمان من نصيب

السلطان ثويني بن سعيد، وجعلت زنجبار من نصيب السلطان ماجد. ومنذ ذلك التاريخ انفصلت زنجبار عن عمان. وبسبب تفاحل الخلاف بين الأسرة الحاكمة في زنجبار عقد مؤتمر بروكسل لبحث وضع القارة الأفريقية برمتها. وفي ضوئه قسمت أفريقيا بين الدول الأوروبية المتصارعة. وقسمت زنجبار عام ١٨٨٦ بين بريطانيا وفرنسا وألمانيا.

وتبين بأن بريطانيا أحكمت قبضتها على زنجبار، وشجعت على هجرة الأفارقة إليها، ثم عملت على تعميق الهوة بين العرب والأفارقة والتمييز بين ما هو عربي وما هو أفريقي.

هذا وتنتشر في زنجبار اللغة العربية واللغة السواحلية التي ٧٠٪ منها من أصل عربي والباقي من جذور أفريقية، بالإضافة إلى انتشار الانجليزية. ولا يزال العرب العمانيون يقيمون في زنجبار يمارسون أعمالهم وشعائرهم الدينية بشكل عادي.

أما فيما يختص بشوارع ومناطق وعمارة زنجبار، فيشعر الناظر إنه في مدينة عربية إسلامية. فالعمارة على الطراز العربي، والأثر العماني واضح مع مؤثرات هندية وأفريقية. ويلاحظ بأن الأبنية القديمة يحفر على مداخلها عبارات اللغة العربية مستقاة من القرآن الكريم والسنة النبوية أو عبارات مستقاة من العقيدة الإسلامية مثل: لا إله إلا الله محمد رسول الله، مع ذكر التواريخ الهجرية والميلادية.

ويهتم أبناء زنجبار بالزراعة المتنوعة، فإلى السلطان سعيد يعود الفضل في أنه أول من شجع زراعة شجر القرنفل في الجزيرة. وبفضله أصبحت زنجبار اليوم أكبر مصدر للقرنفل في العالم كله.

وينتشر في الجزيرة أيضاً زراعة جوز الهند والقصب السكري والذرة والمانجو وصيد السمك. ومن ملامح المدينة المميزة الغابات الكثيفة من أشجار جوز الهند «النارجيل» والقرنفل، وتعبق الطرقات العامة بروائح زهر القرنفل والزهور البرية. وتُقطع عدة ألياف شجر «النارجيل» ليستخرج منه الزيوت من ثمره. كما يمارس بعض أهالي زنجبار العمل التجاري وبيع الأقمشة والعطارة وأدوات الزينة وسواها.

يحرص أبناء زنجبار على التمسك بأهداب الدين الإسلامي ومعتقداته، لذا يلاحظ كثرة المساجد والمعاهد الدينية للمحافظة على الإسلام. كما انهم يحرصون على إقفال محالهم التجارية لتأدية الصلاة ظهراً أو عصراً مع الجماعة في المسجد. كما تتميز زنجبار بقلعتها التاريخية القديمة وبمينائها المشرف على المحيط، وبأسواقها الإسلامية المتخصصة مثل سوق العطارين وسوق النحاسين وأسواق أخرى على غرار بقية الأسواق الإسلامية المعروفة في العواصم الإسلامية. كما أن عادات سكان زنجبار وتقاليدهم هي عادات وتقاليد إسلامية عربية وعُمانية تحديداً.

زنجبار تلك المملكة العربية الإسلامية، ومفتاح الشاطىء الشرقي لأفريقيا، زنجبار تلك الجزيرة العربية لغة وتاريخاً وتراثاً وحضارة وحكماً، لم تعد اليوم تلك المملكة أو المدينة التي عرفت عبر التاريخ، فقد جرى فيها بعض التدخلات الافريقية بعد استقلالها عن بريطانيا في كانون الأول (ديمسبر) عام ١٩٦٣، وبمساعدة بريطانية حدث انقلاب دموي في زنجبار خلع به السلطان وتدخلت القوة العسكرية في البلاد. وفي ٢٦ نيسان (ابريل) عام

١٩٦٤ أعلن قيام الوحدة بين تنجانيقا وزنجبار، وأصبح اسم الدولة الجديدة تنزانيا واختيرت دار السلام عاصمة لها. ونص اتفاق الوحدة ثم الدستور على أن يتولى الرئاسة جوليوس نيريري من تنجانيقا وأن يليه في الرئاسة حاكم زنجبار.

وهكذا ضاعت زنجبار وانتقلت من مرحلة التعريب إلى مرحلة الأفرقة، غير أن سكانها لا يزالون يدينون بالولاء للعروبة والإسلام. وهم لا ينتمون فقط إلى زنجبار العربية الإسلامية، بل يذكرون على الدوام أن في العالم العربي توأم لمدينتهم هي مدينة زنجبار المدينة المشهورة في جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية، ويذكرون بأن جذورهم عربية إسلامية تعود إلى الجذور العُمانية العربية.

جيبوتي

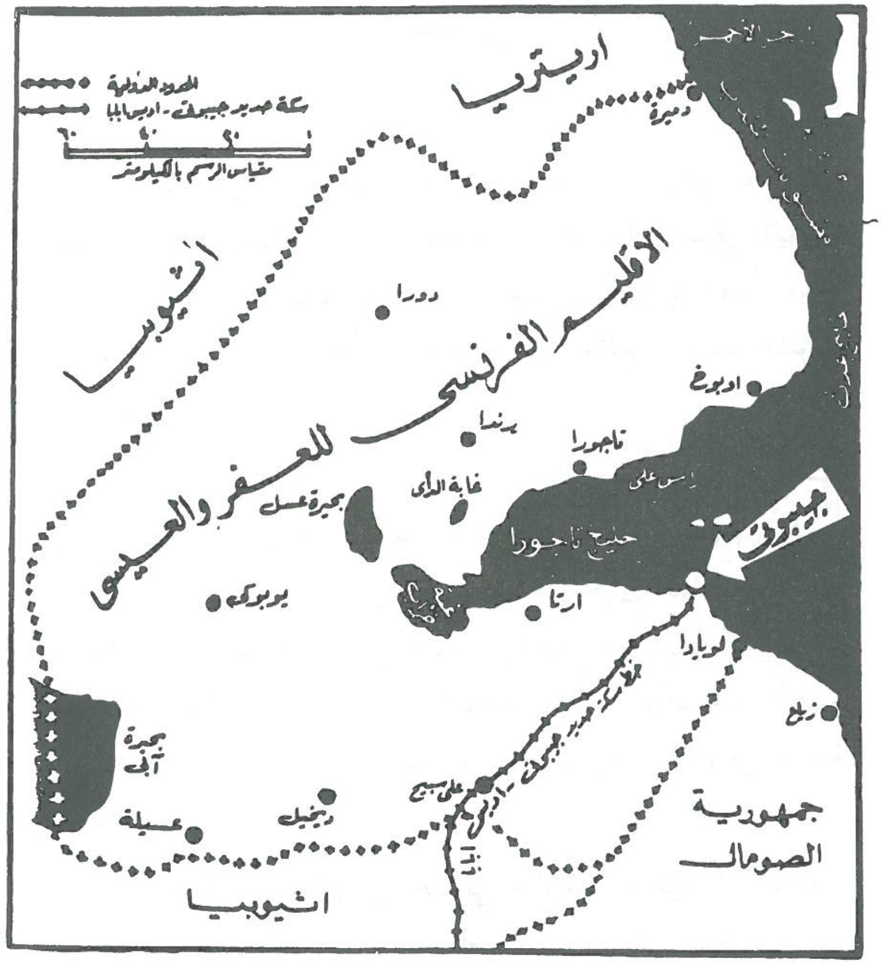

جيبوتي

مدينة جيبوتي عاصمة جمهورية جيبوتي، وهي دولة في افريقية، يحدها شمالاً اريتريا ويحدها من الشمال الشرقي أثيوبيا، بينما يحدها من الجنوب جمهورية الصومال وأثيوبيا أيضاً، بينما يحدها من الغرب البحر الأحمر وخليج عدن وتقع العاصمة جيبوتي على خليج تاجورا.

كانت تعرف سابقاً باسم الصومال الفرنسي، مساحتها ٢١,٧٠٠ كلم^{2}، عدد سكانها ٤٠٠ ألف نسمة، نصفهم يعيشون في العاصمة جيبوتي. في أيار (مايو) ١٩٧٧ جرى استفتاء من اجل استقلال البلاد عن فرنسا التي استعمرتها منذ عام ١٨٤٢. وقد تم إعلان الاستقلال في ٢٧ حزيران (يونيه) ١٩٧٧، وأصبحت العضو رقم (١٤٨) في منظمة الأمم المتحدة، والعضو رقم (٢٢) في جامعة الدولة العربية.

لقد دخل الإسلام إلى جيبوتي منذ فترة مبكرة أثناء دخوله إلى افريقية، لهذا نرى أن العناصر العربية تشكل إلى اليوم ما نسبته ٢٠٪ من السكان. والعناصر اليمنية والعُمانية ومن حضرموت لا تزال قائمة بملامحها وعاداتها وتقاليدها. بل أن العلاقات بين

العائلات اليمنية وعائلات جيبوتي لا تزال قائمة إلى اليوم. وتشير الدراسات التاريخية إلى أن العلاقات العربية ـ الافريقية تعود إلى ما قبل الميلاد، وتزايدت في عهد الإسلام.

بالإضافة إلى العنصر العربي المتأصل في جيبوتي، فهناك عناصر من أصول صومالية وأثيوبية. ومن القبائل المعروفة في جيبوتي قبيلة العفريين وهم ينتشرون في جيبوتي وفي أثيوبيا أيضاً كما أن قبيلة العيسى منتشرة في جيبوتي والصومال.

أما العُفر فتضم قبيلتين هما: الأسايمرة والأدوبامرة، ويشكلون ٤٠٪ من السكان. ويعود أصل العفر إلى الهجرات السامية العربية الأولى التي خرجت من شبه الجزيرة العربية، واتجهت إلى الساحل الشرقي لافريقيا. ومع مرور الزمن اختلطت هذه الهجرات العربية السامية مع العناصر المحلية الحامية. ونتج عن هذا الاختلاط البشري قبائل العفر الحالية الذين يطلق عليهم إسم «الدناكل» والفرد منهم إسم «الدنكل». وهم منتشرون في القرن الافريقي، ويرتبطون عاطفياً بالعرب وبأثيوبيا أيضاً. ويعتبر العفر أن اللغة العربية هي لغتهم الثانية، وهم يتكلمونها ويفهمونها بشكل جيد. كما أن ملامحهم فيها تأثيرات عربية واضحة.

أما قبائل العيسى فهي من القبائل المنتشرة أيضاً في جيبوتي وفي الصومال وهي أربع قبائل هي: العيسى، الدرادو، الأباك، الفارابوس. وهم يشكلون ٦٠٪ من السكان، وترتبط هذه القبائل حضارياً وبشرياً وتاريخياً بالقبائل الصومالية.

إن وجود قبائل متعددة في جيبوتي من أصول صومالية وأثيوبية، دعا الصومال وأثيوبيا للصراع على هذا البلد بدعوى أحقية كل

منهما فيه، واعتبرت أن هذا الحق يستند على عوامل تاريخية وقومية ودينية وعرقية فترى الصومال أن كل الساحل الصومالي بما فيه جيبوتي وأوغادين جزء أساسي من الامتداد الجغرافي الطبيعي للصومال، بينما تدعي الحبشة بأن الأمبراطورية الحبشية مارست نفوذها على هذا الساحل منذ أقدم الأزمنة وخاصة منذ توسع الأمبراطورية وتمددها الجغرافي على يد الأمبراطور منليك بين أعوام ١٨٨١ - ١٩١٣ مؤسس أثيوبيا الحديثة. غير أن فرنسا استطاعت منذ القرن التاسع عشر استعمار جيبوتي بالسيطرة أولاً على خليج تاجورا من خلال مجموعة من الاتفاقيات عقدتها مع سلاطين وشيوخ المنطقة في أعوام ١٨٦٢، ١٨٨٤، ١٨٨٥، ١٨٩٦.

وتواجه العاصمة جيبوتي ومختلف مدن الجمهورية مشكلة توحيد اللغة المستخدمة في البلاد، حيث تستخدم اليوم أربع لغات وهي: اللغة الصومالية وهي لغة العيسى، واللغة العفرية وهي إحدى لغات أثيوبيا، واللغة العربية، وأخيراً اللغة الفرنسية. وباعتبار أن جيبوتي انضمت إلى جامعة الدول العربية، فقد بدأ الإهتمام بتعليم العربية في المدارس والمعاهد بشكل أساسي، ومن الممكن أن تصبح اللغة العربية هي اللغة الأساسية في البلاد، إذا ما استمرت حركة التعريب. علماً أن المسلمين منذ دخولهم إلى جيبوتي أدخلوا نظام التعليم الديني، وكان دور الشيخ أو «الملا» في التعليم القرآني مهماً في نشر الإسلام والعربية معاً، وفي توحيد المجموعات الافريقية وربطها بالعالم الإسلامي والعربي، إضافةً إلى محو الأمية.

هذا وتنتشر في جيبوتي مدارس حكومية ومدارس خاصة، تضم

آلاف الطلبة والطالبات، كما توجد مدرسة مهنية ومعاهد لتخريج المعلمين، غير أن جيبوتي تفتقر لجامعة حتى الآن. وقد قامت بعض الدول العربية بتقديم العون لإنشاء مدارس ومعاهد علمية، فقد أقامت المملكة العربية السعودية «المعهد الإسلامي السعودي» في جيبوتي وهو تابع لجامعة محمد بن سعود الإسلامية. كما استعان الإتحاد الوطني لنساء جيبوتي ببعض المعلمات المصريات لتعليم اللغة العربية للفتيات في جيبوتي.

أما فيما يختص بالثروات القومية في جيبوتي، فإنها تتميز بتربية المواشي، والمياه المعدنية والنخيل وبعض المزروعات وتصنيع الألبان، علماً أن قطاع الخدمات يمثل حوالى ٨٠٪ من الدخل القومي، في حين أن الزراعة والرعي وتربية الحيوانات وصيد الأسماك مع الصناعة تمثل حوالى ١٠٪ من الدخل القومي.

وبالإضافة إلى انتشار الماعز والجِمال بشكل لافت للنظر، فإن محاولات الاستفادة من الدعم العربي لتأسيس بعض المصانع هي محاولات جادة في جيبوتي. هذا ويوجد في جيبوتي بحيرة عسل وبحيرة آبي. وقد اكتشف الفرنسيون عام ١٩٧٥ مياهاً حارة في بئر عسل، ويعمل أبناء جيبوتي من الخبراء على استكمال اكتشاف الآبار في البلاد. ويذكر أن بحيرة عسل التي تبلغ مساحتها (٦٥) كلم^{٢}، يستثمر منها تلال من الملح، كما أنها تحتوي على مواد أخرى مثل المغنزيوم والبوتاسيوم، وعلى صخور البيرلييت وهي مادة عازلة تستخدم للتصفية والتنقية.

في جيبوتي العاصمة ملامح من الماضي وملامح من الحاضر. ففيها مبانٍ متواضعة ومبانٍ متطورة، وشوارع ضيقة وشوارع واسعة،

غير أن مبانيها لا تزيد عادةً عن أربع طبقات وهي بيضاء مقببة.

ويبدو أن الفرنسيين عندما بدأوا ببناء مدينة جيبوتي عام ١٨٨٧، لم يجدوا من يقوم بهذا العمل إلا اليمنيين، وهذا هو السبب في أن الطراز المعماري في جيبوتي يماثل الطراز المعماري العربي عامة واليمني خاصة، لا سيما إذا علمنا أن الشاطىء الجيبوتي لا يبعد عن شاطىء اليمن (الديمقراطية) إلا ساعة بالسفينة. وكانت جيبوتي تتميز بسورها القائم بواسطة الأسلاك وببوابة رئيسية، وكان الهدف من إقامة هذا السور هو حماية المدينة من المتسللين إليها، وحماية الأمن فيها، وضبط الأوضاع بواسطة البوابة التي كانت السلطات الفرنسية تراقب الداخلين والخارجين عبرها. غير أن سلطات جيبوتي أزالت تلك الأسلاك والبوابة بعد نيل البلاد استقلالها، وبعد أن تطورت العاصمة وازداد عدد سكانها حيث أن مساحتها داخل السور لم تعد تتسع السكان ولم تعد تفي بالمتطلبات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية.

نواكشوط

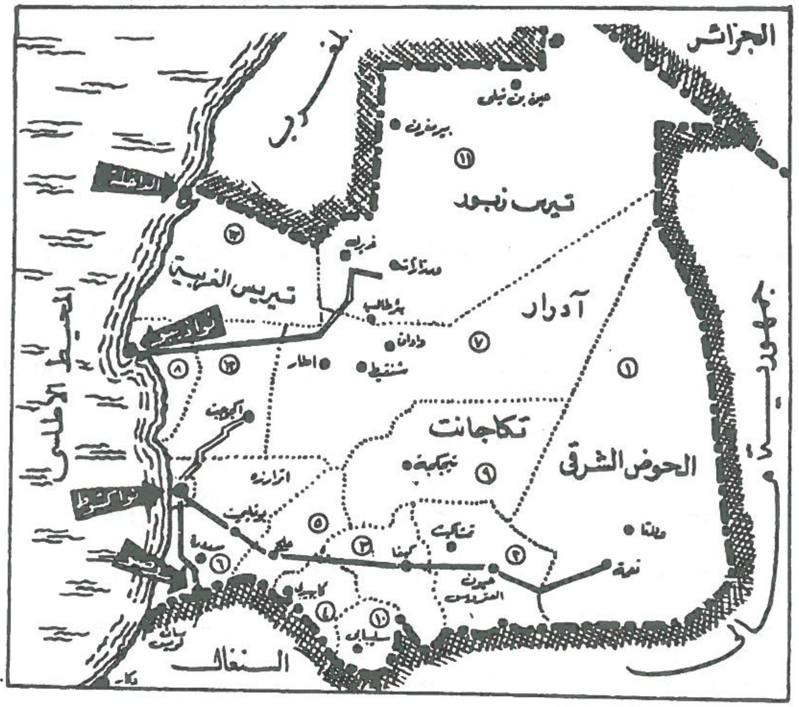

نواكشوط

نواكشوط عاصمة موريتانيا، كانت مقراً للجيش الفرنسي قبل الاستقلال، فأصبحت العاصمة للدولة المستقلة حيث موقعها يربط شمال افريقيا بغربها. وجاء هذا الموقع متوسط نسبياً بين المناطق التعدينية في الشمال، والمناطق الزراعية في الجنوب، وبين المناطق السكانية ذات الكثافة جنوباً وتلك المخلخلة شمالاً. وبمعنى آخر فإن موقعها بين السنغال ومالي والصحراء الجزائرية والصحراء الاسبانية والأطلسي.

وموريتانيا التي كانت تعرف عبر التاريخ باسم «شنقيط» تقع في الركن الجنوبي الغربي لافريقيا في النطاق الصحراوي الذي يعتبر أكبر اتساع للأراضي الجافة في العالم. وموريتانيا أرض صحراوية تصل مساحتها إلى مليون و١٨ ألف كلم مربع. ولا تملك سوى شريط زراعي ضيق على نهر السنغال، وهي خامس دولة عربية من حيث المساحة بعد السودان والجزائر والسعودية، وليبيا، وأقل الدول العربية كثافة في السكان. نالت موريتانيا استقلالها عن الفرنسيين عام ١٩٦٠، علماً أنها أعلنت جمهورية عام ١٩٥٨ عدد سكانها حوالي مليون و٣٠٠ ألف نسمة.

دخل الإسلام إلى نواكشوط ومدن ومناطق موريتانيا كافة منذ العهود الإسلامية الأولى. وكانت شنقيط إحدى المدن الموريتانية المقدسة التي يتجمع فيها الحجاج كل عام، وتتجه قوافلهم إلى مكة والمدينة، لأداء فريضة الحج. ومع تدفق القبائل العربية مع الفتح الإسلامي بدأ العنصر العربي يزداد في البلاد، وتزايد عدده زمن بني حسّان.

وفي منتصف القرن الحادي عشر الميلادي ـ القرن الخامس الهجري حدث تبدل في أوضاع شمال افريقيا عندما انطلق إليها بنو هلال وبنو سليم في عهد الدولة الفاطمية من وادي النيل للقضاء على الحركة الانفصالية في منطقة المغرب العربي. وأدى تدفقهم إلى انتشارهم في الصحراء وامتزاجهم بقبائل البربر. وقد استمرت هذه العملية ما يقارب ثلاثة قرون.

وعرفت نواكشوط وموريتانيا قبائل صنهاجة البربرية قبل الإسلام وبعده. وعرفت البلاد بنو معقل الذين وفدوا مع بني هلال، وقد بلغوا حدود السنغال، وتأسست إمارة «الترازرة» قبل عام ١٦٣٢م، واعترف بها سلطان فاس واعترف بأميرها صفوى حسن. وبدأ الإسلام يسود في مختلف المناطق مع انتشار اللسان العربي. وخلال هذه الفترة استنجد الصنهاجيون ببني معقل ضد غارات الزنوج، ونجحت مجموعة تابعة للأمير صفوى حسن من السيطرة على البلاد. وعرفوا منذ تلك الفترة ببني حسّان، واستتبع ذلك اندثار اللغة البربرية، وتخلى أبناء صنهاجة عن اللثام. ثم شاعت اللهجة الحسّانية التي تضمنت بعض الألفاظ الصنهاجية. وتم الامتزاج والاختلاط بين العرب والبربر، وأطلق على السكان إسم

«المور» وتعني «السمر» باللغة اليونانية، علماً أن الأسبان أطلقوا لفظة «المور» على العرب المسلمين الذين غادروا الأندلس أو الذين استمروا فيها لزمن طال أم قصر.

وكان للإسلام الفضل الأول في توحيد السكان في بوتقة إسلامية واحدة رغم تعدد الأجناس والقبائل والأقوام. وهكذا أصبحت نواكشوط ومَناطق موريتانيا أو شنقيط التاريخية همزة وصل بين افريقيا البيضاء وافريقيا السوداء بعد أن أصبحت إحدى بلاد التخوم العربية، ونقطة تماس داخل الحزام الافريقي. كما استطاعت أن تحمل خلال عدة قرون مشعل الحضارة الإسلامية إلى ما وراء الصحراء، وأصبحت أهم مراكز لتبادل السلع والمنتجات الاقتصادية.

أما فيما يختص باللغات السائدة في نواكشوط فهي مرتبطة بوضعها التاريخي والديني والسياسي والقبلي؛ وهي تتمثل باللغة الفرنسية لغة المستعمر قبل الاستقلال، وباللغة العربية، وباللغات أو اللهجات الافريقية المحلية وهي: لغة التكرور ولغة السنونيكه أو السراكولي ولغة الوولف السائدة في مناطق نهر السنغال. ولقد أدى رفض القبائل إلى تعريبها تماماً منذ بداية استقلال موريتانيا إلى عرقلة حركة التعريب. وكان نتيجة الرفض والصراع استمرار استخدام اللغة الفرنسية في المدارس والدوائر الحكومية، علماً أن حركة التعريب ابتدأت بدورها في القطاعات التربوية والحكومية، كما استمر التدريس باللغات المحلية التي حولت ألفاظها إلى حروف لاتينية لصلتها باللغة الفرنسية ولسهولة كتابتها وقراءتها بالحرف اللاتيني.

والواقع فإن الصراع بين أنصار اللغات المختلفة هو صراع بين القبائل وبين الاتجاهات السياسية القائمة في البلاد. وقد وقعت أول أزمة في هذا المجال عام ١٩٦٦ بسبب إصرار الأقليات التي تتكلم اللغات الزنجية على إبقاء استخدام لغاتها واللغة الفرنسية أيضاً. وتطورت الأزمة عام ١٩٦٨ عندما أصدرت الحكومة قراراً بجعل اللغة العربية لغة رسمية إلى جانب الفرنسية تمهيداً للإنضمام إلى جامعة الدول العربية الذي تم فعلاً عام ١٩٧٣. ثم بعد ذلك صدر قرار بإلغاء الفرنسية ابتداءً من المراحل الأولى في العام الدراسي ١٩٨٤ - ١٩٨٥. وأصبحت الإجازة الأسبوعية منذ عام ١٩٨٣ يوم الجمعة بدلاً من يوم الأحد. وبدأت نواكشوط العاصمة تشهد ملامح وعمليات عديدة تكرس التعريب وعروبة البلاد.

أما التقسيم السكاني والقبلي في نواكشوط فهو صورة لما هو واقع في المدن الموريتانية. فالتقسيم التقليدي للسكان يقوم على أساس عنصرين:

العنصر الأول: ويعرف باسم البيضان، وهو لفظ ووصف يطلق على الذين يتكلمون اللغة العربية من عناصر العرب والبربر والزنوج والذين تم اندماجهم في بوتقة واحدة هو مجتمع البيضان.

العنصر الثاني: ويعرف باسم السودان، وهو لفظ ووصف يطلق على الذين يتكلمون باللغات الافريقية الثلاث. ولا بد من الإشارة إلى أنه ليس لهذا التقسيم السكاني علاقة باللون أو العنصر.

أما عنصر البيضان فينقسم بدوره إلى خمسة أقسام هي: المحاربون، رجال العلم، المحاظر، الحرفيون والحراطون، ثم الأتباع والخدم. وهناك فئات أخرى في موريتانيا مثل فئة «الأكاون»

وهم من الموسيقيين والفنانين. وفئة «الايمراجيين» وهم الذين يمارسون حرفة صيد الأسماك.

أما فيما يختص بالوضع الاقتصادي في نواكشوط، فإن عوامل عديدة تؤثر في الأنماط الاقتصادية المنتشرة، حيث تتأثر العاصمة بالمناخ الصحراوي من الشمال والجنوب. كما تعاني العاصمة من نقص مياه الشرب، وتعاني من عدم صلاحية عمق مياه البحر لمينائها الحديث، لذا يتم تفريغ البضائع من السفن عن طريق زوارق في عرض البحر، غير أن هناك مشروعاً لإقامة ميناء بديل مع تعميق عمق المرفأ القديم.

وتشتهر نواكشوط باصطياد الأسماك والتجارة بها. غير أن مدينة نواذيبو الموريتانية تنافس العاصمة في الثروة السمكية، بل هي تعتبر عاصمة صيد الأسماك وعاصمة تصديرها إلى الخارج. كما تشتهر نواكشوط وموريتانيا عامةً بإنتاج خام الحديد وتصنيع الحديد والصلب والجبس والنحاس الأصفر والمواد المغناطيسية. وتنتشر في نواكشوط الصناعات اليدوية والصناعات النحاسية والنقوش على المعادن والأعمال الجلدية والأقمشة الشعبية والأواني النحاسية والفخارية والزوارق وسواها من الحرف والصناعات المتواضعة.

كما تتميز نواكشوط ومناطق موريتانية أخرى بالنمط الصحراوي والمجتمع الرعوي علماً أن البلاد خسرت ٨٠٪ من الثروة الحيوانية بسبب الجفاف والهجرة. ومن حيواناتها الأبقار المنتشرة في الجنوب والإبل في الشرق والأغنام في الشمال.

من مدن موريتانيا الشقيقة للعاصمة نواكشوط المدن التالية: ترارزة، نواذيبو، القويرة، الزويرات، أم قرين، أكجوجت، روحو، بوتيلميت، كيفه، نعمة، أطار...

إن الدارس لواقع نواكشوط يلاحظ أنها تمثل مزيجاً من الملامح العربية والبربرية والإفريقية. وقد أعطى هذا التنوع البشري تنوعاً حضارياً في اللغة والمأكل والملبس والعادات والتقليد، وإن كانت المدارس والمساجد تحاول دمج الموريتانيين في بوتقة واحدة تحت راية الإسلام والعروبة.

موريتانيا ـ جسر عبور للإسلام

استانبول

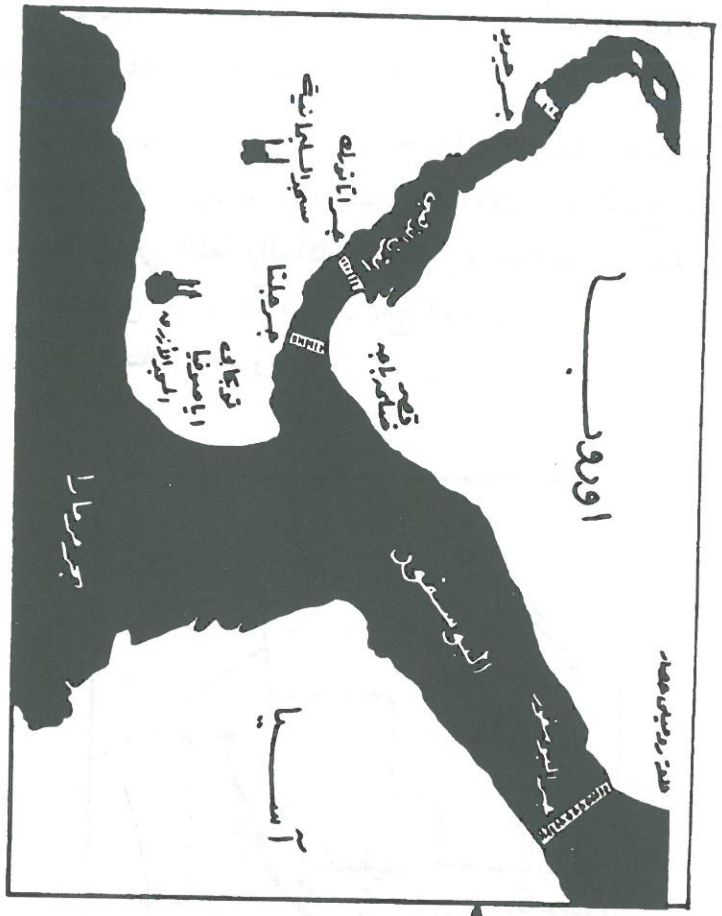

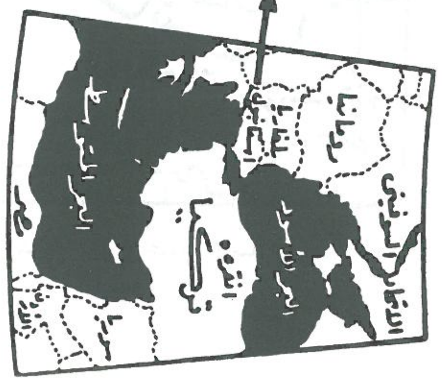

خريطة تبين مدينة استانبول وموقعها من تركيا.

استانبول

استانبول هي أحدى أهم المدن التركية، وكانت عاصمة الدولة العثمانية لفترة امتدت حوالي خمسة قرون. علماً أنها كانت عاصمة للدولة البيزنطية منذ عهد الامبراطور قسطنطين عام ٣٣٠ قبل أن تكون عاصمة للعثمانيين. وفي عام ١٩٢٣ انتقل مقر العاصمة من استانبول إلى أنقره.

وكانت استانبول تعرف قبل خضوعها للعثمانيين باسم القسطنطينة. وكانت هذه العاصمة هدفاً قديماً للمسلمين، وهدفاً لمحاولتين إسلاميتين قادمتين من بلاد الشام، أولاهما عام ٤٨ للهجرة عندما جهز الخليفة معاوية بن أبي سفيان أسطولاً وجيشاً لفتحها بقيادة سفيان بن عوف وخرج معه بعض القادة المسلمين في مقدمتهم الصحابة عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله ابن الزبير وأبو أيوب الأنصاري. غير أن هذه الحملة لم تنجح في تحقيق غاياتها في الاستيلاء على القسطنطينة، وتحطمت الحملة على أبواب المدينة، ولقي الصحابي أبو أيوب الأنصاري حتفه على أسوارها. أما المحاولة العسكرية الثانية، فكانت في عهد الخليفة

سليمان بن عبد الملك، وقد فشلت الحملة أيضاً وكانت بقيادة مسلمة بن عبد الملك بن مروان.

واستمرت القسطنطينية مدينة يرنو المسلمون للسيطرة عليها لأسباب عسكرية وسياسية واستراتيجية. ولما أسس العثمانيون دولتهم أخذوا على عاتقهم العمل للدفاع عن الإسلام والمسلمين وصد كل المحاولات الغربية للسيطرة على الشرق الإسلامي. ويكفي الدولة العثمانية فخراً أنها أخرت الغزو الأوروبي للشرق الإسلامي أكثر من أربعمائة سنة. وقد برز العثمانيون على الساحة العسكرية قادمين من آسية الوسطى، وقد أبلوا بلاءً حسناً في السيطرة فيما بعد على مناطق آسيوية وأوروبية. وفي الوقت الذي توقفت فيه الفتوحات العربية عند جبال طوروس ـ نجح الأتراك في تخطي جبال طوروس ووصلوا إلى قلب أوروبة.

إستمر الأتراك في طموحاتهم للسيطرة على عاصمة البيزنطيين العدو البارز لهم ولسياستهم. وبالفعل فقد تم الإستيلاء على القسطنطينية في عهد السلطان العثماني محمد الفاتح عام ١٤٥٣ ميلادية ومنذ ذاك التاريخ حول اسمها إلى «إسلام بول» كما عرفت باسم استانبول أو الأستانة. وأصبحت عاصمة للدولة العثمانية وأهم مركز ثقافي وسياسي في العالم الإسلامي. وكان هذا الفتح مؤشراً لتمازج حضاري إسلامي ـ مسيحي وشرقي ـ غربي. وقد أمر السلطان محمد الثاني (الفاتح) بتحويل كنيسة آيا صوفيا إلى مسجد، وإلى بناء المدارس والمكتبات والتكايا والمؤسسات الخيرية والوقفية. ولا شك بأن ثقافة محمد الفاتح قامت بدور بارز في تنشيط المؤسسات ومنها المؤسسات الثقافية، فقد عرف عنه اتقانه للغات التركية والعربية والفارسية والعبرية واليونانية واللاتينية.

هذا، وقد أبقى السلطان محمد الفاتح الكثير من المسيحيين واليهود في العاصمة الجديدة، كما نقل إليها الكثير من المسلمين لصبغها بالصبغة الإسلامية. كما انتقل إليها تلقائياً التجار ورجال الثقافة والفكر للإستفادة من مزاياها. كما انتقل إليها طلاب العلم والمعرفة. كما ظهر السلطان محمد الفاتح بمظهر راعي البطريركية الأرثوذكسية في استانبول في مواجهة البابا والكنيسة الكاثوليكية الغربية.

إن استانبول في فترة السلطان محمد الفاتح كانت درة الشرق، وقد استمرت منذ عهده ولعصور متتالية تمثل هذه الميزة الحضارية. وكانت وفاة السلطان الفاتح عام ١٤٨١ ميلادية قد أنقذ أوروبا من العثمانيين، سيما وأن جيوشه كانت قد دخلت الأراضي الإيطالية، واحتلت برانديزي في محاولة للتقدم فيما بعد نحو روما. وكان سقوط القسطنطينية من الأسباب الأساسية التي أغرت العثمانيين بالتقدم نحو مركز البابوية.

إن موقع استانبول على ضفتي البوسفور، أعطاها ميزة حضارية واستراتيجية أخرى. فقد تدفق إليها الوافدون من كل حدب وصوب حتى تكاثر عدد سكانها الذي يقارب عددهم في هذه الأيام حوالى (مليون وثمانمائة ألف نسمة).

تتميز استانبول بمميزات علمية وحضارية وتاريخية وأثرية منها: قصر «ضولمه بغجه» الذي يبدو آية فنية لا سيما من خلال البوسفور. كما يمكن رؤية بعض القلاع على ضفتي البوسفور لا سيما قلعتي: روميلي حصار التي أقامها السلطان محمد، وأناضول حصار وحولهما أغنى أحياء استانبول وأرقاها.

ومن معالم استانبول «حي بابيك» المميز المطل على البوسفور. وكذلك قصر طوبقابي الذي أقامه السلطان محمد الفاتح، وهذا القصر يعتبر آية معمارية ومزيجاً من الفن المعماري العربي والفارسي وبمعنى آخر آية في الفن المعماري الإسلامي. وكان هذا القصر مقراً لسلاطين آل عثمان لفترات طويلة. وتمركزت حوله قصور الصدر الأعظم والوزراء وقادة العسكر. وإلى هذا القصر كانت تفد البعثات الدبلوماسية الأجنبية لمقابلة السلاطين. وكانت استانبول العاصمة الدبلوماسية ومقراً للسفراء الأجانب، في حين كانت بقية الولايات العثمانية مقراً للقناصل الأجانب. وكانت استانبول على غرار باريس ولندن مقراً للسفراء وليس للقناصل.

هذا وقد تحول قصر «طوبقابي» إلى متحف وطني يضم أهم المجموعات الإسلامية الأثرية، وبه مقتنيات من كافة أنحاء العالم الإسلامي. ويحتوي على عرش فارس الذهبي. وأهم ما يحويه أيضاً «الأمانات المقدسة» التي نقلت إليه من القاهرة منها: مصحف عثمان وهو أول مصحف مدوّن بالخط الكوفي، وبردة النبي محمد ﷺ وشعرة من لحية النبي محمد ﷺ، وعصاه وسيف عمر.

وكان سلاطين آل عثمان يتبركون بهذه الأمانات المقدسة ويضعونها خلف عروشهم. كما يضم قصر «طوبقابي» رسالة الرسول محمد ﷺ إلى المقوقس عظيم قبط مصر، والتي عثر عليها «بارشليه» الفرنسي في أحد الأديرة المصرية فأهداها للسلطان عبد المجيد. ويضم القصر ـ المتحف الكثير من اللوحات الفنية العربية والتركية والفارسية، وأعداد كبيرة من اللآليء المحلى بها الخناجر والعروش. وتظهر الخطوط والآيات القرآنية بأجمل خطوط وأبرز نقش.

ومن معالم استانبول المسجد الأزرق بمآذنه الست، وهو رمز هام من رموز استانبول. ومن أجمل مساجد العالم عمارة وفناً وزخرفة. ويعرف هذا المسجد باسم مسجد السلطان أحمد، وأطلق عليه المسجد الأزرق لزخارفه ونقوشه الزرقاء. ويتميز هذا المسجد أيضاً بقبابه المميزة وقباب التكايا والاستراحات الدينية القائمة من حوله وبفسحة خضراء تحيط به من الداخل ومن الخارج.

إلى جانب المسجد الأزرق مسجد آيا صوفيا بلونه البرتقالي وطرازه البيزنطي ومآذنه الأربع. وآيا صوفيا قبل الفتح العثماني كان كنيسة حاول الأمبراطور قسطنطين الدفاع عنها وعن عاصمته، غير أن السلطان محمد الفاتح استطاع السيطرة على العاصمة، والبدء بأسلمتها وأسلمة معالمها ومنها هذه الكنيسة التي أمر بتحويلها إلى مسجد وإقامة أربع مآذن. واستمر المسجد على وضعه إلى أن انهارت الدولة العثمانية وأمر مصطفى كمال (أتاتورك) بتحويله إلى متحف وطني.

وأهم ما يلفت النظر في استانبول انتشار المساجد التي بلغ عددها حوالى (٥٠٠) مسجد، في غالبيتها مساجد تاريخية وأثرية. من بين هذه المساجد المميزة مسجد السليمانية الذي أقامه المعماري المهندس التركي سنان.

وفي مقابل قصر «ضولمه بغجه» على ربوة عالية، وبين الحدائق الخضراء، يقع «قصر يلدز» الذي قضى السلطان عبد الحميد الثاني آخر أيامه فيه إلى عام ١٩٠٩ قبل أن ينفى إلى سالونيك. ونظراً لروعة هذا القصر وجماله أصبح مضرب الأمثال في العالم.

ومن معالم استانبول أيضاً الكثير من القصور التاريخية الخاصة بالصدور العظام والأمراء والقادة. كما أن السوق الرئيسي في استانبول هو بمثابة الأسواق ـ القيساريات المسقوفة، التي تماثل أسواق الحميدية في دمشق وأسواق الموسكي في القاهرة وأسواق بيروت العثمانية القديمة.

وفي سوق استانبول التاريخي يجد الزائر أكثر من سبعين باباً للدخول إليه، تتفرع منه أسواق ثانوية و(٦٥) شارعاً. ويضم مختلف الصناعات والتحف الفنية التركية من حلي ومصوغات ونحاسيات وجلود ومنسوجات ومقتنيات ذهبية وفضية. وثريات وشمعدانات وخشبيات. ويناهز عمر هذه الأسواق التاريخية حوالى (٥٠٠) خمسمائة عام.

كما تتميز استانبول إلى اليوم ورغم التغيرات الحديثة والطارئة، بأنها مدينة إسلامية تشبه المدن العربية الكبرى. حتى أنها لا تزال تضم منازل أثرية قديمة بنيت بمواد خشبية أو بعضها خشبي، وقد ظهرت في واجهتها المشربيات، وهي عبارة عن نوافذ خشبية. كما تحوي الكثير من الحمامات التركية التي اشتهرت عبر التاريخ، سواء بما تقدمه من خدمات صحية أو من حيث عمارتها وهندستها. وفيها أيضاً العربات التي تجرها الخيول حيث يستذكر المرء التاريخ العثماني من خلالها. كما يتميز ميناؤها بكثرة الأعمال الاقتصادية والتجارية وكثرة الاستيراد والتصدير. ومن معالم استانبول أيضاً جسر البوسفور الذي ينقل الناس بين فترة وأخرى من آسيا إلى أوروبا أو بالعكس ذلك لأن المدينة منشطرة آسيوياً وأوروبياً.

ونجد في استانبول ماثلاً في قلب الحي الحديث، تمثال ضخم لمصفى كمال الذي يعتبره بعض الأتراك بأنه أبو الاستقلال. والحقيقة فإن مصطفى كمال قام بدور بارز في قطع العلاقة التاريخية بين تركيا وبين تراثها الإسلامي والعثماني والعربي. ففي عام ١٩٢٤ اتخذ قراراً بإلغاء الخلافة الإسلامية وإخراج السلطان عبد المجيد من البلاد. وفي حزيران (يونيه) ١٩٢٥ ألغى جميع الطرق الدينية. كما قرر تحويل مسجد آيا صوفيا إلى متحف. كما اتبعت الحكومة التقويم الجريجوري بعد أن ألغت التقويم الهجري. واستبدلت الشريعة الإسلامية بالقانون العلماني السويسري. واستبدلت القبعة الافرنجية بالطربوش، كما ألغيت الحروف العربية واعتمدت الحروف اللاتينية. وحذفت من مناهج التعليم اللغتان العربية والفارسية. ومنع الأذان من المساجد.

والواقع فإن استانبول رغم ما انتابها منذ عام ١٩٢٣ من تطورات وتغيرات في مقدمها انتزاعها كعاصمة وتحويل العاصمة إلى أنقره. فإن التاريخ الإسلامي ما يزال ماثلاً في مساجدها وشوارعها وناسها. علماً أن السنوات الأخيرة شهدت تحولات أساسية في مطالبة الكثير من الأتراك بالعودة إلى الحروف العربية وبالإتصال مجدداً بالعالم العربي. وقد اتخذت قرارات حكومية بإذاعة الأذان باللغة العربية. كما شهدت استانبول خاصة وتركيا عامة عقد عدة مؤتمرات إسلامية منها مؤتمر السيرة النبوية ومؤتمر الغرف التجارية للدول الإسلامية، واجتماع وزراء الدول الإسلامية.

ويوجد في استانبول مقر منظمة المؤتمر الإسلامي لنشر

الدراسات والكتب التاريخية والمخطوطات المتعلقة بالعالم الإسلامي والعربي. ولا يزال مركز الوثائق والمخطوطات في استانبول من أهم المراكز الإسلامية التي تضم وثائق عن الفترة العثمانية. كما تضم استانبول جامعتان أحداهما ترقى إلى القرن الخامس عشر. علماً أن هذه الجامعات تدرس في بعض كلياتها مادة اللغة العربية.

إن بصمات السلاطين العثمانيين لا تزال واضحة المعالم في استانبول منذ عهد السلطان محمد الفاتح إلى عهد السلطان عبد المجيد الثاني. وبالرغم من أن البعض يعتبر بأن هذه المدينة تحمل هويتين إحداهما أوروبية تشدها إلى الغرب والأخرى آسيوية تشدها إلى الشرق، غير أنه مما لا شك فيه بأن استانبول تحمل هوية إسلامية واضحة في مختلف معالمها.

الخرائط والجداول

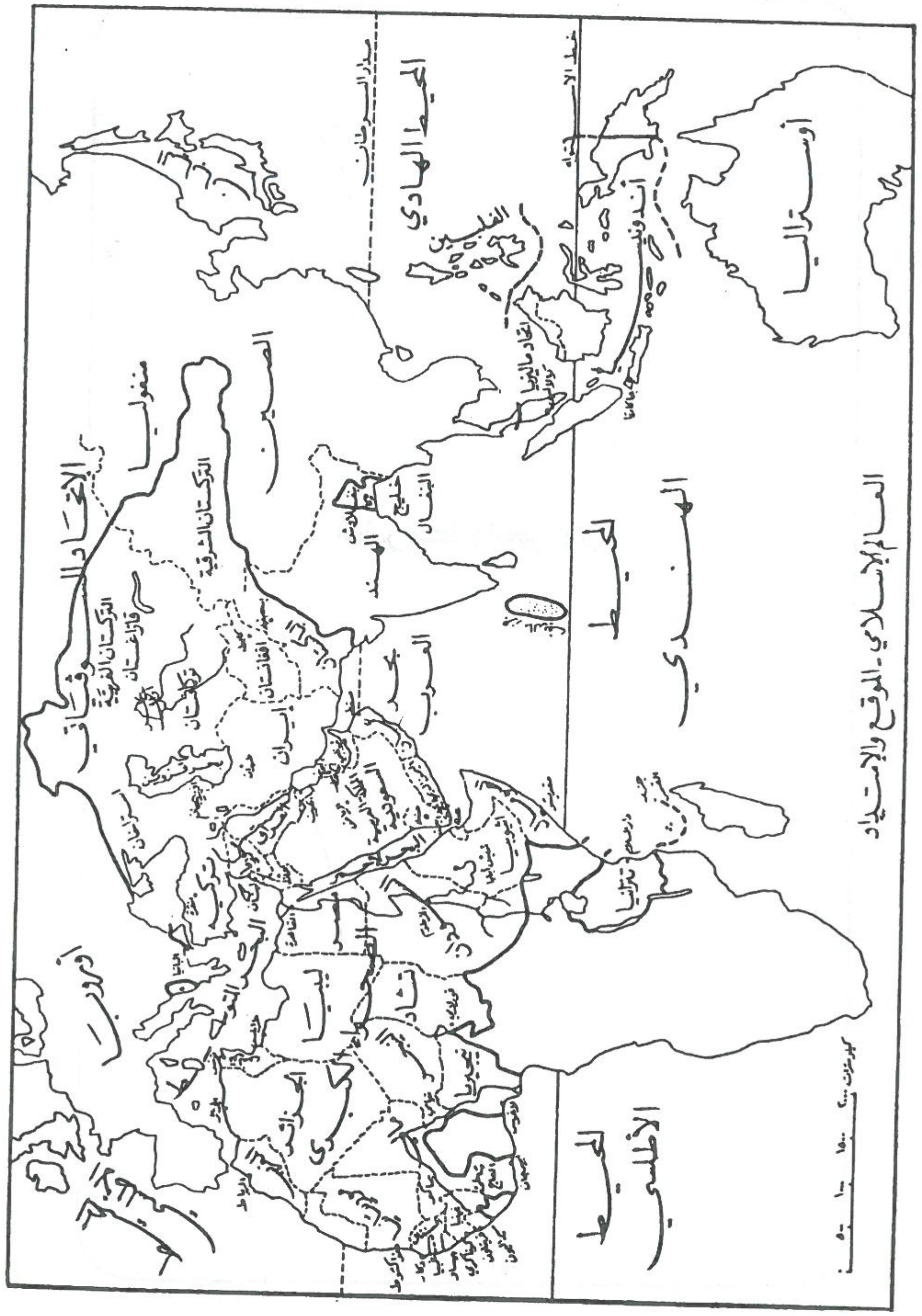
العالم الإسلامي: الموقع والامتداد
المحيط الهادي
المحيط الهندي
المحيط الأطلسي
أوستراليا
أوروبا
الصين
مدار السرطان
خط الاستواء

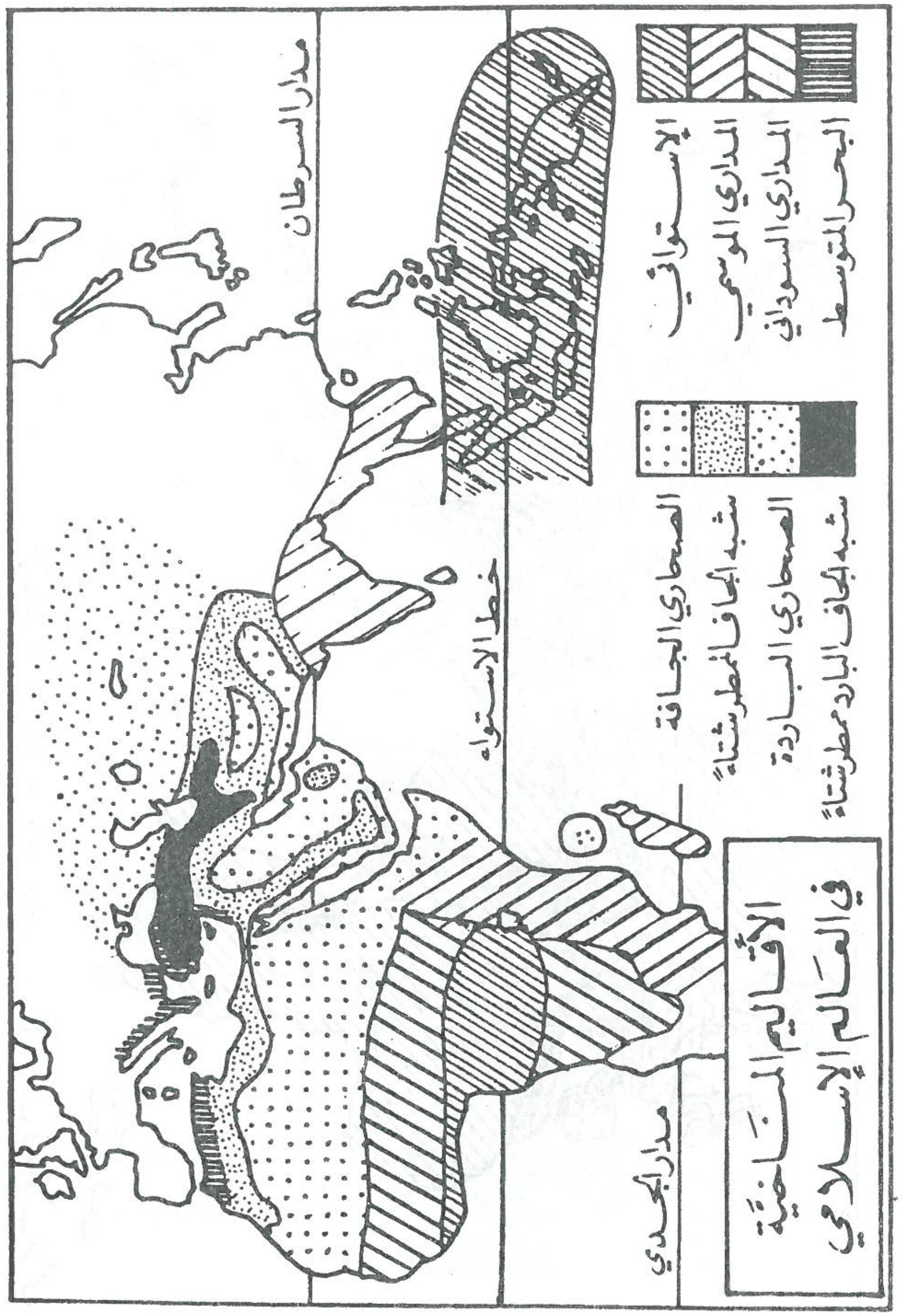
الأقاليم المناخية في العالم الإسلامي
مدار السرطان
خط الاستواء
مدار الجدي
الاستوائي
المداري الموسمي
المداري السوداني
البحر المتوسط
الصحاري الجافة
شبه الجاف الممطر شتاءً
الصحاري الباردة
شبه الجاف البارد ممطر شتاءً

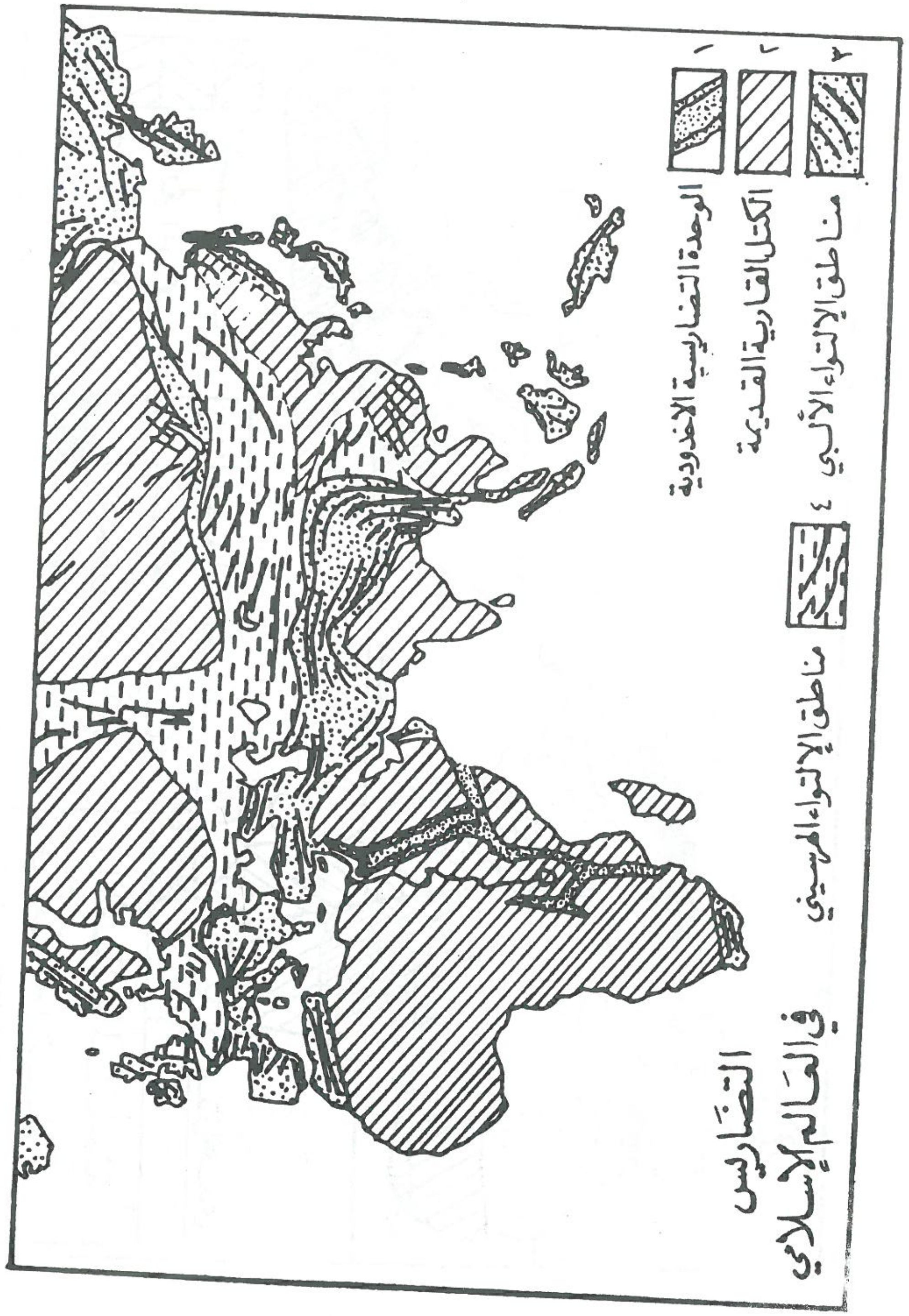

التضاريس في العالم الإسلامي
١ الوحدة التضاريسية الأخدودية
٢ الكتل القارية القديمة
٣ مناطق الالتواء الألبي
٤ مناطق الالتواء الهرسيني

تركية

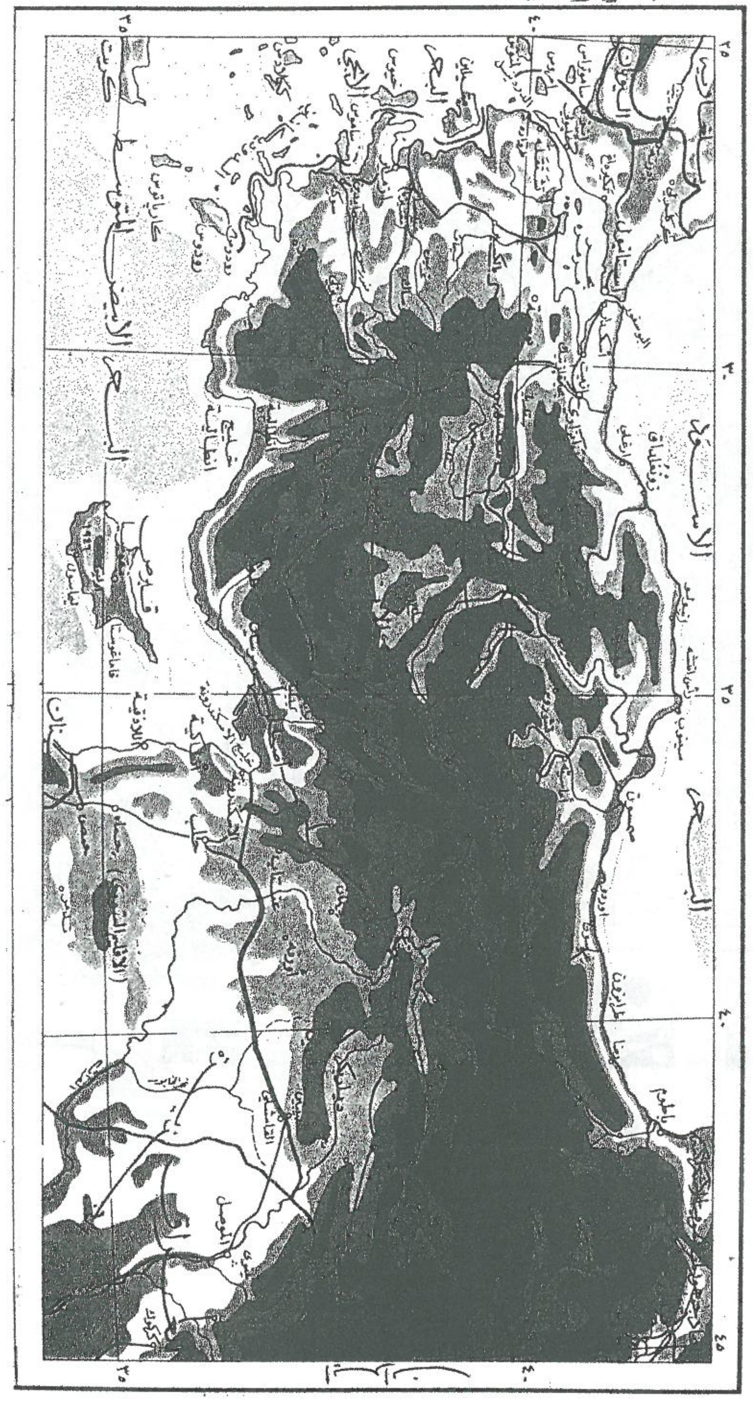

آسيا (سياسية)

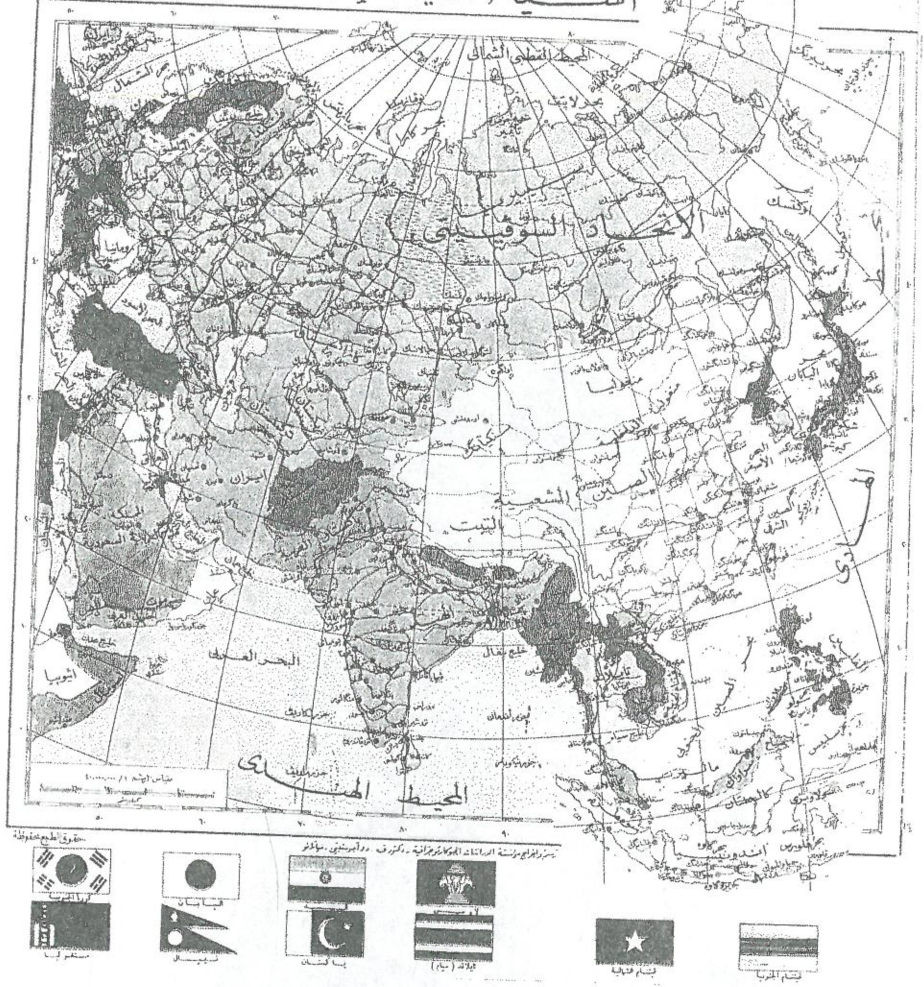

آسيا (طبيعية)

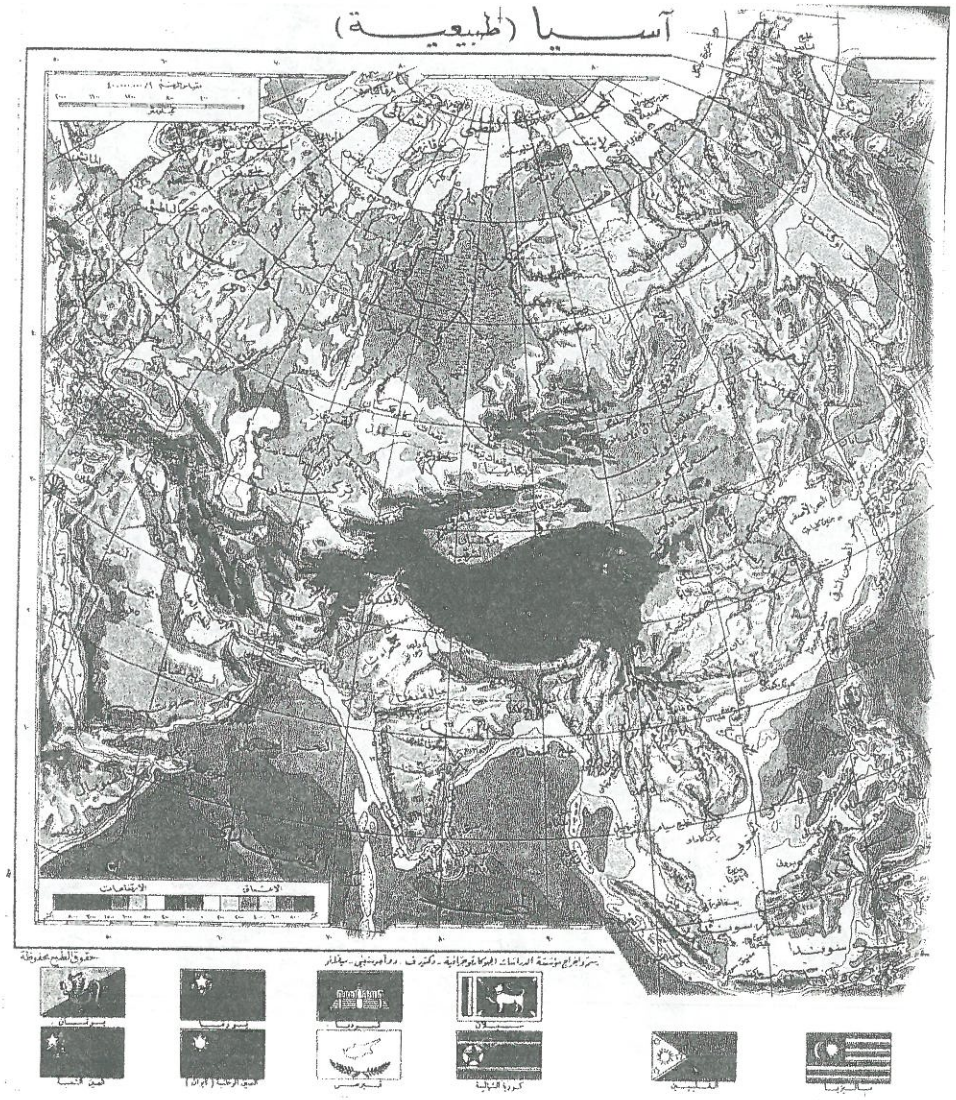

آسيا جنوبها وجنوبها الشرقي - اندونيسيا

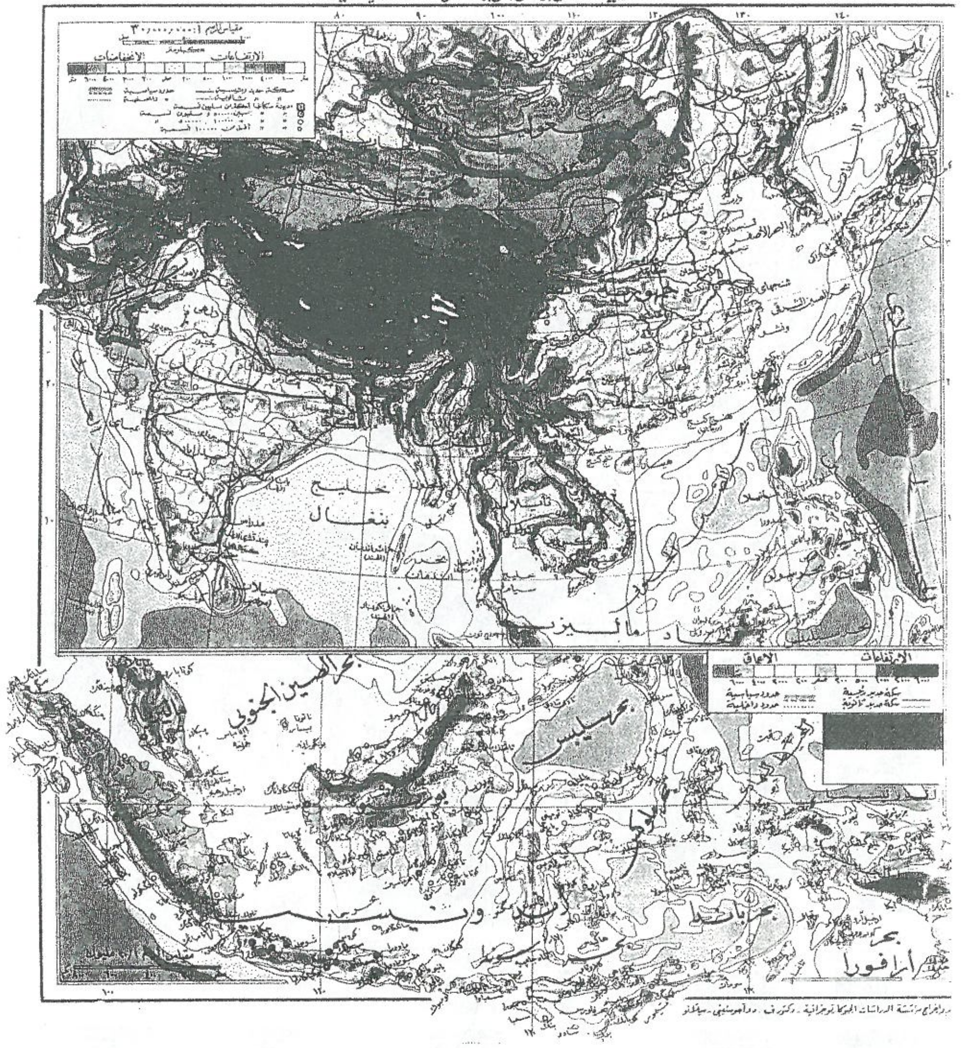

الهند وباكستان وسيلان

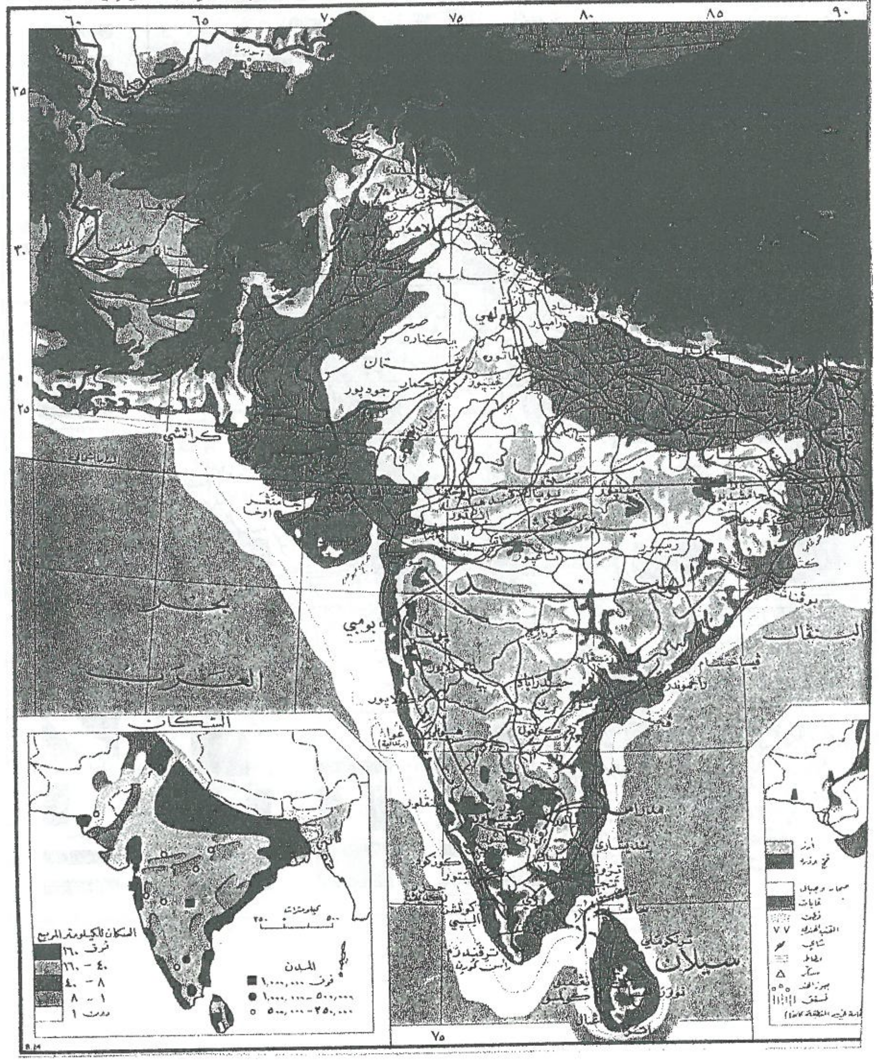

افريقية السياسية

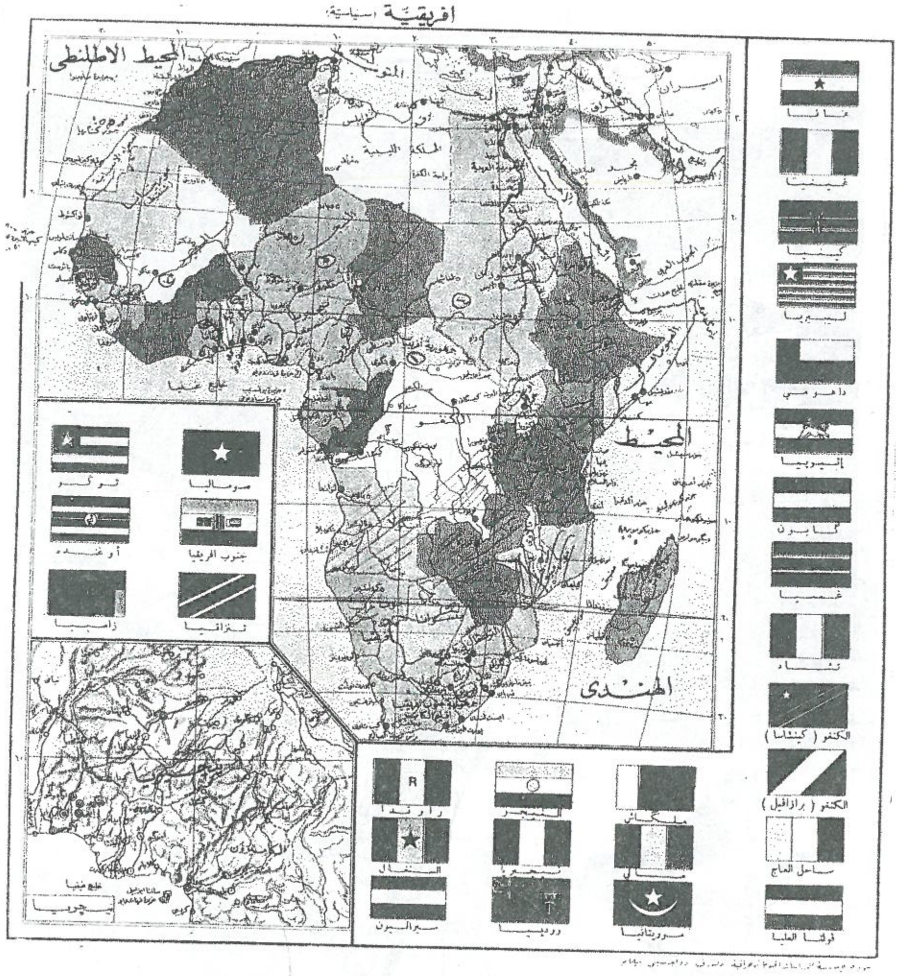

افريقية الطبيعية

الاتحاد السوفييتي

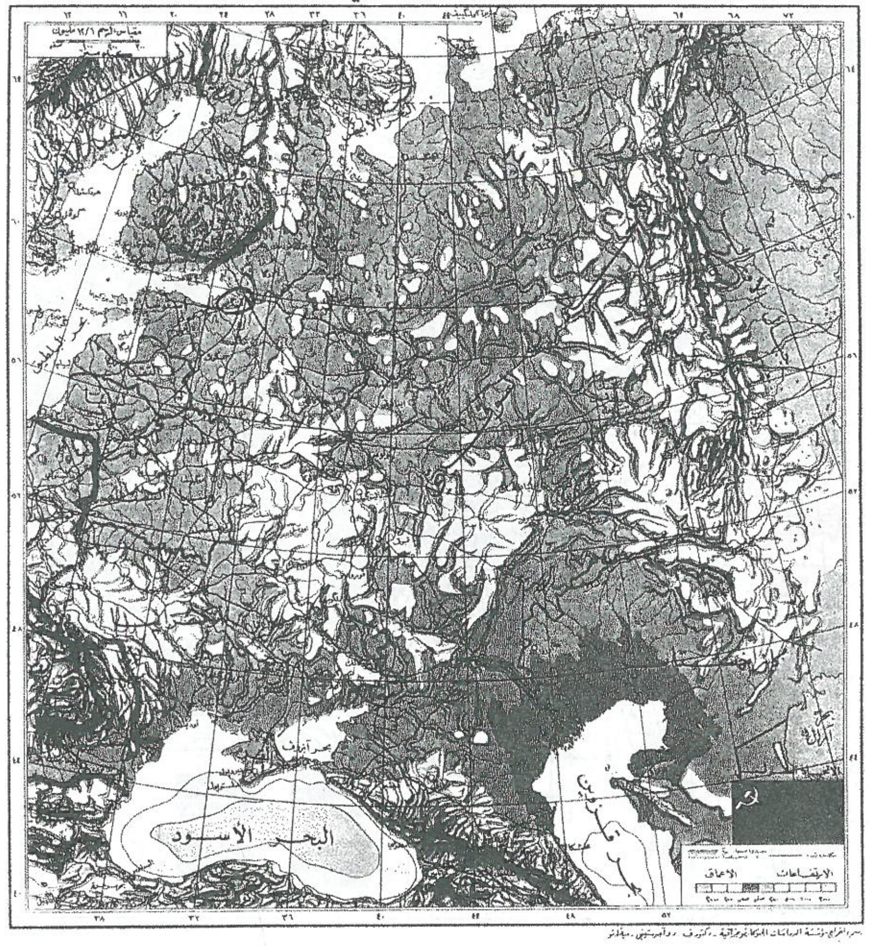

أوروبا سياسية

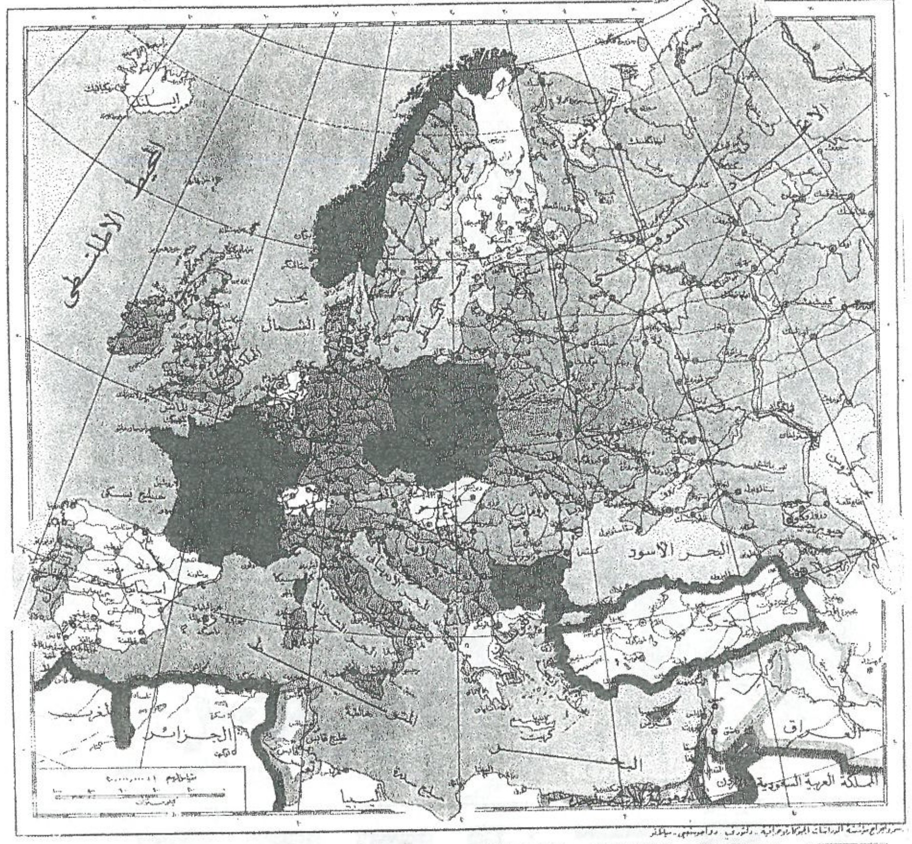

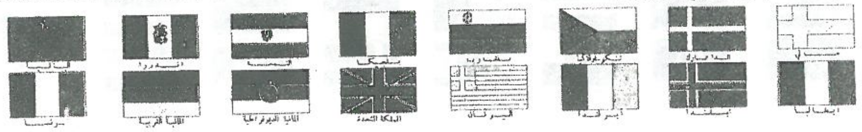

أوروبا (طبيعية)

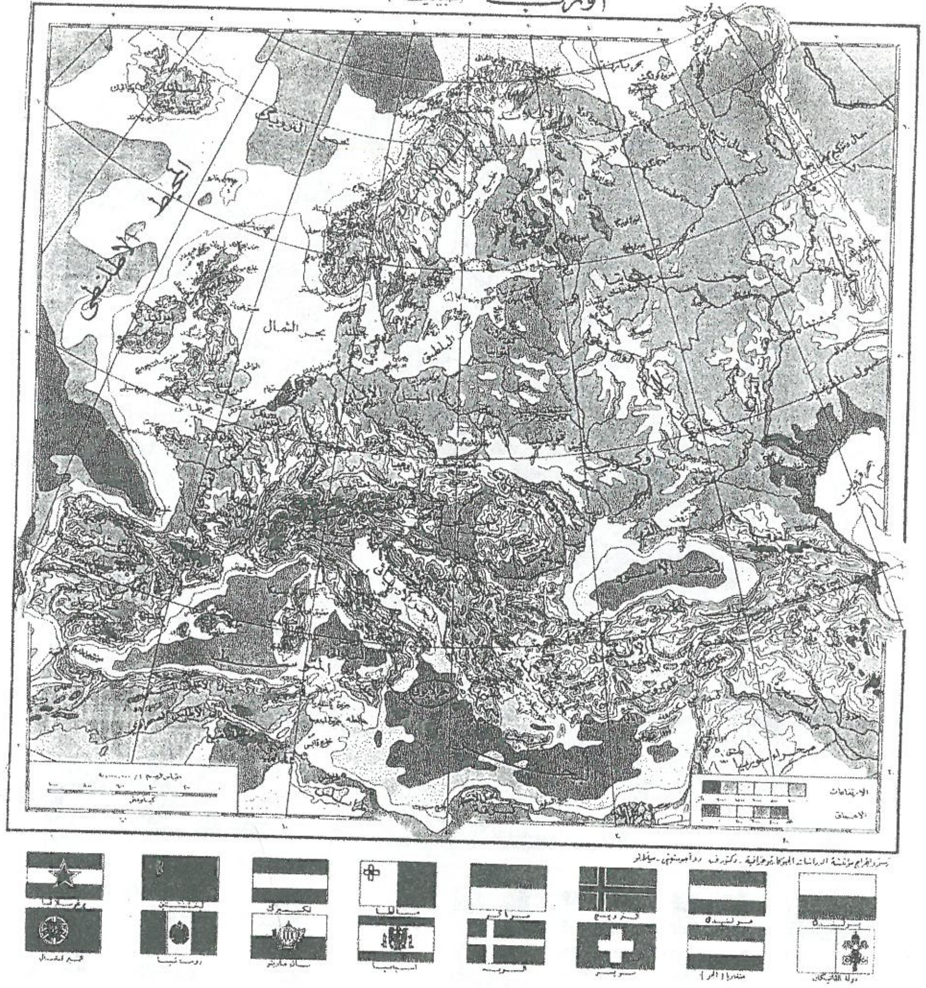

سكان الدول الإسلامية في آسيا

الدولة	السكان (بالألف نسمة)	المساحة (كم^2)	الكثافة	عدد المسلمين (بالألف نسمة)	نسبتهم المئوية ٪
أفغانستان	١٨٥٠٠	٦٤٧٤٩٧	٢٨,٤	١٨٣١٥	٪٩٩
بنغلاديش	١١٩٢٠٠	١٤٣٩٩٨	٨٢٨	١٠١٣٢٠	٨٥
أندونيسيا	١٩٨٤٠٠	١٩٠٤٣٤٥	١٠٤,٢	١٥٨٧٢٠	٨٠
إيران	٦١٣٠٠	١٦٤٨٠٠٠	٣٧,٢	٦٠٠٧٤	٩٨
ماليزيا	١٩٩٠٠	٣٢٩٧٤٩	٦٠,٣	٩٥٥٢	٤٨
باكستان	١٢٩٧٠٠	٨٠٣٩٤٣	١٦١	١٢٥٨٠,٩	٩٧
تركيا	٦١٤٠٠	٧٨٠٥٧٦	٧٨,٧	٦٠١٧٢	٩٨
العراق	٢٠٦٠٠	٤٣٤٩٢٤	٤٧,٤	١٩٥٧٠	٩٥
الأردن	٤١٠٠	٩٧٧٤٠	٤١,٩	٣٨١٣	٩٣
لبنان	٣٧٠٠	١٠٤٠٠	٣٥٦	٢٢٢٠	٦١
السعودية	١٨٥٠٠	٢١٤٩٦٩٠	٨,٦	١٧٥٧٥	٩٥
سوريا	١٤٧٠٠	١٨٥١٨٠	٧٩,٤	١٢٧٨٩	٨٧
اليمن	١٣٢٠٠	٥٢٧٣٦٨	٢٥	١٣٠٦٨	٩٩
الكويت	١٥٠٠	١٧٨١٨	٨٤,٢	١٥٠٠	١٠٠
البحرين	٦٠٠	٦٢٢	٩٦٥	٥٥٨	٩٣
قطر	٥٠٠	٢٢١٠٤	٢٢,٧	٤٧٨	٩٥,٦
الإمارات العربية	١٩٠٠	٨٣٦٠٠	٢٢,٧	١٩٠٠	١٠٠
عُمان	٢٢٠٠٠	٢١٢٤٥٧	١٠,٤	٢٠٤٢٤	٩٢
فلسطين	٥٥٠٠	٢٢٧٧٠	٢٦٥	٧٩٨	١٤,٥
جزر مالديف	١٥٥	٣٠٠	٦٦	١٥٥	١٠٠
بروني	٥٧٦٥	٢٣٣	٢٤,٧	٣٥٠٥	٦٠,٨

. Images économiques du monde 1995 -1996. P.11 - 12

سكان الدول الإسلامية في أفريقيا

الدولة	السكان (بالألف نسمة)	المساحة (كم^2)	الكثافة	عدد المسلمين (بالألف نسمة)	نسبتهم المئوية ٪
الكاميرون	١٣٥٠٠	٤٧٥٤٤٢	٢٨,٤	٢٠٢٥	١٥
تشاد	٦٤٠٠	١٢٨٤٠٠٠	٥	٣٠٠٨	٤٧
جابون	١٣٠٠	٢٦٧٦٦٧	٤,٩	٥٢٠	٤٠
جيبوتي	٣٨١	٢١٧٠٠	١٧,٥	٣٦١	٩٤,٨
جزر القُمُر	٣٩٨	٢٢٠٠	٠,١٨	٣٩٦	٩٩,٥
غينيا	٦٥٠٠	٢٤٥٨٥٧	٢٦,٤	٥٢٠٠	٨٠
مالي	٩٤٠٠	١٢٤٠٠٠٠	٧,٦	٦٣٩٢	٦٨
توجو	٤٤٠٠	٥٦٧٨٥	٧٧,٥	٥١	١١,٦
النيجر	٩٢٠٠	١٢٦٧٠٠٠	٧,٣	٨٧٢٠	٨٥
نيجيريا	١٠١٢٠٠٠	٩٢٣٧٦٨	١٠٩,٦	٤٦٧٥٤٤	٤٦,٢
السنغال	٨٣٠٠	١٩٦٧٢٢	٤٢,٢	٧١٣٨	٨٦
سيراليون	٤٥٠٠	٧١٧٤٠	٦٢,٧	٣١٥٠	٧٠
أوغندا	٢١٣٠٠	٢٣٦٠٣٦	٩٠,٢	٧٤٥٥	٣٥
بوركينيا فاسو	٨٠٠	٣٦١٠٠	٦٢,٧	٢٧٦	٣٤,٥
(فولتا العليا سابقاً)	٨٠٠	٣٦١٠٠	٦٢,٧	٢٧٦	٣٤,٥
ساحل العاج	١٤٣٠٠	٣٢٢٤٦٢	٤٤,٣	٤٧٥٥	٣٣,٢٥
افريقيا الوسطى	٣٢٠٠	٦٢٢٩٨٤	٥,١	١٨٥	٥,٨
غينيا بيساو	٧٩٠	٣٦,١	٠,٤٥	٢٨٦	٣٦
غامبيا	١١٠٠	١١٢٩٥	٩٧,٤	٩٤٦	٨٦
الجزائر	٤٨٤٠٠	٢٣٨١٧٤١	١١,٩	٤٧٩١٦	٩٩
مصر	٦١٩٠٠	١٠٠١٤٩٩	٦١,٨	٥٥٧١٠	٩٠
ليبيا	٥٢٠٠	١٧٥٩٥٤٠	٣	٥٢٠٠	١٠٠
المغرب	٢٩٢٠٠	٤٤٦٥٥٠	٦٥٤	٢٧٧٤٠٠	٩٥
الصومال	٩٣٠٠	٦٣٧٦٥٧	١٤,٦	٩٢٠٠	٩٩
السودان	٢٨١٠٠	٢٥٠٥٨١٣	١١,٢	٢٠٥١٣	٧٣
تونس	٨٩٠٠	١٦٣٦١٠	٥٤,٤	٨٨١١	٩٩
تانزانيا	٢٨٥٠٠	٩٤٥٠٨٧	٣٠,٢	١٧١٠٠	٦٠
موزانبيق	١٧٤٠٠	٧٨٣٠٣٥	٢٢,٢	٢٣٤٩	١٣,٥
ملاوي	٩٧٠٠	١١٨٤٨٤	٨١,٩	١٠٦٧	١١
موريتانيا	٢٣٠٠	١٠٣٢٤٥٥	٢,٢	٢٣٠٠	١٠٠
بنين	٥٤٠٠	١١٢٦٢٢	٤٧,٩	٢٩٧٠	٥٥

المسلمون في أوروبا

الدولة	السكان (بالألف نسمة)	المساحة (كم^2)	الكثافة	عدد المسلمين (بالألف نسمة)	نسبتهم المئوية ٪
ألمانيا	٨١٧٠٠	٣٥٦٧٥٥	٢٢٩	٢٤٥٠	٣
بريطانيا	٥٨٦٠٠	٢٤٤٠٤٦	٢٤٠	٨٧٩	١,٥
بلجيكا	١٠٢٠٠	٣٠٥٢١	٣٣٤	٣٠٦	٣
فرنسا	٥٨١٠٠	٥٤٩١٩٢	١٠٥,٨	٤٠٦٧	٧
هولندا	١٥٥٠٠	٣٣٩٣٨	٤٥٧	٢٣٢,٥	٢,٢
ألبانيا	٣٥٠٠	٢٨٧٤٨	١٢٢	٢١٠٠	٧٠
بلغاريا	٨٥٠٠	١١٠٩١٢	٧٦,٦	٧٦٥	٩
قبرص	٨٥٠٠	١١٠٩١٢	٧٦	١٧٠٠	٢٠
النمسا	٨١٠٠	٨٣٨٤٩	٩٦,٦	١٢١,٥	١,٥
بوسنة	٣٥٠٠	٥١١٣٠	٦٨,٥	٢١٠٠	٦٠
اليونان	١٠٥٠٠	١٣١٩٤٤	٦٩,٦	٢١٠٠	٢

المسلمون في العالم الجديد

الدولة	السكان (بالألف نسمة)	المساحة (كم^2)	الكثافة	عدد المسلمين (بالألف نسمة)	نسبتهم المئوية ٪
سورينام	٤٠٠	١٦٣٢٦٥	٢٥	٨	٢٢
جوايانا	٨٠٠	٢١٤٩٦٩	٣,٧	٨٠	١٠
ترينداد	١٣٠٠	٥١٢٨	٢٥٤	١٠٤	٨
الأرجنتين	٣٤٦٠٠	٢٧٦٦٨٨٩	١٢,٥	٥١٩	١,٥
الولايات المتحدة	٢٦٣٢٠٠	٩٣٦٣١٢٣	٢٨,١	٣٩٤٨	١,٥
كندا	٢٩٦٠٠	٩٩٧٦١٣٩	٣	٢٩٦	١

توزيع اللغات في العالم الإسلامي

اللغة	العدد (بالمليون)	اللغة	العدد (بالمليون)
العربية	٢٥٠	الفارسية	٣٥
لأندونيسية	١٣٥	السواحلية	٢٠
لتركية	١٠٠	الأفغانية (البيشتو)	١٧
البنغالية	٧٥	البربرية	١٠
الباكستانية (الأوردية)	٥٥	لغات أخرى صغيرة	١٠٣

تقدير احتياطي البترول في العالم الإسلامي (١٩٩٤)

الدولة	الاحتياط مليون طن	النسبة للعالم	الدولة	الاحتياط مليون طن	النسبة للعالم
أفريقيا	٨٤٨٢	٦,٢	الشرق الأوسط	٩٠٠٨١	٦٦
الجزائر	١٢٥٥	٠,٩	السعودية	٣٥٦٣٥	
٢٦,١					
ليبيا	٣١١١	٢,٣	الإمارات العربية المتحدة	١٣٣٨٥	٩,٨
نيجيريا	٢٤٤٢	١,٨	العراق	١٣٦٤٣	١٠
			إيران	١٢١٧٦	٨,٩
الشرق الأقصى	٦٠٦٥	٤,٤	الكويت	١٣١٦٥	٩,٧
أندونيسيا	٧٨٨	٠,٦	العالم الإسلامي	١٠٧١١٧	٧٨,٥
الاتحاد السوفياتي السابق	٧٧٧٦	٥,٦	العالم	١٣٦٣٩٣	

إنتاج البترول في العالم الإسلامي (عام ١٩٩٤)

الدولة	الإنتاج (١٠٠٠ طن)	النسبة للعالم الإسلامي	النسبة للعالم
الجزائر	٥٥٧٠٠	٤٠	١,٧٥
الكاميرون	٦٤٠٠	٠,٤٦	٠,٢
مصر	٤٦٥٠٠	٤,٧	١,٤٦
الغابون	١٦٨٠٠	١,٢	١,٢
ليبيا	٦٧٦٠٠	٥	٢,١
نيجيريا	٩٣١٠٠	٦,٧٩	٢,٩
تونس	٤٥٠٠	٠,٣٢	٠,١٤
أفريقيا الإسلامية	٢٩٠٦٠٠	٢٤,٤٧	٩,٧٥
العربية السعودية	٤٢٧٥٠٠	٣١,٢	١٣,٥
البحرين	٢٠٤٠	٠,١٤	٠,٠٦
الإمارات العربية المتحدة	١١٣٦٠٠	٨,٢٩	٣,٦
العراق	٢٤٥٠٠	١,٧٨	٠,٧
إيران	١٧٨٠٠٠	١٢,٩	٥,٦
الكويت	١٠٣٧٠٠	٧,٥	٣,٢
عُمان	٤٠٥٠٠	٢,٩٥	١,٢
قطر	٢٠٨٠٠	١,٥	٠,٦
سوريا	٢٩٩٠٠	٢,١٨	٠,٩
اليمن	١٦٠٠٠	١,١٦	٠,٥
الشرق الأوسط	٩٥٦٥٤٠	٦٩,٨	٢٩,٨٦
بروني	٨٥٠٠	٠,٦	٠,٢٦
أندونيسيا	٧٤٢٠٠	٥,٤	٢,٣٤
ماليزيا	٣٠٩٠٠	٢,٢	٠,٩٧
باكستان	٢٧٧٤	٠,٢	٠,٠٨
تايلاند	٢٣٠٩	٠,١٦	٠,٠٧
تركيا	٣٦٩٦	٠,٢٦	٠,١١
أذربيجان	٩٦٠٠	٠,٧	٠,٣
كازاخستان	٢٠٣٠٠	١,٤٨	٠,٦٤
آسيا الإسلامية	١٥٢٢٧٩	١١,٣	٤,٨٧
ألبانيا	٧٠٠	٠,٠٥	٠,٠٢
العالم الإسلامي	١٣٧٠١١٩		٤٦,٣٧
العالم	٣١٦٥٠٣٠		

أهم الدول المصدرة والمستوردة للبترول (١٩٩٤)

الدول المصدرة		الدول المستوردة	
الدولة	الكمية (١٠٠٠طن)	الدولة	الكمية(١٠٠٠طن)
الجزائر	١٤٤٦١	الولايات المتحدة	٣٤٩٩٠٠
الغابون	١٤٧٨٤	اليابان	٢٣٢٤٠٠
ليبيا	٥٣٤٠٣	ألمانيا	١٠٦٠٤١
نيجيريا	٧٧٢٧٨	بلجيكا	٢٨٣٧٢
أفريقيا الإسلامية	٢٣١٢٠٠	إسبانيا	٥٣١٥٣
السعودية	٣١٣٦٦٦	فرنسا	٧٦٢٠٢
الإمارات العربية المتحدة	٩٠٣٧٤	إيطاليا	٧٦٠٥٣
العراق	٢٨٨٩	هولندا	٥٦٧٤٠
إيران	١٢٩٧٤٢	بريطانيا	٣٥٤٩٣
الشرق الأوسط	٧١٨٥٠٠	النروج	٧٤٦
أندونيسيا	٣٢٠٧٩		
العالم	١٣٧٥٦٠٠	العالم	١٣٧٥٦٠٠
العالم الإسلامي	٩٨١٧٧٩		

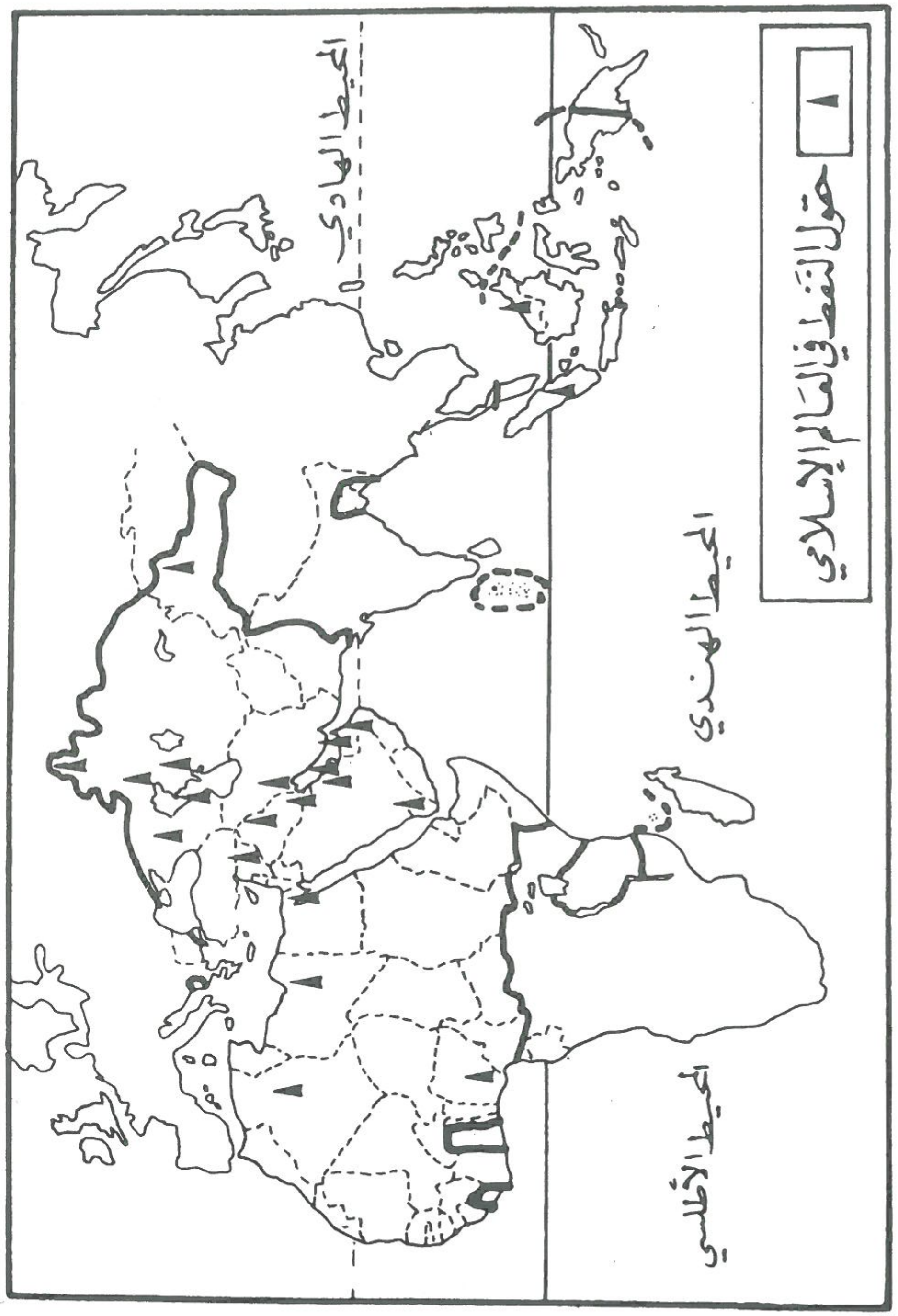

المصـادر والمـراجع

أولاً: المصادر والمراجع العربية والمعربة:

١ ـ **ابراهيم بشمي**: بلوشستان: قوس الخليج المشدود، القاهرة، ١٩٨٥.

٢ ـ **د. ابراهيم حسن**: انتشار الاسلام في القارة الافريقية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٨٤.

٣ ـ **ابن بطوطه (محمد بن عبد الله)**: تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار، تقديم وتحقيق: د. علي المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٧٥.

٤ ـ **د. احمد الساداتي**: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ج١، مكتبة الآداب، القاهرة ١٩٥٧ .

٥ ـ **د. احمد الساداتي**: افغانستان، مكتبة الآداب، القاهرة ١٩٨١.

٦ ـ **احمد طاهر**: افريقيا (فصول من الماضي والحاضر) دار المعارف، القاهرة ١٩٧٩ .

٧ ـ **د. احمد عبد الرحيم مصطفى**: في اصول التاريخ العثماني، دار الشروق، بيروت ١٩٨٢.

٨ ـ **اسماعيل احمد ياغي**: تاريخ شرق آسيا الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٩ ـ **امين برزج سحكوغ**: الشركس في فجر التاريخ، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق ١٩٩٥.

١٠ ـ **اندريه شارل جوليان:** تاريخ افريقيا، تعريب: عوضي اباظة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

١١ ـ **باكو** (دراسة علمية وسياحية عن باكو عاصمة اذربيجان بالعربية والروسية) دار التقدم ـ موسكو (لا.ت.).

١٢ ـ **برنارد لويس:** استانبول وحضارة الخلافة العثمانية، تعريب: سيد رضوان علي، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٩٨٢ .

١٣ ـ **بولياكوف، محمود بريالي، ساخاروف، د. حيدر مسعود:** افغانستان اليوم، دار الفارابي، بيروت ١٩٨٣.

١٤ ـ **بيتر شوجر:** اوروبا العثمانية ١٣٥٤ ـ ١٨٠٤، تعريب: د. عاصم الدسوقي، دار الثقافة الجديدة القاهرة، ١٩٩٨.

١٥ ـ **جمال الدين الافغاني:** تتمة البيان في تاريخ الافغان، مطبعة الموسوعات، القاهرة ١٣١٨هـ ـ ١٩٠١م.

١٦ ـ **جمال الدين الافغاني، محمد عبده:** العروة الوثقى، بيروت ١٩٧٠ .

١٧ ـ **جمعية الدعوة الاسلامية العالمية:** الاسلام والمسلمون في افريقيا، جمعية الدعوة الاسلامية العالمية، طرابلس الغرب (لا.ت.).

١٨ ـ **جوان جوزيف:** الاسلام في ممالك وامبراطوريات افريقيا السوداء، تعريب: مختار السويفي، دار الكتب الاسلامية، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، بيروت ـ القاهرة، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

١٩ ـ **جين افريك:** افريقيا في ظل السيطرة الاستعمارية ١٨٨٠ ـ ١٩٣٥، م ٧، اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ افريقيا العام، باريس ١٩٩٠.

٢٠ ـ **د. حسان حلاق (بالاشتراك مع د. عباس سليمان):** تاريخ العلوم عند العرب، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ١٩٩٨ .

٢١ ـ **د. حسان حلاق:** ملامح من تاريخ الحضارات، الدار الجامعية، بيروت ١٩٩١.

٢٢ ـ **د. حسان حلاق:** مدن وشعوب اسلامية، ٤ أجزاء، دار الراتب الجامعية، بيروت ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٢٣ ـ **د. حسان حلاق:** دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش، دار بيروت المحروسة، بيروت ١٩٩٥م.

٢٤ ـ **د. حسان حلاق:** موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ١٨٩٧ ـ ١٩٠٩، دار النهضة العربية ١٩٩٩.

٢٥ ـ **السيد حسن الامين:** ثورة ايران في جذورها الاسلامية الشيعية، ملف النهار، بيروت ١٩٧٩.

٢٦ ـ **د. حسن محمد العلية:** الحرب الافغانية الاولى ١٨٣٨ ـ ١٨٤٢، دار الثقافة، الدوحة (لا.ت.).

٢٧ ـ **حسين صاحب الصادق:** قصة الانتصار الكبير (تاريخ الثورة الاسلامية في ايران) دار المنهل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

٢٨ ـ **حسين الفاضلي:** افغانستان، تاريخها، رجالاتها، دار الصفوة، بيروت ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٢٩ ـ **دسوقي مصطفى كسبه:** المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز، ٣ أجزاء، مجلة الإزهر، القاهرة، ١٤١٤هـ.

٣٠ ـ **ديتس سميث:** اندونيسيا شعبها وأرضها، تعريب: حسن محمود، تقديم: حسن جلال العروسي، مؤسسة فرانكلين للطباعة، القاهرة ـ نيويورك ١٩٦٢.

٣١ ـ **د. رؤوف شلبي**: الاسلام في ارخبيل الملايو، القاهرة، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٣٢ ـ **د. ساره منيمنه**: في جغرافيا العالم الاسلامي، دار بيروت المحروسة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٣٣ ـ **د. ساطع الحصري**: البلاد العربية والدولة العثمانية، بيروت ١٩٦٠.

٣٤ ـ **د. شاكر مصطفى**: موسوعة دول العالم الاسلامي، جـ ٣، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩٣.

٣٥ ـ **د. شوقي الجمل**: تاريخ كشف افريقيا واستعمارها، مكتبة الانجلو - المصرية، القاهرة، ١٩٧١م.

٣٦ ـ **د. عبد الله عزام**: آيات الرحمن في جهاد الافغان، مكتبة الأقصى، الدوحة ١٩٨٧ .

٣٧ ـ **د. عبد الحكيم محمود عثمان**: اضواء على حاضر العالم الاسلامي، القاهرة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٣٨ ـ **د. عبد الحميد البطريق، مصطفى محمد عطا**: باكستان في ماضيها وحاضرها، دار المعارف، القاهرة (لا.ت.).

٣٩ ـ **د. عبد الرحمن زكي**: الاسلام والمسلمون في افريقيا، القاهرة، ١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م.

٤٠ ـ **د. عبد العزيز الشناوي**: الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها، اربعة اجزاء، مكتبة الانجلو - المصرية، القاهرة، ١٩٨٣ - ١٩٨٦ .

٤١ ـ **د. عبد العزيز نوار**: الشعوب الاسلامية، دار النهضة العربية، بيروت ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٤٢ ـ **د. عبد القادر احمد**: ايران منذ فجر التاريخ حتى الفتح الاسلامي، مكتبة الانجلو - المصرية، القاهرة ١٩٨٢.

٤٣ ـ **د. عبد القادر احمد**: هموم اسلامية في نظام عالمي جديد (كشمير، افغانستان، الجمهوريات الاسلامية، الاتحاد السوفيتي، البوسنة والهرسك...) مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٤٤ ـ **د. عبد الكريم رافق**: العرب والعثمانيون ١٥١٦ - ١٩١٦، دمشق ١٩٧٤ .

٤٥ ـ **عبد المجيد سيد بكر**: الاقليات المسلمة في اوروبا، هيئة الاغاثة الاسلامية العالمية، الرياض.

٤٦ ـ **عزيز سامح**: الاتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية، تعريب: عبد السلام ادهم، دار لبنان للطباعة والنشر ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

٤٧ ـ **علي أيوب ناجي**: لمحات عن الاسلام في نيجيريا، دار الكتاب الحديث، الكويت (لا.ت).

٤٨ ـ **علي حسون**: تاريخ الدولة العثمانية، دمشق ١٩٨٠.

٤٩ ـ **د. عمر عبد العزيز عمر**: تاريخ المشرق العربي ١٥١٦ - ١٩٢٢، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٤ .

٥٠ ـ **غنيمي رأفت الشيخ، د. محمد رفعت عبد العزيز**: آسيا في التاريخ الحديث والمعاصر، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ١٩٩٧.

٥١ ـ **فاروق حامد بدر**: تاريخ أفغانستان من قبيل الفتح الاسلامي حتى وقتنا الحاضر، مكتبة الآداب، القاهرة ١٩٨٠.

٥٢ ـ **كارل بروكلمان:** تاريخ الشعوب الاسلامية، تعريب: نبيه امين فارس، منير البعلبكي، الطبعة السابعة، دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٧٧.

٥٣ ـ **د. مجيد حسن الرجيلي:** ايران والعراق خلال خمسة قرون، دار الاضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

٥٤ ـ **د. محمد احمد محمد:** اسلام الايلخانيين، شركة الصفا، القاهرة ١٩٨٩.

٥٥ ـ **د. محمد الاناؤوط:** كوسوفو (كوسوفا) مركز الحضارة للدراسات السياسية، القاهرة، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

٥٦ ـ **د. محمد انيس:** الشرق العربي والدولة العثمانية (١٥١٤ ـ ١٩١٤)، مكتبة الانجلو ـ المصرية، القاهرة (لا.ت.).

٥٧ ـ **د. محمد حرب:** المسلمون في آسيا الوسطى والبلقان، المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي، القاهرة ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م. البلدان الاسلامية، والاقليات المسلمة في العالم المعاصر، كلية العلوم الاجتماعية، الرياض ١٣٩٩هـ.

٥٨ ـ **د. محمد سهيل طقوش:** العثمانيون من قيام الدولة الى الانقلاب على الخلافة ١٢٩٩ ـ ١٩٢٤، دار بيروت المحروسة، بيروت ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥م.

٥٩ ـ **د. محمد السيد غلاب، د. عبد القادر حسن صالح:** البلدان الاسلامية والاقليات المسلمة في العالم المعاصر، كلية العلوم الاجتماعية، الرياض ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٧٩م.

٦٠ ـ **محمد ضياء بن نوح عبد الله شهاب:** الاسلام في اندونيسيا، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.

٦١ ـ **د. محمد عبد الله جمال الدين:** التاريخ والحضارة الاسلامية في الباكستان ٦٣٦ ـ ١٠٢٥م (١٥ ـ ٤١٦هـ) دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩١م.

٦٢ ـ **د. محمد عبد القادر أحمد:** المسلمون في غينيا، القاهرة ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م.

٦٣ ـ **د. محمد فتحي ابو عيانة:** جغرافية افريقية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ١٩٩٩.

٦٤ ـ **محمد فريد بك المحامي:** تاريخ الدولة العلية العثمانية: دار الجيل، بيروت ١٩٧٧.

٦٥ ـ **محمد فؤاد كوبريللي:** قيام الدولة العثمانية، تعريب: احمد السعيد سليمان، الهيئة المصرية للكتاب، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٩٣.

٦٦ ـ **د. محمد محمد زيتون:** المسلمون في الشرق الاقصى (الفلبين ـ اندونيسيا ـ ماليزيا)، دار الوفاء للطباعة ـ القاهرة، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٦٧ ـ **محمود شاكر، د. اسماعيل احمد ياغي:** تاريخ العالم الاسلامي الحديث والمعاصر: ١٤٩٢ ـ ١٩٨٠م، (٩٨٧ ـ ١٤٠٠هـ) جـ ١، قارة آسية، مكتبة العبيكان، الرياض ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٦٨ ـ **محمود شاكر:** جغرافية العالم الاسلامي، الرياض ١٩٧٨.

٦٩ ـ **محمود عبد الرزاق:** محنة الاقليات الاسلامية في اوروبا، القاهرة، ١٩٩٦.

٧٠ ـ **العلامة مرتضى مطهري:** الاسلام وايران عطاء واسهام، دار الحق للطباعة والنشر، بيروت ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٧١ ـ **المركز العام لجمعيات استقلال اندونيسيا:** اندونيسيا الثائرة، القاهرة، ١٩٤٦.

٧٢ ـ **معن العجلي الحكامي:** بلوجستان ديار العرب، پونه – الهند ١٩٧٨.

٧٣ ـ **د. مقلد عبد الفتاح الغنيمي:** الاسلام والمسلمون في شرق افريقيا، عالم الكتب، القاهرة ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

٧٤ ـ **الندوة العالمية للشباب الاسلامي:** الاقليات المسلمة في العالم، م ٢، م ٣، الندوة العالمية للشباب الاسلامي، الرياض ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٧٥ ـ **نوبار هوفسبيان (تحرير وتقديم):** باكستان: الدولة والمجتمع والاسلام، مؤسسة الابحاث العربية، بيروت ١٩٨٦.

٧٦ ـ **نوريس (هـ. ت)، عبد الوهاب علوب:** الاسلام في البلقان (مترجم) المجلس الاعلى للثقافة ـ القاهرة ١٩٧٧.

٧٧ ـ **هاشمي رفسنجاني:** انجازات الثورة الاسلامية في عامها الخامس ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٧٨ ـ **وزارة الخارجية الايرانية:** نظرة على الجمهورية الاسلامية الايرانية، صادر عن وزارة الخارجية الايرانية، طهران (لا.ت.).

٧٩ ـ **د. يسري الجوهري:** افريقيا الاسلامية، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٠.

ثانياً: المصادر والمراجع الاجنبية:

1- Allen, W.E.O; Problems of Turkish power in The Sixteenth Century, Central Asian Research center, London 1963.

2- Ali, K; A Study in Moslem Rule in Indo-Pakistan, 3rd Edition, The Famous Publishers, Decca 1963.

3- Armstrong, H.C, Grey Wolf; Mustafa Kamal - An intimate Study of a Dictator, New York 1972,

4- Barker, James; Turkey in Europe, London 1977.

5- Browne, E,G; A Literary History of Persia, Cambridge 1948.

6- Cohen, Claude; Pre-Ottoman Turkey, London 1968.

7- Creasy, Edward, S; History of the Ottoman Turks, Khayats, Beirut 1961.

8- Curzon, G; Persia and the Persian Question, 2 vols; London 1928.

9- Curzon, G; Russia in Central Asia, London 1889.

10- Dicks, B; The Ancient Persians, London 1979.

11- Garrett, G; The Legacy of India, London 1937.

12- Gibb and Bowen; Islamic Society and The West, 2 vols, Oxford University press, 1953 - 1957.

13- Girshman, A; L'Iran des Origines à L'islam, Paris 1951.

14- Hurewitz, T; Diplomacy in The Near and Middle East, 2 vols, New York 1956.

15- Kedouri, E, (ed); Nationalism in Asia and Africa, London 1971.

16- Low, C.R; History of The India Navy 1613 - 1863, 2 vols London 1877.

17- Maclagan, Michael; The City of Constatinople, London 1968.

18- Mariott, J,A.R; The Eastern Question, London 1951.

19- Morland, W; India at The Death of Akbar, An Economic study, Delhi 1962.

20- Olmstead, A.t.e; History of the Persian Empire, Chicago 1948.

21- Panikar, K. M; Malabar and The Dutch, Bombay 1930.

22- Pears, sir Edwin; Life of Abdul-Hamid II, Arno Press, New York 1973.

23- Phelps, M; Life and Teaching of Abbas Effendi, Astudy of The Religion of The Babis or Bahais, London 1903.

24- Prasad, I; A Short History of The Muslim Rule in India, Allah-Abad 1933.

25- Sykes, P; A History of Persia, 2 vols, London 1951.

26- Webster, D.E; The Turkey of Ataturk, Philadelphia 1973.

27- Wilson, A; The Persian Gulf, London 1954.

28- Wood, A.C; A History of The Levant company, Frank cass 1964.

ثالثاً: الدوريات العربية والاجنبية:

١ - بناء الصين (بكين) ١٩٨٩.

٢ - السفير (بيروت) ١٩٩٩.

٣ - العربي (الكويت) ١٩٧٠ - ٢٠٠٠.

٤ - النهار (بيروت) ١٩٩٧، ١٩٩٩.

5 - Funk and Wagnalls, New Encyclopedia, vol. 14, U.S.A.

6 - Images Économiques du Monde 1995 - 1996.

7 - Revue du Monde Mesulman. paris 1907 - 1926.

فهرس الموضوعات

صفحة

مقدمة ٧

الباب الأول: ملامح من تاريخ الدول والشعوب الإسلامية ٩

الفصل الأول: الاتراك العثمانيون (الدولة العثمانية) ١١

الفصل الثاني: ايران (الجمهورية الإسلامية الإيرانية) ٤٩

الفصل الثالث: أفغانستان ١٣٠

الفصل الرابع: أندونيسيا ٢٠١

الفصل الخامس: المسلمون في الصين ٢٧٣

الباب الثاني: ملامح من تاريخ المدن والشعوب الإسلامية ٢٨١

مقدمة ٢٨٣

١ ـ زاهدان ٢٨٤

٢ ـ دلهي ٢٨٩

٣ ـ كشمير ٢٩٧

٤ ـ داكا ٣٠٢

٥ ـ لاهور ٣١٠
٦ ـ كابول ٣٢٠
٧ ـ كوشنج سرواك ٣٣١
٨ ـ سومطرة ٣٤٠
٩ ـ كوالامبور ٣٤٦
١٠ ـ القوقاز ٣٥٣
١١ ـ باكو ٣٥٩
١٢ ـ سمرقند ٣٦٩
١٣ ـ قازان ٣٧٦
١٤ ـ كوسوفا ٣٧٦
١٥ ـ باماكو ٣٨٣
١٦ ـ نيامي ٣٩٧
١٧ ـ دكار ٤٠٨
١٨ ـ لاغوس ٤١٦
١٩ ـ زنجبار ٤٢٣
٢٠ ـ جيبوتي ٤٢٩
٢١ ـ نواكشوط ٤٣٥
٢٢ ـ استانبول ٤٤٢